

القواعِدُ الكَشْفِيَّةُ

الموضحة

للمخايني الصفات الإلهية

تأليف

السَّيِّحُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ أَحْمَدَ الشَّعْرَانِيَّ

١٨٩٨ م - ٩٧٢ هـ

مقدّمه ودراسة

الدكتور محمد ربيع أنسعد عرار

مُسَانَدُ الْفَرَائِيقَاتِ كَرَامَةُ الْعُلَمَاءِ الْقَوْمِيَّةِ

جامعة بغداد



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بغداد - لبنان

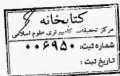
القواعد الكشفيّة

الموضحة لمعاني الصفات الإلهيّة

تأليف

الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشمراني

١٨٩٨ هـ - ١٩٧٢ هـ



مركز توثيق ودراسة

الدكتور مهدي أسعد عرار

أستاذ الآداب والعقائد والفقهية
جامعة بيروت



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيكسول سنة 1971

بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

التهجد

إلى المُشْتَاقِينَ بِرَبِّهِمْ، وَالْمُحَلِّقِينَ فِي حِلْقِي الذِّكْرِ وَالتَّذْكِيرِ وَالْمُذَكِّرَةِ، إِلَى مَنْ
قَطَعُوا الْعَلَاتِقَ، وَأَطْرَحُوا الْعَوَاتِقَ، فَغَازَوْا بِالْمَطْلُوبِ، وَأَصْلَوْا بِالْمَحْبُوبِ، إِلَى الثَّلَاثَةِ
الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى هَذَا الرُّهْطِ مِنَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ: الشَّيْخُ "حَازِمُ أَبُو غُرَالَةَ" الصَّوْمُ الْفَقَامُ، طَاهِرُ
الْإِنَابَةِ، وَفَرُّ الْمَهَابَةِ الَّذِي أَشْرَفَتْ شَمْسُ جَمَالِهِ، فَأَطْرَقَتْ أَعْيُنُ السَّالِكِينَ هَيْئَةً لِجَلَالِهِ،
وَالِي أَوْسَطِهِمْ أَبِي الشَّيْخِ "أَسْعَدُ عَرَارُ" كَرِيمُ الشَّانِ وَالْعِنَابَةِ، جَمِيلُ التَّرْبِيَةِ وَالرَّعَايَةِ، الَّذِي
صَدْرُهُ لِلْسَّالِكِينَ مَشْرُوحٌ، وَبَابُهُ لِلْسَّائِلِينَ مَفْتُوحٌ، وَإِلَى ثَالِثِ الثَّلَاثَةِ إِمَامِ الدُّعَاةِ الَّذِي
لَقَبْتَنِي الْفَوَائِدَ وَالْفَرَائِدَ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ، الْحَبِيبُ عَلِيُّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْجُفْرِيِّ الَّذِي أَحْيَا
الْقُلُوبَ وَعَظَّمَهُ، وَشَرَحَ الصَّدُورَ لَعُظْمِهِ...

"ظَهَرَ فِي الْإِنْسَانِ الضَّكَّانَ، فَقِيهِ الْأَوْلِيَاءِ كَمَا فِيهِ الْأَعْدَاءُ، فَلَا تَرَالُ السِّيَاسَاتُ
تُسْنُ، وَالْغَارَاتُ لُسْنُ، فَهَمَّ بَيْنَ قَتْلِي وَأَسِيرٍ، وَحُسْنِ مَأْبٍ، وَبِشْنِ مُصِيرٍ، كُشِفَتْ الْحَرْبُ
عَنْ سَاقِهَا، وَظَهَرَتْ الْفِتْنُ فِي جَمِيعِ أَقْصَافِهَا، فَأَقَامَتْ لُرْدُ، وَرَزَايَا لُعْدُ، تَصَرَّفَاتُهُ مَحْدُودَةُ،
وَأَنْفَاسُهُ عَلَيْهِ مَعْدُودَةُ، عَلَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، وَسَالِقٌ وَضْهِيدٌ، لَمْ يَزَلْ مُذْ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي التَّوَكُّلِ،
وَضَرَعَ لَهُ أَنْ يَقُولَ ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، لِيَنْقَلِبَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ إِلَى دَارِ
الْحَيَوَانِ، لَمْ يُمْسَسْهُ سُوءٌ وَلَا يُلَاسُ، وَيُلْقَاهُ عِنْدَ وُجُودِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُدُّوسُ، وَيُنْقَلِبَهُ
عَمَلُهُ بِوَجْهِ طَلْقٍ غَيْرِ غَبُوسٍ، فَأَتَمَّ تَنْزِيهِه وَتَطْهِيرَهُ، وَاعَادَ عَلَيْهِ تَعَزُّيزَهُ وَتَوْفِيرَهُ، فَهُوَ يَجْنِي
ثَمَرَةَ عَمَلِهِ فِي رِيَاضِ أَهْلِهِ".

الفصولات المكية، ١٥١/٨



رَبِّ يَسْتَرْ وَأَعِن

مِهَادُ وَتَأْسِيسُ

اِئْتَدَايَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلْتَبَيَّنْ بِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ،
وَيَعُدُّ:

فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ - تَحْقِيقَ اسْمِهِ الْأَعْلَى - أَنْ تَقَعَ يَدِي عَلَى فِهْرِي مَخْطُوطَاتِ الْمَكْتَبَةِ
الْهُدْيِيَّةِ فِي الْقَدْسِ الشَّرِيفِ، فَاسْتَرْعَى نَظْرِي عُنْوَانُ هَذَا الْمَخْطُوطِ السَّنَوِيِّ تَحْقِيقَهُ،
وَالْمُسَوِّمُ بِهِ "الْقَوَاعِدُ الْكَشْفِيَّةُ الْمَوْضُوعَةُ لِمَعَالِي الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ"، فَعُدْتُ إِلَى أَحَدِ طَلَبَةِ
الْعِلْمِ بِاسْتِنْسَاحِهِ مِنْ تَلَكُمِ الْمَكْتَبَةِ، فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَقَلَّبْتُهُ ظَهْرًا لِبَطْنِي مُتَمَلِّئًا
وَمُسْتَشْرِفًا مَا فِيهِ، فَقَامَ فِي نَفْسِي وَفَتَهَا خَاطِرٌ يُبْلِغُ عَلَيَّ أَنْ أَخْرَجَ هَذَا الْعِلْمَ الْجَمَاعَ بَيْنَ
الْأَنْظَارِ الثَّقَلِيَّةِ وَالْعَقَلِيَّةِ، وَالذُّوقِيَّةِ وَالْكَشْفِيَّةِ لِبَرَى الثُّورِ، وَلِتَصِلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ الْقُرَاءِ وَالْمُتَارِسِينَ
وَأَرْبَابِ السُّلُوكِ بَعْدَكَ، ثُمَّ غَبَرَتْ بُرْهَةٌ وَأَنَا أَنْظُرُ فِيهِ نَظَرَ الرُّوِيَّةِ وَالنَّبَصْرِ، فَالْفَيْتُهُ يَنْسَبُ إِلَى
بَابِ الْقَوْلِ عَلَى آيَاتِ الصِّفَاتِ فِي حَقِّ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ عَامَّةً، وَرَفَعَ خَبْرَهُ التَّشْبِيهِ بِأَكْبَرِ التَّنْزِيهِ
عَاصِئًا، وَهُوَ، مِنْ وَجْهِ أُخْرَى، يَكَادُ يَكُونُ مُعَبِّثًا مِنَ الْإِجَابَاتِ عَلَى السُّؤَالَاتِ؛ سُؤَالَاتِ
الْمُتَوَهِّمِينَ، أَوْ الْمُرَاجِعِينَ، أَوْ الْمُشْكِكِينَ، أَوْ السَّالِحَةِ الطَّائِفِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ فِي هَذَا
السِّبْحِ عَلَى وَجْهِ الْإِحْكَامِ دُونَ الْإِجَامِ، فَكَانَ هَذَا التَّحْقِيقُ اسْتِجَابَةً لِلدَّوَاعِي الْقَائِمَةِ فِي
النَّفْسِ، الْقَائِلَةِ بِوُقُوعِ التَّعَرِّيِّ، وَحُصُولِ التَّعَرِّيِّ، وَالْجَانِحَةِ إِلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ التَّشْبِيهِ،
وَالْمُصْرَّحَةِ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ بِالشَّيْءِ، إِذْ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، فَيَكُونُ الْحَالُ كَمَا قَالَ
أَرْبَابُ الْأَحْوَالِ:

قُلْ لَيْسَ بِهَمِّهِمْ عَنِّي مَا أَقُولُ فَصَلِّ الْقَوْلَ فَلَمَّا شَرَحَ يَطُولُ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ لِيكَالًا وَلَا تُدْرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولُ

كَيْفَ تُدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقْلُ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ التَّزَوُّلُ
هُوَ لَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ التَّوَاحِي لَا يُزَوُّلُ
جَلُّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَسَمَا وَتَعَالَى قُدْرُهُ عَنَّا نَقُولُ

أَمَّا مَوْضُوعُ هَذَا الْمَحْطُوطِ - كما هو بَادٍ مِنْ عُنَوَانِهِ الْغَرِيبِ - فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنْ
بِمُضَامَرِهِ مَا وَرَدَ مِنْ آيَاتِ كَرِيمَاتٍ، أَوْ أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ يَظْهَرُ مِنْ الْفَاطِمِيَّةِ الشَّيْخِ، أَوْ مَا لَا
يَلِيقُ بِجَنَابِ الْحَقِّ تَقَدَّسَتْ أَسَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ؛ وَذَلِكَ لِحُجُومِهِمُ الْخَلْقِي صُورَةً مَعْقُولَةً
لِلْحَقِّ، أَوْ "تَوْهَمِ اسْتِفَادَةِ الْحَقِّ مِنَ الْخَلْقِي"، أَوْ "تَوْهَمِ بَأَنَّ تَعَوُّذَ الْأَقْدَارِ مُتَوَقَّفٌ عَلَى
وَجُودِ الْخَلْقِي"، أَوْ "تَوْهَمِ إِحَاطَةِ الْخَلْقِي بِالْحَقِّ"، أَوْ "تَوْهَمِ جِهَةِ الْفَوْقِ دُونَ التَّحْتِ"، أَوْ
"تَوْهَمِ أَنَّ كِتَابَةَ الْحَقِّ كَكِتَابَةِ الْخَلْقِي"، أَوْ تَوْهَمِ إِضَافَةِ النِّسَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا لَا يَجُوزُ فِي
جَنَابِ الْحَقِّ وَلَا يُرْتَضَى، كَنَزْيِهِ الذَّاتِ عَنِ الْجِهَاتِ، وَمَا تَقْضِي بِهِ هَذِهِ الشُّبُهَاتُ، وَلَعَلَّ
الْإِعْتِقَادَ بِالضَّدِّ يُحَرِّكُ خَطْبًا عَظِيمًا يَنْتَسِبُ إِلَى اغْتَالِطِ الْقُوسِ وَالْجَنَابِ الْمَحْسُوسِ.

وَقَدْ أَحَدَثَ هَذَا التَّحْقِيقُ بِقَوَائِلِهِ، قَمِيئَاتٍ بِمُقَدِّمَةِ أَحَدَثَ فِي شِعَابِ مُبَاهِجَةٍ،
كَالْتَرْجُمَةِ لِلْمُؤَلَّفِ، وَإِبْرَادٍ لِبُذَّةٍ مِمَّا قَالَهُ الْمُسْتَشْفِقُونَ عَنْهُ، وَشَكْلٍ الْكِتَابِ وَمُضْمُونِهِ،
وَوَصْفٍ التَّسْخِ، وَزَمَنِ تَصْنِيفِ الْمَحْطُوطِ، وَسِيرِ التَّحْقِيقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُسَبِّحَ
عَلَيْهِ بِأَنَّهُ "مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ". أَمَّا الشُّقُّ الثَّانِي مِمَّا ائْتَلَفَ مِنْهُ هَذَا الْكِتَابُ فَكَانَ النَّصْرُ
الْمُحَقَّقُ، وَبِذَا تَكْتُمَلُ الْخَلْفَةُ، وَتَدَوُّرُ دَوْرَةِ هَذَا التَّحْقِيقِ الْمُتَّصِلَةِ بِنَسْبِ حَمِيمٍ إِلَى مَبْحَثِ
الْعَقِيدَةِ عَامَّةً، وَالضَّارِبَةِ فِي جُلُوسِ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ بِسَبْمِ خَاصَّةً.

وَلَعَلَّ أَجْلَى مَا يُؤَدِّنُ بِالْقَوْلِ إِنَّ لِهَذَا الْمَحْطُوطِ صِبْغَةً قَارِقَةً لَمَيَّزُهُ أَنَّهُ:

- قَامَ عَلَى هَيْئَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ أَوَّلًا.
- وَأَنَّهُ مِنَ الْمَطَانِ الرَّكِيصَةِ لِدَرَاةِ الْمُصْطَلَحِ الصُّوفِيِّ فِي سِيَاقِهِ النَّصِّي ثَانِيًا.
- وَأَنَّ مُصَلِّفَهُ وَرَدَّ عَلَى مَسَائِلِهِ وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى ثَالِثًا.
- وَأَنَّهُ مُسْتَجِبٌّ عَلَى آرَاءِ كَثِيرِينَ فِي السَّأَلَةِ الْوَاحِدَةِ رَابِعًا، فَقَدْ كَانَ الشَّعْرَائِيُّ
يَسْرُدُ عَلَى السَّأَلَةِ الْوَاحِدَةِ وَقَدْ أَخَذَ لَهَا الْعُدَّةَ وَالزَّادَ، فَيُورِدُ طَرَفًا مِنْ آرَاءِ
الْأَصُولِيِّينَ، وَأَطْرَافًا أُخَرَ مِنْ آرَاءِ أَعْيَانِ الْمُتَّصِلَةِ كَابِنِ الْعَرَبِيِّ وَالْخَوَاصِي

والمرصفي في المسألة نفسها، وطرفاً ثالثاً من أرباب الأحوال، ثم يكون له دلو به يملئ في المسألة، ليكون له لمحة مضافة، وجدة حادثة تُفضي بنا إلى رجميع من قول بيانه أنه لم يكن محض ناقل، ومثال ما تقدم حديثه عن كيفية كلام الله، وقدمه، فقد أتى في هذه المسألة على طرف من آراء المتكلمين والأصوليين والمحدثين والمتصوفة، وكذلك الحال في مسألة "نوقم جهة الفوق دون التحت"، فقد ساق فيها آراء ثلثة من المتصوفة، كالحكيم الترمذي، وأحمد بن الرقاعي، وابن العربي، وعلي بن وفا، وعبد القادر الدمشقوطي، وعلي المرصفي، وعلي الخواص، ثم أثبت أنه رأياً في هذه المسألة.

ويبقى حقاً علي أن أزوجي من الشكر أطيئه وأعطره إلى أخي الفاضل الدكتور "سهيل الأحمد" الذي أعانني على استنساخ المخطوطات المحفوظة في دار الكتب المصرية، وكذلك إلى الأخت الفاضلة "أمينة مراغة" إحدى طالباتي التحيات في الدراسات العليا، فقد عهديت إليها أن تستنسخ مخطوطة السكبة البديرية في القديس الشريف ففعلت ووفت وأوفت، وليس يقوطني شكر آخر موصول بأسباب المحبة الدائمة إلى أخي "صفر حاجي صفر" أحد طلبة جامعة "ليون الثانية" في فرنسا الذي تولى استنساخ المخطوطة المحفوظة في دار الكتب الوطنية بباريس، فإلى هؤلاء الكرام البررة أهدي محبتي وعظيم شكري.

وبعد، فمادام عسى أن أقول؟

أقول: اللهم إني أترأ إليك في معتدي من أن أكون مُشبهًا أو مُعطلًا أو مُرجيًا أو قدرًا أو جبرًا، أو أن أشرك بك شيئاً أعلمه، واستغفرك لما لا أعلمه، ولا أقول إلا ما يُرضيك وما قلته أنت في جناب ذاتك العلية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وما قاله حبیبك البشير التذير: «صلى الله عليه وسلم»: «لا أخصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، وما قاله سلفنا الصالح: «رضي الله عنهم ورضوا عنه»:

"أمرّوه بلا كيف"، فهذا ما لَدَيَّ عِتِيدٌ، وأنا أسترشدُ الحقَّ تَقَدَّسَتْ أَسَاؤُهُ واستهديه،
 وأسأله العَوْنَ على ما أحاولُه وأُتَوِّيه، إنه وليُّ الطَّوْلِ ومُسْنِدِي، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حِجَّةً لِي يَوْمَ
 العَرَضِ على وجهك الكريم، واغفرْ لِي ما فِيهِ مِن زَلَلٍ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وتولَّنِي بِعَمَلِ
 عِبَائِكَ الْقُدُوسِيَّةِ، وَحَسْبِي قَوْلُهُمْ:

اسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ ظُلْمِي وَمِنْ زَلَلِي فَيَا أَيُّهَا اللهُ إِنِّي فِي وَجْهِكَ
 إِنِّي عَجِلْتُ إِلَى رَبِّي لِأَرْضِيهِ مِنْ قَوْلِهِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ

د. مهدي عرار - فلسطين

القدس الشريف

ضحى الاثنين ١٢ / ربيع الأول / ١٤٢٦

١١ / نيسان / ٢٠٠٦ م.

مقدمة التحقيق

أولاً: ترجمة المؤلف:

لست إحصاء أن الشعراني محتاج إلى ترجمة أو فضل بيان؛ إذ إنه من أعرف المعارف الذين ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس، فضلاً عن أنه صنف لنفسه عن نفسه ترجمة وافية يستشرف فيها حياته وفكره عاكفاً لها عنواناً موسوماً بـ "لطائف المنى والأعلاق" في وجوب التحديث بنعمة الله على الإطلاق، وإذا ما استرشد المرء هذا المتقدم، وجعله فارقاً في بؤرة وعيه، وإذا ما أضاف إليه أن كتباً قائمة برأسها قد صُنعت في مضمار حياته وفكره، إذا ما كان ذلك كذلك، فإن الخاطر الأول الذي سيقوم في النفس أن الترجمة له في مثل هذا المقام ما هي إلا من مستلزمات المهاد والتأسيس التي يفرضها علينا البحث والتحقيق العلماني، وأنها، من وجهة أخرى، مقتضية دالة ذات نسب حميم بما يتصل بكتاب "القواعد الكشفية" مضمار التحقيق^(١).

اسمه وكنيته ونسبه:

أما الاسم فهو عبد الوهاب، وأما الكنية فهي أبو المواهب، وأما النسب فشرهف متّصل بالدوحة الهاشمية من جهة محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، وبذا تكتمل الحلقة، فيكون المترجم له هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوفا، ابن الشيخ موسى، ابن السلطان أحمد، ابن السلطان سعيد، ابن السلطان قاشين، ابن السلطان محيا، ابن السلطان زوفا بن ريان، ابن السلطان محمد بن موسى، ابن السيد محمد ابن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد عرّج الشعراني على

(١) انظر ترجمته: الغزي، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ١٥٧/٣، والمنوي، الكواكب البرية، ٣٩٢/٣ وابن العباد، شذرات الذهب، ٣٧٢/٨، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، والزيدي، تاج المروس، مادة "شعر"، والقاسمي المغربي، طبقات الشاذلية الكبرى، ١٣٠، والشهباني، جامع كرامات الأولياء، ٢٥٢/٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢-١٣/٢٥٥، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٣٢٩/٢، وقد أورد مصنفنا قائماً برأسه بترجم له نفسه، وهو "لطائف المتن"، وقد أورد له مؤلف مجهول ترجمة خاصة سماها "نسب عبد الوهاب الشعراني"، وهي مخطوطة تحمل الرقم ١٨٤/٤٩٤-١٨٤-١ في مكتبة دار إسماعيل الشاذلي، القدس، وقد ترجم له توفيق الطويل في كتابه "الشعراني إمام التصوف"، وكذلك عبد الباقي سرور في كتابه "الشعراني والتصوف".

شرف هذا النسب مُلتصقاً إلى أنّ الرتبة للفقوى، فقد يقع غيره تفضيلاً من الله كما كان في قصة الغلامين اليتيمين اللذين كان أبوهما صالحاً، فلولا أن يكون والدعما صالحاً ما دخلوا في هذه التهمة، وما كان للتصريح بصفة الصلاح كبير فائدة، أو مزية تعين^(١).
مولده وطلبه للعلم:

المرحلة الأولى: الناشئ في القرية:

ينسب الشعرائي إلى قبيلة "زُعَلَة" في المغرب العربي، وكان جدّه السابع - كما ورد في "لطائف المنن" - السلطان أحمد سلطاناً بمدينة تلمسان، وقد حصل أن اجتمع جدّ الشعرائي موسى بالشيخ أبي مدين، فقال له: لمن تنسب؟ فقال: للسلطان أحمد، فقال له: إنما عتيت نسبك من جهة الشرف، فقال: اتسب إلى السيد محمد ابن الخنفي، فقال: مُلك وشرف وفقر لا لجمع، فقال له: يا سيدي، قد خلعت ما عدا الفقر، فرباه، فلما سلك وكمل في الطريق، أمره الشيخ أبو مدين بالسفر إلى صعيد مصر لتربية المريدين، فكان الأمر كما قال رضي الله عنه^(٢)، ثم هاجر حفيده أحمد إلى ساقية أبي شعرة، وهي قرية بالمنوفية تحاذي النيل، فاشاعت عنه الولاية، وتوفي عام (٨٢٨هـ)، فدفن في مهجره ذاك، وكان حفيده أحمد الذي هو والدّ عيد الوهاب الشعرائي على حظ من العلم^(٣).

وتقول الروايات: إنّ الشعرائي وُلد في السابع والعشرين من رمضان سنة (٨٩٨هـ) في قلقشنده قرية جدّه لأُمّه، ثم انتقل بعد أربعين يوماً إلى قرية أبيه، واليهما انتسب، فسُمي الشعرائي أو الشعراوي، وفي نشأته تلك حفظ القرآن الكريم وهو ابن شان، وحفظ أبا شجاع، والأجرومية^(٤)، وتوفي والده سنة (٩٠٧هـ)، فدفن مع والده بساقية أبي شعرة^(٥)، فكيفه أخوه عبد القادر المتصوف المتقطع عن دنياه، المتصرف إلى

(١) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٥٥.

(٢) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٥٥.

(٣) لمزيد بسط القول في حياته انظر: توفيق الطويل، الشعرائي، إمام التصوف، ١٦.

(٤) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٥٦.

(٥) ذكرها الزبيدي في تاج العروس لما ترجم للشعرائي، وهي قرية من ضواحي مصر، وقال إنه يقال له أيضاً "الشعراوي". انظر: تاج العروس، مادة "شعر".

العبادة والرفاة، فحلَّ عليه أبا شجاع والأحرمية، ولعلَّ هذه المرحلة كانت من القوالب المهيَّدة للمرحلة الثانية الثالثة؛ ذلك أنه نشأ في بيت متصوف، وأن الذي كُفِّله بعد وفاة أبيه، وقرأ عليه في بداية نشأته في الرِّيف، هو أخوه عبد القادر المتصوف العابد، وصفوة المستخلص في هذه المرحلة أنها كانت مهادًا يؤسِّس لما يتلوَّه، وقد أورده الشعراي جُملة من نعيم كثيرة تنسب إلى هذه المرحلة في مُصنَّفه "لطائف المنن"، ومن ذلك شرف النسب، وحفظ القرآن، والمواظبة على الصلوات الخمس في أوقاتها، والحفظ من الآفات وهو يقيم من الأيوين^(١)، ثم المهاجرة من الرِّيف إلى مصر، ولعلَّ هذه الأخيرة ممَّا يتصل بالمرحلة الثانية ينسب خميم.

المرحلة الثانية: المتعلِّم في مصر:

و شاء الله أن يرتحل الشعراي من الرِّيف إلى مصر مع أبيه، وعن هذه المرحلة قال: "ومِمَّا أنعم الله تبارك وتعالى - به عليّ بركة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مهاجري من بلاد الرِّيف إلى مصر، ونقله - تعالى - لي من أرض الجفاء والجبل إلى بلد اللطيف والعلم، وقد أشار إلى نحو ذلك السيّد يوسف - عليه الصلاة والسلام - بقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِنِ إِذْ أَحْرَجْنِي مِنْ أَلْجَنِّ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ أَلْبَدُو﴾"^(٢)، وكان مجيئه إلى مصر افتتاح سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وعُمري إذَاك اثنا عشرة سنة"^(٣)، فأقام في جامع أبي العباس الغمري، وحقنَّ الله - تعالى - عليه شيخ الجامع وأولاده في بداية الأمر، فكان بينهم كآته واحد منهم، يأكل ممَّا ياكلون، ويلبس ممَّا يلبسون، فأقام عندهم حتى حفظ ثلثون الكتاب الشرعية، ومنها "المنهاج" للتووي، و"الفقه ابن مالك"، و"التوضيح" لابن هشام، و"جمع الجوامع"، و"الفقه العراقي"، و"تلخيص المفتاح"، و"الشاطبية"، و"قواعد ابن هشام"، وغير ذلك من المختصرات، ثم ارتفعت الهمة، فحفظ كتاب "الروض" مُحصر كتاب "الروضة" لكونه من الكتب الجامعة في مذهب الإمام الشافعي^(٤).

(١) انظر: الشعراي، لطائف المنن، ١٠.

(٢) (يوسف، الآية ١٠٠).

(٣) انظر: الشعراي، لطائف المنن، ٥٦، ونسب الشعراي، ١/١.

(٤) انظر: الشعراي، لطائف المنن، ٥٦-٥٧، ونسب الشعراي، ١/١.

المرحلة الثالثة: المداخل في طريق القوم:

ولمّا دُرِّجَ على حِفْظِ الْمُتَوَنِّ، وَلَمَّا اسْتَفْرَقَهَا حِفْظًا وَقَهْمًا وَرِوَايَةً، تَجَلَّتْ مَرَحَلَةٌ جَدِيدَةٌ فِي حَيَاتِهِ، وَلَيْسَ الْمَقْصِدُ مِنْ هَذَا الْمُتَقَدِّمِ أَنَّ هَذِهِ الْمَرَّاحِلَ مُتَفَاعِلَةٌ، بَلْ هِيَ مُسِيرَةٌ حَيَاةً مُتَوَاصِلَةٌ، تَوَسَّسَ كُلُّ مَرَحَلَةٍ لِمَا سَبَقَهَا، بَلْ قَدْ تَنَادَحَلُ وَاحِدَةٌ بِأُخْرَى، وَلَعَلَّ لِهَذِهِ الْمَرَّاحِلِ إِرْهَاصَاتٌ وَعَلَامَاتٌ كَانَتْ قَدْ ظَهَرَتْ، بَلْ مَهَّدَتْ لَهَا فِي الْمَرَّاحِلِ الثَّانِيَةِ وَالْأُولَى، فَقَدْ حَفِظَ كِتَابَ "الرُّؤُوسِ" كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَكِنَّ الْمَقْصِلَ الرَّئِيسَ أَنَّهُ حَفِظَ بَابَ "الْقَضَاءِ عَلَى الْغَائِبِ" فِي الْفَقْهِ فِي الْمَرَّاحِلِ الثَّانِيَةِ، فَلَقِيَهُ مَرَّةً بَعْضُ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ، فَقَالَ لَهُ مُكَاشِفًا: قِفْ عَلَى بَابِ "الْقَضَاءِ عَلَى الْغَائِبِ"، وَلَا تَقْضِ عَلَى غَائِبِ بَشِيءٍ، ثُمَّ لَقِيَهُ شَيْخٌ آخَرُ، وَهُوَ أَحْمَدُ الْبَهْلُولُ^(١)، فَقَالَ لَهُ مُكَاشِفًا: أَقْبِلْ عَلَى الْأَشْغَالِ بِاللَّهِ، وَيَكْفِيكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا قَدْ عَلِمْتَهُ، فَشَاوَرَنِي ذَلِكَ مُشَاهِدُهُ فَقَالُوا لَهُ: لَا تُدْخِلْ طَرِيقَ الْقَوْمِ إِلَّا بَعْدَ شَرْحِ مَحْفُوظَاتِكَ عَلَى الْأَشْيَاخِ، فَفَعَّلْتُ، فَشَرَحْتُهَا عَلَى لِحْوِ خَمْسِينَ شَيْخًا أَنَّى عَلَى ذِكْرِ مُنَاقِبِهِمْ فِي مُصَنَّفِهِ "لَوَاقِعُ الْأَنْوَارِ فِي طَبَقَاتِ الْأَخْيَارِ"، فَقَرَأَ "شَرْحَ الْمِنْهَاجِ" لِلجَلَّالِ السَّحَلِيِّ، وَ"شَرْحَ الرُّؤُوسِ" لِلشَّيْخِ زَكَرِيَّا، وَكَذَلِكَ "شَرْحَ جَمْعِ الْجَوَامِعِ"، وَ"حَاشِيَةَ الشَّيْخِ كِمَالِ الدِّينِ بْنِ أَبِي شَرِيفٍ"، وَقَرَأَ عَلَيْهِ "أَلْفَبَةَ ابْنِ مَالِكٍ"، وَ"أَلْفَبَةَ الْعِرَاقِيِّ"، وَ"شَرْحَ التَّوَضُّعِ" لِلْعَيْنِيِّ، وَ"شَرْحَ الشُّوَاهِدِ" لِلْعَيْنِيِّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ السَّتَّةَ فِي الْخُدُيِّ^(٢)، وَقَرَأَ وَقَرَأَ مِنْ مَعِينٍ لَا يَنْضَبُ، وَلَعَلَّ هَذَا يَكْتَفِرُ إِنْ تَبِعْتَهُ، وَقَدْ أَوْرَدْتُ أَمْثَلَهُ تَبَهُ عَلَى الْغُرُوسِ الَّذِي قَصَدْتُهُ، وَهُوَ أَنَّ حِفْظَهُ الْمُتَوَنِّ وَقِرَاءَتَهَا عَلَى الْأَشْيَاخِ كَانَ قَبْلَ الدُّخُولِ الْحَقِيقِيِّ فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ، وَالتَّفَرُّغِ التَّامِّ لَهُ.

ولمّا كَانَ لَهُ ذَلِكَ، جَاهَدَ نَفْسَهُ مَدَّةً، وَقَطَعَ الْعَلَاقَ الدُّنْيَوِيَّةَ، وَمَكَّتْ مَدَّةً لَا يَضْطَجِعُ عَلَى الْأَرْضِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، بَلْ اتَّخَذَ لَهُ فِي سَقْفِ حُلُوتِهِ خِيَلًا، فَجَعَلَهُ -كَمَا يَقُولُ الْمُنَاوِي- فِي عَنَقِهِ لَيْلًا حَتَّى لَا يَسْقُطَ، وَكَانَ يَطْوِي الْأَيَّامَ الْمُتَوَالِيَةَ، وَيُدْمِ الصُّومَ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى الْقِطْرِ بِأَوْقِيَّةٍ مِنَ الْحَنْزِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى تِلْكَ السَّجَّادَةِ حَتَّى قَوِيَتْ رُوحَانِيَّتُهُ^(٣)، وَكَانَ مِنْ ثَمَارِ هَذِهِ الْمَرَّاحِلِ أَنَّهُ تَصَدَّى لِلتَّصْنِيفِ، فَكَانَ مُكْتَبَرًا، فَتَرَدَّدَتْ

(١) انظر ترجمته: الشعراوي، لوائح الأنوار، ٧٤٥/٢، والمنادي، الكواكب الدرية، ٣/٣٢٦.

(٢) انظر ما قرأه على الشيوخ فيما رواه عن نفسه في المنن الكبرى، ٥٧-٦٠.

(٣) انظر: المنادي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤.

وَيَجْعَلُونَهُ كَأَنَّهُ أَمُونٌ عِنْدَهُمْ مِنْ عَيْبِهِ^(١).

وَصَفَوْهُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْمَحِثِّ أَنَّهُ حَمَلَ عَلَى عُلَمَاءِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ يَدْعُلُونَ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَلَا يَنْصَحُونَ لَهُمْ، وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ بِمَعْرُوفٍ؛ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مَا تَرَكُوا ذَلِكَ إِلَّا غَجْزًا، أَوْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا الْمُنْكَرَ مُنْكَرًا^(٢)، وَحَمَلَ كَذَلِكَ عَلَى الْمُقْرِئِينَ عَلَى الْفُلُوسِ، وَالْمُتَهَابِئِينَ عَلَى الْوَلَائِمِ وَاتِّهَابِ الطَّعَامِ^(٣)، وَحَمَلَ عَلَى مُتَعَلِّمِي عِلْمِ الْحَرْفِ وَالزَّمَلِ وَالسَّيْمِيَاءِ، بَلَى كَانَ يَزْجُرُ أَصْحَابُهُ عَنْ تَعَلُّمِ ذَلِكَ جَانِحًا إِلَى أَنَّهَا أُمُورٌ يَفْعَلُهَا الْمُبْطِلُونَ مِنْ صِفَاتِ الصَّالِحِينَ، يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ تَأْثِيرٌ فِي الْوُجُودِ تَشْبِيهَا بِالصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُ مِنْهُمْ تَأْثِيرٌ يَتَوَجَّهَبُ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- فِي ظَالِمٍ أَوْ فَاجِرٍ^(٤)، وَغَرَضُ بَعْضٍ يَغْتَرُونَ بِبَعْضٍ مِنْ يَدْعُونَ الْمَشِيخَةَ بِعَدِّ أَنْ أَقْرَأُوا أَنْفُسَهُمْ خُلَفَاءَ لِأَشْيَاخِهِمْ، وَهُمْ لَا يَسُوا أَهْلًا لِذَلِكَ^(٥).

شيوخه:

أَمَّا شَبُوحُهُ فَهِيَ كَثْرُ، وَلَعَلَّ أَشْهَرَ مَنْ صَحِبَهُمُ الْخَوَاصُّ، وَالْمَرْصُفِيُّ، وَالتَّنَاوِيُّ^(٦)، فَسَلَّكَ بِهِمْ، وَكَانَ عَلَى الْخَوَاصِّ -كَمَا يَقُولُ التَّنَاوِيُّ- فِطَامُهُ، وَقَدْ صَفَّ الشَّعْرَانِيُّ كِتَابًا ضَمَّنَتْهُ فِتَاوَى شَيْخِهِ الْخَوَاصِّ، وَعَقَّدَ لَهُ الْعُتُونُ: "دُرَّةُ الْخَوَاصِّ عَلَى فِتَاوَى سَيِّدِي عَلِيِّ الْخَوَاصِّ"، وَقَدْ قَلَّلَ كِتَابَهُ "لَوَاقِحُ الْأَنْوَارِ فِي طَبَقَاتِ الْأَحْيَارِ" بِعَاضَةِ مَطْوَلَةٍ أَتَى فِيهَا عَلَى ذِكْرِ سَنَابِ مَشَايِخِهِ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمْ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ، وَهُمْ -كَمَا تَقَدَّمَ أَمَّا- كَثْرُ، فَلَا كُفَّ بِمَا تَقَدَّمَ مُوجِزًا وَمُحِيلًا إِلَى مَوَاضِعِ تَرْجُمَةِ الشَّعْرَانِيِّ لِمَشَايِخِهِ فِي "لَوَاقِحِ الْأَنْوَارِ"^(٧)، وَ"لَطَائِفِ الْمَنَنِ"^(٨).

أَمَّا سُلُوكُهُ مَعَهُمْ فَقَدْ كَانَ أَلْمُودَجًّا يُحْتَذِي بِهِ فِي هَذَا الْبَيْضَمَارِ، فَقَدْ حَفِظَ حُرْمَةَ

(١) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٩٤-٩٥.

(٢) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ١٦٢.

(٣) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٢٨٠.

(٤) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٤٣٣.

(٥) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٣٢٤.

(٦) انظر: نسب الشعرائي، ١/١، وسرد ترجمة للخواص والمرصفي في الجزء الثاني، وهو التحقيق، أما التناوي فانظر ترجمته: الشعرائي، لواقح الأنوار، ٧١٠/٢، والتناوي، الكواكب الدرية، ٤٥١/٣.

(٧) انظر ترجمة مشايخه مفصلة في لواقح الأنوار في طبقات الأعيان، ٦٧٣/٢-٨٣٢.

(٨) انظر: الشعرائي، لطائف المنن، ٧٩-٨٠، ٣٥٢.

أشياخه أحياءً وأمواتاً، وأتى أن يوصف بأنه وارثهم في العلم أو المقام رفعة لهم، واستصغاراً لمقام نفسه أمام مقامهم، فكان زجرٌ من يقول إنه خليفة شيخه الخواص، ولما مات شيخه محمد الشاوي تكذّرت نفوس أبنائه، فضربوا له ضغينة، فعادوه مدةً، فما كان منه إلا أن غدا يسارقهم ليقدّم لهم النعال، وليجلبهم، حتى زال ما عندهم، فتألفت القلوب، وامتحت خواشي النفوس إجلالاً لشيخه، وإكراماً له حباً وميلاً^(١)، وانتهاماً لنفسه إن هي ظنّت أنه جاوز مقام أشياخه، فقد كان يرى ذلك ونحوه مباً هو كالكذب، "ولو قدر أني جاوزت مقام أحدهم فلا أرى نفسي قط عليه، بل لا أرى نفسي أصلح عادماً له، فإن جيع ما يحصل للمريد إنما هو من المادة التي أمطها له شيخه، وشيخه دائم الترقى، فلا يقف للمريد حتى يلحقه أبك، هذا ما نعتقد في أشياخنا، ولذلك نوقفنا في صحة مجاوزة المريد لمقام شيخه بقولنا: "ولو قدر...."، وكثيراً ما أزرع من سمعته يرفع مقامى على أحد من أشياخي زجراً بليغاً بالقلب واللسان، وكذلك أزرع من سمعته يقول عني إني خليفة لسيدي علي الخواص، أو إني ورثت مقام أشياخي كلهم، "فإن من شرط الخليفة أن يورث مقام شيخه كاملاً، وأنا لم أطلع على نهاية مقام أحد من أشياخي حتى أعرف أبي ورثته فيه، وكذلك أعرف أنه قد يكون عبد أشياخي من الأخلاق والعلوم والمعارف والأسرار ما ليس عندي، فكيف أوافق القائل على أبي خليفة^(٢)؟

من تأليفه:

لعل أول ما نستفتح به هذه المباحثة الجزئية التعرّيج على قوله ثمهد لما سيأتي بعدها من أسئلة، وهي دائرة في ذلك وصف مصنفاته، ومفادها: "لو ضبطت الكرايس من مؤلفاته، وحسبت أيام حياته، من ولادته إلى وفاته، لرادت في كل يوم ثلاثة كرايس، وهذا من العجائب والثوادر"^(٣).

فيل إنه خلف ثلاثمائة كتاب أخذت في شجابه معرفية متنوعة، منها الفقه، والتصوف، والحديث، والتفسير، واللغة، والتراجم، والطب، وغير ذلك، وقد أتى

(١) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٣٥٤.

(٢) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٣٤٢.

(٣) انظر: الشعراوي، لواقح الأنوار، مقدمة المحقق، ٣٦/١.

الشعراني في "لطائف العن" على قليل من المصنفات الشرعية، فذكر ثماناً وعشرين كتاباً معقفاً باحتراس مفاده أنها كثيرة كثيرة^(١)، وأخصى له المتناوي ثلاثة وعشرين كتاباً من كتب الشريعة، مستدرجاً بأنها تروى على ذلك^(٢)، وألقها عنه ابن العماد في "شذرات الذهب"^(٣)، أما "بروكلمان" فقد أخصى له سبعة وستين كتاباً مشهوراً في دور الكتب في أرجاء العالم، ومن مصنفاته:

١. "إجازة الشعراني لبعض العلماء"^(٤).
٢. "الأجوبة المرحية عن أئمة الفقهاء والصوفية"^(٥).
٣. "الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية"^(٦).
٤. "الأخلاق المتبولة"^(٧).
٥. "آداب الصيحة"^(٨).
٦. "آداب الفقراء"^(٩).
٧. "آداب القضاة"^(١٠).
٨. "آداب المرید الصادق مع ما يرید الخالق"^(١١).

- (١) انظر: الشعراني، لطائف العن، ٧٢-٧٣.
- (٢) انظر: المتناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤.
- (٣) انظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/٣٧٣.
- (٤) مخطوط يقع في ٣ ورقات، مكتبة الأسد "١٣٤٨٥"، ذكره محقق "البحر المورود" في مقدمته.
- (٥) انظر: السبغادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، ونسب الشعراني، ٣/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٢، والزركلي، الأعلام، ٤/١٨٠.
- (٦) انظر: السبغادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١.
- (٧) انظر: السبغادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، ونسب الشعراني، ٢/٤، وفيه: "الأخلاق المتبولة الكبرى"، و"الأخلاق المتبولة الصغرى"، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٢، وقد حققه منيع عبد الحليم محمود، مكتبة الإيمان، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- (٨) مخطوط رقمه في مكتبة الأسد "١٤٤١٦"، ويقع في ٤٦ ورقة، ذكره محقق "البحر المورود" في مقدمته.
- (٩) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٤.
- (١٠) انظر: الزركلي، الأعلام، ٤/١٨٠.
- (١١) انظر: نسب الشعراني، ٢/٤، وفيه: "آداب المرید..."، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٤، وله نسخة مخطوطة في المكتبة البديرة (١٤٩-تصوف-٢٤١/٣ ط١)، وعنوانه فيها: "آداب"

٩. "لرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين"^(١).
١٠. "لرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحة الأُمراء"^(٢).
١١. "الأسئلة"^(٣).
١٢. "أسرار أركان الإسلام"^(٤).
١٣. "أسرار العبادات"^(٥).
١٤. "الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية"^(٦).
١٥. "البحر المورود في المواقف والعمود"^(٧).
١٦. "البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير"^(٨).

-
- المريد الصادق مع من يريد الخلق، ونسخة أخرى في مكتبة الأزهر، وعنوانها "المريد الصادق مع مريد الخلق"، (التصوف- ٣٢٩١٤٧).
- (١) انظر: نسب الشيعاني، ٣/١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٦/١٢، والزركللي، الأعلام، ١٨٠/٤، له نسخ متعددة منها في المكتبة البهيمية في القدس، وكذلك في مكتبة الأسد، ورقمها (١٧٣٢٥)، ومكتبة تيسير بني ورقمها (٣٨٧١).
- (٢) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦١/١٢، والزركللي، الأعلام، ١٨١/٤.
- (٣) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢، وله نسخة مخطوطة رقمها في مكتبة الأسد (١٥٤١٠)، ذكرها محقق "البحر المورود" في مقدمته.
- (٤) حققه عبد القادر أحمد عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٥) مخطوط يقع في خمس ورقات، ورقمها في مكتبة الأسد (١٩٧٥٨)، ذكره محقق "البحر المورود" في مقدمته.
- (٦) حققه طه عبد الباقى سرور، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، وله نسخة مخطوطة في المكتبة اليدوية (٢٣٨-تصوف- ٧٢٤٧/٩٢)، وعنوانه فيها: "الفحات القدسية في بيان قواعد الصوفية".
- (٧) انظر: الشيعاني، لطائف المنن، ٧٢، والسنائي، الكواكب الدرية، ٣٩٤/٣، وابن الصمد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، ونسب الشيعاني، ٢/٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٠/١٢، والزركللي، الأعلام، ١٨٠/٤، وله نسخة مخطوطة في مكتبة المسجد الأقصى (١٠١-آداب شرعية وتصوف ٢-١١٥)، والمكتبة الخالدية في القدس الشريف، وقد حققه محمد أدب الجادر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
- (٨) انظر: الشيعاني، لطائف المنن، ٧٢، والسنائي، الكواكب الدرية، ٣٩٤/٣، وابن الصمد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب

١٧. "البروقُ الخواطفُ لبصر من عملٍ بالهوانف"^(١).
١٨. "هجةُ الأبصارِ والفهومِ فيما صيّرَ به أهلُ الله من الأخلاقِ والعلومِ"^(٢).
١٩. "هجةُ النفوسِ والأسماعِ والأحداقِ فيما تميّزَ به القومُ من الآدابِ والأخلاقِ"^(٣).
٢٠. "التبّعُ والفحصُ على حكم الإلهامِ إذا خالفَ النصَّ"^(٤).
٢١. "تظهيرُ أهلِ الزوايا من عيائِلِ الطوايا"^(٥).
٢٢. "تنبيهُ الأغبياءِ على قفزةٍ من بحرِ علومِ الأولياءِ"^(٦).
٢٣. "النشئةُ من النومِ"^(٧).
٢٤. "تنبيهُ المغترّينَ أواخرَ القرنِ العاشرِ على ما خالفوا فيه سَلَقَهم الطاهرُ"^(٨).
٢٥. "التنفيرُ عن المغترّينَ"^(٩).

- العربي، ٢٦٢/١٢، والركلي، الأعلام، ١٨٠/٤، وهو مطبوع، وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف.
- (١) انظر: الشعري، لطائف المتن، ٧٣، والساوي، الكواكب الدرية، ٣٩٤/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، ونسب الشعري، ١/٢.
- (٢) انظر: نسب الشعري، ١/٣.
- (٣) انظر: نسب الشعري، ١/٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢، والركلي، الأعلام، ١٨٠/٤.
- (٤) انظر: الشعري، لطائف المتن، ٧٣، ونسب الشعري، ١/٢.
- (٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢، وله نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر، ورقمها (التصوف- ٣٣٥٤٦٥).
- (٦) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، ونسب الشعري، ١/٣.
- (٧) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢.
- (٨) انظر: الشعري، لطائف المتن، ٧٣، ونسب الشعري، ١/٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٨/١٢، والركلي، الأعلام، ١٨٠/٤، وجعل عنوانه "تنبيه المغترّين..."، اعتنى به محمد حلي، دار المعرفة، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.
- (٩) انظر: الرككسي، الأعلام، ١٨٠/٤، وجعل عنوانه "تنبيه المغترّين في آداب الدين"، تحقيق أحمد قوامدار الحسن، دار ابن هانئ، دمشق.

٢٦. "الجواهرُ والذُرُورُ"^(١).
 ٢٧. "الجواهرُ المصُونُ في علمِ كتابِ الله المَكُونِ"^(٢).
 ٢٨. "الجواهرُ المصُونُ والسُرُ المرقُومُ فيما تُنتجُه الخلُوةُ مِنَ الأسرارِ والعلومِ"^(٣).
 ٢٩. "حديثُ الحَقائِقِ"^(٤).
 ٣٠. "حدُّ الحُسامِ على مَنْ أوجبَ العملَ بالإلَمامِ"^(٥).
 ٣١. "حزبُ الشعرائِ"^(٦).
 ٣٢. "حقوقُ إخوةِ الإسلامِ"^(٧).
 ٣٣. "عائنةٌ في جملةِ صالحَةِ مِنَ البَلايا"^(٨).
 ٣٤. "الذُرُ المَنظُومُ في زَيدِ العلومِ"^(٩).

(١) انظر: الشعرائ، لطائف المنن، ٧٣، والسنائي، الكواكب الدرية، ٣٩٥/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، والسيفي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، ونسب الشعرائ، ١/٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦١/١٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، وقد جمع الخوال شيخه الخواص الصفري والوسطى والكسيري، أما الصفري فلها نسخة مخطوطة في المكتبة البديرة (١٧٠- تصوف-٢٤/٢٦٦)، وأخرى في مكتبة إسحاق النشاشيبي (تصوف-٣٨٣-٣٤٤م)، ونسخة خطية أخرى في مكتبة الأسد رقمها (١٤٠٨١)، وأما الوسطى فقد جمعها سنة (٩٤٢هـ)، وهي مطبوعة، وأما الكبرى فجمعها سنة (٩٤٠هـ)، وهي مطبوعة.

(٢) انظر: الشعرائ، لطائف المنن، ٧٣، والسنائي، الكواكب الدرية، ٣٩٥/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، ونسب الشعرائ، ١/٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٣/١٢.

(٣) انظر: الشعرائ، لطائف المنن، ٧٧، والسيفي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢، وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف.

(٤) انظر: نسب الشعرائ، ١/٣.

(٥) انظر: الشعرائ، لطائف المنن، ٧٣، والسنائي، الكواكب الدرية، ٣٩٤/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، ونسب الشعرائ، ١/٢.

(٦) يقع في أربع ورقات، ورقمه في مكتبة الأسد (١١٨٣٢)، ذكره محقق "البحر المورود" في مقدمته.
 (٧) انظر: السيفي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤.

(٨) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢.

(٩) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٤/١٢، وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف.

٣٥. "الشرُّ التنظيمُ في علم القرآن العظيم" ^(١).
٣٦. "دررُ الغواصي على فتاوى سيدي علي الخواص" ^(٢).
٣٧. "الشرُّ المتورُّ في بيان العلوم المشهورة" ^(٣).
٣٨. "الشرُّ واللمع في بيان الصديق في الزهد والورع" ^(٤).
٣٩. "ديوان شعر" ^(٥).
٤٠. "ذيل لواقح الأنوار" ^(٦).
٤١. "ردعُ الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى" ^(٧).
٤٢. "رسالة الأنوار في آداب العبودية" ^(٨).
٤٣. "رسالة في اثني عشر إماماً شيعياً" ^(٩).
٤٤. "رسالة في أهل العقائد الزائفة" ^(١٠).

(١) انظر: نسب الشعرا، ١/٣.

(٢) انظر: ابن العماد، خيرات الذهب، ٣/٣٧٣، والبنفادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦١، والزركللي، الأعلام، ٤/١٨١، وله نسخة مخطوطة في المكتبة البديرة (أصول قه- ١٥٨/١١٣م)، وقد وضع حواشيه عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.

(٣) انظر: البنفادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وفيها: "سرر المتورُّ في بيان زيد العلوم المشهورة"، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٥٦، والزركللي، الأعلام، ٤/١٨١، وله نسخة مخطوطة في مكتبة المسجد الأقصى (٤٢٣-٤٢٤ تاريخ)، والمكتبة البديرة (٦٢٢-علوم مختلفة- ٢٧٧/ف).

(٤) انظر: البنفادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٦٤٤، وقد حققه أحمد المزيدي ومحمد نصار، دار الكرزي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٣.

(٦) انظر: نسب الشعرا، ٢/٤، والزركللي، الأعلام، ٤/١٨١.

(٧) انظر: البنفادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٣.

(٨) انظر: الشعرا، لطائف المتن، ٧٣، وفتاوى، الكواكب البديرة، ٣/٣٩٥، وابن العماد، خيرات السنيح، ٣/٣٧٣، والبنفادي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وفيها: "الأنوار القدسية في ملزمة آداب الصبوة"، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١/١٩٤، والزركللي، الأعلام، ٤/١٨٠، وله نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر، ومحتواتها: "رسالة الأنوار في معرفة آداب العبودية، (التصوف/ ٢٣٣٢٩٧).

(٩) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٥.

(١٠) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٣.

٤٥. "رسالة في بيان جماعة سمووا أنفسهم بالصوفية".
٤٦. "رسالة في الشلوك"^(١).
٤٧. "رسالة في التصوف"^(٢).
٤٨. "رسالة في التوحيد"^(٣).
٤٩. "رسالة في مدافع أهل البيت"^(٤).
٥٠. "السُرُ المرقوم فيما اختص به أهل الله من العلوم"^(٥).
٥١. "سُرُ السِر والتزود ليوم المصير"^(٦).
٥٢. "سواطع الأنوار القدسية فيما صدرت به الفتوحات المكية"^(٧).
٥٣. "شرح جمع الجوامع للسيكي في الفروع"^(٨).
٥٤. "شرح دائرة أبي الحسن الشاذلي"^(٩).
٥٥. "شرح نصيحة الإخوان"^(١٠).
٥٦. "شرح ورد الأقطاب"^(١١).
٥٧. "الطبقات"، ومنها: "الطبقات الصغرى"، و"الوسطى"، و"الكبرى"^(١٢).

(١) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٤/١٢.

(٢) تقع في ورقتين، ورقمها في مكتبة الأسد (٥١٠٣ ت٩)، ذكرها محقق "البحر المورود" في مقدمته.

(٣) تقع في ٣ ورقات، ورقمها في مكتبة الأسد (١٦٢٥٨)، ذكرها محقق "البحر المورود" في مقدمته.

(٤) لها نسخة مخطوطة في مكتبة إسعاف الناشيبي (ترجم ٤٨٤/٣٠-م-ب).

(٥) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥.

(٦) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، و بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٣/١٢.

(٧) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٨/١٢.

(٨) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥.

(٩) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢.

(١٠) لها نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر، (التصوف/٣٢٥٢٥٩).

(١١) انظر: نسب الشعمري، ٣/١، ويقع في تسع ورقات، ورقمها في مكتبة الأسد (١٤١٣٣).

(١٢) وضع حواشيه محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، وقد حققه من قبل عبد القادر عطا، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٠م، أما الكبرى فسترده بعد قليل تحت عنوان "توطيع الأنوار في طبقات الأحيار"، وقد ذكرت هذه الكتب الثلاثة في نسب الشعمري، ٢/١.

٥٨. "الطرازُ الأَجْمَعُ على حِطَّةِ الْمَنبَحِ"^(١).
٥٩. "مَهَارَةُ الْجِسْمِ وَالْفَوَادِ مِنْ سَوْءِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى وَالْعِبَادِ"^(٢).
٦٠. "العقيدةُ الشَّعْرَانِيَّةُ"^(٣).
٦١. "فتاوى الشعراوي"^(٤).
٦٢. "الفتحُ في تأويل ما صَنَرَ عن الكُتْلِ مِنَ الشَّطْحِ"^(٥).
٦٣. "الفتحُ المبينُ في جملةٍ من أسرارِ الدِّينِ"^(٦).
٦٤. "فتحُ الوهابِ في فضائلِ الآلِ والأصحابِ"^(٧).
٦٥. "فرائدُ القلائدِ في بيانِ العقائدِ"^(٨).
٦٦. "الفلَكُ المَشْحُونُ"^(٩).
٦٧. "الانقباسُ في علمِ القياسِ"^(١٠).
٦٨. "قواعدُ الصُّوفِيَّةِ"^(١١).

- (١) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥.
- (٢) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥.
- (٣) يقع في ثلاث ورقات، ورقمه في مكتبة الأسد (١٦٧٥٨)، ذكره محقق "البحر المورود" في مقدمته.
- (٤) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٢٢٤/٢.
- (٥) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٢٣٣/٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢، وقد حقق هذا الكتاب قاسم عباس، دار أمانة للنشر، عمان، ٢٠٠٣م.
- (٦) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٦/١٢، وقد حققه عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- (٧) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٢٣٦/٢، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥.
- (٨) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٣، والمناي، الكواكب الدرية، ٣٩٥/٣، وابن العماد، شذرات السذهب، ٣٧٣/٣، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٥٦، وقبل هو "فرائد القلائد في علم العقائد".
- (٩) انظر: نسب الشعراوي، ٣/أ.
- (١٠) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٣، والمناي، الكواكب الدرية، ٣٩٥/٣، وابن العماد، شذرات السذهب، ٣٧٣/٣، ونسب الشعراوي، ٢/أ، وقد جاء به: "المنن الكبرى"، و"المنن الوسطى"، و"المنن الصغرى".
- (١١) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٣، ونسب الشعراوي، ٣/أ.

٦٩. "القواعدُ الكشفيةُ الموضحةُ لِمَعَانِي الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ"^(١).
٧٠. "القولُ المبينُ في بيانِ آدابِ الطَّالِبِينَ"^(٢).
٧١. "القولُ المبينُ في الرَّدِّ عَنْ مُحَيِّ الدِّينِ"^(٣).
٧٢. "الكبرىُ الأحرُ في بيانِ علومِ الكشفِ الأكبرِ"^(٤).
٧٣. "كشفُ الحِجَابِ والزَّانِ عَنْ وَجهِ أَسْئَلَةِ الْجَانِ"^(٥).
٧٤. "كشفُ الغَمَةِ عَنْ جَمِيعِ الْأَمَنَةِ"^(٦).
٧٥. "الكَشْفُ وَالشَّيْبَانِ"^(٧).
٧٦. "لِبَابُ الإِعْرَابِ الْمَانِعِ مِنَ النَّحْنِ فِي السَّتَةِ وَالْكِتَابِ"^(٨).
٧٧. "لَطَائِفُ الْعَيْنِ وَالْأَخْلَاقِ فِي وَجُوبِ التَّحَدُّثِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ"^(٩).

(١) انظر: حاحي حليفة، كشف الظنون، ١٣٦٠/٢، والبغدادي، هدية العارفين، ١٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤.

(٢) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ١٤١/٥.

(٣) انظر: نسب الشعراء، ٣/١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٥٨.

(٤) انظر: الشعراء، لطائف المنن، ٧٣، والماوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٥، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٣، والبغدادي، هدية العارفين، ١٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٩، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، ويقال: "في بيان علوم الشيخ الأكبر"، وقد ضبطه عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م.

(٥) انظر: الشعراء، لطائف المنن، ٧٣، والماوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٥، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٣، والبغدادي، هدية العارفين، ١٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٥٧، وقد ضبطه عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، وله نسخة مخطوطة في مكتبة البديري (٦٣٥-١٠٦١هـ/١٩٠١م-هـ).

(٦) انظر: الشعراء، لطائف المنن، ٧٢، والماوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٥، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٣، والبغدادي، هدية العارفين، ١٤١/٥، ونسب الشعراء، ٢/١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٦، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤.

(٧) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٣.

(٨) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٤، وله نسخة مخطوطة في مكتبة إسعاف الشاشي (٢٣٢/٥٣٨-٢٣٢-٢٤).

(٩) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ١٤١/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٣، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، وله نسخة مخطوطة في مكتبة البديري (٧٤/١٩٥)، وقد وضع حواشيه سالم مصطفى البديري، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.

٧٨. "لوائحُ الخذلانِ على مَنْ لمْ يعملْ بالقرآنِ"^(١).

٧٩. "لوائحُ الأنوارِ القدسيّةِ في مُختصرِ الفتوحاتِ المكيّةِ"^(٢).

٨٠. "لوائحُ الأنوارِ في طبقاتِ الأخيارِ"^(٣).

٨١. "المآثرُ والمفاخرُ في علماءِ القرنِ العاشرِ"^(٤).

٨٢. "المُختارُ منْ الأنوارِ في صحبةِ الأخيارِ"^(٥).

٨٣. "مُختصرُ الألفيّةِ لابنِ مالكٍ في التحوي"^(٦).

٨٤. "مُختصرُ تذكرةِ السّويدي"^(٧).

٨٥. "مُختصرُ تذكرةِ القرطبي"^(٨).

٨٦. "مُختصرُ الخصائصِ النّبويّةِ للإمامِ السيوطي"^(٩).

٨٧. "مُختصرُ سننِ البيهقي الكبير"^(١٠).

(١) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٣، والناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٢، والسيدناي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وفيها: "علامات الخذلان على من لم يعمل بالقرآن"، ونسب الشعراوي، ٢/٤.

(٢) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٢، والناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ٨/٣٧٢، والسيدناي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٥٦، وله نسخة مطبوعة في مكتبة الأزهر، ورقمها (٣١٥٦٢٠).

(٣) هو الطبقات الكبرى، انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٣، وقد وسه بأنه "كتاب طبقات الصوفية"، والسيدناي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٣، والتركلي، الأعلام، ٤/١٨١، وله نسخة مطبوعة في مكتبة المسجد الأقصى (٤٢٢-تاريخ-٢١).

(٤) انظر: السيدناي، هدية العارفين، ٥/٦٤١، ونسب الشعراوي، ٣/٤.

(٥) حققه عبد الرحمن عميرة وطلعت غنام، لجنة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

(٦) انظر: السيدناي، هدية العارفين، ٥/٦٤٢.

(٧) انظر: نسب الشعراوي، ٣/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٤، وهو مطبوع.

(٨) انظر: الناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٢، ونسب الشعراوي، ٣/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢/٢٦٦، والتركلي، الأعلام، ٤/١٨١، وقد طبع بدار اليقين في مصر، بتحقيق عبد الرحمن غير، ٢٠٠١م.

(٩) انظر: نسب الشعراوي، ٣/٤، وفيه "مختصر المعجزات والخصائص"، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ٦/٧٠٦.

(١٠) انظر: الناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٢، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/١٠٠٧، ونسب الشعراوي، ٣/٤.

٨٨. "مختصر القواعد في الفروع للزركشي"^(١).
٨٩. "مختصر المدونة في الفروع المالكية"^(٢).
٩٠. "مختصر الحندي التتوي لآمين الفقيم"^(٣).
٩١. "مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين"^(٤).
٩٢. "مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود الحمديّة"^(٥).
٩٣. "مفتاح السرّ القدسي في تفسير آية الكرسي"^(٦).
٩٤. "مقاصد العارفين"^(٧).
٩٥. "مفحيم الأكباد في مواد الاجتهاد"^(٨).
٩٦. "مقدمة في ذمّ الرأي"^(٩).
٩٧. "المقدمة التحوية في علم العربية"^(١٠).

(١) انظر: الشعراي، لطائف المنن، ٧٣، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٥٩/٢، ونسب الشعراي، ١/٢.

(٢) انظر: نسب الشعراي، ١/٣، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤٢/٥، وقد طبع في مصر طبعة حجرية دون تاريخ.

(٣) انظر: نسب الشعراي، ١/٣.

(٤) انظر: نسب الشعراي، ١/٣، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٠/١٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، وجعله "مدارك السالكين".

(٥) انظر: الشعراي، لطائف المنن، ٧٢، والمناي، الكواكب الدرية، ٣٩٥/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، ونسب الشعراي، ١/٢، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤٢/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٩/١٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، وله نسخة أخرى في مكتبة إسماعيل الشاشي (تصوف ١١٧/٣٨٧م).

(٦) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢.

(٧) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢.

(٨) انظر: الشعراي، لطائف المنن، ٧٣، والمناي، الكواكب الدرية، ٣٩٤/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤٢/٥، وفيها "مفتحم الأكباد"، ونسب الشعراي، ١/٢.

(٩) تقع في ١٨ ورقة، ورقمها في مكتبة الأسد (٧٦٦٤ ت)، ذكرها محقق "البحر المورود" في مقدمته.

(١٠) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤٢/٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٤/١٢.

٩٨. "المُلَفَّطَاتُ مِنْ حَاشِيَةِ إِمِينِ أَبِي شَرِيفٍ عَلَى شَرْحِ جَمْعِ الْجَوَامِعِ لِلشَّيْخِ"^(١).
٩٩. "مَنَاسِكُ الْحُجَّ فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ"^(٢).
١٠٠. "الْمَنَحُ السَّنِيَّةُ عَلَى الْوَصِيَّةِ الْمُتَبَوِّلَةِ"^(٣).
١٠١. "مَنَحُ الْيَمَّةِ فِي الثَّلَاثَةِ بِالسَّنَةِ"^(٤).
١٠٢. "مَنَحُ الْمَوَانِعِ"^(٥).
١٠٣. "مِنَهَاجُ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ"^(٦).
١٠٤. "مَنَهَاجُ الصَّدَقِ وَالتَّحْقِيقِ فِي تَفْهِيمِ غَالِبِ الْمَذْهَبِ لِلطَّرِيقِ"^(٧).
١٠٥. "السَّنَهَجُ السَّيْنِيُّ فِي أَحْكَامِ الْعَارِفِينَ"^(٨).
١٠٦. "السَّنَهَجُ السَّيْنِيُّ فِي بَيَانِ أَدَلَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ"^(٩).
١٠٧. "الْمَوَازِينُ الدَّرَجَةُ السَّنِيَّةُ لِعُقَايِدِ الْفِرَاقِ الْعَلِيَّةِ"^(١٠).
١٠٨. "مَوَازِينُ الْقَاصِرِينَ مِنَ الرُّجَالِ"^(١١).

(١) تلخ في ٢٥ ورقة، ورقمها في مكتبة الأسد (٧٦٦٤ ت ١)، ذكرها محقق "البحر المورود" في مقدمته.

(٢) انظر: نسب الشعراوي، ١/٣.

(٣) انظر: نسب الشعراوي، ١/٣، وفيه: "الدرر السنية لشرح الوصية المتبوية"، وروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٣/١٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، وله نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر، ورقمها (٣٠٧٦١٩)، وقد علق على هذا المصنف محمد مصطفى بن أبي العلا، مكتبة الجندى، القاهرة، د.ت.

(٤) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٣/١٢، والزركلي، الأعلام، ١٨١/٤، وضع حواشيه عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٩ م.

(٥) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤٢/٥.

(٦) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٣، ونسب الشعراوي، ١/٢، وفيه "الوصول في علم الأصول".

(٧) انظر: نسب الشعراوي، ١/٢، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤٢/٥.

(٨) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٤/١٢.

(٩) انظر: الشعراوي، لطائف المنن، ٧٢، والمنذري، الكواكب الدرية، ٣٩٤/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٧٣/٣، ونسب الشعراوي، ١/٢، والبغدادي، هدية العارفين، ٦٤٢/١.

(١٠) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢.

(١١) انظر: نسب الشعراوي، ١/٣، وروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٠/١٢. (حاء هذا الكتاب ردا على أدباء التصوف، قبل إنه ألقه سنة ٩٧٣ هـ).

١٠٩. "الميزانُ الخضرية" ^(١).
١١٠. "الميزانُ الشعرية الكبرى" ^(٢).
١١١. "النورُ الفارقُ بينَ المریدِ الصادقِ وغيرِ الصادقِ" ^(٣).
١١٢. "هادي الخائرين إلى رسومِ أعلامِ العارفين" ^(٤).
١١٣. "وردُ الأقطابِ والمُكمَلينَ من أصحابِ النواتجِ الكبرى" ^(٥).
١١٤. "وردُ الرسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم" ^(٦).
١١٥. "وصايا العارفين" ^(٧).
١١٦. "اليواقيتُ والجواهرُ في بيانِ عقائدِ الأكابر" ^(٨).

(١) وضع حواشيه عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، وقد ذهب المناوي وابن العماد إلى أن اسمه "الميزان" فقط، ولمحق أنهما كتابان كما ظهر في المتن، وهذا "الميزان الخضرية"، وله نسخة مخطوطة في مكتبة المسجد الأقصى (٢٩٥-٣٠٥/٣)، و"الميزان الشعرية الكبرى"، وكلاهما وفقه شافعي. انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٣، ونسب الشعراني، ٢/١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٦/١٢.

(٢) انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٣، والبغدادي، هدية العارفين، ٥/٦٤٢، والزركللي، الأعلام، ٤/١٨١، وله نسخة مخطوطة في المكتبة اليدوية (٣٣٤/٣٣٤-١٦٥)، ونسخة أخرى في مكتبة إسعاف الشاشي (أصول وفقه ٢٩/١٥٩م).

(٣) انظر: نسب الشعراني، ٢/١، والبغدادي، هدية العارفين، ٥/٦٤٢.

(٤) انظر: نسب الشعراني، ٢/١، والبغدادي، هدية العارفين، ٥/٦٤٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢.

(٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢، وله نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر، ورقمها (٣٢٥٧١٠)، ونسخة أخرى ذكرها علق "البحر" في مكتبة الأسد (١٧٣٥٧).

(٦) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٠/١٢، (بتناول نسخة أوراد قصبة موزعة على أيام الأسبوع مع شرح مفصل).

(٧) انظر: نسب الشعراني، ٣/١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٥/١٢.

(٨) انظر: الشعراني، لطائف المنن، ٧٣، والمناوي، الكواكب الدرية، ٣/٣٩٥، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣/٣٧٣، ونسب الشعراني، ٢/١، والبغدادي، هدية العارفين، ٥/٦٤٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٦/١٢، والزركللي، الأعلام، ٤/١٨١، طبع بشار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

الدُّسُّ عَلَيْهِ:

ويظهر أن الشعراني قد أثلى بما أثلى به غيره من الدُّسِّ والتحريف، فما من كبير في عصره إلا كان له عدو من السُّفلة؛ إذ الأشراف لم تُزل تُثلى بالأطراف^(١)، وقد منح إلى ذلك الشعراني، بل صرح به في هذا المخطوط وغيره، فَمِنْ ذلك الحادثة التي سيأتي عليها بيان بعدًا، وهي مسوقة في هذا المخطوط في معرض المحاماة عن مقام الشيخ محيي الدين، وغما نسب إليه من أقوال تخالف ظاهر الشريعة، فقد روى الشعراني أن ذلك وقع في كتابه "البحر المورود"، فقال عن هذه الحادثة في مقدمته: "واعلم يا أخي أن بعض الحسنة والأعداء لما قام عنده الغيرة والحسد بسبب هذا الكتاب حين رأى الناس يكتبونه ويقرؤونه عليّ، استعار من بعض إخواننا المغفلين نسخة، وكتب له منها كتابًا، ودس فيه أمورًا تخالف ظاهر الشريعة، وما عليه أهل السنة والجماعة، فصار من لا يعرف حالي ينسب تلك الأمور إليّ، وأنا بحمد الله يرى من ذلك كله، فمن ظفر مما كتب من نسخة ذلك العدو بشيء فليضرب عليه، وليس في حل أن يضيف شيئًا من ذلك إليّ، فالحق لا يؤاخذ بما صنع"^(٢).

وقد عرج على هذه الحادثة في هذا المخطوط، فقال: "فقد دسوا فيه أمورًا تخالف ظاهر الشريعة، ووقع بذلك فتنة عظيمة في جامع الأزهر وغيره، ولولا أنني أرسلت لهم النسخة الصحيحة السالمة من الدُّسِّ التي عليها خطوط مشايخ الإسلام ما سكنت الفتنة، ولكن جزأهم الله - تعالى - عني خيرًا في إنكارهم عليّ بتقدير صحة نسبة ذلك إليّ، فلمهم ثواب قصدهم ونيتهم"^(٣).

والحق أن هذه الحادثة المتقدم بيانها آنفاً ذكرت في غير موضع من مؤلفاته، فهي مبيّنة في "لطائف المنن"^(٤)، و"البرقيات والجواهر"، وفي الأخير يقول: "وكذلك دسوا عليّ أنا في كتابي المسمى "بالبحر المورود" جملة من العقائد الزائفة، وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين، وأنا يرى منها، كما يست ذلك في خطبة الكتاب لما

(١) انظر ما قاله في كتابه البرقيات والجواهر، ٣٤/١.

(٢) انظر: الشعراني، البحر المورود، ٣٥.

(٣) سيأتي بيان ذلك في الجزء المحقق.

(٤) انظر: الشعراني، لطائف المنن، ٧٣.

غيرُها، وكان العلماءُ كَتَبُوا عليه وأجازوه، فَمَا سَكَتَ الفتنةُ حَتَّى أُرْسِلَتْ لَهُمُ النُّسخةُ التي عليها عَطَولُهُمْ، وكانَ مِنْ أَتَدَبَ لِشُرَيْحِي الشَّيْخِ الإمامِ نَاصِرُ الدِّينِ اللُّقَاطِي المالِكي...، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الحَسَنَةِ أَشَاعَ فِي مِصْرَ وَمِكةَ أَنَّ عُلَمَاءَ مِصْرَ رَجَعُوا عَنْ كِتَابَتِهِمْ عَلَى مُؤَلَّفَاتِ فُلَانٍ، وَعبارةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الشَّيْخِ نَاصِرِ الدِّينِ المالِكي - فَسَحَّ اللهُ تَعَالَى فِي أَجَلِهِ -: "بَعْدَ الحَمْدِ لله وَبَعْدُ، فَمَا تُسَبِّ إلى العَبْدِ مِنَ الرَّجُوعِ عَمَّا كَتَبَهُ بِحَظِّي عَلَى هَذَا الكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ فُلَانٍ بِاطِلٍ بِاطِلٍ بِاطِلٍ، وَاللهُ مَا رَجَعْتُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا عَزَمْتُ عَلَيْهِ، وَلَا اخْتَفَدْتُ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ شَيْئاً مِنَ البَاطِلِ..."^(١).

وقد التفت إلى ذلك السَّيَّاحُ فِي بَنِي تَرْجَمَتِهِ للشُّعْرَانِي، فَقَدْ أَشَارَ إِلَى أَنَّ بَعْضَ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ قَرَّطُوا لَهُ، فَغَلَّبَ الحَسَدُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ، قَدَسُوا عَلَيْهِ فِي بَعْضِهَا كَلِمَاتٍ لِحَالِفِ الإِجَاعِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَةَ، فَشَتَّوْا وَسَتَّوْا وَرَمَوْهُ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ، وَبَالَغُوا فِي الْأَذَى وَالتَّيْبِيعَةِ، فَخَذَّهْمُ اللهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَأُظْهِرَهُ عَلَيْهِمْ^(٢).

وليسَ يَقُوْنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ الإِلِمَاحَةُ إِلَى مَا وَقَعَ مِنْ تَحْرِيفٍ وَتَضْوِيفٍ فِي كِتَابِهِ "لَوَائِحُ الْأَنْوَارِ فِي طَبَقَاتِ الْأَخْبَارِ"، وَهُوَ كِتَابٌ فِي الطَّبَقَاتِ، وَقَدْ أَشَارَ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ إِلَى أَنَّهُ غَثَرُ عَلَى نُسخَةٍ حَالِيَةٍ مِنَ النَّسْخِ وَالتَّحْرِيفِ، وَعَرَّجَ عَلَى تَمْوِذِجٍ لِمَا تُعْرَضُ لَهُ هَذَا الْكِتَابُ مِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ غَثَرَ عَلَى مَحْطُوطَةٍ نَادِرَةٍ، فَقَابَلَ بِرَيْثِهَا وَبَيْنَ طَبْعَةٍ بُولاقٍ وَبَعْضِ مَحْطُوطَاتِ الْأَزْهَرِ، فَأَلْفَاها تَخْلُو مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّضْوِيفِ^(٣).

إِنَّ مِثْلَ الشُّعْرَانِي كَسَمَلِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ فِي فُتُوحَاتِهِ، فَقَدْ ذَكَرَ لَهُ أَحَدُ أَشْيَاعِهِ، وَهُوَ - كَمَا يَقُولُ الشُّعْرَانِي - أَبُو الطَّاهِرِ الْمَغْرِبِيُّ، شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَخْرَجَ لَهُ نُسخَةً مِنْ "الْفُتُوحَاتِ" الَّتِي قَابَلَهَا عَلَى نُسخَةٍ الشَّيْخِ الَّتِي يَحْطُلُ فِي مَدِينَةِ "قُوتِيَّةٍ"، فَلَمْ يَرَّ فِيهَا شَيْئاً مِمَّا كَانَ قَدْ تَوَقَّفَ فِيهِ وَخَذَّلهُ حِينَ اخْتَصَرَ "الْفُتُوحَاتِ"، إِنَّهُ كَالنَّسْخِ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ لَمَّا وَضَعَ الزَّنَادِقَةَ وَالْمَلَّاحِدَةَ نَحْتِ وَسَادَتِهِ فِي مَرَضِي مَوْتِهِ عَقَائِدَ زَائِفَةٍ، وَلَوْلَا أَنَّ أَصْحَابَهُ يَعْلَمُونَ مِنْهُ صِحَّةَ الْإِعْتِقَادِ لَافْتَنُوا بِمَا رَخَدُوهُ، وَإِنَّ ذَلِكَ كَدَسُهُمْ عَلَى مَجْدِ الدِّينِ الْغَبَرِوزِ أَبَادِي صَاحِبِ "الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ" كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ أَبِي

(١) انظر: الشُّعْرَانِي، الْبَيَانِيَّةُ وَالْمَوَاقِفُ، ٢٣/١، وَقَدْ ذَكَرَ آخَرِينَ مِنْ حَامِلِيهِ عَنْهُ.

(٢) انظر: السَّيَّاحُ، الْكُوكَبُ الدَّرِيَّةُ، ٣٩٦/٣.

(٣) انظر حديث عَفَقَ هَذَا الْكِتَابِ فِي مَوْضِعَيْنِ، ٦/١، ٢٧٠/١.

خفيفةً وثكفيرة، وإنَّ ذلك كَدَسُّهم على حُجَّةِ الإسلام الغزاليِّ مُسائلٌ في "إحياء علوم الدين"^(١)، وقد رأى الشعرانيُّ -كما يقول- كتابًا كاملاً صَفَّه بعضُ الملاحدة، ونَسَبَه إلى أبي حامد الغزاليِّ لِبرُوجِ بذلكِ بِدعته، فَنَقَّرَ به الشيخُ عزُّ الدين بنُ جماعة، وكتبَ على ظهرِ الكتابِ: "كُذِّبَ واللهِ وانقرى من أحصافِ هذا الكتابِ إلى حُجَّةِ الإسلام"، وقد اتى الشعرانيُّ على ثلَّةٍ من هؤلاءِ المُتَلَبِّين، دالًّا على أنَّ هذه الظَّاهِرَةَ ظاهِرةٌ، وأنها مِنَّا يُتَلَى به أعيانُ المُحَقِّقِينَ وقَدْرَةُ السَّالِكِينَ، ولَعَلَّه مِنَّا يُنْسَبُ في مُعْناه إلى ما أنْفَضَى به وهُبُ بنُ منيَّةٍ -رضي الله عنه- إذ قال: "البلاءُ للمؤمن كَالشَّكَاكِ لِلدَّاهِيَةِ"^(٢)، ورحمَ اللهُ الشيخَ عبدَ القادرِ الجيليَّ إذ قال: "دوامُ البلاءِ خاصٌّ بأهلِ الولايةِ الكُبرى، ليكونوا عاكفينَ على مُناجاتِهِ"^(٣).

وفالهِ:

لا تُروى الكُتُبُ التي اشتملتْ على ترجمةِ الشَّيْءِ الكثيرِ عن وفاته، فقد أشارَ المناويُّ إلى أنَّ الشعرانيَّ ظلَّ قائمًا على الذِّكْرِ والمُناكَرَةِ، يُحْيِي ليلَةَ الجمعةِ بِالصَّلَاةِ على المُصطفى صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وآله كانَ يُسَمِّعُ لِزَواجِتهِ ذَوِي كَدْوِيٍّ النُّحْلِيَّ، لَيْلاً ونَهَاراً، ما بينَ ذاكرٍ وقارئٍ ومُتَهجِدٍ ومُطالِعِ كتابٍ، ظلَّ على ذلكَ حتَّى نَقَلَ اللهُ إلى دارِ كَرَامَتِهِ^(٤)، فقد أصابَه الفالجُ في العشرِ الأوَّليِّ من شهرِ ربيعِ سنة (٩٧٣هـ-)، وظلَّ مريضًا إلى أن تُوُفِّيَ يومَ الاثنينِ بعدَ عَصْرِ الثَّاني عشرٍ من جُمادى الأولى^(٥)، وقد خَضَرَ جَنَازَتُهُ جَمْعٌ حافلٌ من العلماءِ والفُقهاءِ والأمرءِ والفقراءِ، ودُفِنَ بِجَنَابِ زَواجِتهِ بِالقاهرةِ، "وقد مُضَى وَخَلَّفَ ذِكْرًا باقِيًا، ونَشَأَ غُطْرٌ ذَكِيًّا زَاكِيًّا، وَمُنْذَا لا يُكْرَهُ إِلَّا مُعَانَدَةُ عِزِّهِ، ولا يَجْعَلُهُ إِلَّا مُبَاهِجَةً مَأْنُومًا"^(٦).

(١) انظر هذه الأُمثلة ونحوها في البواقيت والمجاهير، ٢٤/١.

(٢) انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ٤٧٧/١.

(٣) انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ٢٥٣/٢.

(٤) انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ٣٩٦/٣.

(٥) انظر: نسب الشعراني، ١/٣.

(٦) انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ٣٩٦/٣.

من لطيف كلامه:

- دوروا مع الشرع كيف دار، لا مع الكشف؛ فإنه قد يُخطئ.
- حكم الرِّياء ونحوه واقع للكُمُل من الأَمَةِ بقدر ما بقيَ فيهم من البشريَّة؛ فإن الجزء البشريَّ يرقى ولا ينقطع.
- أسباب انقياد الخلق بعضهم لبعض ثلاثة: الصَّلاح، والإحسان، والغصا، فالغصا ليست للعالم، فبقيَ انان، فمن لم يُحسِّن لجماعته، ولم يكن صالحاً، وطَلَب منهم الانقياد له رافعاً مُحالاً، كما هو مُشاهد في أولاد مشايخ الرِّوايا يسلِّك أحدهم العمل، وقلة العمل الصَّالح، اعتماداً على مشيخة أبيه، ويطلبُ انقياد الفقراء له كما كانوا مع أبيه، فلا يُحييه أحد.
- من يرى له ملكاً مع الله، لم يزل مُنعَص العيشي في كلِّ ما يطلُّه ولم يبلِّغه، ومن لم يرَ له معه ملكاً واعتقد أنه عبدٌ يأكل من مالِ سيِّده استراح وأراح.
- تكلم السُّبُلِي في علوم القوم جهاراً، فأنكر عليه الجُنيد صيانةً لذلك، ورَّجَّره، ولذلك جعلوا طريقَ الجُنيد طريقاً مَقُومًا.
- ذرةٌ من العبادة مع الإقبال على خضرة الله خيرٌ من أمثالِ الجبالِ منها مع المَلَل.
- ينبغي إكثارُ مُطالعةِ الفقيه خلافاً لما عليه بعضُ المتصوِّفة الذين لاحت لهم بارقةٌ من الطريق، فتركوا مُطالعةً، وقالوا إنه حجابٌ جهلٌ منهم.
- إذا حصل للعبد ثقلٌ من العبادة كان علامةً على إشرافها على الانقضاء، فيأخذ في التحلُّل منها، وذلك مُشاهد.
- إذا حُجِب الكامل عن شهود بعضِ أعماله، أراه الله مناماتِ الرَّذيئة رحمةً به، وإذا فترت همه مُريد، وأراد الله رُفقه، أراه مناماتٍ صالحةٍ ليَجِد في الطاعة، لأنه في مقام التَّأَلُّف^(١).

(١) انظر هذه الأقوال في الكواكب الدرية، ٣٩٧-٤٠٠.

ثانيًا: الشعراوي في عبون المشرقين:

المشرق "نيكلسون":

يذهب إلى أنه أعظم صوفي عرفه العالم الإسلامي كله، وأن الحركة الفكرية في الإسلام قد ركبت منذ غزو المغول العالم الإسلامي، واقتصرت علمائه على الجمع والتقليد، فلا نجد بوادر انطلاقي وإنتاج حصيب، أو أي أثر لتفكير أصيل باستثناء شخصيتين منفردتين هما ابن خلدون المؤرخ، والشعراوي الصوفي، وكان الشعراوي مُفكرًا مُبدعًا أصيلاً أثر تأثيرًا واسع المدى في العالم الإسلامي يشهد به إلى يومنا الحاضر القراءة إلحاحًا مُتصلاً في طلب مؤلفاته.

المشرق "ماكندولالد":

"إن الشعراوي كان رجلاً ذاكًا نفاذاً مُخلصاً واسع العقل،... إنه كان يجمع بين أعظم المميزات تضاداً، وأنه كان مُشرعاً ذا أصالة وضابط، وكان عقله من العقول النادرة في الفقه بعد القرون الثلاثة الأولى في الإسلام".

المشرق "فوللرز":

"إن الشعراوي كان من الناحية العملية والنظرية صوفيًا من الطراز الأول، وكان في الوقت نفسه كاتبًا بارزًا أصيلاً في ميدان الفقه وأصوله، وكان مُصلحًا يَكادُ الإسلام لا يعرف له نظيرًا، وإن كتبه التي تجاوزت السبعين عددًا، من بينها أربعة وعشرون كتابًا تُعتبر ابتكارًا مُحصنًا أصيلاً لم يسبق إليه أبداً، ولم يعالج فكرتها أحد قبله"^(١).

المشرق "بروكلمان":

"عاش حياة الصوفية في القسطنطينية، وارتبط في كنيته بالمأثور عن الصوفية الأوائل،... وبهذا أثار في حالات كثيرة التناقض مع مُعاصريه، وحاول أحد مُناسبه من خلال تزوير كنيته أن يجعله موضوع شبهة في أن تعاليمه تُخالف القرآن والسنة، ومع هذا فقد نجح في إقناع شيوخ الشياخ بسلامة طويته، فحُمي نفسه من القلاقل"^(٢).

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها: توفيق الطويل، الشعراوي إمام الصوف في عصره، ١٤٥، وطله سرور، الصوف الإسلامي والإمام الشعراوي، ١٢-١٤.

(٢) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢-١٣/٢٥٥.

ثالثاً: شكل الكتاب ومضمونه:

اختلف هذا الكتاب من شقين، أولهما المقدمة، وثانيهما المباحث، أما الشق الأول، وهو المقدمة، فقد كان مشتتاً على ثلاثة مباحث:

أولها: بيان الذواعي التي أنضت به إلى تصنيف هذا الكتاب، وأهمها الغيرة على حجاب الحق - جلّ وعلا - أن يتوهم أحد فيه ما لا يليق بجناحه تعالى، فجعله كتاباً أتى فيه على الأجوبة عن صفات الحق جلّ وعلا، وردّ ما يتوهمه الملحّدون، وضعفاء الحال في العلم.

وثانيها: بيان جملة شروط من يتصدّر للرّد على الملحدين بآيات الصفات وذات الحق تقدّست أسماؤه، وعلى رأسها التبحّر في جميع علوم الشريعة المطهرة من تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو وبيان ومعان ولغة، والعلم بما عليه جمهور أهل السنة والجماعة، وما عليه من عقائدهم، والتطهر من الذنوب الظاهرة والباطنة لئلا يكون في سريره شيء يكرهه الله عزّ وجلّ، وذلك ليصحّ له الجواب عن حجاب صفات الحق عزّ وجلّ، فلا يضيف إلى حجاب الحق شيئاً لا يضيفه إليه أهل الحضرة من الأنبياء والأولياء والملائكة، "فعلّم أنّ من كان في قلبه شيء يكرهه الله تعالى، أو لم يتبحّر في علوم الشريعة واللغة، أو كان يجهل شيئاً من مجازات العرب واستعاراتها، فلا يصحّ له مقام العلماء بالله، ولا مقام الجواب عن أهل حضرة"^(١).

وثالثها: بيان مقصود الكتاب، وفي هذا البيان تعريضة على عقيدة سالحة جامعة مختصرة لأشبهات عقائد الأكابر من أهل السنة والجماعة، والحق أن المقدمة تكاد تكون مأخوذة من مقدّمة الشيخ محيي الدين في "فتوحات المكيّة"، وهي، من وجهة أخرى، ردّ على كلام الملحدين في ذات الله وصفاته، وردّ كلامهم في شرعه وشرع أنبيائه.

أما موضوعات الكتاب التي هي على هيئة سؤالات وإجابات فتكاد تنطوي على موضوع واحد عريض، وهو تنزيه حجاب الحق - تعالى - من الأوهام والواردات على النفس في حق الذات الإلهية، وصفاتها العلية، كرفع ما قد يفتقر إلى النفس من توهم التشبيه والتجسيم، أو توهم مذهب الجبريّة. أما السؤالات فقد يكون مضمارها التنزيل العزيز،

(١) سيأتي بيان ذلك في النص المحقق مفصلاً.

وَقَدْ يَكُونُ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ قُدْسِيًّا أَوْ لَبُوبِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ تَفَكُّرُ الْمُتَوَهِّمِ الْجَانِحِ إِلَى الشُّطُوطِ وَالتَّكَلُّفِ فِي فَهْمِ النَّصِّ فَهْمًا لَا يَلِيْقُ بِجَنَابِ الْحَقِّ تَقَدُّسِ أَسْمَاؤِهِ.

وَمِنْ مَثَلِ الْأَوَّلِ، أَعْنَى التَّوَهُّمِ الْوَاقِعِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، وَالْآخِي مِنْهُ، تَوَهُّمٌ أَنَّ لِلْحَقِّ وَجْهًا كَوَجْهِ الْخَلْقِ أَحَدًا مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ - تَعَالَى -: ﴿وَيَتَقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ ^(١)، وَقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ^(٢)، وَكَذَلِكَ تَوَهَّمُ أَنَّ الْحَقَّ - تَعَالَى - فِي جِهَةِ الْفَوْقِ لَا التَّحْتَ أَحَدًا مِنْ قَوْلِهِ - تَبَارَكَ -: ﴿الْأَرْحَمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَشْفَوَى﴾ ^(٣).

وَمِنْ مَثَلِ التَّوَهُّمِ الْوَاقِعِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَالْآخِي مِنْهُ تَوَهُّمُ نَزُولِ الْحَقِّ وَتَحْيِيزِهِ، وَأَنَّ لَهُ ذَاتًا تَقْيِيدِيَّةً أَحَدًا مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، يَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ سُؤْلَهُ... إِلَى آخِرِ مَا وَرَدَ أَنَّهُ نَزُولُ بَدَنَتِهِ، وَمِنْ مَثَلِهِ تَوَهُّمُ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدْ تَرَكَهُمْ وَلَمْ يُبَالِ بِهِمْ أَحَدًا مِمَّا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: "هَوَلَاءِ لِلْحَيَّةِ وَلَا أَهْلِي، وَهَوَلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَهْلِي".

وَمِنْ مَثَلِ الْأَخِيرِ تَوَهُّمُ يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْفَهْمِ السَّقِيمِ قَائِلِي بِأَنَّ الْحَقَّ مُسْتَفِيدٌ مِنَ الْخَلْقِ، وَكَذَلِكَ الظَّنُّ بِأَنَّ نَزُولَ الْبِلَاءِ عَلَى أَهْلِ مَحَلَّةِ الْعَاصِي لَيْسَ بِعَدْلِ، وَكَذَلِكَ أَنَّ فِي التَّسْبِيحِ تَنْزِيهَاً لِلْحَقِّ - تَعَالَى - عَنِ التَّقَاتِيصِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ فِي الْفَهْمِ تَنْزِيهُهُ إِلَّا مَعَ تَعَقُّلِ لُحُوفِ صِفَاتِ التَّقْصِي لَهُ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَلَعَلَّ مُسْتَصْفَى الْقَوْلِ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ هُوَ عَدُّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَنَحْوِهَا مِنْ الشُّبُهَاتِ ^(٤)، وَلَسْتُ إِحْثَالُ أَنَّ مَلَمَحَ الشُّبُهَاتِ فِيهَا آتٍ مِنْ جِهَةٍ كَوْنِهَا مُشْكَلَةٌ مُعْثَاصًا أَمْرُهَا، وَإِنَّمَا هُوَ آتٍ مِنْ تَبَايُنِ الْوُجْهَاتِ فِي الْمُعْتَقَدِ، وَطَرِائِقِ التَّكْبِيرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْوَارِدِ مِنْهَا فَكَاتَمُوا عَلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ أَوَّلَاهَا تَغْيِيبُ التَّأْوِيلِ وَاتِّعَاقُهَا، فَالْآيَاتُ مُحْكَمَاتٌ نَفْسُهُمْ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَثَانِيهَا الْإِعْتِقَادُ بِالتَّأْوِيلِ مَعَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ، وَثَالِثُهَا الْإِعْتِقَادُ بِالتَّأْوِيلِ مَعَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ بِمَا يَلِيْقُ بِهِ عَزَّ ^(٥)، وَلَعَلَّ الَّذِينَ قَالُوا بِتَغْيِيبِ التَّأْوِيلِ وَاتِّعَاقِهِ قَدْ عَوَّلُوا عَلَى مُطَابَقَةِ الْمَعْنَى لِظَاهِرِ اللَّفْظِ، أَمَّا الَّذِينَ اعْتَقَدُوا بِوُجُوبِ

(١) (الرحمن، الآية ٢٧).

(٢) (الفصل، الآية ٨٨).

(٣) انظر: الرافعي، المفردات، ٢٥٤، والزركشي، البرهان، ٧٨/٢، والسيوطي، الإنشاد، ٦٨٥.

(٤) انظر: الزركشي، البرهان، ٧٨/٢.

حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته فقد بدا لهم استحالة التشبيه والتجسيم في حق الله، ومن ذلك ذكر "الوجه"، فقد تردّدوا بين المنزلةين؛ منزلة الأحد بالظاهر، ومنزلة التأويل^(١). أمّا في المنزلة الثانية فالوجه مؤول بالذات، أو بالاحتكام إلى الدلالة الكلية في نبي السباقي، ومن ذلك: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٢)، ﴿وإنّا لطعّمكُم بوجْهِ اللَّهِ﴾^(٣)، ﴿وإنّا آتيناكُم بِهِ زَيْتُ الْأَعْلَى﴾^(٤)، والمراد من الوجه هنا إخلاص التّبة لله^(٥).

ومن ذلك أيضاً اليد، كما في قوله: ﴿إنّا خلَقْنا يَدَيَّ﴾^(٦)، ﴿وإنّ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٧)، ﴿وإنّما عِصَتُ آبِيْنَا﴾^(٨)، وهي مؤولة بالقدر، ومن نحو ما تقدّم صفة القرب والرفقة والمحيّة والرضا والغضب والعجب^(٩)، والذي يبدو أنّ تلكم الصفات ما جاءت إلّا في سياق لغوي كريم يجري مجرى لغة العرب في مخاطبتها، وكلّ صفة تستحيل حقيقتها على الله تُفسّر بلازمها^(١٠)، وعند هذا يظهر المتدبر بروية ولطف نظير مُجالياً عن مذهب الشطّط والتكلف في تغيب التأويل أو استحضاره، بل يُقتصد إلى الغرضي المتعين من تلكم الصفات كمن ينظر إلى المعنى من ستر رقيق، فيعول على المعنى الكلي السباقي؛ ذلك أنّ جميع الأغراض النفسانية: أعني الرّحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات، ومن ذلك الغضب، فإنّ أوله غلبان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المفضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يُحمل على أوله الذي هو غلبان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء، له أول، وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حق الله على ترك الفعل لا على انكسار النفس^(١١).

(١) انظر: الزركشي، البرهان، ٨٠/٢.

(٢) (الكهف الآية ، ٢٨).

(٣) (الإنسان الآية ، ٩).

(٤) (الزّل الآية ، ٢٠).

(٥) انظر: السيوطي، الإتقان، ٦٩٨، وانظر حديث الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين عن هذا المبحث، ١١٧/١-١٣٧.

(٦) (ص الآية ، ٧٥).

(٧) (الفتح الآية ، ١٠).

(٨) (نّس الآية ، ٧١).

(٩) انظر: السيوطي، الإتقان، ٦٨٨.

(١٠) انظر: السيوطي، الإتقان، ٦٩٢.

(١١) انظر: السيوطي، الإتقان، ٦٩٢.

أما منهجه في عرض المسألة فقد أخذ سَمًا واحدًا مُسَوِّقًا لَمْ يَحْذَ عَنْهُ الْبَنَةُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَقَدْ كَانَ يَأْخُذُ الْمَسْأَلَةَ بِقَوَائِلِهَا مُسْتَفْتَحًا بِصِيغَةِ الْمَسْأَلَةِ؛ مُسَاءِلَةِ الْمُسْتَفْهِمِ الْمُسْتَعْلَمِ، أَوْ الْمُشْكِكِ الْمُتَوَهِّمِ، بِقَوْلِهِ: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ..."، أَوْ "وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى..."، ثُمَّ يُجِيبُ عَنْ ذَلِكَ بِمَا يَلِيقُ بِجَنَابِ الْحَقِّ تَعَالَى أَسَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، مُعْرِجًا عَلَى مُصَادَرٍ وَمُطَابِقٍ مُتَنَوِّعَةٍ لِكَيْ يُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى الْمُتَوَهِّمِ أَوْ الْمُلْحِدِ، أَوْ لِكَيْ يَعْضِدَهَا بِمَا يُؤَافِقُهَا مِمَّا وَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، أَوْ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، أَوْ أَقْوَالِ الْأَكَابِرِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ.

وأيضاً: بَيْنَ الشَّعْرَانِي وَالشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ:

لَعَلَّ أَحَدًا مَا يَظْهَرُ لِلْقَارِئِ فِي مُصَنَّفَاتِ الشَّعْرَانِي عَامَّةً، وَ"الْقَوَاعِدِ الْكَشْفِيَّةِ" خَاصَّةً، تَلَفُّفُهُ لِكَثِيرٍ مِنْ عُلُومِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ، وَلَيْسَ يَذْهَبُ بِالْقَارِئِ الظَّنُّ أَنِّي أَذْهَبُ مَذْهَبًا مِنَ الشَّطْطِ وَالتَّكَلُّفِ إِنْ قُلْتُ إِنْ جَلَّ عِلْمُ الشَّعْرَانِي مُسْتَفَادَةً مِنْ بَحْرِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ "الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ"، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَثَلًا فَيَاسًا فِي مُصَنَّفِهِ "الْقَوَاعِدِ الْكَشْفِيَّةِ"، يَسْرِفُ مِنْهَا الْفِكْرَ وَالْفِكْرَ وَالْفَقْرَ شَارِحًا وَمُسْتَدْرِكًا وَمُقْبِسًا.

وَالْحَقُّ أَنَّ إعْجَابَ الشَّعْرَانِي بِالشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ يَتَجَلَّى فِي مَظَاهِرٍ مُتَنَوِّعَةٍ أَوَّلُهَا:

الْأَحْذُ عَنْهُ، وَإِذَا كَانَ الشَّعْرَانِي، فِيمَا تَقَدَّمَ، قَدْ أَحْذَ عَنْ "الْفَتْوحَاتِ" فَإِنَّهُ فِي مَقَامَاتٍ أُخَرٍ اخْتَصَرَهَا، كَقَبْلِهِ فِي مُصَنَّفِهِ "لَوَاقِحُ الْأَنْوَارِ"، وَفِي مَقَامَاتٍ ثَلَاثَةٍ اخْتَصَرَهَا الْمُحْتَصَرُّ، كَصَنِيعِهِ فِي "الْكِبَرِيَّتِ الْأَصْرَ" فِي عُلُومِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ، وَفِي مَقَامَاتٍ أَرْبَعَةٍ سَطَّرَ الْكَلَامَ عَلَى عُلُومِهِ وَأَحْوَالِهِ فِي مُصَنَّفِهِ "نَبِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى قِطْرَةٍ مِنْ بَحْرِ الْأَوْلِيَاءِ"^(١).

وَالثَّانِي:

الْمُحَامَاةُ عَنْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، فَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ فِي "الْبَوَاقِيَتِ وَالْجَوَاهِرِ"^(٢)، وَ"الْقَوَاعِدِ الْكَشْفِيَّةِ"، فَقَدْ قَالَ فِي الْأَخِيرِ فِي مَعْرِضِ الْحَدِيثِ عَنْ "التَّائِيدِ فِي النَّارِ": "وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجَلِيلِيُّ فِي شَرْحِهِ لِبَابِ الْأَمْرَارِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ"، فَقَالَ: إِنَّكَ أَنْ تَنْظُرَ بِالشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ أَوْ غَيْرِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِإِخْرَاجِ الْكُفَّارِ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّ ذَلِكَ ظَنُّ

(١) انظر: الشعرائي، لوائح الأنوار، ٤٠٤/٢.

(٢) انظر: الشعرائي، البواقيت والجواهر، ٢٢/١.

فاسد،... خلاف ما أشاعوه عنه، وإن وُجد ذلك في "الفصوص" أو غيره فهو مَدْسُوسٌ عليه، دَسُّه بعضُ الملاحدة لِبُرُوجِ أمره بإضافته إلى الشيخ، واعتقاد الناس فيه، وفي غزارة عليه، أو لِيَتَغَيَّرَ الناسُ عن مُطالعة كلامه كما هو الغالبُ مِنَ الحَسَنَةِ، فإذا رأوا مُؤَلِّفاً لبعضِ أقرانهم مدحه الناسُ، وتلقَّوه بالقبول، ربَّما غلبهم الحسدُ، ودسُّوا فيه أموراً يُخالِفُ ظاهرَ الشريعة، فيَحْتَمِلُ أَنْ تُكُونَ هذه المواضع التي اتَّفَقَتْ على الشيخ مُحْيِي الدِّينِ في كتاب "الفتوحات" و"الفصوص" دَسُّها عليه بعضُ الحَسَنَةِ، فإِذَاكَ أَنْ تُضَيَّفَ إلى الشيخ مُحْيِي الدِّينِ -رضي الله عنه- ما يُخالِفُ ظاهرَ الشريعة؛ فإنه إمامُ المُحَقِّقِينَ^(١).

وثالثها:

وَسَمُّهُ في بابِ القولِ على ترجمته بألّه "الشيخُ العارفُ الكاملُ المُحَقِّقُ المُدَقِّقُ" أحدُ أكابرِ العارفينِ بِاللهِ سَيِّدِي مُحْيِي الدِّينِ بنُ العربيّ رضي الله تعالى عنه^(٢)، و"أَنَّ المُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ اللهِ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى جَلَالِهِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ، وَمَا أَلْكَرَ مَنْ أَلْكَرَ عَلَيْهِ إِلَّا لِدَقَّةِ كَلَامِهِ لَا غَيْرَ، فَاتَّكِرُوا عَلَى مَنْ لَا يُطَالِعُ كَلَامَهُ مِنْ غَيْرِ سُلُوكِ طَرِيقِ الرِّيَاضَةِ خَوْفاً مِنْ حَصُولِ شُبُهَةٍ فِي مُعْتَقَدِهِ يَمُوتُ عَلَيْهَا لَا يَهْتَدِي لِتَأْوِيلِهَا عَلَى مُرَادِ الشَّيْخِ"^(٣).

ورابعها:

استفناحُ الشعرائي بعضَ مُصَنَّفَاتِهِ بِمَثَلِ عَقِيدَةِ الشَّيْخِ الثَّيْنَةِ في مُقَدِّمَةِ "الفتوحات"، والمُبرِّكةُ له مِنْ سِوَةِ الْإِعْتِقَادِ، فَقَدْ أُنِيَ عَلَيْهَا في مُقَدِّمَةِ "القواعد الكَشْفِيَّة" موضوعُ التَّحْقِيقِ، و"اليَواقِيتُ والجَواهر"^(٤)، و"الأَنوارُ القُدْسِيَّة"^(٥)، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ دَعَا إِلَى حِفْظِهَا لِنَفَاسَتِهَا وَجَامِعِيَّتِهَا قَائِلاً: "فَأَمْنُنَا يَا أَحْيَى النَّظَرِ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ قَائِلُهَا عَظِيمَةٌ، وَإِنْ حَفِظْتُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ كَانَ أَوْكَى، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى هَذَاكَ"^(٦).

(١) سيرد هذا القول في التحقيق بعدد.

(٢) انظر: الشعرائي، لوائح الأنوار، ٤٠٣/٢.

(٣) انظر: الشعرائي، لوائح الأنوار، ٤٠٣/٢.

(٤) انظر: الشعرائي، اليَواقِيتُ والجَواهر، ١٨/١.

(٥) انظر: الشعرائي، الأنوار القُدْسِيَّة، ١٣.

(٦) انظر: الشعرائي، الأنوار القُدْسِيَّة، ١٧.

خامساً: زمنُ تصنيفِ الكتابِ ونسبتهُ:

أمّا زمنُ تصنيفِ هذا الكتابِ فهو جليٌّ مُعَيَّنٌ على وجهِ الأحكامِ دونَ الإهامِ، فقد ذُكرَ الشَّعرانيُّ ذلك في مُقدِّمةِ هذا الكتابِ المَنويِّ تحقُّقه، وهو سنةٌ إحدى وستينَ وتسعمائةً، وجاءَ ذلك في معرضِ الحديثِ عن تاليفه كتاباً "في الأحويةِ عن الأنبياءِ والمرسلينَ والصَّحابةِ والتابعينَ وتابعي التابعينَ إلى عصرنا هذا، وهو سنةٌ إحدى وستينَ وتسعمائةً"، وقد أشارَ إلى ذلك حاجي خليفة^(١).

أمّا نسبةُ هذا الكتابِ فقد أتى عليها حاجي خليفة في "كُشف الظنون"^(٢)، وإساعيل باشا في "هدية العارفين"^(٣)، وبروكلمان في "تاريخ الأدب العربي"^(٤)، والزركلي في "الأعلام"^(٥)، ولا يُنسى في هذا المقامُ النسبةُ التي أتتها النساخُ أوائلُ النسخِ وأواخرها.

سادساً: المُصطلحُ الصوفيُّ في هذا الكتاب:

ليس يخفى أنَّ للصوفيةَ مُصطلحاتٍ خاصَّةً انعقدَ عليها إجماعهم بالتواضعِ والتواثر، وقد غدا كثيرٌ منها مما يَكسِي بلبوسٍ معنويٍّ خاصٍّ حَمَالٍ لِدلالاتٍ تُغاريقُ أصلَ الوضعِ اللغويِّ، فبينما ما ضَيِّقتُ دلالاته فُخِّصتْ، ومنها ما وسَّعتْ فُعِّمتْ، ومنها ما تُجَوِّزُ به فانتقلتُ دلالاته من مضمارٍ إلى مضمارٍ، ومنها ما غدا رمزاً تنواري خِلقه دِلالاتٍ لا يَقِفُ عليها إلَّا أهلُ هذا الطَّرِيقِ أو أعلامه، وقد عَرَّجَ على هذا المُلحظِ بعضُ المُصنِّفينَ في هذا المبحثِ والمُتتبيينَ إليه، فآلفوا فيه، ومنهم القشيريُّ، وابنُ العربيِّ، والقاشانيُّ، وعليُّ بنُ وفا، والشَّعرانيُّ.

أمّا القشيريُّ فقد ذهبَ إلى أنَّ القومَ نَعِمَ ما فَعَلُوا مِنَ الرُّمُوزِ، فإنَّهم إنما فَعَلُوا

(١) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٦٠/٢.

(٢) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٣٦٠/٢.

(٣) انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٦٤١/٥، وفيه: "القواعد الكشفية الموضحات لمعاني الصفات الإلهية".

(٤) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٦٢/١٢.

(٥) انظر: الزركلي، الأعلام، ١٨١/٤.

ذلك غيرةً على طريق أهل الله - عز وجل - أن يظهر لغيرهم، فيتهموها على خلاف الصواب، فيضلوا في أنفسهم، ويضلوا غيرهم^(١)، فقد ألمح إلى أن لكل طائفة من العلماء ألفاظاً يستعملونها، وقد اتفردوا بها عن سواهم، كما توافوا عليها لأغراض لهم فيها من تقرب الله على المتحاطين بها، أو للوقوف على معانيها بإطلاقها، وهم يستعملون ألفاظاً فيما بينهم فصّلوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والتمسوا على من ياتهم في طريقهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرةً منهم على أسرارهم أن تشرح في غير أهلها^(٢).

أما القاشاني فقد التمس باعاً آخر أفضى به إلى صنع مصنف قائم برأيه في مصطلحات القوم، مُلتفتاً إلى مبدأ التواصل والتلقي؛ ذلك أنه رأى أن كثيراً من علماء الرسوم قد استعصى عليهم فهم ما تضمنته هذه الكتب من الكتب والأسرار، فأحب أن يشرح ما توافوا عليه القوم من الألفاظ والألقاب التي يعبرون بها عما يتداولونه بينهم من علومهم الإلهية، وما به يعمهم بعضهم عن بعض، كما جرت عليه عادة أهل كل فن^(٣).

وقد التفت الشعراوي، على نحو مُعجب، إلى دلالة المصطلح وزمزمته في علوم القوم، وإلى ما قد يقوم في نفس بعض من يكرر عليهم ذلك، مُشيراً إلى أن في إخفاء ذلك، وفي هذه الرمزية راحة ربية، وفتحاً لباب رمي الناس لهم بسوء العقيدة وحيث الطوعية، والجواب الذي ارتضاه أنهم إنما زمزموا ذلك وفقاً للخلفي ورحمة بهم، فما ذلك - كما يقرر الشعراوي - إلا لدلالة مداركهم حين صلت قلوبهم، وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام، ولا يجوز لأحد أن يعتقد أنهم يحقون كلامهم إلا لكونهم فيه على ضلال، فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارة التي دوت، وكان من حقها ألا تذكر إلا مشافهة، وألا توضع في الطروس، ولكن لما كان العلم يموت يموت أهله، دوتوا علمهم وزمزه^(٤).

لنرجع النظر في بعض المصطلحات الواردة في "القواعد الكشفية" لاستشراف

(١) انظر: الشعراوي، البوابة والجواهر، ٤٣.

(٢) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ٥٣.

(٣) انظر: القاشاني، لمآلف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، ٦.

(٤) انظر: الشعراوي، البوابة والجواهر، ٤٣.

التغير الدلالي، أو لنقل: لاستشراف الخصوصية الدلالية التي تغري الكلمة في سياق "النص" الصوفي عامة، و"النص الشعرائي" خاصة:

- "الحال": يتأين معناها بتأين المبحث الذي إليه تنسب، ففي مبحث

التحوي الوصف، الفضلة المنتصب للدلالة على هيئة^(١)، وفي مبحث التصوف ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول، وقيل: الحال تغير الأوصاف على العبد، فإذا استحكم وثبت فهو المقام^(٢)، فحاصل تسمية الحال حالاً إنما هو لتحوّله وزواله، والأمر بالضد في "المقام" إذ إنه قائم مستقر، ومثال الحال أن يبعث من باطن العبد داعية للمراقبة، أو المحاسبة، أو الإنابة، ثم تزول تلك الداعية لغلبة صفات النفس، ثم تعود بعد زوالها، ثم تعود بعد عودها، فما دامت تلك الصفة تعود ثم تزول بلا استقرار وثبات فإنه يقال: إن له حالاً، أو: حاله كذا، حتى تتداركه المعولة من ربه الكريم بتثبيت تلك الصفة، فتصير تلك الصفة وظناً له ومستقرّاً ومقاماً^(٣).

- "السكر": غيبة بوارد قوي مفرح يكون عنه ضحو^(٤)، وقيل المراد

بالغية عدم الإحساس، فمن غاب بوارد قوي سمي سكران، وقد يُفسر السكر بأنه حالة للنفس تزد عليها من عالم القدس تؤذي بها إلى ما هي يصدده من النظام المتعلق بعالم الأحاساس، فيوجب ذلك الاختلال في الحركات والسكنات^(٥)، وإجمال أن هذا المذكور يتفق من وجوه كثيرة مع الأصل العربي الذي ذكره ابن فارس في المقاييس، فالسكين والكاف والراء أصل يدل على الخيرة^(٦).

(١) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٥١٩/١.

(٢) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ٥٥-٥٦، وهي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٩/٣.

(٣) انظر: القاشاني، لطائف الإعلام، ١٨٠.

(٤) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ٧١، وهي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٧/٣.

(٥) انظر: القاشاني، لطائف الإعلام، ٢٥٣.

(٦) انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "سكر".

- "الرياضة": "فراءه والواو والضاد أصلان متقاربان يدل أحدهما على اشباع، والآخر على تليين وتسهيل"^(١)، وهي كذلك في مضمار تنص الصوفي؛ إذ إنها رياضة الأدب، والخروج عن طبع النفس^(٢)، وقيل هي تهذيب الأخلاق النفسية بمجاهدة النفس بترك مآلوفاتها، لتركوا عند إزالة الشغاس عنها بترك المآلوفات، ورفع العادات، ومخالفة المرادات، والأهواء المرديات، وقيل هي منع النفس من الالتفات إلى ما سوى الحق، وإجبارها على التوجه نحوه ليصير الانقطاع عما دونه، والإقبال عليه، ملكة لها^(٣)، والذي يظهر للمتدبر أن هذه الدلالة الحادثة ذات لُحمة بالدلالة الأصلية، وأنها اصطلاحية تكسب هذه الدلالة في سياقها الصوفي.
- "الأنس": جماع معنى هذا الأصل؛ أعني الحمرة والتون والسنين، ظهور الشيء^(٤)، والأنس "أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب"^(٥)، ولهذا قالوا: "كل مستأنسٍ صالح"، وقالوا: "أدى محل الأنس أنه إن طُرِح في لظى لم يتكدر عليه أنسه"، فلهذا لا يهتم صاحب هذا المنزل لئلا يلهو ولا يغم لحادثه، ولا يؤثر فيه سماع ما يكره، ولا رؤية ما يُلَئِم^(٦).
- "القطع": كلمة عليها رائحة رعونية ودعوى، وهي نادرة أن توجد من المحققين من أهل الشريعة^(٧).
- "الحرية": إقامة حقوق العبودية لله تعالى، وصاحبها حرّ عما سوى الله^(٨)، وقد ذهب القاشاني إلى أنها الخروج عن رُق الأغيار، وأن لها ثلاث مراتب، أولاهما: حرية العامة، وهي الخروج عن رُق أباغ الشهوات،

(١) انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "ووض".

(٢) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٦/٣.

(٣) انظر: القاشاني، لطائف الإعلام، ٢٣٧.

(٤) انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "انس".

(٥) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٨/٣، والقاشاني، لطائف الإعلام، ٩٠.

(٦) انظر: القاشاني، لطائف الإعلام، ٩١.

(٧) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٨/٣.

(٨) انظر: القشيري، فرسانة القشيرية، ٢١٨، ومحي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٥/٣.

وثانيها: حرية الخاصية، وهي الخروجُ عن رُقُ المُراداتِ لانتصارِهِم على ما يُربطُهُ الحقُّ بِهِم، وثالثها: حريةُ خاصيةِ الخاصيةِ، وهي خروجُهُم عن رُقِ الرسومِ والآثارِ لِإمحاءِ ظلمةِ كونِهِم في شَجَلِي نورِ الأنوارِ^(١).

- "الغيبية": وللغيبيةُ معنى لغويٌّ، وأحرانُ اصطلاحانِ يتَّسبانِ إلى مَحِثَيْنِ مُفَصَّلَيْنِ، فهي عندَ الشيعةِ غيبَةُ الإمامِ التي تَعَقِبُهَا رَجْعُهُ، وعندَ المُتصوِّفةِ غيبَةُ القلبِ عنْ عِلْمِ ما يَخْرُجُ مِنْ أحوالِ الخَلْقِ لِشغلِ الحسِّ بِما وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الحُضُورِ^(٢)، وقد بَصَلَ الأمرُ بِهِ إلى أَنْ يَغِيبَ عنْ إحساسِهِ فَضْلاً عنْ عِبرِهِ، والغيبَةُ لِإِزاءِ الحُضُورِ، والغيبُ لِإِزاءِ الشَّهادةِ، وقد تَكُونُ الغيبَةُ لولِدِ أَوْحِيهِ تَذَكُّرُ نَوَابِ، أَوْ تَفَكُّرُ عِقَابِ، والمُسْتَصْفى أَنْ الغيبَةُ إِذَا أُطْلِقَتْ إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا غيبَةُ النَفْسِ عنْ هَذَا العالَمِ، وحُضُورُهَا هُنَاكَ، وهذه الغيبَةُ التي يُحَمَّدُ حَالُهَا، بخِلَافِ ما هُوَ عَلَيْهِ الحالُ في الغيبَةِ عنْ حَضْرَةِ القُدْسِ بِالاستِغْثَالِ عَنْهَا بِعِلْمِ الحسِّ^(٣)، وهي المَقْصُومَةُ، والحقُّ أَنَّ مَعْنَى الغيبَةِ تَحِلُّ في الأصلِ الصَّحِيحِ الَّذِي لَمَّحَ إِلَيْهِ ابنُ قارِسٍ في مَقاييسِهِ؛ إِذْ يَدُلُّ على تَسَرُّعِ الشَّيْءِ عَنِ العِيُولِ^(٤)، وَلَكِنْ الَّذِي لَا يَخْفَى هُوَ رَمِيزَةُ دِلَالَةِ الغيبَةِ في مِضْمَارِ نَصِّ الصَّوْفِيِّ، واْتِرائُهَا بِمَدلولِ اصطلاحِيٍّ.

- "المُجَاهِدَةُ": حَمَلُ النَفْسِ على المَشَاقِ البَدَنِيَّةِ، وَمُخَالَفَةُ الهَوَى على كُلِّ حالٍ، وَلَكِنْ لَا يَحْتَمِكُنْ لِلسَّالِكِ مُخَالَفَةُ الهَوَى إِلَّا بَعْدَ الرِّيَاضَةِ^(٥).

- "المُخَيَّرَةُ": تُطْلَقُ في الطَّرِيقِ لِإِزاءِ ثَلَاثَةِ مَعَانٍ: غَيْرَةُ في الحَقِّ لِتَعَدِيِ الحَقِيقِ، وَغَيْرَةُ تُطْلَقُ لِإِزاءِ كِتْمَانِ الأسرارِ والسِّرَائِرِ، وَغَيْرَةُ الحَقِّ ضَبْطُهُ على أَوَّلِيائِهِ، وَهَمُ الضَّائِقِينَ أَصْحَابُ الِجَمِّ^(٦).

(١) انظر: القاشغري، لطائف الإعلام، ١٨٣.

(٢) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ٦٩، وعبي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٨/٣.

(٣) انظر ما قاله القاشغري في دلالة "الغيبية" ودرجاتها وأمثلتها، لطائف الإعلام، ٣٣٩.

(٤) انظر: ابن قاريس، المقاييس، مادة "غيب".

(٥) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ٩٧، وعبي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٦/٣، والقاشغري، لطائف الإعلام، ٣٨٦.

(٦) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ٢٥٤، وعبي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٦/٣.

- "الهمة": تُطلق بإزاء تجريد القلب للنسي، وإزاء صدق المرید^(١)، وتطلق بإزاء تعلق القلب بطلب الحق تعلقاً صرفاً خالصاً من رغبة في ثواب، أو رغبة من عقاب، ولذلك قيل: الهمة طلب الحق بالإعراض عما سواه من غير فتور ولا توان، ولها درجات عندهم، أولاها همة الإفاقة، وثانيها همة الأنفة، وثالثها همة أرباب الجمع العالية، وقد عدها القاشاني المنزلة العاشر من منازل قسم الأدوية التي تبعث السر على السير في منازل المحبة وربها^(٢).

- "الصحو": رجوع الإحساس بعد غيبة حصلت عن وارد قوي^(٣)، وهي درجات وأنواع عندهم، فتم صحو الجمع، وتم صحو المغيبي^(٤).

- "الوكلة": إفراط الوجد بمشاهدة السر^(٥).

لعل الخوض في هذه المباحث، أعني المصطلح الصوفي، يكثر إن تبعته، بل هو محتاج إلى مباحثة مخصوصة مستقلة يُقام لها كتاب يُستشرف فيه ملامح هذا المصطلح، وتعين دلالاته، وتلمس الغلائق بين المعاني المعجمية والرمزية، وصورة المستخلص مما تقدم أن هذا المخطوط مصدر أصيل لدراسة المصطلح الصوفي في سياقه النصي؛ ذلك أنه متردد بين وجهات دلالية متعددة كالدلالة الرمزية، والخصصية، والمجازية، والحقيقية. سائفاً: وصفاً للتسخ المخطوطة:

بعد التفتيش في دور المخطوطات المنشرة وجدت لهذا المصنف المئوي تحقيقه نسخاً عدتها ثمان، منها أربع في دار الكتب المصرية^(٦)، وواحدة في مكتبة الأزهر

(١) انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٩/٣.

(٢) انظر: القاشاني، لطائف الإعلام، ٤٥٣.

(٣) انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٨/٣.

(٤) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ٧١، والقاشاني، لطائف الإعلام، ٢٦٩.

(٥) انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٧/٣.

(٦) منها نسخة رقمها (٨٩٣)، وتاريخ نسخها (١٠١٠هـ)، وعدد ورقاتها (١٣٣)، وأخرى رقمها (تصوف-١٣٤)، وتاريخ نسخها (١٠٢٢هـ)، وعدد ورقاتها (١١٠)، وأخرى رقمها (تصوف-٢٢٤)، وتاريخ نسخها (١١٤٩هـ)، وعدد ورقاتها (٢٤٤)، وأخرى رقمها (تصوف-٥٢١)، وتاريخ نسخها (١١٩٣هـ)، وعدد ورقاتها (١٠٤).

الشريف^(١)، وواحدة في المكتبة الوطنية بباريس^(٢)، وواحدة في المكتبة البديرية في القدس الشريف^(٣)، وواحدة في دار إحياء التراث العربي في القدس الشريف^(٤)، وقد استنصفت حسن نسخ مما تقدم ليكون عماداً للتحقيق:

- أما أولها فنسخة عُدَّتْها أمّا، فقد نُسختْ بعد وفاة الشَّعْرَافِي بِسِتْ سنوات، أي سنة (٩٧٩هـ)، وهي نسخة سَقَطَتْ مِنْهَا بَعْضُ رِقَاقَاتٍ، مُوزَّعةٌ عَلَى ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَرَقَةً، فِي كُلِّ صَفْحَةٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ سَطْرًا، وَقَدْ اسْتَنْصَحْتُهَا مِنْ مُؤَسَّسَةِ إحياءِ التَّراثِ الإسلاميِّ فِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَهِيَ حَامِلَةٌ لِلرَّقْمِ (١/٣٤٧)، مُتَحَاجَةً إِلَى رُويَةٍ وَطُولِ نَهْصَرٍ فِي قِرَائَتِهَا، وَقَدْ ضَبَّطَ بَعْضُ كَلِمَاتِهَا، وَعَدَّدْتُهَا النِّسخَةَ الْأُمُّ الَّتِي أَنِيءُ إِلَيْهَا، وَالْمُحْتَكَمُ الَّذِي لَمَّا بُلِّغَ عَلَيْهِ النِّسخُ الْأُخْرَى، أَمَّا رَمُزُهَا فِي التَّحْقِيقِ فَكَانَ "٣". وَأَمَّا نَاسِخُهَا فَمُجْهَوِلٌ لَمْ يَرُدَّ لَهُ ذِكْرٌ وَلَا اسْمٌ، وَيَسُوْ أَمَّا لِنسخة مُرَاجَعَةٍ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْكِتَابَاتِ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَى أَطْرَافِ الْمَتْنِ وَخَوَاشِيهِ، وَقَدْ قَلَّهَا النَّاسِخُ بِقَوْلِهِ: "وَلَيْكُنْ ذَلِكَ آخِرَ كِتَابٍ" الْقَوَاعِدُ الْكَشْفِيَّةُ الْمَوْضِيحَةُ لِمَعَانِي الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْهَا يَوْمَ الْحَمِيسِ الْمُبَارِكِ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَسِعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

- أما ثَانِيَتُهَا فَهِيَ النِّسخَةُ الْمُصَوَّرَةُ عَنِ النِّسخَةِ الْمَخْطُوطَةِ الْمَحْفُوظَةِ بِدَارِ الْكِتَابِ الْقَوْمِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَرَقْمُهَا (١٣٤/تصوف)، وَتَقَعُ فِي مِائَةٍ وَخَمْسٍ عِشْرَةِ وَرَقَةً، فِي كُلِّ صَفْحَةٍ تِسْعَةٌ عَشَرَ سَطْرًا، أَمَّا تَارِيخُ نَسَخِهَا فَهُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنَ الْمُؤَلِّفِ؛ ذَلِكَ أَنَّهَا نُسختْ سَنَةَ (١٠٢٢هـ) عَلَى يَدِ شَرَفِ الدِّينِ الطَّوْحِي الشَّعْرَاوِيِّ. أَمَّا رَمُزُهَا فِي التَّحْقِيقِ فَكَانَ "د"، وَقَدْ

(١) رَقْمُهَا (٣٣٣٣٠١)، وَتَارِيخُ نَسَخِهَا (١٢٣٤هـ)، وَعَدَدُ وَرَقَاتِهَا (١١١).

(٢) رَقْمُهَا (٤٩٠٧)، وَتَارِيخُ نَسَخِهَا (١٠١٦هـ)، وَعَدَدُ وَرَقَاتِهَا (١١٠).

(٣) رَقْمُهَا (٢٤٣/٤٦هـ - أصول الدين)، وَتَارِيخُ نَسَخِهَا (١٢٢٧هـ)، وَعَدَدُ وَرَقَاتِهَا (١١٣).

(٤) رَقْمُهَا (١/٣٤٧)، وَتَارِيخُ نَسَخِهَا (٩٧٩هـ)، وَعَدَدُ وَرَقَاتِهَا (٦٨).

فَقَلَّهَا النَّاسُ بِقَوْلِهِ: "وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَافَقَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَةِ هَذِهِ النُّسخَةِ الْمُبَارَكَةِ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ مُحَرَّمِ الْحَرَامِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَالْفَ عَلَى يَدِ أَضْعَفِ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَحْوَجِهِمْ إِلَى مَغْفِرَتِهِ، شَرَفَ بْنِ الطَّوَيْحِيِّ الشُّعْرَاوِيِّ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَلِلْوَالِدَيْنِ، وَلِمَنْ سَلَفَهُ، وَلِمَنْ دَعَا لَهُمَا بِالمَغْفِرَةِ، وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى".

- أَمَّا النُّسخَةُ الثَّالِثَةُ فَهِيَ نُسْخَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَنِ النُّسخَةِ الْمَحْطُوطَةِ الْمَحْفُوظَةِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْقَوْمِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَرَقْمُهَا (٢٢٤/٢٢٤) / (نصوف)، وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ نَسْخِهَا سَنَةَ (١١٤٩هـ)، وَهِيَ نُسْخَةٌ أَيْقَنَ تَامَةً لَا نَقْصَ فِيهَا وَلَا آثَارَ لِلْأَرْضِيَّةِ، وَقَدْ أَشَارَ النَّاسُ فِي مُحْتَمِلِهَا إِلَى أَنَّهَا نُسْخَةٌ مُقَابَلَةٌ عَلَى حَسَبِ الطَّالِقِ، وَاللَّهُ الْمَوْثِقُ لِلصَّوَابِ". وَتَقَعُ هَذِهِ النُّسخَةُ فِي مَانَةِ وَاحِدَى وَعِشْرِينَ وَرَقَةً، فِي كُلِّ صَفْحَةٍ تِسْعَةٌ عَشَرَ سَطْرًا. أَمَّا نَاسِخُهَا فَلَمْ يَرَدْ لَهُ ذِكْرٌ. وَأَمَّا رَمَزُهَا فِي التَّحْقِيقِ فَكَانَ "ك"، وَقَدْ قَلَّهَا النَّاسُ بِقَوْلِهِ: "وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الصَّحْبَةِ الْمَرْضِيَّةِ، تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ نَقْلِ هَذِهِ النُّسخَةِ الْمُبَارَكَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ، تِسْعَةَ وَعِشْرُونَ يَوْمًا خَلَّتْ مِنْهُ احْتِمَامُ ١١٤٩، غَفَرَ اللَّهُ لِكِتَابِهَا وَلِلْوَالِدَيْنِ، وَمَنْ طَالَعَهَا آمِينَ".

- أَمَّا النُّسخَةُ الرَّابِعَةُ فَهِيَ مُصَوَّرَةٌ مِنَ النُّسخَةِ الْمَحْطُوطَةِ الْمَحْفُوظَةِ فِي الْمَكْتَبَةِ الْبَيْدَرِيَّةِ فِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَرَقْمُهَا (٢٤٣/٤٦) هـ- - أَصُولُ الدِّينِ، وَعَدَدُ وَرَقَاتِهَا مِائَةٌ وَثَلَاثَ عَشْرَةٍ، فِي كُلِّ صَفْحَةٍ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ سَطْرًا، وَهِيَ نُسْخَةٌ أَيْقَنَ مُرْتَبَةً، جَلِيلَةٌ الْخَطِّ خَمِيلَةٌ، وَلَكِنْ فِيهَا سَقَطًا جَلِيًّا نَفَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَالْمَخِ إِلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَقَدْ كَتَبَ النَّاسُ آخِرَهَا: "وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَتِهَا فِي سَلَخِ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ وَالْفَ مِنْ الْمَجَرَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلِ الصَّلَاةِ

والسلام من ربّ البرية، على يدِ أحقرِ المساكين، عمر باب الدين، غير له ولوالديه والمسلمين، آمين". أمّا رمزها في التحقيق فكان "ب".

- أمّا الخامسة فهي مُصَوَّرَةٌ من النسخة المخطوطة المحفوظة في مكتبة الأزهر الشريف، ورقمها (التصوف-٣٣٣٣٠١)، وعددُ ورقاتها مائة وإحدى عشرة ورقة، في كلِّ صفحة واحدٌ وعشرون سطرًا، وهي نسخة أيقنة مهندبة مُرتبة كُتبت رؤوسُ فقراتها باللون الأحمر، وكذلك شأنُ السُّؤالات وكثير من مُفتتح الإجابات. أمّا ناسخها فمجهول لم يرد له اسم، وقد كُتب في مُحتصمها: "ولیکن ذلك أمرٌ كتاب القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية"، وصلى الله على سيدنا محمدٍ خير البرية، وعلى أصحابه الصّحية المرضية تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وكان الفراغ من نقلها ١٧ شهر شوال ١٢٣٤ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، آمين". وقد اشغلتُ لها الحرف "ز" رمزًا دالًّا عليها في التحقيق:

ثامناً: سير التحقيق

- وقد اعتمدتُ على النسخ الخمس في التحقيق جانبًا - وقد تقدّم بيان عن هذا أظنّ - إلى عددٍ نسعة دار إحياء التراث الإسلامي نسخة أمّا، وقد عرّضتُ عليها النسخ "د"، و"ك"، و"ب"، و"ز"، فاثبتُ في الحاشية ما ورّد عليّ من فروق بين تلكم النسخ بعد المقابلة والتدبر، والحقّ أنّه لم يكن ثمّ فروق أو تباين ظاهر بين النسخ ما خلا السقط الظاهر في النسخين "ا" و"ب" وإذا ما توسّعتُ هذا السقط فإنّ حلّ الفروق المثبتة في حواشي الكتاب كان مما يتسبّب إلى تصحيح ناسخ، وتحرير آخر، وسقوط كلمة، وإضافة أخرى، وتقديم كلمة، وتأخير أخرى، وإصلاح العبارة إصلاحًا يتساقط مع سياقها العام، وبذا تكون هذه النسخ قد تأنّست لتقرب في صورتها المحققة من نسخة الشعراني الأصلية.

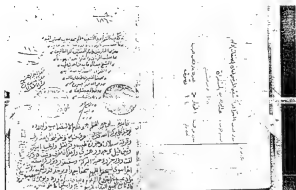
- وقد استفتحتُ التحقيق بترجمة للمؤلف، وحديث مُقتضب عن حياته، وعلمه، وتأليفه، وشيوخه، ووفاته، وأقوال المستشرقين فيه، والدس عليه.

- وقد أثبت في مقدمة التحقيق على بيان خالص في شكل الكتاب ومضمونه ومنهجه وأسلوبه، وقد عرّجت كذلك على اللحمة الوثقى بين مادة هذا الكتاب ومادة "الفتوحات المكية".
- وقد قام منهجي في تحقيق هذه الرسالة على ردّ الأقوال في الغالب إلى أهلها، والعود إلى مطلقها وتوثيقها توثيقاً تاماً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، كمعارات الشيخ محيي الدين وأبي طاهر القزويني وغيرهما، والحق أنني صرفت وكثدي نحو هذا المطلب ما استطعت، فقد عرّجت أقوال الشيخ محيي الدين التي يتألف منها شطر كبير من هذا الكتاب، وقد أشرت في مواضع إلى أن الصواب ورودها في الباب القلاني لا كما ذكره الشعراني، ومثال ذلك قوله عمن كلام لمحيي الدين إنه جاء في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة من "الفتوحات"، والحق أنه جاء في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة، وكذلك لسراة الشعراني عبارة ونسبها إلى علي المرتضى، وهي ليست له البتة، بل هي لمحيي الدين في "الفتوحات المكية"، وغير ذلك مما أثبت في خواشي التحقيق.
- وقام التحقيق كذلك على تحريج الشواهد ومواضع التمثيل كالأيات الكريمات، والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار، والأمثال ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.
- وقد فمت بالترجمة للأعلام الذين وردّ لهم ذكر في المخطوط، والحق أنهم كثروا، ذلك أن الشعراني كان يناقش المسألة الواحدة مستفيداً أنظار بعض من وردوا عليها، ومن هنا ظهر في هذا المخطوط مجموعة من الأعلام التي كان لا بد من الترجمة لها.
- وقام التحقيق كذلك على ضبط النص والعبارة ضبطاً يرفع الملبس ويحلّي المشكل.
- وقد وضعت حوانات للمباحث الفرعية التي ثرّكت غفلاً من أي تقديم، أو عنوان يلغها، بين قوسين معقوفين دلالة على أن ما بينهما من إضافة المحقق بياناً ورجلية.

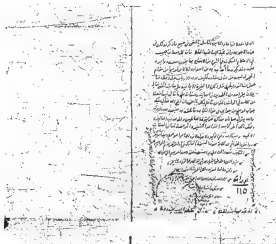
- وقد تكلّمتُ في حواشي التحقيق على بعض الألفاظ الغريبة وشرحها، وكذلك شرحتُ بعضُ المُبهم من العبارات، وطوّلتُ في المُختصر غير المُتّال.
 - وقد ذُهِلتُ السّننُ المُحقّق بفهرسٍ جامعٍ يَشتمِلُ على الآياتِ القرآنيّة، والأحاديثِ النبويّة، والأشعار، والأعلام.
- تاسعاً: صورٌ من النسخِ المخطوطة:



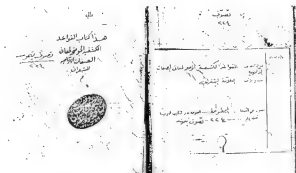
الصفحة الأخيرة من النسخة أ



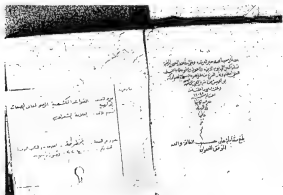
الورقة الأولى من النسخة د



الورقة الأخيرة من النسخة د



عنوان المخطوط من النسخة ك



الورقة الأخيرة من النسخة ك

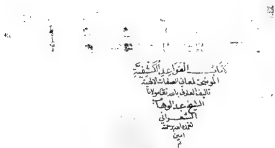
وهذا عرجدا على العلماء فنقلنا عن أحاد الناس قائلين
 في جميع ما ذكرته لك في هذه الأجوبة ه ه ه
 وان تجد غيبا فسد الخلاله فان كل عبد انما يجب في
 الاحكام المسكوت في الشرع عن الافصاح بها بقدر وسعه
 ودائرة علمه وقد يكون ما اجاب به هذا من الاكام
 قريبا من مقام الجهول لبعده عن ذوق مقامه فكيف
 يرب الارباب جل وعلا وما حملني على التورط في مثل
 ذلك الا الغيرة الايمانية على جانب الحق تعالى من ان
 يقر احد من المحدثين في اسمائه وصفاته على ما قاله فلان
 فنقلنا عن كلامه على الذات المتقدس فاعلم ذلك يا اخي
 وان فتح الله تعالى عليك بجواب او فتح من جوابي في
 هذا الكتاب فالحمد لله بصحة الله ورسوله والله
 يتولى هدايا وهداك وهو يتولى العالمين والمؤمنين
 رب العالمين وليكن ذلك اخر كتاب القواعد الكشفية
 الموضحة لمعاني الصفات الالهية وصلى
 الله على سيدنا محمد خير البرية وعلى

اله واصحابه الصالحة الموصية

و يسلم على كل خير الى الابد

وكان الغرض من نقلنا هذه الكتب هو
 من الخيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
 في هذه القواعد

الصفحة الأخيرة من النسخة ز



عن ذوق مقامه فكيف يوب الارباب جل وعلا وما حملني علي
التوريط في مثل هذه الايامية على جناب الحق تعالى من
ان يعقد احد من المحدثين في اسمائه وصفاته علي ما قاله
فيها فضلا عن كلامه في الذات المقدس فاعلم ذلك يا اخي وان
فتح الله تعالى عليك بجواب اوضح من جوابي في هذا الكتاب
فالحق به نصيحة لله ورسوله والله يتولي هذا ما وهذا
وهو يتولي الصالحين والكره لله رب العالمين وليكن ذلك آخر
كتاب القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الالهية
والله سبحانه وتعالى اعلم

وكان الغرض من كتابها في سلخ رجب الفرد
من شهر ربيع الثاني تسع وعشرين
وما بين ربيع الثاني
على صاحبها افضل الصلاة
والسلام من رب
البرية
البرية

الصفحة الأخيرة من النسخة ب

الكتاب محققاً

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه توكلت^(١)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين^(٢)، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله إلى جميع المكلفين، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد^(٣) وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، صلاة وسلاماً دائماً أبدياً آمين، ودهر الداهرين، آمين آمين آمين.

وبعد، فقد كان سبق مني تأليف كتاب عظيم في الأجوبة عن الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعي التابعين^(٤) إلى عصرنا هذا، وهو سنة إحدى وستين وتسعمائة، فما تركت من شيء^(٥) بلغني أنه نقل عن الأنبياء ومن بعدهم لا يقبل التأويل عند بعض العلماء إلا وأجبت عنه، وقرأت بحضرة أهل العلم مرات^(٦) واستحسنوه، وهو في مجلدين ضخمين، وهذا كتاب ذكرت فيه الأجوبة عن صفات الحق حلّ وعلا، ورد ما يوقفه الملحدون وضعفاء الحال في العلم بحسب مقام غيرة على جناب الحق - حلّ وعلا - أن يوقه أحد فيه ما لا يليق بجنابه تعالى، وقد أطلعت عليه بعض العلماء الأكابر، فاستحسنه، وقال: كتاب^(٧) حقه أن يكتب نور الأحاديق، انتهى.

وهو صادق فيما قال، فإن جسع ما فيه إنما منزعه الكشف الصحيح المؤيد بالآيات والأخبار وقواعد المتكلمين، وقد^(٨) سبته بالقواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية، نفع الله به المسلمين، آمين^(٩).

(١) "د"، "ك": "وبه الإعانة"، "ب"، "ز": "وبه تقني".

(٢) "ب": "الملك" ساقطة.

(٣) "د"، "ك"، "ز": "عليه وعلى...".

(٤) "د"، "ك"، "ز": "وتابعي التابعين" ساقطة.

(٥) "د"، "ك": "فما تركت شيئاً"، "ب": "فما تركت فيه شيئاً".

(٦) العبارة في "د"، "ك"، "ز": "بحضرة طلبة العلم"، وفي "ب": "بحضرة أهل العلم واستحسنوه".

(٧) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "هذا كتاب"، وكلمة "قال" ساقطة.

(٨) "ب": "وسيته".

(٩) "ك"، "ز": "آمين" ساقطة.

[شُرُوطٌ مَنْ يَتَصَدَّرُ لِلْجَوَابِ عَنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ]

وقد حُتِبَ لي يا أحمي أَنْ أَيْبِنَ لَكَ^(١) لُبْدَةً في شُرُوطٍ مَنْ يَتَصَدَّرُ لِلْجَوَابِ عَنِ
الْأُمُورِ الَّتِي يَتَوَهَّمُهَا الْمُلْحَدُونَ وَالْعَوَامُّ فِي جَنَابِ الْحَقِّ جَلٍّ وَعَلَا، فَأَقُولُ وبِاللهِ التَّوْفِيقُ:
اعْلَمْ يا أحمي أَنَّ مِنْ جَمَلَةِ شُرُوطٍ مَنْ يَتَصَدَّرُ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُلْحَدِينَ فِي آيَاتِ
الصِّفَاتِ أَنْ يَكُونَ مُتَبَحِّرًا فِي جَمِيعِ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ^(٢) الْمُطَهَّرَةِ مِنْ تَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ وَفَقْهِ
وَأَصُولٍ وَنَحْوٍ وَبَيَانٍ وَمَعَانٍ^(٣) وَلُغَةٍ، عَالِمًا بِالْخِلَافِ الْعَالِي وَالْقَاضِي، وَبِمَا عَلَيْهِ جَمْعُ أَهْلِ
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ عَالِفِهِمْ، مُطَهِّرًا مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بَحِثٌ لَا
يَكُونُ فِي سِرِّيَّتِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ لِيَصِحَّ لَهُ الْجَوَابُ عَنْ جَنَابِ صِفَاتِ
الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَدْخُلَ حَضْرَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٤)، وَيَعْرِفَ آدَابَ أَهْلِهَا مَعَ اللهِ -تَعَالَى-^(٥)
وَصِفَاتِهِ، فَلَا يُضَيِّفُ إِلَى جَنَابِ^(٦) الْحَقِّ -جَلٍّ وَعَلَا-^(٧) شَيْئًا لَا يُضَيِّقُهُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْحَضْرَةِ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ^(٨) شَيْءٌ يَكْرَهُهُ اللهُ تَعَالَى، أَوْ لَمْ
يَتَبَحَّرْ فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَاللُّغَةِ، أَوْ كَانَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ مَجَازَاتِ الْعَرَبِ وَاسْتِعَارَاتِهَا، فَلَا
يَصِحُّ لَهُ مَقَامُ الْعُلَمَاءِ بِاللهِ، وَلَا مَقَامُ الْجَوَابِ عَنْ أَهْلِ حَضْرَتِهِ لِعَدَمِ دَخُولِهِ لَهَا.
وَكَانَ سَيِّدِي عَلِيُّ الْخَوَاصِّ -رَحِمَهُ اللهُ- يَقُولُ^(٩): مَنْ لَمْ يَدْخُلِ الْحَضْرَةَ فَلَا يَصِحُّ

(١) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "حُتِبَ لِي أَنْ أَيْبِنَ لَكَ يَا أحمي".

(٢) "ب": "العلوم الشرعية". (٣) "د"، "ك"، "ز": "ومعاني وبيان".

(٤) "ك"، "ز": "تعالى". (٥) "د"، "ك": "عز وجل".

(٦) "د"، "ك": "جانب". (٧) "ك"، "ز": "تعالى".

(٨) "د"، "ك"، "ز": "سريته".

(٩) هو الشيخ علي الخوفاص الرئسي، أمي لا يقرأ ولا يكتب، يتكلم على معارف القرآن العظيم
والسنة الشريفة كلاماً تقياً تحير فيه العلماء، وكان، كما يصفه المناوي، من أكابر الاختصاص،
كان في ابتداء عمره ثلوثاً يبيع "الخُمَيْر" (وهو شر يشبه النبيذ) عند الشيخ إبراهيم المشولي، ثم أذن
لـه أَنْ يفتتح دكان زيات، فمكث بها نحو أربعين سنة، ثم ترك وحار يضفر الخوص حتى مات
سنة (٩٣٩هـ)، وقبل سنة (٩٦١هـ)، ولعل الأول أرجح، وكان يُسَمَّى النِّسَاءَ، لكونه يعرف
أنساب بني آدم وجميع الحيوانات، وكان يزجر من يريد تقبيل يده، قائلاً: إنما يليق بأرباب
المناصب، أما الفقير فباللحق به الذل حتى يتجاوز الصراط، ويدخل الجنة، وقد قال الشعراني إنه
شمسبه السذي أعدده، من كلامه: سبب تحريك الإنسان رأسه حال الذكر والبلاوة أن الروح

له الجواب عن أهلها^(١)، بل ربما كان جوابه عنه كالجواب له، قال: وأمّهات آداب الحضرة الإلهية عندي عشرة آلاف أدب، وأما فروغها فلا تنحصر.

وسعدت سيدي علياً الخوئص -رحمه الله-^(٢) يقول: يحتاج من يريد الجواب عن الصفات إلى كشف تام بحيث يتكلّم بالأمور على ما هي عليه في نفسها لا يخالطه في ذلك فكر ولا إمعان نظير في كتب كلاماً جامعاً بين جميع ما قاله المتكلمون سلفاً وخلفاً بحيث يدعل حاصل معتد كلامهم كله في ذلك الجواب، ولا يُخالفه شيء من كلامهم، وسعدته -رضي الله تعالى عنه-^(٣) يقول: إذا كان من يُجيب عن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قل أن يوافق مقامهم على المطابقة، فكيف بمن يتكلّم على صفات الحق -جلّ وعلا- الذي لا يحيط الأكابر به^(٤) علماً.

وسعدت شيخنا شيخ الإسلام زكريا -رحمه الله- يقول^(٥): يجب على العالم بالله

تشاق إلى التسرب من حضرة ربه إذا سمعت اسمه أو كلامه، فتكاد تلحق بعالمها السماوي. وكذلك النفس إذا مدحت تسبحت، وإذا ذمت نظفت. وكذلك الرزق في طلب المرزوق دأب، والمرزوق في طلب رزقه حائر، ويسكون أحدهما يتحرك الآخر، انظر ترجمته: الشرحي، الطبقات الكبرى، ٧٥٨/٢، والغزي، الكواكب السائرة، ٢١٨/٢، والمنوي، الكواكب الدرية، ٤١٧/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٣٣/٨، والنسباني، جامع كرامات الأولياء، ٣٣٧/١، وبركلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٥٥/١٢.

(١) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "عن أحد من أهلها".

(٢) "د"، "ك"، "ز": المرصفي، "ب"، "ز": "رحمه الله تعالى".

(٣) "د"، "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٤) "ك": "به الأكابر".

(٥) "د"، "ك"، "ز": "رحمه الله تعالى"، وهو أبو يحيى شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي، ولد بشرقية مصر، سنة (٨٢٣هـ)، وتحول إلى القاهرة سنة (٨٤١هـ)، فظن بالجامع الأزهر، درس الفقه والأصول والمعاني والبيان والتصوف، كان يميل إلى الصوفية، ويذب عنهم، لا سيما ابن العربي وابن الفارض، وهو ممن كتب في نصرتهما، وحرم بولاستهما، ولله السلطان قايتباي المركسي قضاء القضاء، فقبله، فلما رأى من السلطان علولا عن الحق زجره ونهاه، فعزله، فعاد إلى الاشتغال بالعلم إلى أن توفي، له مصنفات كثيرة في الفقه والأصول والقرائات والنحو والتصوف وغير ذلك، من لطيف كلامه: إذا ملّ العبد من العبادة حنت نفسه إلى قراق حضرة ربه، فصارت واقفة بين يديه بجسمها دون روحها، أو قلبها، أو سرها، على اختلاف المقامات، فهي إلى الإثم أقرب. عثر الشيخ زكريا نحو مائة سنة حتى

-عز وجل- إذا أجاب المُلحدون في جانب الصفات، وردّ أقوالهم، أن يستشعر الحجل من الحق جلّ وعلا، ويقول في نفسه: والله، لولا القِترَةُ على جانب الحق -جلّ وعلا- من الخوض في صفاته^(١) بغير علم ما جورنا لأمثالنا أن يجيب عن ذلك؛ وكان أحي أفضل الذين -رحمه الله تعالى-^(٢) إذا سَمِعَ أحداً يخوض في آيات الصفات وأخبارها بغير علم يقول: دستور يا الله أن أجيب هذا المُلحد في صفاتك بقدر وسعي، وكان يقول: يجيب على كل عارف أن ينهي لغوائه عن الخوض في معاني آيات الصفات لجبيلهم بمعانيها، وهذا الشيء واجب ما لم يصل أحدُهم إلى مقام الكشف الصحيح.

[مَفْهُومُ التَّقْدِيرِ وَالتَّذْيِيرِ]

وكان سيدي علي الخواص -رحمه الله- يقول: كُنْ مع ربك في حال^(٣) وجودك كما كنت معه في حال عدمك، فإن جميع الأمور التي تقع في عالم الدنيا وعالم الآخرة بِسَمِّ قَسَمَت، وموت أُخْرِيت، كيف تُجْتَلَب^(٤) بحركات، أو ثَمالِ بِسَعَايات؟ ومع ذلك فَقَدْ غَيَّب -سبحانه وتعالى-^(٥) عَنَّا الْمَقَادِيرَ، ومَكْنَنًا مِنَ الْفَعْلِ وَالتَّرَكِّ دَعَا لِلْمَعَاذِيرِ، وَغَلَّقَ الْبَابَ عَلَى الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وجَعَلَهَا سَبِيلًا لِلْجَزَاءِ الْأَعْرُويِّ، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦)، وقال في أهل الجنة^(٧): ﴿جَزَاءُ

انقضى جميع أقرانه، وصار كل من في مصر من أتباعه، أو أتباع أتباعه، كلف بصره، وتوفي سنة (٩٢٦هـ)، انظر: ترجمته: الغزي، الكواكب السائرة، ١/١٩٨، والشعري، فوائح الأوزار، ٢/٦٨٨، والسنائي، الكواكب اللوينة، ٣/٣٦٩، وابن العماد، شذرات الذهب، ٨/١٣٤٤، وازركلي، الأعلام، ٣/٤٦٩، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ١/٧٣٣.

(١) "ك"، "ز": "صفاته تعالى".

(٢) "د"، "ك"، "ز": "رحمه الله"، وهو أخو الشعرائي، وكان ينعت به -سيدي الشيخ-، و"سعي الشيخ"، وقد ورد له ذكر كثير في مصنفات الشعرائي، كالمنن الكبرى، ٦٣، ٢٧٨، ٢٩١،

٤٣٦، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٧٥.

(٣) "أ"، "ب"، "في" ساقطة، والعبارة فيها: "مع ربك حال".

(٤) "د": "تجلب". (٥) "د": "سبحانه" ليست فيها.

(٦) (الباقية، الآية ٢٢).

(٧) "د"، "ب"، "ز": العبارة: "وقال تعالى في...".

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١)، وقال في أهل النار: ﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢)، وقال كما في بعض طرق الحديث القدسي^(٣): "إنما هي أعمالكم أردوها عليكم"^(٤)، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلمن إلا نفسه"^(٥)، وإن لم يكن ذلك من الحق - تعالى -^(٦) حياً وتقريباً فهو ابتلاء وامتحان ليبين لعباده صدقهم في دعوهم الأدب منه، أو كذبهم فيه، فمن قال عن شيء من مقدورات الحق - تعالى - إنه ناقص، أو لو فعل الحق - تعالى -^(٧) بخلافه كان أولي، فهو كافر، وكأنه ادعى أنه أعلم وأحكم من^(٨) الله تعالى، ومن شئ غير ما أوجده الله^(٩)، فكأنه يقول: يا رب غير جميع ما سبق في علمك لأجل عقلي، وهو جهل وخطأ بإجماع جميع الملئ.

وسمعت سيدي علياً المرصفي - رحمه الله تعالى - يقول^(١٠): وظيفة العبد في هذه

(١) قوله: "وقال تعالى في أهل الجنة: جزاء بما كانوا يعملون"، ساقط من "ك".

(٢) (فصلت، الآية ٢٨).

(٣) "د": "وقال كما في..."، "ب": "كما في بعض طرق"، "ك": "ز": "وقال في الحديث...، وما أنته من "أ".

(٤) "د": "ترد"، وفي النسخ الأخرى: "أزدها".

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر (٢٥٧٧/٥٥)، شرح صحيح مسلم، ٣٦٨/١٥.

(٦) "ك"، "ب": "لم" ساقطة، وذلك يجعل العبارة والمعنى ركيكين.

(٧) "د"، "ك"، "ب": "من الله تعالى".

(٨) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٩) "ك"، "ب": "في"، وإدخاله تصحيفاً لا يستقيم به المعنى.

(١٠) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "الله تعالى".

(١١) "د"، "ك"، "ز": "رضي الله عنه". وهو نور الدين علي بن خليل، صوفي مصري شافعي، كان أبوه إسماعيلاً بسيط السعال، وفق للاجتماع بالشيخ مدين، تلقنه الذكر، وقد لخص الرسالة القشيرية، وتكلم على مشكلاتها، وقد قرأها عليه، بعد قراءتها على الشيخ زكريا الأنصاري، الشمراني، وقد سطر مؤلفاته تلميذه الشمراني في كثير من مصنفاته، ومن ذلك "الأنوار القدسية"، وقد قال: أربع مراتب تراحم الناس عليها بغير حق: تلقين الذكر، وإبليس الحرفة، وإرخاء العذبة، وإدخال الخلوة. من كلامه: السالك في طريق الذكر كالطائر اهبط إلى حضرات القرب، توفي سنة (٩٣٠هـ)، ودفن بزاوية بقلعة حسين بمصر. انظر ترجمته: الشمراني، لوائح الأنوار، ٢/ ٦٩٩، والفري، الكواكب السائرة، ٢٧٠/١، والمتاوي، الكواكب الدرية، ٤٠٢/٣، وابن العسلا، شذرات الذهب، ١٧٤/٨، والسفندادي، هدية العارفين، ٧٤٢/٥، والنبهاني، جامع كرامات

الذكر إنما هي^(١) الاشتغال بالعمل بما أمره^(٢) به ربه لا غير، ومن اشتغل بغير ذلك فقد ضيع عمره في الباطل^(٣)، ومن توقف عن العمل بشيء حتى يعلم ماذا أراد الله به فهو ضعيف الإيمان، وقد ورد في الصحيح مرفوعاً: "حُبَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيََتِ الصُّحُفُ"^(٤)، أي: مَضَتْ المقادير بما سَبَقَ به علمُ الله^(٥) في الأزل، فلا يُزَادُ فيه ولا ينقص.

[مَعْنَى حَدِيثِ "وَالشَّقِي مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"]

فإن قلت: فإذا الشقاوة والسعادة^(٦) لا أول لهما^(٧)؛ لأن العلم الإلهي لا أول له، وإذا كان لا أول للسعادة والشقاوة، فما معنى حديث: "والشقي من شقي في بطن أمه"^(٨)؟ فالجواب معناه: مَنْ سَبَقَتْ شقاوته على السؤال^(٩) عنه وهو في بطن أمه حين يُقال: أشقي أم سعيد؟ وهذا لا ينفي أن الشقي شقي الأزل، وإنما قال ذلك -صلى الله

الأولياء، ٣٣٣/٢، والزركلي، الأعلام، ٢٨٦/٤ وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٧-٨/٣٢٣، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٤٣٩/٢؛

(١) "د"، "ز"، "هو".

(٢) "ب": "أمر به".

(٣) "د": "في الباطل".

(٤) الحديث بضمه: "كنت حلف النبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يفعلوك بشيء لم يفعلوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف". أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٩٣/١، والترمذي في السنن، كتاب صفة القيامة، (٢٥٢٤).

(٥) "ك"، "ز"، "الله تعالى".

(٦) "د"، "ب"، "ز": "فإن السعادة والشقاوة"، "ك": "إن السعادة والشقاوة".

(٧) "ب": قوله: "لا أول لهما" ساقط.

(٨) ومن الحديث: "ألا إن ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما ليس آت، ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره". أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٧٦/٢ (مع تباين في الرواية)، ومسلم في الصحيح، كتاب القدر (٢٦٤٥/٣)، ٤٣١/١٦، وابن ماجه في السنن، (كتاب السنة، ٤٦)، ٣٤/١.

(٩) "د"، "ك"، "ز": "سبقت شقاوته عن السؤال....".

عليه وسلم - لأنه أول زمن اشتباه^(١) أمره لملائكة التحليقي فمن بعدهم، وإلا فلله - تعالى - أن يظهر على شقاوته أو سعادته قبل ذلك من شاء من عباده، كما نقل عن بعض العارفين أنه^(٢) كان يقول: لم أول أعرف تلاميذي، وأرتبهم في الأصلاب من يوم ذ أنشئت بزيككم^(٣)، ونقل أيضاً عن بعض الأولياء أنه كان يقوم لوليد سيدي إبراهيم المتبوي^(٤) كلما مر عليه، ثم تركه، فقيل له في ذلك، فقال: إنما كنت أقوم لولي كان في صلبه، وقد انتقل الآن إلى بطني ثم، انتهى.

وقال بعض أخصائي أيضاً: إن أول ما يظهر لملائكة التحليقي سعادة عبد أو شقاوته^(٥) من تكوينه في بطن أمه، فهناك يُطلع الله - تعالى - على ذلك الملائكة، أو من شاء الله^(٦) من الخواص، كما يُطلعهم على رزقه وأجله كذلك^(٧) وهو في بطن أمه^(٨)، ولا مرقى لأحد ممن ذكر في العلم بسعادة أحد وشقاوته قبل وجوده في بطن أمه؛ لأن ذلك من علم سر القدر^(٩) الذي انفرد الحق - تعالى - بعلمه دون خلقه إلا من ارتضى، ألا ترى

(١) "ك": "زمن" سابقة.

(٢) "ب": "من أمه".

(٣) (الأعراف: الآية ١٧٢).

(٤) هو برهان الدين إرفعيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبوي الأحديضي الصوفي، للعلامة فيه اعتقاد وغلو، كان ذا عقل راجح، ومعرفة تامة بالترية، وله شفاعة عند الأمراء والوزراء لا ترد، قدم من بلده "مسيول" إلى طنطا (طنطا)، وصار يبيع الحمص المسلوق، كان يرى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام، فيحير أمه التي هي من الصالحات ربات الأحوال، فتقول له: يا ولدي، إما الرجل من يجتمع به في البقعة، من كلامه: "الشريعة كالشجرة، والحقيقة كالثمره، فلا بد لكل من الأخرى، لكن لا يدرك ذلك إلا من تم سلوكه"، وكذلك: "من آداب العبد ألا يحاطب ربه إلا على أكمل حال من طهارة الظاهر والباطن، ولذلك فرض الأكابر السجادة في مصالحهم تعظيماً لحضرة الرب، والناس عن ذلك بمعزل"، توفي سنة (٨٧٧هـ). انظر ترجمته: السحابي، الضوء اللامع، ٨٥/١، والشعراني، لوائح الأنوار، ٦٠٨/٢، والمناري، الكواكب الدرية، ١١٩/٣، والزركللي، الأعلام، ٥٢/١، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٤٧/١.

(٥) "د": "شقاوته".

(٦) "د"، "ك"، "ب": "أو من شاء من الخواص".

(٧) "د": "على رزقهم وأجلهم"، وأصل ما ورد في السبع الأخرى هو التسلسل مع سياق الكلام.

(٨) "د": "وهم في بطون أمهاتهم".

(٩) "د": "في سر القدر"، "ك"، "ب": "في علم سر القدر".

ملأكة^(١) تحليق النطفة في الرحم كيف تستخرج ما عند الله -تعالى- من علم حال^(٢) تلك النطفة بقولهم^(٣): يا رب، فما الرزق، وما الأجل؟ وشقي هو^(٤) أو سعيد؟ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فيقضي الله ما شاء"^(٥)؛ أي: يظهر من قضائه ما شاء مما سبق به علمه وحكمه، وتعلقت به قدرته^(٦).

وكان الإمام أبو المظفر السمعاني -رضي الله عنه- يقول^(٧): سبيل معرفة هذا الباب التوقيف على ما ورد في الكتاب والسنة دون محضي القياس ومجرد العقول، ومن غدل عن التوقيف فقد ضل وتاه في بحار الخيرة به، ولم يصل إلى ما يطمئن به قلبه؛ لأنه -أي العلم الذي استأثر به^(٨) الله -تعالى- إنما هو من علم سر القدر الذي صربت دونه الأستار، فلا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فلا تصل^(٩) إليه عقول الخلق، ولا تبلغ^(١٠) إليه معارفهم، ومع ذلك فيجب على العبد التسليم لأحكام الله -تعالى-

(١) "د"، "ك"، "ب": "ألا ترى إلى ملائكة".

(٢) "ك"، "ب": "علم" ساقطة، ولا يستقيم المعنى بملأكة.

(٣) "أ": "يقولها"، وما آتته من النسخ الأخرى.

(٤) "ب"، "ز": "هو" ساقطة.

(٥) "ك"، "ز": "الله تعالى"، أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب القدر (٢/٢٦٤٥)، شرح صحيح مسلم، ٤٣١/١٦، ونسبه فيه: "إذا مر بالنطفة ثمان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها....، فيقضي رزق ما شاء"، وقد أخرجه الحكيم الترمذي، وبعه في "نوارد الأصول": "إن الملك الموكل بالأرحام يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه، ثم يقول: يا رب، علقه أو غير علقه؟ فإن قال: علقه، قال: يا رب؛ ما الرزق، ما الأثر، ما الأجل؟....". انظر: الحكيم الترمذي، نوارد الأصول، ٣٨٨/١.

(٦) "د"، "ك"، "ز": "إرادته".

(٧) هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني المفسر العالم بالحدیث، ولد في مرو سنة (٤٢٦هـ)، وكانت وفاته فيها سنة (٤٨٩هـ)، له مصنفات منها "تفسير السمعاتي"، و"الانتصار لأصحاب الحديث"، و"المناجح لأهل السنة". انظر ترجمته: ابن حلكان، وفيات الأعيان، ١٨٠/٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٤/١٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/٣٨٥، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٩٣/٣، والبغدادي، هدية العارفين، ٤٧٣/٦، وطرركلي، الأعلام، ٣٠٣/٧، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٩١٩/٣.

(٨) "د": "به" ساقطة، والعبارة في "ز": "استأثر الله تعالى به....".

(٩) "د": "يصل".

(١٠) "ز": "ولا تصل".

فيه^(١)، وعدمُ الاعتراض، وإقامة الحجَّة لنفسه.

[المُحَاجَّةُ بَيْنَ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]

فإنَّ قالَ قائلٌ: فكيف^(٢) قالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث مسلمٍ: "فحجَّ آدمُ موسى"^(٣)؛ برقع الميم من "آدم"، حينَ اجتمعَ هو وآدمُ في السَّمَاءِ^(٤)، وقالَ له: يا آدمُ، أنتَ أبُو البَشَرِ الَّذِي^(٥) خلقَكَ اللهُ بيده، وأسجدَ لكَ ملائكتُهُ، كيفَ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وأخرجتنا مِنَ الجنةِ؟ فقالَ آدمُ^(٦): وأنتَ يا موسى^(٧) الَّذِي اصطفَاكَ اللهُ بكلامِهِ، وَكُتِبَ لَكَ التَّوْرَةُ بيده، أَتُلَوِّمُنِي على أمرٍ قَدَرَهُ اللهُ -تعالى- عليّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، كيفَ سَأَغْ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٨) أَنْ يُعَيِّرَ عَن تَقْدِيرِ اللهِ الْقَدِيمِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً^(٩) مع سَعَةِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فالجوابُ أَنَّ مرادَ آدمَ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١٠) -أربعونَ فاكثراً، وَأَنَّ مرادَهُ بِالْأَرْبَعِينَ سَنَةً المَدَّةَ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا التَّقْدِيرُ^(١١) في اللَّوْحِ الْمُخَوِّظِ لَا فِي أَمٍّ

(١) "ب": قوله: "تعالى فيه" ساقط.

(٢) "ب": "كيف".

(٣) نص الحديث مع تبين قليل في الرواية: "احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا، حينئذ وأخرجتنا من الجنة بدينك، فقال له آدم، يا موسى: اصطفاك بكلامه، وعطى لك التوراة بيده، أتؤلمني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى ثلاثاً". أخرجه أحمد في المستدرك، ٢٨٧/٢، والبيهقي في الصحيح، كتاب القدر (الباب ٨٣٤/١٤٦٩)، ومالك في الموطأ، (كتاب القدر، ١)، ٧٠٣، ومسلم في الصحيح، كتاب القدر (السبب الثاني ٢٦٥٢/١٣)، شرح صحيح مسلم، ٤٣٩/١٦، وابن ماجه في السنن، المتقدمة، كتاب السنن (٨٠)، ٦٢/١، وأبو داود في السنن، كتاب السنن (٤٧٠٢)، ٥٣/٥، والترمذي في السنن، كتاب القدر (٢١٤١)، ٥٢/٤.

(٤) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "حين اجتمع موسى هو وآدم".

(٥) "د"، "ك": "الذي" ساقطة.

(٦) العبارة في "د"، "ك"، "ز": "فقال له".

(٧) "د"، "ك": "يا موسى، وأنت...".

(٨) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "عليه الصلاة والسلام".

(٩) قسوله: "كيف سأغ لآدم عليه الصلاة والسلام أن يعير من تقدير الله تعالى القديم بأربعين سنة" ساقط من "ب".

(١٠) "د"، "ك": "عليه السلام".

(١١) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "ظهر فيها للملائكة التقدير".

الكتاب^(١) الذي هو مكتون علم الله القليس، ويؤيد هذا ما ورد أن آدم -عليه الصلاة والسلام- قال: يا موسى، بكلم وجدت الله -تعالى- كتب التوراة قبل خلقي؟ فقال: بأربعين سنة.

فهذه الرواية مصرحة ببيان المراد بالتقدير، ولا يجوز أن يُراد به حقيقة علم القدر، فإن تقدير الله -تعالى-^(٢) لا أول له، وأما معنى قول نبينا -صلى الله عليه وسلم-: "فَحَجَّ آدم موسى" برفع الميم من آدم كما مر، فليس المراد به تشريع إقامة الحجّة لنا على ربنا^(٣) كما قد يوهّم لما ثبت من الكتاب والسنة من وجوب التوبة والتدبّر من كل ذنب، وعدم الاحتجاج على الله -تعالى- بآله قدر ذلك علينا قبل أن نُخلق، ومن هنا قالوا: تؤمن بالقدر، ولا تحتاج به، وقد فتح آدم -عليه الصلاة والسلام- هذا الباب^(٤) لذريته بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥)، فقام بأدب العبد مع ربه مع عليه عليه -الصلاة والسلام- بأن ما وقع فيه من الأكل من الشجرة كان بقضاء الله -تعالى- وقدر^(٦) لا مردّ له كما سيأتي ليضاحه في الباب الثاني^(٧) إن شاء الله -تعالى- في الكلام على الجواب عن السيد آدم -عليه الصلاة والسلام- في أكليه من الشجرة بعد النهي، فلمن أن أحدنا لو وقع في معصية، وقال: هذا أمر قدره الله عليّ لا أقدر على دفعه، فلا يجب عليه توبة منه، فهي^(٨) حجّة داحضة لا يخرج بها عن اللوم واستحقاق العقوبة وإن كان قوله هذا صدقاً، لأنه يجب علينا أن تؤمن بالقدر ولا نحتاج به.

وقد قلت مرة لشيوخنا شيخ الإسلام زكريّا -رحمه الله-: إن قوله -صلى الله عليه

(١) "ب": "أم" سائطة.

(٢) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "إن تقدير الله تعالى المتأخر...".

(٣) "ك"، "ز": "على ربنا سبحانه وتعالى".

(٤) قوله: "هذا الباب" سائط من "ب".

(٥) (الأعراف: الآية ٢٣).

(٦) "د"، "ب": "تعالى" ليست فيهما، "ز": "بقضاء وقدر"، "د"، "ب"، "ك": "وقدره"، ولعل ما ورد في "آ" هو الأتيق بسياق الكلام.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "في أول الباب الثاني".

(٨) "د"، "ك": "فيه".

وسَلَّمَ: "فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى" برفع الميم^(١)، يوهم^(٢) ما لا يخفى من إقامة عذر العبد عند ربه في جميع ما يقع فيه من المعاصي، فقال -رضي الله عنه-: هذا لا يكون إلا لو وقع هذا القول من آدم في دار التكليف؛ لأن من المعلوم أن وقوع هذه الحاجة ما كان إلا بعد موت آدم وموسى عليهما السلام^(٣)، وذلك لموضع ليس موضع تكليف حتى يصح اللوم الذي وقع من موسى لآدم عليهما الصلاة والسلام^(٤)، ولا لوم على موسى لأنه لا يجهل مثل ذلك، أما المعاصي منا الآن فإنه في دار التكليف، وجاز عليه أحكام المكلفين بخلاف آدم عليه الصلاة والسلام، فكان في وقوع اللوم على أحدينا والزجر له والعقوبة زجرًا لغيره من العصاة.

قال: ولكون المُحَاجَّةِ^(٥) المذكورة كانت في غير دار التكليف صح تسليم موسى لآدم، وعدم اعتراضه عليه لما احتج بالقدر^(٦)، ولذلك ورد مرفوعًا: "إذا ذكر القدر فأمسكوا"^(٧)، أي عن الاحتجاج به، انتهى.

وسعدت سيدي عليًا الخواص -رحمه الله- بقول في قوله: "فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى"، أي: غلب آدم موسى، بإقامة الحجة عليه من حيث إن آدم علم موسى الأدب^(٨) والتسليم مع الله -تعالى- في إقراره^(٩)، فكأنه يقول لموسى^(١٠): يا ولدي، انظر أولاً لمن^(١١)

(١) "ك": "رفع الميم" ساقطة.

(٢) "د"، "ك"، "ب": "يوم"، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى.

(٣) "ك"، "ز": قوله: "عليهما السلام" ليس فيهما.

(٤) "ب": "عليهما السلام".

(٥) "ك"، "ز": العبارة: "وما يزيد أن الحاجة...".

(٦) "د"، "ك"، "ز": "لما احتج عليه بالقدر".

(٧) الحديث بنصه: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا". أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٢٧)، والبيهقي في معجم الزوائد، كتاب القدر (١١٨٥١)، والسيوطي في الدر المنثور، ٣/٣٥٠، والجامع الصغير (٦١٥)، ١/٩٥.

(٨) "ك"، "ز": العبارة: "علم به ما قاله لموسى...".

(٩) "د": "وأقراره".

(١٠) "د"، "ك": "موسى عليه السلام".

(١١) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "إلى من".

ناصية العباد بيده وتصريفه^(١)، ثم انظر إلى كسب العيد^(٢)، وأقم العذر لهم في الأول باحثة دون الثاني، وذلك لما كان عليه موسى من شدة الغيرة لله - تعالى - إذا انتهكت حرمانه، فأراد آدم أن يخفف عنه بشهود تقدير الله^(٣) السابق، وإن من جملة كمال الوجود أن يكون فيه طائع وعاصي لتحكم حضرات الأسماء في أهلها بالعرف والذل والنصرة^(٤) والمخذلان وغير ذلك، فالكمال من أقر الوجود^(٥) أعلى ما هو عليه من حيث الحكمة الإلهية، وامثل ما أمر الله، وانتهى عما نهى الله.

قال^(٦): وفي بعض الكتب الإلهية^(٧) المنزلة: أنا الله لا إله إلا أنا، فثرت المقادير^(٨)، ودرت التدبير^(٩)، وأحكمت الصنع، فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني، ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني^(١٠)، انتهى.

وفي الحديث القدسي: يقول الله - عز وجل -: إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، ولو أغنيته لفسد حاله، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، ولو أفقرته لفسد حاله، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا البلاء، ولو صححت بدته لفسد حاله^(١١)،

(١) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "يهد نصريفه".

(٢) "ز": "العيد"، ولعل ما يأتي بعده لا يرجع هذا الوجه.

(٣) "ك"، "ز": "الله تعالى"، (٤) "ك"، "ب"، "والنصر".

(٥) "د"، "ك"، "ز": "من أقر بكمال الوجود".

(٦) "د": "قال ساقطة"، (٧) "ك": "الإلهية" ساقطة.

(٨) "د": "المقادير"، (٩) "د"، "ك"، "ب": "التدبير".

(١٠) ورد هذا القول في الإحياء على أنه حديث شريف للرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه: قدرت المقادير، ودرت التدبير، وأحكمت الصنع، فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني، ومن سخط فله السخط حتى يلقاني، انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣٣٥/٤.

(١١) "ب": هناك سقط في رواية الحديث، وهذا الحديث جزء من حديث طويل، أوله: "من أعان لي وليسيا فقد بارزني نارياً، وإنني لأغضب لأوليائي كما يغضب الثيت المحرد، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل ما تقترب عليه، وما زال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالوفاء حتى أحبه...، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح ليمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح ليمانه إلا الصفة، ولو أسلمته لأفسده ذلك...". أخرجه أحمد في المسند، ٢٥٦/٦ (الجزء الأول من الحديث فقط)، والحكيم الترمذي في نوار الأصول، ٤١/٢، والبيهقي في شرح السنة، ١٢٤٩/٥، وأقيمت في مجمع الزوائد، كتاب الزهد (١٧٩٥٠)، ٣٤٤/١٠، وكتاب الصلاة (٣٥٠)، ٤٢٧/٢، وجامع الأحاديث القدسية، ٢٨٢/٣.

انتهى. فإيالة يا أحمي والاعتراض على شيء من أفعال القدرة الإلهية إلا بطريق شرعي، فتفتح القبيح، وتحسن الحسن^(١) عند ذلك تبعاً للشرع^(٢)، وقد بلغنا أن بعض الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- ابتلاه الله -تعالى- بالفقر والجوع^(٣) والقمل عشر سنين لا يهتأ^(٤) يأكل ولا نوم^(٥)، فكان يشكو حاله^(٦) إلى الله -تعالى-^(٧) فلا يجيبه، فقال: يا رب: أما تنظر إلى ما أنا فيه من البلاء، فأوحى الله -عز وجل-^(٨): كم تشكو إلي حالك، هكذا كان بدء أمرك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق الدنيا، أريد أن أغير ما سبق في علمي من أجلك، أم تريد أن أبدل ما قدرْتُ عليك، فيكون ما تحب أنت^(٩) فوق ما أحب أنا، ويكون ما تريد فوق ما أريد، وعزّي وجلالي، لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأمتحننك من ديوان النبوة، انتهى.

[تفاوت الوجود في المقامات والذوات]

وسمعت سيدي علياً الخواص -رحمه الله- يقول: من كمال الوجود تفاوته في المقامات وفي الذوات^(١)، فبنته الرئيس والمرؤوس، ومنه العامي والعالم، والصالح والأصلح، والطاهر والأطهر، والتجس والأنجس^(٢)، وكل ذلك كامل من حيث بُروره من خزائن الجود والفضل كما أشار إليه الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- بقوله^(٣): "ليس

(١) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "ففتح القبيح، وبحسن الحسن".

(٢) "ب": "الشرع".

(٣) "د": "بالجوع والفقر".

(٤) "د"، "ك"، "ز": "فكان لا يهتأ"، "ب": العبارة: "فلا يهتأ".

(٥) "د": "نوم ولا أكل".

(٦) "د": "حاله" ساقطة.

(٧) "د": "الله عز وجل".

(٨) "د": "أوحى الله إليه"، "ك": "أوحى الله تعالى"، "ز": "فأوحى الله عز وجل إليه".

(٩) "ك"، "ز": "أنت" ساقطة.

(١٠) "ب": "أو الذوات".

(١١) "د": "ونحو ذلك".

(١٢) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، فيلسوف متصوف، له نحو مائتي مصنف، ولد بطوس بخراسان سنة (٤٥٠هـ)، شهد له الكثير والأقران، ناهيك بشهادة العارف أبي الحسن الشاذلي، وعبي الدين، تنقل كثيراً في أرض الله، فمن نيسابور إلى بغداد إلى الحجاز فبلاد الشام، أقام بسنارة الجامع الأموي نحو عشر سنين، وعاد إلى بغداد، ثم طوس، وروى أوفاته عسى تلاوة

في الإمكان أبدع مما كان؛ أي: لا يصح أن يرقى مخلوق عن الحالة التي سبق بها العلم الإلهي أبداً، فالتبني نبي في الأزلي، والولي ولي في الأزلي، والعاصي عاصي في الأزلي، والكافر كافر في الأزلي^(١)، والمنافق منافق في الأزلي، وهكذا، ومن قال: إنه يمكن أن يكون في الإمكان أبدع مما كان، يقال له: فهل هذا الإبداع مما كان تضمنه العلم الإلهي أم لا؟ فإن قال: مما^(٢) تضمنه العلم الإلهي، قلنا له: وهذا غير ما قلناه^(٣)، وإن قال: مما لم يتضمنه العلم الإلهي^(٤)، قلنا له: هذا محالٌ للزوم الجهل بالأمور^(٥) في جانب القدرة الإلهية، انتهى^(٦).

وسمعه رضي الله عنه- يقول أيضاً: قد عمَّ جود الحق -جلىً وغلا-^(٧) الوجود كله أعلامه وأسفله، فلم يخص بجموده وفضله أحداً دون أحد، فالملائكة يستمدون من جوده، والأنبياء يستمدون من جوده^(٨)، والأولياء يستمدون من جوده، والمؤمنون يستمدون من جوده، والعصاة يستمدون من جوده^(٩)، والكفار والمنافقون يستمدون من

القرآن ومجالسة أرباب القلوب، وإدانة الصيام والقيام حتى كان في جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ) توحشاً وصلي، وقال علي بالكفر، فأخذه وقيله، ووضع على عينيه، وقال: سعا وطاعة للدحول على المسلك، ثم سدّ رجليه واستقبل القبلة، فانتقل إلى رضوان الله. النظر: ترجمته: ابن الأثير، الكامل، ٤٩١/١٠، وابن حنبل، وفيات الأعيان، ٥٨/٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/٥٠١، وابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٥/١٢، والصفدي، الوافي بالوفيات، ٢١١/١، والجلي، الأنس الجليل، ٢٦٥/١، والمتنوي، الكواكب للبرية، ٢٩١/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ١٠/٤، والبيهقي، هدية العارفين، ٧٩/٦، والسيهتي، جامع كرامات الأولياء، ١٦٤/١، والزركللي، الأعلام، ٢٢/٧، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٦٧١/٣.

(١) "د": قوله: "والكافر كافر في الأزلي" ساقط.

(٢) "د": "مما" ساقط.

(٣) "د"، "ك"، "ب": "غير"، وهو تصحيف بقلب به المعنى.

(٤) "د": قوله: "قلنا له: وهذا غير ما قلناه، وإن قال: مما لم يتضمنه العلم الإلهي" ساقط.

(٥) "ك": "بالأمور" ساقط.

(٦) انتهى قول شيخه علي الخواص.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "سبحانه وتعالى".

(٨) "ك"، "ز": قوله: "والأنبياء يستمدون من جوده" ساقط.

(٩) "د": قوله: "والعصاة يستمدون من جوده" ساقط.

جوده، كما أشار إليه قوله -تعالى-: ﴿كُلًّا نُمِيتُ هَنَؤُلَاءِ وَهَنَؤُلَاءِ مِّنْ عَذَابٍ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَذَابُهُمْ فِيكَ تَحْطُورًا﴾ (١).

وسمعت سيدي علياً الخوإص^(٢) -رحمه الله- يقول: صدقة الحق -تعالى- عامة سابقة^(٣) على جميع عبادِه، فتارة تصدق من خزائنه بالجواهر مثلاً، وتارة بالذهب، وتارة بالفضة، وتارة بالفلوس، وأعلى ما تصدق به الحق -تعالى-^(٤) على عباده هو محمد صلى الله عليه وسلم، ثم سأل الأتبياء والأصفياء على اختلاف طبقاتهم، فالأنبياء مثالاً للجواهر النقية، والأولياء مثالاً للذهب، والمؤمنون مثالاً للفضة، والفلوس^(٥) مثال للعصاة حال عصيانهم، وهكذا^(٦)، فقد علمت أن جوده -تعالى-^(٧) مطلق بحسب ما سبق به العلم، وذلك لإتفائه وتصدقه على عباده بجميع ما قسمه لهم من الشحف التي في خزائنه.

فإن قلت: فما وجه صدقته علياً بالكفار؟ فالجواب: وجه ذلك ما نأخذُه من بعضهم من الجزية في الدنيا، وكون أحدنا يُعطي يوم القيامة كافرًا، ويقال له: هذا فداؤك يا مسلم من النار^(٨)، فاعلم ذلك، ولئلا أن يخطر في نفسك رائحة اعتراض على فعل القدرة الإلهية، وتقول: فلم لم يجعل الحق -تعالى- الخلق كلهم سعداء، ولم يُجرح المسلمين إلى فداء؟ فإنا نقول لك: إن هذا لم يسبق به العلم الإلهي، وما سبق إلا أن يكون الكافر فداءً لنا، فكان ذلك من كمال الوجود، فمن شئ غير ذلك فهو من أجل

(١) (الإسراء، الآية ٢٠).

(٢) "د"، "ك"، "ز": "المرصفي".

(٣) "ب": "عامة سابقة، ك"، "د": "سابقة"، وإعالة تصحيحاً.

(٤) "ك"، "ز": "الحق سبحانه وتعالى".

(٥) قوله: "الأولياء مثال للذهب، والمؤمنون مثال للفضة، والفلوس" ماقط من "ب".

(٦) "د"، "ك"، "ز": "هكذا" سابقة.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "جوده سبحانه وتعالى".

(٨) ورد حديث شريف في هذا المعنى، وهو قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "هذه أمة مرحومة عليها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة، دُفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار". وفي رواية الإمام أحمد: "إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن إلا أني يهودي أو نصراي حتى يدفع إليه، فيقال له: هذا فداؤك من النار". أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٤/٢٢٤، وابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، (٤٢٩٢)، ١٣/٤٠١٣.

الجاهلين بكمال صنع الله - تعالى - وتديبره، وكأنه يقول: يا رب، غير ما أبرزته، وأبرزه على كذا دون كذا لأجلي، فاعلم ذلك يا أحي، واعمل على جلاء قلبك من الضد والغيار حتى تصير ترى ما فعله الله - تعالى - أحسن مما تطلبه أنت^(١).

[شبهة الاعتراض على القدرة]

وكان الشيخ محيي الدين^(٢) - رحمه الله - يقول: "إنكم والاعتراض على شيء من أفعال القدرة الإلهية، فيخشى عليكم الكفر"، وسأني في عقيدته^(٣) أول الباب الآتي قوله - رضي الله عنه -: "اعلم أنه - تعالى - صنع العالم وأبدعه حين أوجده واعتزقه، فإن أنعم فتعم، فذلك فضله، وإن أهلك فعدب فذلك عدله، لم يتصرف في ملكه غيره حتى ينسب إلى الجور والخيف، ولا يوجه عليه لسواه حكم، فيتصف بالجزع كذلك^(٤) والخوف، كل ذلك وما سواه فهو تحت سلطان قهره، ومتصرف عن إرادته وأمره، لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله، أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منزلتين،

(١) "ب": "مما تطلب".

(٢) أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحائلي الطائي، الملقب بالشيخ الأكبر، من أئمة المتكلمين في كل علم، وقد وصفه المناوي بأنه "كان بموع الفضائل، مطبوع الكرم والشمائل، وحسبك بفسول زروق وغيره من الفحول، ذاكرين بعض فضله: هو أعرف بكل فن من أعله". يمكن أن يسبق عليه بأنه من مؤلوا الدنيا وشغلوا الناس، ولد بمدينة سنة (٥٦٠هـ)، ونشأ بها، ثم انتقل إلى إشبيلية، ثم ارتحل وطاف بالبلدان، وقد تفرق الناس في شأنه شعبا، وسلخوا في أمره طسرا، فحدث فتنة إلى أنه زنديق لا صديق، فأرسل دمه، وذهب قوم إلى أنه واسطة عقد الأولياء، وقد أودى ابن العربي كثيرا في حياته وبعد مماته، توفي سنة (٦٣٨هـ) بدمشق، ودفن بالصالحية، وقبره فيها ظاهر يزار، له نحو أربع مائة مصنف، انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣٧/١٣، والصدقي، الوافي بالوفيات، ١٢٤/٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٧/١٣، والشعراني، لوائح الأنوار، ٤٠٣/٢، والمناوي، الكواكب الدرية، ٥١٣/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ١٩٠/٥، والبغداد، هدية العارفين، ١١٤/٦، والشيباني، جامع كرامات الأولياء، ١/١٨٠، والزركلسي، الأعلام، ٢٨١/٦، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٧-٣٧٧، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٥٣١/٣، وعبد الله النليدي، المطرب، ١١٥.

(٣) "أ"، "ب": "سيرته"، وهو خطأ صوابه ما ورد في النسخ الأخرى.

(٤) "ك"، "ز": "لذلك".

نقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي^(١)، ولم يعترض عليه معترض هناك؛ إذ لا موجود كان ثم سواه، فالكُلُّ تحت تصرف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بآله، وقبضة تحت أسماء آله، لو أراد أن يكون العالم كله سعيكاً لكان، أو شقياً^(٢) كما كان في ذلك من شأن، لكنه سبحانه - لم يُرد ذلك، فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا، وفي يوم المَعَاد، فلا سبيل إلى تبدل ما حَكَمَ به القديم^(٣).

وقال - تعالى - في حديث فرض الصلاة: "هي خسر وهن خمسون"^(٤)، ما يُبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد^(٥)؛ لتصرفي في ملكي، وإنقاذ مشيقتي، وذلك لحقيقة عَمِيت عنها البصائر، ولم تُعثر عليها الأفكار والضمائر إلا بوهب الهي، وجود رحمتي، لمن اعتنى الله^(٦) به من عباده، وسبق له ذلك في حضرة [شهادته]، فَعَلِمَ حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم، وأنه من رقائقي القديم، فسبحان من لا فاعل سواه، ولا

(١) هذا جزء من حديث شامه "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلا هذه الآية "أصحاب البمين وأصحاب الشمال"، فقبض قبضتين، فقال: هذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي"، أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٣٩/٥، وفي رواية أخرى: "إن الله خلق آدم، وأخذ الخلق من ظهره، فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي"، وفي رواية أخرى: "إن الله خلق آدم، فمسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: هؤلاء للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره يده فاستخرج ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، ويعمل أهل النار يعملون". أخرجه أحمد في المسند، ٦٨/٥، وأبو داود في السنن، كتاب السنة، ١٦، والترمذي في السنن، كتاب التفسير، تفسير سورة ٢، والحكيم الترمذي في نوازل الأصول، ٢٣٩/٢، والسيوطي في الجامع الصغير (٣٩٣٢)، ٦٠٧/١، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب التوحيد والإيمان (٦٦)، ٩٢/١.

(٢) العبارة: "أو شقياً لكان لما كان في ذلك من شأن"، وهي ركيكة.

(٣) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٦٢/١.

(٤) "ب": "وهي خمسون".

(٥) جاء في الحديث: "...فراجعت ري، فقال: هي خسر وهي خمسون، لا يبدل القول لدي". أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصلاة، الباب (٢٤٢)، الحديث (٣٣٦)، ٢١٦/١، وأحمد في المسند، ١٤٤/٥، وابن ماجه في السنن، كتاب الإقامة، الباب (٢٣٣/١٩٤)، ١٦٧/٢، والنسائي في السنن، كتاب فرض الصلاة (١)، ٤٤٨/١، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب الصلاة (٩٤)، ١١٨/١.

(٦) "ك"، "ب"، "ز": "الله تعالى".

موجود بذاته إلا إياه، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١)، ﴿وَلَا يَسْتَلْ غَآءَ يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ﴾ (٢)، ﴿فَلَيْلَةَ الْحُجَّةِ الْبَلِيَّةِ فَلَمَّا نَسَاءَ لَهَدْنَكُمْ أَخْيَعِينَ﴾ (٣).

فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا شيء من جميع المتضادات والمختلفات والمضائل إلا وهو مُرَادٌ للحق (٤)، تعلقت إرادته في الأزلي بإيجاده، لو اجتمع الخلق كلهم على أن يُريدوا شيئاً لم يُرد الله -تعالى- (٥) إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا لعدم إقداره -تعالى- لهم عليه، فالكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، من مشيئته وحكيمه وإرادته.

ولم يزل -سبحانه وتعالى- موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً، والعالم معدوم، ثم أوجد العالم من غير تفكير ولا تدبير عن جهل، فبعظية التدبير والتفكير علم ما جهل، حل وعلا عن ذلك، بل أوجده عن العلم السابق، وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان، ومكان، وأكوان، وألوان، فلا مُريد في الوجود على الحقيقة سواه؛ إذ هو القائل (٦): ﴿وَمَا نَسَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٧)، وأطال الشيخ في ذلك في "الفتوحات المكية" (٨)، فراجعه.

وسمعتُ سيدي علياً الخواص -رحمه الله- (٩) يقول: من سوء الأدب مع الله تعالى: -إضافة الصفات التي وُصف بها نفسه إليه -تعالى- على حد ما يعقله الناس، أو

(١) (الصفات، الآية ٩٦).

(٢) (الأنبياء، الآية ٢٣).

(٣) (الأحكام، الآية ١٤٩)، وهنا ينتهي كلام محيي الدين في الفتوحات في مقدمة الكتاب، وما يليه من كلام هو له، ولكنه قبله في الفتوحات. انظر: الفتوحات المكية، المقدمة، ٦٢/١-٦٣.

(٤) "د"، "ك"، "مراد الحق"، "ب": "الحق تعالى". وما آتته فهو من "ز" و "ز".

(٥) "د"، "ك"، "ز": "لم يرد الله تعالى هم".

(٦) "د"، "ك"، "ز": "القائل سبحانه".

(٧) (الإنسان، الآية ٣٠).

(٨) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، مقدمة الكتاب، ٦٤-٥٤/١، ونص الشعري يكاد يكون مقتبساً من كلام محيي الدين.

(٩) "د"، "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

تأويلها بغير ما وردَ به صريحُ الإذن في السنة إذا وردت^(١) من غير إيمانٍ بها على علم الله^(٢) فيها، فإنَّ العبدَ^(٣) لم يُضِفْ تلك الصفات إلى ربه، وإنما الحقَّ -تعالى- هو الذي أضافها إلى نفسه على السنة رسله، سواء كانت^(٤) صفات كمال في العرف أو غيرها؛ كالاستهزاء والسحرية والخداع والمكر والتسيان ونحو ذلك، فإنَّ^(٥) هذه الصفات وإن كانت نقصاً فينا، فهي كمال في جناب^(٦) الحقِّ تعالى، وكان يقول: مَنْ عَرَفَ اللهَ -تعالى- بصفات التنزيه فقط، أو التشبيه فقط، فهو على النصف من مقام المعرفة، والكمال مَنْ عَرَفَ اللهَ -تعالى- من هذين الطريقين، أما التنزيه فهو الأصل، وأما الصفات التي يُعْطَى ظاهرها القرب من صفات الخلق فإنما ذلك نَزَلْ لِعُقُولِ عِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ لِيَتَعَقَّلُوا أَنَا^(٧) صِفَاتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يُضَيِّغُونَهَا إِلَيْهِ -تعالى- على حدٍّ ما يَعْقِلُونَهُ^(٨)، فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَدَّثٌ لَا يَلِيقُ بِجَنَابِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا^(٩).

ومن هنا أجمع أهل الكشف، وأئمة النقل^(١٠) من الفقهاء والمُحَدِّثِينَ والأصوليين وغيرهم على أنه لا يخرج أحدٌ عن الجهل المذموم بالذات المقدس إلا بوحى أو كشف، وقالوا: كلُّ شيءٍ خَطَرٌ بِهَذَا فَاللهُ -تعالى- بخلاف ذلك، وقالوا: إِنَّ هَذَا هُوَ اعْتِقَادُ الجساعة إلى قيام الساعة كما سيأتي بسطه في الكتاب في مواضع، فرحم الله^(١١) مَنْ أَمِنَ النظر في هذه الشروط والضوابط التي ذكرناها قبل مُطالعة الكتاب، فإنَّها تُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى طَهَارَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْأَدْنَامِي لِيَسْتَبِيرَ قَلْبُهُ، وَيُشْرِفَ عَلَى مَا تَسَرَّ لَهُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، وَيَصِيرَ حَاجِبَهُ كَالزَّجَاجَةِ الصَّافِيَةِ، فَيَرَى مَا يَظْهَرُ لَهُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ بِمَشِيئَةِ اللهِ -تعالى- مِنْ

(١) "ك"، "ب": قوله: "إذا وردت" ساقط.

(٢) "د": العبارة: "على علم فيها"، "ز": "الله تعالى...".

(٣) "ك"، "ز": "العلم"، وإحالة تصحيحاً.

(٤) "د"، "ك"، "ز": "كانت" ساقطة. "ب": "سواء كانت صفات الكمال".

(٥) "د": "وإن".

(٦) "د"، "ك"، "ز": "جناب".

(٧) "ك"، "ب"، "ز": "ليتعقلوا معاني...".

(٨) "د"، "ز": "يعقلونه".

(٩) "ك"، "ز": "بجناحه سبحانه وتعالى".

(١٠) "ك"، "ب"، "ز": "أئمة" ساقطة.

(١١) "ب": "الله تعالى".

السلامة والجان من ورائها^(١)، فلا يكاد يُعطى فيما يصفهم به من الأحوال، بخلاف من كان باطنه مُطْلَقًا بالإنساني، فإنَّ حجابَه مُظْلِمٌ لا يرى ما خلقه، والله - تعالى - أعلم.

[مقصود الكتاب]

ولتشرع في مقصود الكتاب، فأقول وبالله التوفيق^(٢):

بيان جملة صالحة من الأحوية مما يتوهمه الجهلة، أو السُّلحدون، في جناب الحقِّ القدوس وأسمائه وصفاته، مُضْطَرًا ذلك بعقيدة صالحة^(٣) جامعة مع شدة اختصارها لأهيات عقائد الأكابر من أهل السنة والجماعة، ليرجع إليها من استشكل شيئًا من الأحوية الآتية، فإنها مُزيلة - إن شاء الله - تعالى^(٤) - جميع إشكالات السَّحجوبين، وزاجرة لجميع المُلجدين، فأقول وبالله التوفيق^(٥):

[العقيدة الصالحة الجامعة]

يجبُ على كلِّ مُسلم أنْ يعتقِدَ اعتقادًا جازمًا أنَّ الله - تعالى - إلهٌ واحدٌ لا ثاني معه، وأنه - تعالى - مُنزَعٌ عن الصَّاحبة والولد، وأنه - تعالى - مالكٌ لا شريكَ له، مُلْكٌ لا وزيرَ له، صانعٌ لا مُذِيرَ معه، وأنه - تعالى - موجودٌ بذاته من غيرِ انقارٍ إلى موجدٍ يوجده، بل كلُّ موجودٍ في الأرضِ والسَّمواتِ مُقتَضٍ إليه في وجوده، فالعالمُ كله موجودٌ به، وهو - تعالى - موجودٌ بذاته^(٦)، لا افتتَاحٌ لوجوده، ولا نهايةٌ لبقائه، بل وجوده مُطلقٌ مُستمرٌّ قائمٌ بنفسه، وأنه - تعالى - ليسَ بجوهرٍ فيقدرُ له المكانُ، ولا بقرصٍ فيستحيلُ عليه البقاء، ولا بجسمٍ فيكونُ له الجهةُ واللقاء، مقدسٌ عن الجهاتِ والأقطارِ، مُرْتَبِئٌ للمؤمنين

(١) "ك": ثُمَّ سَقَطَ أَصْلِحَ مِنَ النِّسْخِ الْآخَرَى.

(٢) "ك": "وبالله تعالى".

(٣) "ك"، "ز": "جانب".

(٤) "ب": "صالحة" ساقطة.

(٥) "ك"، "ب": "تعالى" ليست فيهما.

(٦) مقدمة الشعراني تكاد تكون مقبولة حرفيًا من مقدمة عيسى الدين في الفتوحات المكية.

(٧) عبارة عيسى الدين كما وردت في الفتوحات: "وهو وحده متصف بالوجود نفسه". انظر:

الفتوحات المكية، ٦٢/١.

-إن شاء- بالقلوب والأبصار^(١)، استوى على العرش كما قاله^(٢)، وعلى المعنى الذي أراذه، كما أن العرش وما حواه به استوى، وله الآخرة والأولى، ليس له -تعالى- مثل معقول، ولا دلت عليه المعقول^(٣)، لا يحده زمان، ولا يحله مكان، بل كان ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان، خلق السمك والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات، ولا يشبه شيئاً من صفاته صفات المحدثات، تعالى أن تحله الحوادث، أو يحلها، أو تكون قبله، أو يكون قبلها، بل يقال: كان الله ولا شيء معه^(٤)، فإن القيل والبغذ من صفات الزمان الذي أبدعه، فلا ينبغي أن يطلق عليه إلا ما أطلقه -تعالى- على نفسه، فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا ترام، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥).

خلق الله -تعالى- العرش^(٦)، وجعله حد الاستواء، وأنشأ الكرسي، وأوسعهُ الأرض والسما، اخترع اللوح والقلم الأعلى، وأجراه كاتباً يعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء^(٧)، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الحلق، وأخلق ما خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمثا، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاً، وسخر لها ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرة إلا بإله وعنه، خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه بذلك سبق، فلا بد

(١) "ب": "إن شاء الله"، "ز": "إن شاء"، وعبارة محيي الدين: "مرئي بالقلوب والأبصار"، انظر: الفتوحات المكية، ٦٢/١.

(٢) "ك"، "ز": "استوى تعالى على عرشه".

(٣) "ب": قوله: "ليس له -تعالى- مثل معقول، ولا دلت عليه المعقول" ساقط.

(٤) يلتصق هذا اللفظ بلفظ حديث شريف، وفيه: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "غيره"، أخرجه أحمد في المسند، ٤٣١/٢، وفيه: "كان الله قبل كل شيء"، فما كان قبله، والبخاري في الصحيح، كتاب بدء الخلق (الباب ٨٧٨/١٣٥٦)، ٥٤١/٤، وكتاب التوحيد (الباب ٢٢١٦/١٢٢١٩)، ٩/٧٩٢.

(٥) (التورى، الآية ١١).

(٦) "ب": "خلق تعالى...".

(٧) "ب": "يوم الفصل".

أن يخلق ما خلق، فهو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير^(١)، أحاط بكل شيء علماً^(٢)، وأحصى كل شيء عدداً^(٣)، «نَعْلَمُ الْبَيْتَ وَالْحُلُقَ»^(٤)، «نَعْلَمُ حَاطَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ»^(٥)، «كَيْفَ لَا يَعْلَمُ شَيْئاً خَلَقَهُ؟»^(٦) أَلَا نَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْغَلِيبُ الْخَبِيرُ»^(٧).

عِلْمُ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَهَا عَلَى حَذِّ مَا عِلْمُهَا، فَلَمْ يَزَلْ عَالِماً بِأَلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَمْ يَتَجَدَّدْ لَهُ عِلْمٌ عِنْدَ تَجَدُّدِ الْإِنْشَاءِ، بَعْلِيهِ أَنْفَرِ الْأَشْيَاءِ وَأَحْكَمُهَا، وَبِهِ حَكَمٌ عَلَيْهَا مَنْ شَاءَ وَحَكَمُهَا، يَعْلَمُ الْكَلْبَاتِ وَالْجَزْئِيَّاتِ^(٨)، وَلَا يَحْتَاجُ عِلْمُهُ بِهَا إِلَى تَفْصِيلٍ، كَمَا هُوَ عِلْمُ خَلْقِهِ، فَهُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ، فَهُوَ الْعَرِيدُ لِجَمِيعِ الْكَالِبَاتِ فِي الْأَرْضِينَ وَالسَّمَوَاتِ، لَمْ تَتَعَلَّقْ قُدْرَتُهُ بِإِجَادِ شَيْءٍ حَتَّى أَرَادَهُ، كَمَا أَنَّهُ -تَعَالَى- لَمْ يُرْذِهِ حَتَّى عِلْمُهُ، إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَرِيدَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَا لَا يَعْلَمُ، أَوْ يَفْعَلَ الْمُخْتَارَ الْمَتَمَكِّنُ^(٩) مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ الْفِعْلِ مَا لَا يَرِيدُهُ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوجِدَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ مِنْ غَيْرِ حَيٍّ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ تَقُومَ هَذِهِ الصِّفَاتُ بِغَيْرِ^(١٠) ذَاتٍ مُوصُوفَةٍ بِهَا، فَمَا فِي الْوُجُودِ طَاعَةٌ وَلَا عَصِيَانٌ، وَلَا رَيْحٌ وَلَا خُسْرَانٌ، وَلَا عَيْدٌ وَلَا حُرٌّ، وَلَا بَرْدٌ [وَلَا حَرٌّ]^(١١)، وَلَا حَيَاةٌ وَلَا مَوْتٌ، وَلَا حُصُولٌ وَلَا قُوتٌ، وَلَا نَهَارٌ وَلَا لَيْلٌ، وَلَا اغْتِدَالٌ وَلَا مَيْلٌ، [وَلَا بُرٌّ وَلَا بَحْرٌ، وَلَا شَفَعٌ وَلَا وَتْرٌ، وَلَا جَوْهَرٌ وَلَا غَرَضٌ، وَلَا صِبْغَةٌ وَلَا مَرَضٌ،

(١) هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي (سُورَةِ الْحَدِيدِ، ٣): «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَمَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمٌ».

(٢) مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَنْ أَكُنَّ قَدْ أَصَابَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا»، (الْفَتْحُ، الْآيَةُ ١٢).

(٣) (الْجِنِّ، الْآيَةُ ٢٨). (٤) (طه، الْآيَةُ ٧).

(٥) (غَافِرٌ، الْآيَةُ ١٩).

(٦) (الْمُلْكُ، الْآيَةُ ١٤)، وَالْكَلَامُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الدِّينِ فِي مَقْدَمَةِ الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ.

(٧) "ب": "يَعْلَمُ الْجَزْئِيَّاتِ وَالْكَلْبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ"، "ر": "بِرِزَادَةِ 'عَلَى الْإِطْلَاقِ'، وَبِعِبَارَةِ مَعْنَى الدِّينِ فِي الْفَتْوحَاتِ: "كَمَا يَعْلَمُ الْجَزْئِيَّاتِ بِإِجْمَاعٍ مِنْ أَعْمَلِ النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَاتِّقَالَ"، انظر: الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، الْمَقْدَمَةُ، ٦٣/١.

(٨) "ك": "الْخَبِيرُ الْغَلِيبُ الْمَتَمَكِّنُ"، وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمِ الْبَيْتِ.

(٩) "ك": "ب": "مَنْ غَيْرٌ".

(١٠) (١٠) زِيَادَةُ مِنَ الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٦٣/١.

وَلَا فَرْخٌ وَلَا تَرْحٌ^(١)، وَلَا رُوحٌ وَلَا شَيْعٌ^(٢)، وَلَا فَلَامٌ وَلَا ضِيَاءٌ، وَلَا أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ، وَلَا تَرْكِبٌ وَلَا تَحْلِيلٌ، [وَلَا كَثِيرٌ وَلَا قَلِيلٌ]^(٣)، وَلَا غَدَاةٌ وَلَا أَصِيلٌ، وَلَا نِيَاضٌ وَلَا سَوَادٌ، وَلَا سَهَادٌ وَلَا رُقَادٌ، وَلَا ظَاهِرٌ وَلَا بَاطِنٌ، وَلَا مُتَحَرِّكٌ وَلَا سَاكِنٌ، وَلَا يَابِسٌ وَلَا رَطْبٌ^(٤)، وَلَا قِشْرٌ وَلَا لَبٌ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ جَمِيعِ التَّضَادَاتِ وَالتَّمَثُّلَاتِ^(٥) إِلَّا وَهُوَ مُرَادٌ لِلْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا^(٦).

وكيف لا يكون مراد إله وهو أوجدته، أم كيف يوجد المختار ما لا يُريد؟ لا رادٌ لأمره، ولا مُعَصِّبٌ لحُكْمِهِ، يُؤَيِّى الْمَلِكُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُعَزِّزُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ^(٧) ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن^(٨)، لو اجتمع الخلاق كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يريد الله لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئاً لم يريد الله^(٩) إيجاده وأرادوه ما فعلوه، ولا استطاعوه، ولا أقدرهم - تعالى - عليه، فالكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، والتوفيق والخذلان، كلها من مشيئته وحُكْمِهِ^(١٠) وإرادته، ولذلك قال أهل السنة: إِنَّ الْحَقَّ - تعالى - إذا أراد من خلقه شيئاً لم يتخسسه لهم لم يقدرُوا على إيجاده^(١١)، بخلاف ما إذا أراد بهم ذلك، ففَرَّقَ^(١٢) بين ما يريد بهم، ويريد منهم، وهو أمر دقيق لم يزل - سبحانه وتعالى -^(١٣) موصوفاً بالإرادة أزلاً والعالم معدوم.

(١) زيادة من الفتوحات المكية، ٦٣/١.

(٢) "ك"، "ولا شيع ولا روح".

(٣) زيادة من الفتوحات المكية، ٦٣/١. وليست في النسخ التي بين يدي.

(٤) "د"، "ولا رطب ولا يابس"، وليس ذلك كذلك لانقضاء توافق السجعة.

(٥) "ك"، "ب"، "ز"، "التضادات والمثليات".

(٦) الكلام من الفتوحات يكاد يكون مقبلاً.

(٧) "د"، قوله "ويهدي من يشاء ويضل من يشاء" ساقط.

(٨) العبارة في الفتوحات المكية: "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن"، ٦٣/١.

(٩) "ك"، "ز"، "الله تعالى".

(١٠) "ك"، "ز"، "وحكمته".

(١١) قوله: "قال أهل السنة..." ليس من كلام محيي الدين في الفتوحات.

(١٢) "ك"، "ب"، "ز"، "ففرقوا".

(١٣) "ك"، "ب"، "تعالى" ليست فيهما.

ثم أوجد العالم من غير تفكير ولا تدبير عن جهل، فبطله التدبير والتفكير علم ما جهل جلّ وعلا عن ذلك، بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان، وأكون والوان، فلا مرية في الحقيقة على الحقيقة سواء^(١)؛ إذ هو القائل سبحانه^(٢): ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣).

وإنه -تعالى-^(٤) كما علم فأحكم، وأراد فخص، وفقر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك، أو سكن، أو نطق في الزوى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجب سعه البعد، فهو القريب، ولا يحجب بصره شدة القرب^(٥)، فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسية الخفية عند اللحم، يرى السواد في الظلماء، والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج، ولا الظلمات، ولا النور، وهو السميع البصير، تكلم -تعالى- لا عن صمت متقدم، ولا عن سكوت متوهم^(٦) بكلام قدم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلم به موسى -عليه الصلاة والسلام- بكلام^(٧) سبحانه التنزيل والزيور والثورة والإنجيل والفرقان، من غير تشبيه ولا تكليف^(٨) كما أن^(٩) كلامه -تعالى- من غير نهاية ولا لبس، كما أن سعه -تعالى-^(١٠) من غير أصحح ولا آذان، كما أن بصره -تعالى-^(١١) من غير حذقة ولا أجناب، كما أن إرادته من غير قلب ولا جناب، كما أن

(١) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "فلا مرية في الحقيقة سواء".

(٢) "ك": "سبحانه وتعالى".

(٣) (الإنسان، الآية ٣٠).

(٤) "ب"، "ز": "والله تعالى".

(٥) العبارة في الفتوحات المكية: "ولا يحجب بصره القرب"، ٦٣/١.

(٦) العبارة في الفتوحات المكية: "ولا سكوت متوهم"، ولمه الأعلى، ٦٤/١.

(٧) "ك"، "ب"، "ز": "بكلام" ساقط.

(٨) العبارة في الفتوحات المكية: "من غير حروف ولا أصوات ولا لقم ولا لغات، بل هو حالي

الأصوات والحروف واللغات"، ٦٤/١.

(٩) "ك"، "ب"، "ز": "لأن كلامه...".

(١٠) "ك"، "ب": "تعالى" ليست بهما.

(١١) "ب": "تعالى" ليست فيها.

علمه^(١) من غير اضطراب ولا نظير في زمان، كما أن حياته من غير بحار تجويف^(٢) قلب خدث عن امتزاج الأركان^(٣)، كما أن ذاته وصفاته لا تقبل الزيادة ولا نقصان، فسبحانه سبحانه من بعيد دان، عظيم السلطان، عظيم الإحسان، حسيم الامتنان^(٤)، كل ما سواه فهو عن جوده فائض، وفضله وعدله الباسط له والقابض^(٥)، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه^(٦)، ولا مدبر معه في خلقه.

إن أنعم فتعظم، فذلك فضله، وإن أهلى فعذب، فذلك عدله، لم يتصرف في ملكه غيره، فينسب إلى الجور والحيف^(٧)، ولا يتوجه عليه لسواه حكم، فيتصف بالجور كذلك والخوف، كل ما سواه تحت سلطان قهره^(٨)، ومتصرف عن إرادته وأمره، فهو الملهم للقوى المكلفين التقوى والفجور، أي: لتعمل بالتقوى، وتجتنب الفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم التشور، لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله، لقدم صفاته كلها، وتزهبها عن الحديث.

أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منزقتين، وقال: هؤلاء للجنة ولا أهلي، وهؤلاء للشام ولا أهلي^(٩)، ولم يعترض عليه مُعترض هناك؛ إذ لا موجود كان ثم سواه، فالكُل تحت تصرف أسمائه، قبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه، لو أراد -تعالى- أن يكون العالم كله سعيداً لكان، أو شقيّاً لما كان في ذلك من شأن، لكنه -سبحانه وتعالى- لم يرد ذلك، فكان كما أراد، فبينهم الشقي والسعيد هنا، وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل^(١٠) ما حكّم عليه القديم، وقد قال -تعالى- في حديث فرض الصلاة:

(١) "ك"، "ب"، "ز": "كما أن قدرته..."

(٢) "د": "بحار" ساقطة.

(٣) "ك"، "ز": "عن الأركان".

(٤) "ك"، "ز": "حسيم الإحسان، عظيم الامتنان".

(٥) "ب": "القابض" ساقطة، وهي مثبتة في الفتوحات.

(٦) "ب": قوله: "أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه" ساقطة.

(٧) "ب": "إلى الظلم والجور والحيف".

(٨) "ك"، "ب"، "ز": "كل ما سواه فهو تحت سلطان..."

(٩) تقدم تخريج الحديث.

(١٠) "د"، "ز": "تبدل".

"هي حسٌ ومنٌ حَسُونٌ"^(١)، ﴿مَا يُشَدُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٢) ﴿لِيُصْرَفَ فِي مَلَكِي، وَإِنْفَاضٌ مُّشِيتِي فِي مَلَكِي، وَذَلِكَ لِحَقِيقَةِ عَمِيَتْ عَنْهَا الْبَصَائِرُ^(٣)، وَلَمْ تَعْرِ عَلَيْهَا الْأَفْكَارُ وَلَا الضَّمَالُ، إِلَّا بِوَهَبٍ إِلَهِي، وَجُودٍ رَحْمَانِي، لِيَمْنِ اخْتَى اللَّهُ -تَعَالَى- بِهِ^(٤) وَاصْطَفَاهُ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ، وَسَبَقَ لَهُ ذَلِكَ فِي حَضْرَةِ إِشْهَادِهِ، فَعَلِمَ حِينَ أَعْلَمَ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ^(٥) أَغْطَتْ هَذَا التَّقْسِيمَ، وَأَنَّهَا مِنْ رَفَائِقِ الْقَدِيمِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ، وَلَا مَوْجُودَ بِذَاتِهِ إِلَّا إِلَهُهُ، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَكَ وَمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٦) ﴿وَلَا يَأْتِيكَ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٧)، ﴿قُلْ قَلِيلٌ سَلْجُةُ الْبَلْبَةِ فَلَوْلَا لَهْدَنَّاكُمْ أَجْعُونَ﴾^(٨) ﴿٤٤﴾^(٩).

[الْجَوَابُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وَكَمَا أَجَبْتُ فِي ضَمَنِ^(١٠) هَذِهِ الْعَقِيدَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَدَدْنَا كَلَامَ الْمُجَلِّدِينَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، كَذَلِكَ لَجِبَ عَنْهُ تَعَالَى، وَرَدُّ كَلَامِ الْمُجَلِّدِينَ فِي شَرْعِهِ، وَشَرْعِ أَنْبِيَائِهِ، وَمَا يَرْتَبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ فِي ضَمَنِ قَوْلِنَا، وَكَمَا شَهِدْنَا لَهُ -تَعَالَى- بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَلِيَّةِ^(١١)، فَكَذَلِكَ لَشَهِدُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالرِّسَالَةِ إِلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ فِي ضَمَنِ ذَلِكَ الْجَوَابِ عَنِ اللَّهِ -تَعَالَى- اقْتِضَاءً^(١٢) بِحُكْمِ التَّعَلُّقِ وَالْخُصُوصِيَّةِ بِهِ، فَشَهِدْتُ لَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّ اللَّهَ^(١٣) أَرْسَلَهُ بِشِيرَاءٍ وَتَذِيرٍ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَقَالَ فِي حَقِّهِ -تَعَالَى-^(١٤)، ﴿مَنْ يُطِيعِ

(١) تقدم شرحه. (٢) (ق، الآية ٢٩) .

(٣) العبارة في الفتوحات المكية: "عميت عنها الأبصار والبصائر"، ٦٤/١.

(٤) "ب": "ه" ساقطة. (٥) "ب": "الحقيقة الألوهية".

(٦) (الصفات، الآية ٩٦). (٧) (الأنبياء، الآية ٢٢).

(٨) (الأنعام، الآية ١٤٩)، وهنا تنبئ الشهادة الأولى في مقدمة كتاب الفتوحات، ثم ينتقل عيسى الدين بعدها إلى الشهادة الثانية التي مضمارها نوبة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

(٩) "ك": "ضمن" ساقطة. (١٠) "ك"، "ب"، "ز": "العلی".

(١١) "د": "اقتضاء" ساقطة. (١٢) "ك"، "ز": "تعالى".

(١٣) "ك"، "ز": "الله تعالى" ساقطة.

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ^(١)، وقال: ﴿إِنْ تَذَرْتُمْ يُنَابِهَوْكُمْ إِنَّمَا يُنَابِهَوْسَ اللَّهَ ۖ^(٢)،

ولشهد الله -صلى الله عليه وسلم- بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه، وأذى أماته، ونصح أمته، ووقف في حجة الوداع على كل من خسر من الأنبياء، فخطب وذكر، ووعظ وألزم، وخوف وحذر^(٣)، ووعد ووعده، وأمر وأمره، وما خص بذلك التكبير أحدًا دون أحد، عن إذن الواحد الصمد، وقال: أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟^(٤)، فقال السامعون جميعًا: قَدْ بَلَغْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٥)، فقال -صلى الله عليه وسلم-: اللَّهُمَّ اشْهَدْ^(٦).

فكؤمن بكل شيء جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما عَلَّمَنَا معناه، وما لم نعلم، فبما عَلَّمَنَا ونَحَقَّقْنَا مِنْ جَمَلَةٍ مَا جَاءَ بِهِ، وَفَرَّرَ أَنَّ الْمَوْتَ عَنْ أَجَلٍ مُسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ -تعالى- إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ، فَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِهَذَا لِمَا جَازَمَا لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ كَمَا آمَنَّا وَصَدَّقْنَا وَأَفَرَرْنَا أَنَّ سَوَالَ مُتَكَبِّرٍ وَتَكْبِيرٍ فِي الْقَبْرِ حَقٌّ^(٧)، وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَنَعِيمَتُهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْبَيْتَ مِنَ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَأَنَّ الْغُرْضَ عَلَى اللَّهِ -تعالى- حَقٌّ، وَأَنَّ الْخَوْضَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمِيزَانَ حَقٌّ، وَأَنَّ تَطَايُرَ الصَّحَفِ حَقٌّ، وَأَنَّ الصَّرَاطَ حَقٌّ^(٨)، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ قَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ حَقٌّ، وَقَرِيقًا فِي السَّعِيرِ حَقٌّ، وَأَنَّ كَرْبَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى طَائِفَةٍ حَقٌّ، وَطَائِفَةٍ لَا يَحْزَنُ لَهُمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ حَقٌّ، وَأَنَّ شَفَاعَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ حَقٌّ، وَأَنَّ شَفَاعَةَ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ حَقٌّ، وَصُورَتُهَا، كَمَا أَعْطَاهُ الْكُشْفُ الصَّحِيحُ، أَنَّ أَسَاءَ الْخَنَانِ وَاللُّطْفِ وَالرَّحْمَةَ تُشْفَعُ عِنْدَ أَسَاءِ الْإِنْتِقَامِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْقَهْرِ.

(١) (النساء: الآية ٨٠).

(٢) (التفتح: الآية ١٠).

(٣) في الفتوحات: "لخطب وذكر، وعوف وحذر، وبشر وألزم"، ٦٤/١.

(٤) أخرجه أحمد في المستند، ٤٤٧/١، ٣٠٦/٤، ٦٨/٥، والبخاري في الصحيح، كتاب الحج، (باب الخطبة أيام منى) (باب ٦/٣)، ٦/٣، ومسلم في الصحيح، كتاب الصلاة (٢٠٨/٤)، شرح صحيح مسلم، ٤٤٣/٤، وأبو داود في السنن، كتاب الإمامة ١١، وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، (باب حرمة دم المؤمن وماله)، (٣٩٣١)، ٣١٩/٤.

(٥) "ب": "فقالوا جميعاً".

(٦) "ك": "الله" ليست فيها.

(٧) "ب": "اللهم" ليست فيها.

(٨) عبارة محي الدين في الفتوحات: "أن سؤال فتاني القبر حق"، ٦٥/١.

(٩) "ك": قوله: "وأن الصراط حق" سقط.

وَلَوْ مَنَّ بَأَنِّ لِيْمَانَ أَهْلِ النَّارِ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، وَلَا يَسْعُدُ بِهِ لِعَدَمِ قَبُولِهِ، وَذَلِكَ كَلِيْمَانِ فِرْعَوْنَ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ آمَنَ وَقَدْ خَضَرَهُ الْمَوْتُ، وَعَابَنَ أَسْبَابَهُ، لِأَنَّهُ لِيْمَانٌ فِي غَيْرِ عَمَلٍ الْكَلِيْفِي، فَأَشْبَهَ لِيْمَانَ أَهْلَ النَّارِ.

وَكَذَلِكَ لَوْ مَنَّ بَأَنِّ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُؤَحَّدِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا بِالشَّفَاعَةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَنِ اللَّهِ -تَعَالَى- عِلْمٌ مَعْنَاهُ أَوْ حُجْلٌ حَقٌّ، وَأَنَّ التَّائِيْدَ لِلْمُؤَحَّدِينَ فِي النِّعَمِ الْمُقِيمِ، وَالتَّائِيْدَ لِلْكَافِرِينَ وَالتَّنَافِقِينَ وَالتَّكْبِرِيِّينَ وَالتَّعَطُّلِيِّينَ وَالسُّجُورِيِّينَ فِي النَّارِ حَقٌّ^(١)، فَهَذِهِ عَقِيْدَةُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَقِيْدَتُنَا، عَلَيْهَا حَيَاتُنَا^(٢)، وَعَلَيْهَا نَمُوتُ، تَقَعْنَا اللَّهُ -تَعَالَى-^(٣) بِهَذَا الْإِيْمَانِ، وَتَبَتْنَا عَلَيْهِ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ إِلَى الدَّارِ الْحَيَوَانِ، وَأَحْلَلْنَا دَارَ الْكِرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَحَالَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ دَارِ سَرَابِيلٍ أَهْلِهَا مِنَ الْفُطْرَانِ^(٤)، وَجَعَلْنَا مِنَ الْعِصَابَةِ^(٥) الَّتِي تَأْخُذُ كُنْهَهَا بِالْإِيْمَانِ، وَمِمَّنْ انْقَلَبَ مِنَ الْخَوْضِيِّ وَهُوَ رِيَانٌ، وَرَحَّحَ لَهُ الْمِيزَانَ^(٦)، وَتَبَتَ مِنْهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْقَدَمَانِ^(٧)، (إِنَّهُ السَّمْعُ الْخَيَّانُ^(٨))، آمِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ^(٩).

[الْأَشْعَرِيَّةُ وَالْمَآثِرِيَّةُ]

ثُمَّ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ يَا أَحْمِي أَنَّ مِلَادَ جَمِيعِ عَقَائِدِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ يَدُورُ^(١٠) عَلَى كَلَامِ قُطَيْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَآثِرِيَّةُ^(١١)، وَالْآخَرُ الشَّيْخُ

(١) "د"، "ك": "فِي الْمَلَابِ الْأَلِيمِ حَقٌّ"، "ز": "فِي النَّارِ" ساقطة.

(٢) "ب"، "د"، "جها".

(٣) "د"، "ك"، "ز": "تَعَالَى" لَيْسَتْ فِيهِمَا.

(٤) "ب": الْعِبَارَةُ: "وَبَيْنَ دَارِ سَرَابِيلِهَا الْقَطْرَانِ".

(٥) "ب": "الْعِصَابَةُ" ساقطة.

(٦) الْعِبَارَةُ فِي الْقَتُوحَاتِ: "وَتَقَلَّ لَهُ الْمِيزَانُ"، ٦٥/١.

(٧) "د": الْعِبَارَةُ: "وَتَبَتَ مِنْ عَلَى الصِّرَاطِ الْقَدَمَانِ". وَالْعِبَارَةُ ساقطة مِنْ "ك" وَ"ز".

(٨) "ك": "السَّمْعَانِ".

(٩) هَذَا كَلِمَةٌ مِنْ كَلَامِ عَمِّي الْمَدِينِ مَعَ تَمَامٍ قَلِيلٍ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ، وَقَوْلُهُ: "اللَّهُمَّ آمِينَ" ساقط مِنْ "ك".

(١٠) "د"، "ز": "تَدُورُ".

(١١) هُوَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَآثِرِيَّةُ السَّمَرْقَنْدِيُّ الْخَلْفِيُّ، نَسَبُهُ إِلَى "مَآثِرِيَّةٍ" بِسَمَرْقَنْدٍ، مِنْ مَبْتَنَاتِهِ: "تَابِلَاتُ أَهْلِ السَّنَةِ"، وَ"شَرْحُ الْعَلَمَةِ الْأَكْبَرِ"، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّدِّ عَلَى

الإمام^(١) أبو الحسن الأشعري، فكلُّ مَنْ يُعِيها، أَوْ أَحْسَمها، اعتدى وسلم من الزَّيغ والفساد في عقيدته، وقد ظهرت أتباع المائريدي فيما وراء نهر "سيحون" فقط^(٢)، وظهرت أتباع الشيخ^(٣) أبي الحسن في أكثر البلاد؛ كخراسان، والعراق، والشام، ومصر، والمغرب، وغير ذلك من البلاد الإسلامية، فلذلك صار^(٤) غالب الناس يقولون إذا مَنَحوا عالماً: فلانَ عقيدته أشعريةٌ صحيحة^(٥)، وليس مرادهم نقيَّ صحيحة عقيدة غير الأشعري من المائريديّة وغيرهم من أئمة الكلام السابقين على الأشعري، كما أشار إلى ذلك في "شرح المقاصد" بقوله: واعلم^(٦) أنه ليس بين المحققين من كلِّ من الأشعرية والمائريديّة

المعتزلة والفرامطة. توفي بسمرقند سنة (٣٣٣هـ). انظر: ترجمته: طائش كيري راده، مفتاح السعادة، ٢١/٢، والبيهقي، هدية العارفين، ٣٦/٦، والزركلي، الأعلام، ١٩/٧، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤-٣/٤٢٢، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٣/٦٩٢.

(١) "ب"، "ز": "الإمام" ساقطة، وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل من نسل الصحابي الحلي أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشعرية، والقائم بنصرة مذهب السنة، كان من الأئمة المستكملين المتهندين، ولد في البصرة نحو (٢٦٠هـ)، تلقى مذهب المعتزلة، ولكنه حالهم بعد ذلك، فاستاب من القول بالعدل وعلق القرآن في المسجد الجامع بالبحرة، وقد قيل إن معتزلاته بلغت ثلاثمائة كتاب، توفي سنة (٣٢٤هـ) فجأة بقتلاد، وقيل سنة (٣٣٠هـ). انظر ترجمته: ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٢٤٩/٣، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢٤٥/٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٢٠/٩، والصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣٧/٢٠، وابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٩٩، وابن العماد، شذرات الذهب، ٤٠٥/٢، والبيهقي، هدية العارفين، ٦٧٦/٥، والزركلي، الأعلام، ٢٦٣/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤-٣/٤٢٩، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٢/٤٠٥.

(٢) "سيحون" نهر مشهور كبير بما وراء النهر قرب خجندة بعد سرحد، يجمد في الشتاء حتى تجوز عليه القوافل. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠٢/٥.

(٣) "ب"، "ز": "الشيخ" ساقطة.

(٤) "ب"، "ز": "فلذلك" ساقطة.

(٥) انظر مقولات الأشعرية في المثل والنحل، ٨١/١، فهم يذهبون إلى أن الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته، فلا يقال هي هو ولا غيره، وإلى أنه متكلم بكلام قديم، ومراد بزيادة قديمة، وأن كل موجود يصح أن يسرى، والبارئ - تعالى - موحود، ولا يجوز تعلق الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال.

(٦) "د"، "ز": "واعلم يا أخي أنه...".

اختلافه عَقَقُ بحيثُ يُنسَبُ كُلُّ واحدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْأَخَرِ الْبِدْعَةُ وَالضَّلَالَةُ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ اخْتِلَافٌ فِي بَعْضِ السَّائِلِ؛ كَسَمَالَةِ الْإِسْتِنَاءِ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ - تَعَالَى - فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(١)، وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَتَشْهَى.

[الْبَاعِثُ عَلَى تَصْنِيفِ كِتَابِ الْعَقَائِدِ]

وَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ مَا صَنَعُوا^(٢) كُتِبَ الْعَقَائِدُ يُثَبِّتُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الْعِلْمَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا وَضَعُوهَا لِرَدَائِعِ الْخُصُومِ الَّذِينَ جَحَدُوا بِالْإِلَهِ، أَوْ الصِّفَاتِ، أَوْ بَعْضَهَا، أَوْ الرِّسَالَةِ، أَوْ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِخُصُوصِهَا، أَوْ حَدُوثِ الْعَالَمِ، أَوْ الْإِعَادَةِ فِي هَذِهِ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَوْ أَنْكَرُوا النُّشْرَ أَوْ الْخُشْرَ^(٣)، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنَ الْمَكْذِبِينَ^(٤)، فَطَلَّبَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ إِقَامَةَ الْأَدْلَةِ الْقَطْعِيَّةِ عَلَيْهِمْ، لِيَرْجِعُوا إِلَى اعْتِقَادِ وَحُوبِ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ^(٥) الرُّسُلُ عَنْ رَبِّهِمْ^(٦) لَا غَيْرَ، وَإِنَّمَا لَمْ يُبَادِرُوا إِلَى قَتْلِهِمُ بِالسَّيْفِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَرَجَاءً لِرُجُوعِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ^(٧)، فَكَانَ الْبُرْهَانُ عَنْدهُمْ كَالْمُعْجَزَةِ الَّتِي يَتَنَاهَوْنَ بِهَا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّاجِعَ بِالرَّهَانِ أَصْبَحَ مِنَ الرَّاجِعِ بِالسَّيْفِ؛ إِذِ الْخَوْفُ قَدْ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى التَّفَاقُحِ، وَصَاحِبُ الرَّهَانِ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَلِذَلِكَ وَضَعُوا عِلْمَ الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ، وَسَطَّوْا الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ.

[الْقُرْآنُ دَلِيلُ قَطْعِيٍّ سَمْعِيٍّ عَقْلِيٍّ]

فَمَنْ لَا يَحْضِي أَنَّ الشَّخْصَ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ، قَاطِعًا بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٨)، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ حَقْدَهُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا عُذُولٍ إِلَى أَدْلَةِ الْعَقُولِ الْهَرُودَةِ عَنِ الشَّرْعِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ سَمْعِيٌّ عَقْلِيٌّ، فَقَدْ أَثَبْتُ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مُرَّةً

(١) "د": "تعالى" ليست فيها، ونحو سقط وقع في "ب"، وقد أصلح من النسخ الأخرى.

(٢) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "صنفوا". (٣) "د": "الخسر أو النضر".

(٤) "د"، "ك": العبارة: "المكذبين للرسل والكتب"، "ز": "المكذبين للرسل والكتب".

(٥) "ك"، "ب": "به" ساقطة. (٦) "ب"، "ك": "عن وجل".

(٧) "ب": "الطريق الحق". (٨) "د": "الله تعالى".

عَنْ أَنْ يُشَبِّهَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمُحَدَّثَاتِ، أَوْ يُشَبِّهَهُ هُوَ شَيْئًا^(١) مِنْهَا بِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، وبِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣) ﴿٤﴾.

وَأَثَبَتْ وَرُفَعَتْ^(٤) فِي الْأَحْزَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَجُودُهُ يُؤْمِنُ أَنْ يُخَافَ رَبَّهُ﴾^(٥) إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةً ﴿٦﴾ ﴿٧﴾، وَبِمَعْنُومٍ^(٨) قَوْلِهِ -تعالى- فِي الْكُفَّارِ: ﴿كَلَّا لَيْسَ عَنْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ لَتُخْجَرُونَ﴾^(٩) ﴿١٠﴾، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرْوُّهُ، وَأَثَبَتْ نَفْيَ الْإِحَاطَةِ بِهِ^(١١) بِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(١٢)، وبِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَسَكَتَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾^(١٣).

وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ قَادِرًا بِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٤)، وَنَحَوَهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ^(١٥) مُرِيدًا بِقَوْلِهِ -تعالى-^(١٦): ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(١٧) ﴿١٨﴾، وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ عَالِمًا بِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَمَّا﴾^(١٩)، وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ -تعالى-^(٢٠) سَمِيعًا بِقَوْلِهِ^(٢١): ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَذِّرُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(٢٢)،

- (١) "ب": "يشبه شيئاً". (٢) (الشورى، الآية ١١).
 (٣) (الصافات، الآية ١٨٠). (٤) "د"، "ك": "رويته تعالى".
 (٥) (القيامة، الآيات ٢٢ - ٢٣). (٦) "د": "القول" ساقطة.
 (٧) (المطففين، الآية ١٥). (٨) "ك"، "ب"، "ز": "الإحاطة بقوله".
 (٩) (الأنعام، الآية ١٠٣). (١٠) (النساء، الآية ١٢٦).
 (١١) (البقرة، ٢٨٤، آل عمران، ٢٩، ١٨٩، المائدة، ١٧، ١٩، ٤٠، الأنفال، ٤١، التوبة، ٣٩).
 (١٢) (١٢) "د"، "ك"، "ز": "كرهه تعالى". (١٣) "ك": "تعالى" ليست فيها.
 (١٤) (البروج، الآية ١٦).
 (١٥) (الطلاق، الآية ١٢)، وَنَحْوِهَا فِي نَقْلِ الْآيَةِ فِي السَّخَرِ. وَقَوْلُهُ 'وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ عَالِمًا...' سَائِلَةٌ مِنْ "د".
 (١٦) "د": "تعالى" ليست فيها.
 (١٧) (١٧) "د"، "ك"، "ز": "بقوله تعالى".
 (١٨) (المجادلة، الآية ١).

يقوله - تعالى -: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ ^(١)، وغير ذلك من أحوال الآخرة التي يحب الإيمان بها، قال - تعالى -: ﴿ مَا كُفِّرْنَا فِي آلِكَتَبٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٢)، وأثبت المعجزة لبينا - صلى الله عليه وسلم - بقوله - تعالى -: ﴿ فَأَتَوْا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ^(٣)، فإن القرآن كله معجزته صلى الله عليه وسلم ^(٤)، إن من أراد حفظ عقيدته من الرغب والفساد والشبه والضلالات فلْيأخذها من القرآن العظيم، فإنه كله متواتر قطعي معصوم.

وانظر يا أخي إلى لبنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لما قال له اليهود: انسب لنا ربك يا محمد، كيف تلا عليهم سورة "الإخلاص"، ولم يُقم عليهم من أدلة النظر ذليلاً واحداً:

- فقوله - تعالى -: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٥)؛ أثبت الوجود الحق "أحد"، ونفى العدد.

- وقوله: ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ^(٦)؛ نفى الجسميّة.

- وقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ^(٧)؛ نفى الوالد والولد.

- وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ^(٨)؛ نفى الشريك والصاحبة، أطلب صاحب التكليف العقلي من المؤمنين البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل بعد ثبوتها له ^(٩) بالتكليف القطعي ^(١٠)؛ إن ذلك لجهل.

[عقيدة العوام الفطرية]

وبها لست شغري ^(١١)، من يطلب معرفة الله بالتكليف، ويكفر كل من لا ينظر في

(١) (المائدات، الآية ٩)، وما ورد في النسخ هو "وَيُفْتَرِ مَا فِي الْقُبُورِ".

(٢) (الأنعام، الآية ٣٨). (٣) (البقرة، الآية ٢٣).

(٤) "ك": العيلة؛ "فإن القرآن كله معجزة، فعلم أن من...".

(٥) (الإخلاص، الآية ١). (٦) (الإخلاص، الآية ٢).

(٧) (الإخلاص، الآية ٣). (٨) (الإخلاص، الآية ٤).

(٩) "د"، "ز"، "هـ" ساقطة. (١٠) "ك": "العقلي"، "ز": "العقلي".

(١١) "ك": "وليت شعري".

الأدلة، كيف كان^(١) حاله هو قبل النظر، وفي حال النظر هل هو مسلم أم لا؟ وهل كان يُصلي ويصوم أم لا؟ وهل كان يبيت^(٢) عنده أن الله - تعالى - موجود أم لا؟^(٣) وأن عندك رسول الله أم لا؟ فإن كان مُعتقداً لهذا كله فهو حال العوام، فليتركهم على ما هم عليه من الإيمان على قدر ما عندهم في القطرة، وإن لم يكن مُعتقداً لهذه الأمور إلا بعد نظره في أقوال المُتَكَلِّمين، فتعوذ بالله من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر إلى الخروج من الإيمان.

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا - رضي الله عنه^(٤) يقول: عقائد العوام صحيحة بإجماع كل مُشرِّع صحيح العقل، وهم مُسلمون، ولو لم ينظروا في كتب المُتَكَلِّمين، لأن الله - تعالى - قد أنعمهم^(٥) على صحة العقل^(٦) بالفطرة الإسلامية إنما يتلقين الوالد المُشرِّع، أو الإلهام، وهم من معرفة الحق - تعالى - وتزبيبه على حُكم المعرفة والتزبيذ الوارد في القرآن، وهم على صواب ما لم يُعتقد^(٧) ما يُقدِّح في إيمانهم، أو يُطرق^(٨) أحدهم إلى التأويل، فإن اعتقد^(٩) ما يُقدِّح في إيمانهم فحكمه ظاهر، وإن تطرق إلى التأويل^(١٠) خرج عن حُكم العوام، والحق بأهل النظر والتأويل، فهو على حسب تأويله، وعليه يلقى الله تعالى، فإنما مُصيب وإلما مُعطى بالنظر إلى ما يناقض ظاهر الأدلة، انتهى^(١١). وقد أسطفا الكلام على ذلك في مقدمة كتابنا المُسمى بـ "اليواقيت والجواهر" في بيان عقائد الأكابر^(١٢)، وهو محلّ ضعم ما صنف في الإسلام مثله فيما نَظُنُّ^(١٣)، والحمد لله رب العالمين.

(١) "د": "كيف حاله".

(٢) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "بيت".

(٣) "د"، "ك"، "ز": "أم لا" ساقطة.

(٤) "د"، "ك": "رحمه الله"، "ز": "رحمه الله تعالى".

(٥) "د": "قد" ساقطة.

(٦) "ك"، "ز": "العقل"، وهو تصحيح من الناصح.

(٧) "ب": "يعتقدوا".

(٨) "د": "يتطرق"، وأراه تصحيحاً لأن ما سباني عقبه يستند هذا الرأي.

(٩) "ب"، "ز": "اعتقدوا".

(١٠) "د"، "ك"، "ز": "وإن تطرق إلى ذلك"، "ب": "إلى ذلك التأويل".

(١١) انتهى كلام الشيخ زكريا الأنصاري.

(١٢) انظر: الشرح، اليواقيت والجواهر، ١٨٠/١-٥٨.

(١٣) انظر: الشرح، اليواقيت والجواهر، ١٦/١.

فتأمل يا أخي في هذه العقيدة العظيمة، وأجب عن حجاب الباري -جلّ وعلا- كل من يلحد في ذاته وصفاته بما يُنافيها، فإن كل ما كان بالضدّ ممّا فيها^(١) فهو للحاد، وإن عسر عليك استعراج^(٢) الأجوبة عن الباري -جلّ وعلا- من حذر^(٣) التفاضل فتأمل في هذه الأجوبة الموثقة على الأسئلة، فلأنها كلها ردّ على الملحدين^(٤).

[توهم أن نفوذ الأقدار متوقف على وجود الخلق]

ومنا^(٥) أجبت به من يوهّم أن نفوذ الأقدار الإلهية متوقف على وجود الخلق، ولولا الخلق لما نفذ للحق -تعالى- إقداره، وهذا مؤذنّ برائحة انتقار في حجاب^(٦) الحق تعالى، والجواب أن هذا توهم باطل، فإن الحق -تعالى- له المعنى المطلق عن خلقه، وعن أقداره^(٧) الثالثة فيهم^(٨)، فكما أنه كان غنياً عن إيجادهم، وعن إخراجهم من عدم، فكذلك هو غني عنهم وعن أقداره^(٩) الثالثة فيهم، كما يعرفه أهل الله عز وجل، وإن كان ذلك صعب التصوّر على أصحاب العقول المحجوبة عن شهود كمال الحق جلّ وعلا، فانهم ذلك، ولأنه أن شيع ظاهر قول من قال من أهل السكر بالحال:

فلولاه ولولانا لما كنا ولا كنا^(١٠)

(١) "ك": "مما فيه".

(٢) "ك"، "ز": "إعراج".

(٣) "ك"، "ز": "صبر".

(٤) "ك"، "ز": قوله: "وإن عسر عليك إخراج الأجوبة عن الباري -جلّ وعلا- من صدر تفاضلها فاعليك بطلب استاذ عارف برشدك إلى ذلك بطريقه الشرعي، فانظر في هذه الأجوبة..." ساقط.

(٥) "ك"، "ز": "معملاً".

(٦) "د"، "ك"، "ز": "حجاب".

(٧) "د"، "ك"، "ز": "من نفوذ أقداره الثالثة فيهم".

(٨) "د"، "ك"، "ز": "نفوذ أقداره".

(٩) الشعر من المخرج، وهو من مقطعة في الفتوحات المكية إمامنا من نظم محيي الدين، وروايته فيها:

فلولاه لما كنا ولولا نحن ما كنا

انظر: الفتوحات المكية، ٦٩/٣.

وقوله أيضاً:

الكلُّ مُقتَرَفٌ ما الكلُّ مستغن هذا هو الحقُّ قد قلنا ولا تكفي

فإن ذكرت غنياً لا افتقار به فقد عرفت الذي في قولنا تعني^(١)

فإنما ولو حملنا ذلك من قائله على وجه أن الخلق كان معلوم علمه تعالى^(٢)، ولا يقال من معلوم علمه، أنه يصحُّ رفعه، فلا يحق ما في اللفظ من راحة سوء الأدب مع الله تعالى^(٣)، وقد قالوا: من علم الحقائق ما هو أحسن ما يُعلم، وأقبح ما يُقال، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُهُمْ أَنَّ مَحَبَّةَ الْحَقِّ لَشَيْءٍ كَمَحَبَّةِ الْخَلْقِ]

ومما أجبت به من تَوْهَمِهِمْ أَنَّ عِبَّةَ اللَّهِ -تعالى- لَشَيْءٍ مِنَ الدُّوَاتِ، أَوِ الْأَقْوَالِ، أَوِ الْأَفْعَالِ، أَوْ كِرَاهَتِهِ لَهُ، عَلَى حِدِّ صَوْرَةِ مَحَبَّةِ الْخَلْقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا^(١)، أَوْ كِرَاهَتِهِمْ، وَذَلِكَ مُؤَدِّنٌ بِعَدَمِ مَبَايِنَةِ صِفَاتِ الْحَقِّ -تعالى- لِصِفَاتِ خَلْقِهِ، وَالْجَوَابُ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- عَالِيٌّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهُوَ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ، فَلَا يُبْرَزُ فِي الْكَوْنِ شَيْءٌ عَلَى غَيْرِ مَرَادِهِ، كَمَا هِيَ^(٢) صِفَةُ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا اخْتَبَرْنَا بِمَحَبَّتِهِ لَشَيْءٍ، وَكِرَاهَتِهِ لَشَيْءٍ، لِنَحْصُلَ عِنْدَنَا الْبَاعْثَ عَلَى فِعْلٍ مَا يُحِبُّهُ تَعَالَى، لِنُثَبِّتَ^(٣) عَلَيْهِ، وَتَرْكُ مَا يَكْرَهُهُ، لِنُثَبِّتَ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ أَمْرُ الْمَحَبَّةِ إِلَى الْخَلْقِ لَا إِلَى الْحَقِّ تَعَالَى، وَذَلِكَ كَحَدِيثِ: "أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ"^(٤)، وَحَدِيثِ: "لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ"^(٥).

(١) الشعر من البسيط، ولم أعر على قائله.

(٢) "د": العبارة: "على وجه الخلق كلهم معلوم"، وهي ركيزة.

(٣) "ك": "تعالى" سالطة. (٤) "ك"، "ز": "لبعضهم بعضاً".

(٥) "ك": "كما هو". (٦) "ك": "ثبينا".

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٠/٥، ٢١، والسيوطي في الجامع الصغير (٢١٥)، ٣٨/١.

ونصه: "أحب الكلام إلى الله -تبارك وتعالى- أربع: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، لا يضررك بأيهن بدأت".

(٨) الحديث بتمامه: "والذي نفسي بيده، خلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، إنما يطر شهبوته وطعامه وشرابه من أجلي، فالصيام لي، وأنا أجزي به، كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعة أضعاف، إلا الصوم فهو لي، وأنا أجزي به". أخرجه أحمد في المسند، ١٤٤٦/١، ٢٣٢٢/٢، والبيهقي في الصحيح، كتاب الصوم وقياس (٧٨)، والترمذي في السنن، كتاب الصوم، (الباب ٥٥/٧٦٤)، ١٩٥/٢، ومالك في الموطأ، كتاب الصيام، (٥٨/٢٦٤)، والطبراني في الأوسط.

فَمَعْنَى هَذَيْنِ الْخَدِيثَيْنِ^(١) أَنَّهُ -تَعَالَى- يُحِبُّ لَكُمْ ذَلِكَ أَي: يُبَيِّنُكُمْ عَلَيْهِ؛ لِتَرْغَبُوا فِي الثَّوَابِ، فَيَبَادِرُوا لِذَلِكَ الْمَحْبُوبِ بِأَنْ تَفْعَلُوهُ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ.

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيَّ الْمَرْصُفِيَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يَقُولُ: يُحِبُّ عَلَى كُلِّ عِبْدٍ أَنْ يُحِبَّ جَمِيعَ الْأَنْدَادِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيَرْضَى بِهَا حَسَنَهَا وَفَيْحَهَا^(٢)، هَذَا مِنْ حَيْثُ الْقَضَاءُ^(٣)، أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَقْضَى^(٤) فَيُحِبُّ عَلَيْهِ النَّظَرَ إِلَيْهَا ثَانِيًا مِنْ حَيْثُ التَّكْلِيفُ، فَيُحِبُّ الطَّاعَةَ، وَيَكْرَهُ الْمَعْصِيَةَ^(٥)، تَبَعًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْعَارِفِينَ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-^(٦) فِي ذَلِكَ، فَهِيَ كُلُّهَا بِالإِضَافَةِ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- كَحَرَابٍ مَحْشُورٍ مَسْكًا وَطِيًّا، وَبِإِضَافَتِهَا إِلَى الْخَلْقِ فَمِنْهَا مَا هُوَ مَسْكٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ رَجَسٌ بِالنَّظَرِ لِلطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، وَلَيْكَ أَنْ تُحْمَلَ صِفَاتُ الْحَقِّ -تَعَالَى- عَلَى حَدِّ صِفَاتِ خَلْقِهِ، فَتُجْهَلَ وَتُسَيَّءُ الْأَدَبُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(٧) [تَوْهَمُ إِحَاطَةِ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ تَعَالَى]

وَمَا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ يُحِيطُ عِلْمًا بِالْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا-

(٣٠٢٣)، ٢٠٢/٢، والمطبوع في مجمع الفرواني، كتاب الزكاة (١٩٥٥)، ٢٩٢/٣، والسيوطي في

المناجم الصغير (١٩٢٣)، ٢٩٣/١، وجامع الأحاديث القدسية (كتاب الصوم، ١٩٦٦)، ١٩٩/١.

(١) "د": "هذه" ساقطة.

(٢) "ك"، "ز": "سواء أحببت لديه، أو شئت عليه".

(٣) قوله: "هذا من حيث القضاء" ساقط من "أ".

(٤) قوله: "هذا من حيث القضاء، أما من حيث المقضي" ساقط من "د" و"ك" و"ز".

(٥) "د": "مسمى الطاعة... مسمى المعصية".

(٦) "ك"، "ز": "بالله تعالى".

(٧) يفهم من الدين بابا في الفتوحات موسوما بمعرفة رجال الحيرة والعجز، وقد انتحه جنابم ينق وكلام الشمراني في هذه المسألة، فقال:

مَنْ قَالَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ وَلَمْ يَحْسِرْ كَانَ بِسَرَّانَا بَيِّنًا جَهْلًا

لَا يَعْلَمُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ فَاتَّسَبَّهُوا فَلَيْسَ حَاضِرَكُمْ مِثْلُ الَّذِي غَفَلَا

العجز عن درك الإدراك معرفة كذا هو الحكم فيه عند من غفلا

هو إلا أنه فلا تحصى عمارته هو لثريه فلا تضرب له مثلاً

انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤٠٨/١.

إحاطة لا جَهِلَ فيها، يُساوي علمه علم ربه - عز وجل - بنفسه، والجواب أن الإحاطة بالحق - جل وعلا -^(١) لا تصح لأحد من الخلق، قال - تعالى -^(٢): ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٣)، وقال الشبلي^(٤): إذا حِيطَ الحق - تعالى - أحدًا من خلقه به أحاط، معناه أنه يُحِيطُ علمًا بالله - تعالى - لا تأخذه الإحاطة^(٥)، نظير قولهم: العجز عن ذرك الإدراك^(٦)، والفرق حينئذ^(٧) بين إحاطة هذا بالحق وبين إحاطة الحق - تعالى - بنفسه أن

(١) "ب": العبارة: "تعلم أن الإحاطة بالحق جل وعلا".

(٢) "د"، "ك"، "ز": "قال الله تعالى".

(٣) (طه، الآية ١١٠).

(٤) "ك": "رحمه الله تعالى"، وقد جاء في السبخ كلها: "وقول الشبلي"، أما الشبلي فهو أبو بكر تَلَفَ بن جَعْفَر الشبلي، وقيل اسمه جعفر بن يونس، وقيل غير ذلك، ولد سنة (٢٤٧هـ)، وصفه السنائي بأنه إمام أشهر شرفه، وميت في جنات المعرفة غرقه، وهو عراساني الأصل، ينفادي المنشأ، مالكي المذهب، وكتب كثيرا في الحديث، ثم شغله العناية عن الرواية، صحب أبا القاسم الجسدي، وكان إذا حل شهر رمضان المبارك جد في الطاعات، وقال: هذا شهر عظمه ربي، فأنا أول من يعظمه، من كلامه أنه سيع يباعا يقول: الخيال عشرة بدرهم، فصاح وقال: إذا كان الخيال عشرة بدرهم، فكيف الشرار؟ وكذلك قوله: احب إذا لم يتكلم هلك، والعارف إذا تكلم هلك، وكذلك: العارف لا يكون بكلام غيره لأنظا، ولا لغير لاحظا، ولا يرى غير الله حفظا، توفي سنة (٣٣٤هـ) - ببغداد، وقبره هناك. انظر ترجمته: الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٠/٣٦٦، والقسنبري، الرسالة القشيرية، ٤١٩، وابن حنكاه، وفيات الأعيان، ٢/٢٣١، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/٥٠٨، والصفدي، الوافي بالوفيات، ١٤/١٨٨، وابن كثير، البداية والنهاية، ١١/٢٢٩، والشمراني، لوفع الأنوار، ١/٢٢٦، والساوي، الكواكب الثرية، ٢/٨٣٢، وابن الصمد، شذرات الذهب، ٢/٣٣٨، والبغدادي، هدية العارفين، ٦/١٦٤، والزركلي، الأعلام، ٢/٣٤١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٣-٤/٤٦٦.

(٥) "د": العبارة فيها: "أنه يحيط علما بأنه تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم".

(٦) ينسب هذا القول إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هكذا جاء في الفتوحات المكية، وقد مر ذلك بأنه إذا "علمت أن شئ من لا يعلم، فذلك هو العلم بالله تعالى، فكان الدليل على العلم به عدم العلم به، والله أمرنا بالعلم بتوحيده، وما أمرنا بالعلم بآلته، بل نبى عن ذلك بقوله: ﴿يُخَذِّلُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، ونهى الرسول عن التفكير في ذات الله تعالى، إذ من ليس كشيء شيء كيف يوصل إلى معرفة ذاته، فقال الله - تعالى - أمرنا بالعلم بتوحيده: ﴿فَاعْتَدِ أَنْفَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾... فلا يعرف الله إلا الله، فقامت الأدلة العقلية المقاطعة على أنه إله واحد عبد أهل النظر وأهل الكشف، فلا إله إلا هو". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١/٤٠٩.

(٧) "ب": "حينئذ" ساقطة.

إحاطة العبدِ مُحَدَّثَةً مُتَغَيِّرَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِحَاطَةُ الْحَقِّ -تَعَالَى- ^(١) قَدِيمَةً، وَاللَّهُ -تَعَالَى- أَعْلَمُ ^(٢).

وإيضاح ذلك أَنَّ المرادَ بالإحاطةِ بالحقِّ -جَلَّ وَعَلَا- ^(٣) لَيْسَ هُوَ عَلَى حَدِّ الإحاطةِ بِالْخَلْقِ، فَصَحَّ لِلْمُحِيطِ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الْمُحَاطِ بِهِ، وَيَكُونَ بَعْدَهُ، وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا لِأَنَّهُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنْ غَيْرِ أَوَّلِيَّةٍ أَوْ آخِرِيَّةٍ ^(٤) يُحَكَّمُ عَلَيْهِ بِهَا ^(٥)، فَيَكُونُ مَعْلُولًا لَهَا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يُحِيطُ بِالْحَقِّ عِلْمًا، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَنَا كُنْتُ قَبْلَ اللَّهِ، وَأَكُونُ بَعْدَ اللَّهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَمْنَحِلِ الْمُحَالِ ^(٦).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا صُورَةُ إِحَاطَةِ الْحَقِّ -تَعَالَى- بِنَفْسِهِ؟

فَالْجَوَابُ: صُورَتُهَا ^(٧) أَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- يُحِيطُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا تَأْخُذُهُ الإحاطةُ تَنْزِيهًا لِقُدْسِي خِلَالِهِ، فَإِنَّ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- يُحِيطُ بِنَفْسِهِ عَلَى حَدِّ إِحَاطَةِ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ ^(٨)، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- كَانَ قَبْلَ ذَاتِهِ، وَيَكُونُ مَوْجُودًا بَعْدَهَا، وَذَلِكَ مُحَالٌ، فَهُوَ -تَعَالَى- يَعْلَمُ أَنَّ ذَاتَهُ -تَعَالَى- لَا تَقْبَلُ الإحاطةَ لَهُ وَلَا لِغَيْرِهِ، لِأَنَّهُ عَدَمُ إِدْرَاكِهِ -تَعَالَى- الإحاطةَ بِنَفْسِهِ عَجَزًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ^(٩)، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ يُغْلَطُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَادُرُّ إِلَى الْجَوَابِ بِأَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- يُحِيطُ بِنَفْسِهِ عَلَى حَدِّ مَا يُحِيطُ الْخَلْقُ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَذَلِكَ جَهْلٌ بِمَا يَجِبُ لِلْحَقِّ -تَعَالَى- مِنَ التَّزْيِينِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ إِحَاطَةِ الْحَقِّ ^(١٠) بِنَفْسِهِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ،

(١) "ك": "ز": "تعالى". (٢) "ب": "والله أعلم".

(٣) "د": "ك": "تعالى".

(٤) "د": "أحرورية"، "ز": "من غير أولية وآخريّة".

(٥) "د"، "ك"، "ز": "لحكمم عليها".

(٦) "ب": "من المحال".

(٧) "د"، "ز": العبارة: "صورتها حينئذ على هذا المعنى أن الحق...". أما في "ك" فالعبارة: "فالجواب حينئذ على هذا المعنى أن...".

(٨) "ك": "بالخلق" ساقطة.

(٩) "د"، "ك"، "ز": "تعالى" ليست فيها.

(١٠) "ك": العبارة: "تعالى عن ذلك، ما علمه تعالى بما هي ذاته، ولا شك عندنا في علمه تعالى بما على حد ما هي عليه".

(١١) "د"، "ك": "إحاطة الحق تعالى بنفسه".

وإحاطة خلقه به؟

فالجواب: أن الفرق قد تقدم، ويمكن الفرق أيضاً بأن علمنا بذلك إيماناً، وعلمنا الحق بذلك ليس إيماناً؛ كعلم خلقه؛ إذ الإيمان متعلقه الخير، فافهم. فينبغي للعارف إذا سئل: هل يحيط الحق - تعالى - بنفسه أن يقول "نعم" تنزيهاً له - تعالى - عن الجهل، ثم يقول عقب ذلك: لكن، لا على حد ما يتعلل عباده تنزيهاً لفسده تعالى؛ وذلك لأن نقي البدء والنهاية من درجاته التي تميز بها عن خلقه، كما قال - تعالى - ﴿ زَايِغُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾^(١)، فمتعلق هذه الإحاطة وعدمها الزمان لا المكان، فإن الحق - تعالى - ليس بجسم حتى يقال إنه تصح الإحاطة به كالأجسام، وقد كان - تعالى - موجوداً قبل خلقه الزمان والمكان.

وسعت سيدي علياً الخواص - رحمه الله -^(٢) يقول: إذا كان العقل لا يقدر على تعقل أول الوجود المخلوق ولا انتهائه، فكيف يقدر على تعقل خالقه؟ فإن كل شيء وقف العقل على علمه من العلويات والسفليات وبقيت الجهات الست طلب العقل ما بعده، فلا بد أن عقلك يقول لك: وما بعد ذلك؟ فإن قلت له: فضاء، أو جسم آخر، يقول لك: فما وراء ذلك؟^(٣) وهكذا أبد الأبدية ودهر الداهية، فلا يكاد العقل يتعقل قولهم: ليس وراء العرش خلاء ولا ملاء أبداً.

وقد سمعت مرةً هاتفاً يقول لي^(٤): إذا ركعت في الصلاة فقل: سبحان من كان جميع ما عرفه الخلق من عظمته كثرته في هواء ليس له سقف ولا أرض، انتهى. وهو مأخوذ من معنى حديث "أما الركوع فعظّموا فيه الرب"^(٥)، فإن هذا من حكمة تعدينا

(١) (غافر، الآية ١٥)، "د"، "ك"، "ز": "ذو العرش" ليست فيها.

(٢) "ك": "رحمه الله تعالى".

(٣) "ب": "ثما بعد ذلك".

(٤) "ك"، "ز": "لي" ساقطة.

(٥) الحديث يستلزم: "كشف النبي - صلى الله عليه وسلم - الستارة والثياب صفوف حلف أبي بكر رضي الله عنه، فقال: أبها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ثم قال: ألا إني نهي أن أقرأ راكماء، أو ساجداً، فأما الركوع فعظّموا فيه الرب، وأما السجود فاحسبوا في الدعاء، فإنه من أن يستجاب لكم". أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب

لَهُ، فَافْتِهِمْ، وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ قَبْلَهُمْ قَوْلُهُ -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ^(١)، نَزَرَةُ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلا- عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ، وَعَنْ كُلِّ مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ خَلْقِ الْوُجُودِ مِنْ عَدَمٍ فِي عِلْمِ الْحَقِّ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ تَوْهَمَ أَنَّ اللَّهَ -تعالى- خَلَقَ الْوُجُودَ مِنْ عَدَمٍ فِي عِلْمِهِ أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ نَفْتٍ وَلَئِنْ تِلْكَ شَيْئًا﴾ ^(٢)، وَمِنْ قَوْلِ جَهْوَرِ أَلَمَةِ الْكَلَامِ: إِنَّ الْمَعْدُومَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ: أَوْجَدَ الْوُجُودَ مِنْ عَدَمٍ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى نَسْبَةِ الْجَهْلِ إِلَى حُجَابِ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلا- بِالْعَالَمِ قَبْلَ إِيجَادِهِ، وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْعَدَمَ عَدَمَانِ ^(٣): عَدَمٌ مُحْضٌ، وَعَدَمٌ إِضَافِيٌّ، فَالْعَدَمُ الْمُحْضُ لَيْسَ فِيهِ ثُبُوتٌ عَيْنٌ حَتَّى يَتَعَلَّقَ بِهَا عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا الْعَدَمُ الْإِضَافِيُّ فَهُوَ الَّذِي لَهُ عَيْنٌ ثَابِتَةٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَجِبُ حُلُّ الْآيَةِ وَكَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى هَذَا الثَّانِي، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِقَوْلِ الْحَقِّ: ﴿وَلَئِنْ تِلْكَ شَيْئًا﴾ ^(٤)، وَبِقَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ: إِنَّ الْمَعْدُومَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فِي عِلْمِ الْخَلْقِ لَا فِي عِلْمِ اللَّهِ ^(٥)، فَإِنَّهُ لَا يُعْرَبُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ -تعالى- شَيْءٌ، فَذَلِكَ قَالَ -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ^(٦)، وَلَا يَقَالُ: إِنَّ الْقُدْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَتَعَلَّقُ بِمَا شَاءَ مِنْهَا لَيْسَ ثَابِتًا فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، فَافْتِهِمْ، فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ ^(٧) رَلَّتْ فِيهَا الْفَلَاسِفَةُ، فَقَالُوا بِقَدَمِ ^(٨) الْعَالَمِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْعَالَمَ هُوَ مَعْلُومٌ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ، وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَالَمَ قَدَمٌ فِي الْعِلْمِ، حَادَثٌ فِي الظُّهْرِ، أَيْ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ، كَمَا يَسْطَنُ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْلاَفٍ مُسْتَقِلٍّ ^(٩)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الصلوة (الباب ٤١/٢٠٧)، شرح صحيح مسلم، ٤/٤٤٣، والنسائي في السنن، باب التطيق، ٢/

(١) (الشورى، الآية ١١). (٢) (مريم، الآية ٩).

(٣) "ب": العبارة: "فَعَلِمَ أَنَّ الْعَدَمَ عَدَمَانِ".

(٤) (مريم، الآية ٩). (٥) "ب": قوله: "فِي عِلْمِ الْخَلْقِ" ساقط.

(٦) (الزمر، الآية ٦٢). (٧) "ك": "هذه المسألة".

(٨) "ك": "يَعْدَمُ"، وَهُوَ تَصْخِيفٌ عَلَى الْمَعْنَى.

(٩) انظر: السمرقاني، البوابات والخواهر، البحث الحادي عشر: "في وجوب اعتقاد أنه تعالى علم

الأشياء قبل وجودها في عالم الشهادة، ثم أوجدها على حد ما علمها"، ١/١٣٢.

[تَوْهَمُ إِضَافَةِ السَّيَانِ وَغَيْرِهِ مِمَّا لَا يَجُوزُ إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ تَوَهَّمَ فِي إِضَافَةِ^(١) الْحَقِّ -تعالى- إِلَى نَفْسِهِ السَّيَانِ، أَوْ الاسْتِهْزَاءِ، أَوْ الْخِلْدَاعِ، أَوْ السُّخْرِيَّةِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، أَنَّهَا عَلَى حَدِّ مَا يُضَافُ إِلَى الْخَلْقِ، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ إِضَافَةُ مِثْلِ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ عَلَى وَجْهِ إِضَافَتِهِ إِلَى الْخَلْقِ^(٢) بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالنَّقْلِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَأَمثَالَهَا صِفَاتُ نَفْسٍ فِي الْخَلْقِ فَقَطْ، وَأَمَّا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلا- فَهِيَ صِفَاتُ كَمَالٍ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا عَلَى حَدِّ عِلْمِ اللَّهِ -تعالى- فِيهَا لَا عَلَى حَدِّ مَا يَتَعَلَّقُ عِبَادَتُهُ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا وَرَدَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ^(٣) عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَإِنْ لَمْ تَتَعَلَّقْهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ مَعْرِفَةِ كُنْهِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسِ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ تَوَهَّمَ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤) عَلَى تَفْسِيرِ الْعِبَادَةِ هُنَا بِالْمَعْرِفَةِ أَنَّ أَحَدًا يَعْرِفُ كُنْهِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسِ، وَيَخْرُجُ عَنْ وَصْفِهِ بِالْجَهْلِ بِاللَّهِ -تعالى-^(٥) جُمْلَةً، وَيُسَاوِي عِلْمَهُ بِالْحَقِّ -تعالى- عِلْمَ الْحَقِّ -تعالى- بِنَفْسِهِ، وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا التَّوَهُّمَ بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالنَّقْلِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَطَرٌ بِإِلَهِكَ، فَاللَّهُ -تعالى- بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ^(٦) أَنَّ غَايَةَ مَا تُصِلُ إِلَيْهِ الْعُقُولُ إِلَى مَعْرِفَةِ كُنْهِ^(٧) الْأَجْسَامِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَقَّ^(٨) لَيْسَ هُوَ بِجِسْمٍ، وَلَا جَوْهَرٍ، وَلَا غَرَضِيٍّ، فَلَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ مَعْرِفَةً لَا خَبَلَ فِيهَا بِحَقِيقَةِ أَصْلِهِ، قَالَ -تعالى-: ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾^(٩).

(١) "د"، "ك"، "ز": "من إضافة".

(٢) "ك": قوله: "على وجه إضافته إلى الخلق" ساقط.

(٣) "أ": عبد الله، وإعني تصحيحاً، "ز": "الله تعالى".

(٤) (الذاريات، الآية ٥٦). (٥) "د"، "ك": "بالجهل به تعالى".

(٦) "ب": "ذلك" ساقطة.

(٧) "د"، "ك"، "ز": بزيادة قوله: "ولو يوجه ما".

(٨) "د"، "ك"، "ز": "العبارة: "ومعلوم أن الحق تعالى ليس بجسم".

(٩) (طه، الآية ١١٠).

وسمعتُ سيدي عليًّا الخواصَّ -رحمه الله تعالى- يقول: لَمْ يُكَلِّفِ الْحَقُّ -جَلَّ وعلا-^(١) أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بِمَعْرِفَةِ كَيْهِ الذَّاتِ أَبَدًا؛ لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ -تعالى- مُخَالِفَةٌ لِسَائِرِ الْحَقَائِقِ، فَلَا تُجْتَمَعُ^(٢) مَعَ خَلْقِهِ فِي حَدٍّ، وَلَا حَقِيقَةٍ، وَلَا نِسْبَةٍ، وَلَا جَنْسِيٍّ، وَلَا فَصْلٍ، أَتَشَاهِي.

بل الذي أقولُ به تبعًا لأهل الكَشَفِ إِنَّ الْعَبْدَ مَنَّا لَا يَعْرِفُ كَيْهَ نَفْسِهِ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ -تعالى- جَمَلَ النَّفْسَ مَرْتَبَةً تَعْجِيزُ دَوْلَهُ تَعَالَى، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ -تعالى-: إِنَّ عَرَفْتُمْ كَيْهَ نَفْسِكُمْ، فَاتَّمَّ تَعْرِفُونَنِي، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَتَلَفَأْ عَنْ أَحَدٍ أَنَّهُ عَرَفَ كَيْهَ نَفْسِهِ، وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْمَرْصُفِيَّ -رحمه الله تعالى- يقول: لَوْ صَبَحَ لِأَحَدٍ مَعْرِفَةُ كَيْهِ نَفْسِهِ لَعَرَفَ كَيْهَ الذَّاتِ، وَلَا قَاتِلَ بِئِذْكَ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، وَيُوَيْدُ ذَلِكَ مَا قَدْ يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ -تعالى-: ﴿مَنْ أَعْتَدَى فَإِنَّمَا يَتَّيِدُ لِنَفْسِهِ﴾^(٣)، أَي: غَايَةُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ مِنَ الْمَعَارِفِ لَا يَتَعَدَى مَعْرِفَةَ نَفْسِهِ، بَلْ هُوَ مُحْيُوسٌ فِي دَائِرَتِهَا.

وَمِنْ بَعْضِ الْمَوَاطِنِ الرَّبَّانِيَةِ يَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لِبَعْضِ الْخَوَاصِّ فِي سِرِّهِ: قُلْ لِلْعَافِقِينَ ي^(٤): إِنَّ رَجْعَتُمْ تَسْأَلُونَنِي الزِّيَادَةَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، فَمَا عَرَفْتُمُونِي، وَإِنْ رَضِيتُمْ بِالْفَرَارِ عَلَى مَا عَرَفْتُمُوهُ مِنْ صِفَاتِي، فَمَا عَرَفْتُمُونِي، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا أَنَا عَيْنٌ مَا عَرَفْتُمْ، وَلَا عَيْنٌ مَا جِهْتُمْ، أَتَشَاهِي.

وسمعتُ سيدي عَلِيًّا الْمَرْصُفِيَّ -رحمه الله تعالى- يقول: غَايَةُ مَا عَرَفَهُ الْعَافِقُونَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ آثَارُ صُنْعِهِ فِي الْعَالَمِ مِنْ إِيجَادٍ وَإِعْدَامٍ، وَوَلَايَةٍ وَعِزٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا لَا يَتَبَيَّنُ لِعَبْدٍ^(٥) أَنْ يَطْلُبَ مِنَ الْحَقِّ -تعالى- أَنْ يُعَرِّفَهُ بِمَا هِيَ ذَاتُهُ، قُلْنَا: نَعَمْ، وَهُوَ كَذَلِكَ كَمَا يُوعِذُ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ مِنْ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَنُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٦)، يَعْنِي أَنْ تَتَفَكَّرُوا فِيهَا بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "تَفَكَّرُوا فِي

(١) "د"، "ك"، "ز"، "تجمع".

(٢) "ك"، "ي" ساقطة.

(١) "د"، "ك"، "ز"، "تعالى".

(٢) (الإسراء: الآية ١٥).

(٥) "د"، "ك"، "ز"، "لأحد".

(٦) (آل عمران، الآية ٢٨ ، ٣٠).

آلاء الله، ولا تفكروا في ذاته^(١)، وبقرينة قوله -صلى الله عليه وسلم- أيضاً: "كُلُّكُمْ حَمَقٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ"^(٢)، أي: في معرفة كُنْهها^(٣)، انتهى.

[كلام الشيخ مُحْيِي الدِّين عَلَى ماهِيَةِ الذَّاتِ وَكُنْهِهَا]

وذكر الشيخ مُحْيِي الدِّين^(٤) في باب "الأسرار" من كتاب "الفتوحات"^(٥) ما نصه: اعلم أن المخلوقات كلها معلولة^(٦)، والكيفية في حق ذات الحق^(٧) -تعالى- مجهولة، ولا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول^(٨)، والحق -تعالى- غير مُدْرِك بالدليل، فليس إلى معرفة كُنْه ذاته من سبيل^(٩).

وقال في موضع آخر من هذا الباب: اعلم يا أخي أن الذات مجهولة؛ لأنها ليست بعلة ولا معلولة^(١٠)، ولا هي للدليل مدلولة، ومن شرط وجه^(١١) الدليل أن يُربط الدليلُ

(١) "د"، "ك"، "ز": قوله: "تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذاته" ساقط، وروى الحديث: "تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله". أخرجه الطبراني في الأوسط في موضعين (٧١)، (٦٣١٩)، والشمسي في مجمع الزوائد، كتاب الإيمان (٢٦٠)، ١/١٠٦، والسيوطي، الجامع الصغير (٢٣٤٨)، ١/٥١٤، ولورده الألباني في السننلة الصحيحة (١٧٨٨).

(٢) لم نطهر عليه البتة في كتب الحديث التي بين يدي بعد طول بحث وتقيب، ولكن، ثم حاشيت يترتب معناه من معنى هذا الحديث، وهو "تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذاته"، وقد تقدم شرحه.

(٣) "ك"، "ز": "كيفية"، "د": "كيفية". (٤) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٥) "د": "مسن الفتوحات". أما باب الأسرار فهو -كما وصفه محيي الدين- "من أشرف أبواب هذا الكتاب، هو الباب الجامع لقوى الأنوار الساطعة، والبرق اللامعة، والأحوال الحاصلة، والصفات الراسخة، والمعارف الجليلة، والعلوم الإلهية، والمنازل المشهودة... ضمنت هذا الباب جميع ما يتعلق بأبواب هذا الكتاب مما لا بد من تنبيه عليه، مرتنا من الباب إلى آخره". انظر: الفتوحات المكية، ٦٣/٨.

(٦) "ك"، "ب": "معلومة"، وهذا تصحيف صوابه ما ورد في "ز" و"د" والفتوحات المكية.

(٧) "ك": "في كيفية الحق"، "ز": "والكيفية في ذات الحق تعالى...".

(٨) "د"، "ك": "في قضايا بيان العقول".

(٩) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٠٧/٨، وفي عبارة الشعراني اختصار واجترأ.

(١٠) "د"، "ك": "لأنها" ساقطة.

(١١) "ك": "ومن شروط وجه"، ب: "ومن شروط الدليل"، وعبارة الفتوحات: "وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول".

بالمذلول، والذات لا ترتبط، كما أنها لا تتحلط، انتهى^(١).
وقال في موضع آخر: اعلم أن الذات المقدسة لا تدخل تحت إحاطة علم ولا إدراك^(٢)، وقال في الباب السادس من "الفتوحات"^(٣): حيث أطلقنا العلم بالله - تعالى - في كلامنا، فمأذنا العلم بوجوده، وبما هو عليه من صفات الكمال، وأما العلم بحقيقة ذاته، فهو ممنوع بين المحققين لا يُعلم بدليل ولا برهان، وغاية معرفتنا^(٤) به علمنا بأنه ليس كمثله شيء، وأما المعاني فلا علم لأحد بها، انتهى^(٥).
وقال في الباب السادس عشر منها أيضا^(٦): لا خلاف عندنا أن الذات لا تُعلم بالكون أصلا^(٧)؛ لأن الكون لا تعلق له إلا بالمراتب دون الذات؛ كالاسم "الخالق" يطلب وجود معلوق، و"الرازق" يطلب مرزوقا^(٨)، و"الرحمن" يطلب مرحوما^(٩)، وهكذا^(١٠)، وقال في الباب الرابع والأربعين ومائة منها أيضا^(١١): اعلم أنه ليس للفكر حكم، ولا مجال في ذات الحق - جل وعلا - عقلا^(١٢)، ولا شرعا، وسبب ذلك ارتفاع المناسبة بين ذاتنا

(١) انظر عبارة محيي الدين في باب الأسرار في (الفتوحات المكية)، ١٢٢/٨.

(٢) "ك": "... إحاطة علم الخلق ولا إدراكهم".

(٣) عنوان هذا الباب "في معرفة بدء الخلق الروحاني، ومن هو أول موجود فيه، ومن وجد، وقيم وجود، وعلم أي مثال وجد، ولم وجد، وما غايته". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١/ ١٨١.

(٤) "د": "وغاية علمنا".

(٥) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٨٣/١.

(٦) عنوان هذا الباب "في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية، ومبدأ معرفة الله منها، ومعرفة الأرواح والأبدان، ومن تسلاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٤٠/١.

(٧) "أ": "بالكنه"، وأحسبه تصحيحا لا يتساقط مع ما بعده.

(٨) "ك"، "ز": "وجود مرزوق".

(٩) "ك"، "ز": "وجود مرحوم".

(١٠) عبارة محيي الدين: "اعلم أن الكون لا تعلق له بعلم الذات أصلا، وإنما متعلقه العلم بالمرتبة، وهو مسمى الله، فهو الدليل المحفوظ الأركان الساد على معرفة الإله، وما يجب أن يكون عليه سبحانه من أسماء الأفعال ونعوت الجلال". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٤٤/١.

(١١) "د"، "ك": "ماتة" ساقطة، والصواب كما ورد في المتن والفتوحات المكية، وعنوانه "في معرفة مقام الفكر وأمراره". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣٤٦/٣.

(١٢) "د"، "ك"، "ز": "لا عقلا ولا شرعا"، وهي كذلك في الفتوحات المكية.

وَذَاتِ الْحَقِّ تَعَالَى^(١).

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْثَمَانِينَ^(٢) مِنْهَا أَيْضًا: أَجْبَلُ الطَّوَائِفِ بِاللهِ -تَعَالَى- مَنْ يَطْلُبُ مَعْرِفَةَ كُنْهِ الذَّاتِ^(٣). وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّاسِعِ وَالسَّبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ^(٤): اعْلَمْ أَنَّ التَّجَلِّيَ الثَّانِي فِي غَيْرِ حِجَابٍ مَنُوعٍ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقَائِقِ وَجَمِيعِ التَّجَلِّيَّاتِ الْوَاقِعَةِ لِقُلُوبِ الْخَلْقِ إِلَّا مَا هِيَ جُسُورٌ يُعْبَرُ^(٥) عَلَيْهَا بِالْعِلْمِ، فَيَعْلَمُونَ عِنْدَ وَقُوفِهِمْ عَلَى آخِرِ هَذِهِ الْجُسُورِ أَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ الْمَشْهُودِ أَمْرٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يُعْلَمَ، وَلَا يُشْهَدَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الْمَشْهُودِ الَّذِي لَا يُشْهَدُ وَلَا يُعْلَمُ حَقِيقَةٌ مَا يُعْلَمُ أَصْلًا^(٦).

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا أَيْضًا^(٧): اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَاضَ بِفِكْرِهِ فِي الذَّاتِ فَهُوَ عَاصٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ لِيُعَرِّضَهُ لِأَمْرِ قَدْ نَبَاهَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَنْهُ مَعَ شَهِيدٍ عَجَزَ عَنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ -تَعَالَى-^(٨) بِذَلِكَ لِحُكْمِ^(٩)، وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّانِي

(١) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٣/٣٤٧.

(٢) "ب"، "ك"، "ز"، "الثمان"، وهو تعريف من التباس.

(٣) عنوان هذا الباب هو "في الفرار"، انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٣/٢٣٢.

(٤) عنوان هذا الباب هو "معرفة منزل الاعتبار وأسراره من مقام المحمدي"، انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤/٣٥٣.

(٥) "ب"، "يعبرون".

(٦) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤/٣٥٣، والعبارة منقولة بتصرف.

(٧) "ك"، "أيضا" ساقطة، وعنوان هذا الباب: "في معرفة منزل من باع الحق بالخلق، وهو من المحصرة المحمدية"، ٥/١١٨.

(٨) "ب"، قوله: "مع شهود عجزه عن معرفة ذلك، وما أمر الله تعالى" ساقطة.

(٩) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٥/١١٩، وفي هذا المضمار يقول: "لقد بين لك ما مراد بتوحيد الله الذي أمرنا بالعلم به أنه توحيد الألوهية له، سبحانه لا إله إلا هو، قال -تعالى-: ﴿لَا تَأْتِيهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُ﴾، ولم يقل: فاعلم أنه لا تقسم ذاته، ولا أنه ليس بمركب، ولا أنه مركب من شيء، ولا أنه جسم، ولا أنه ليس بجسم، بل قال في صفته إنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ولما لم يتعرض الحق -سبحانه- إلى تعريف عباد به حاضوا فيه بقوهم، ولا أمرهم الله في كتابه بالنظر الفكري إلا ليستدلوا بذلك على أنه إله واحد، أي أنها لا تدل إلا على الوحدانية في المرتبة ﴿لَا تَنفَكُوا وَلَئِنَّكُمْ أَتَيْتُمْ زُمْرًا هَؤُلَاءِ وَجِدْتُمْ﴾، فرادوا في النظر، وخرجوا عن المقصود الذي كلفوه، فأنشروا له صفات لم يثبتها لنفسه، ونفت عنه طائفة أخرى، ولم ينلها عن نفسه، ولا نص عليها في كتابه، ولا على ألسنة أنبيائه". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٥/١١٩.

والثمانين وثلاثمائة^(١): اعلم يا أخي أن للحق تعالى بنفسه علماً ما هو عين ما حكم به العقل، ولا هو عين ما شهد به البصر، ولا هو غير^(٢) هذين الحاكمتين^(٣).

وقال في الباب السادس والستين من الفتوحات^(٤): لا يعرف أحد منا حقيقة ذات الحق - تعالى -^(٥) ولو هلك من شدة الفحص؛ لأن بينا وبين حضرة الذات سبعين ألف حجاب من نور وظلمة^(٦)، ونحن على الدوام خلف هذه الحجاب لا يمكننا أن نرقى عن ذلك مع كونه - تعالى - أقرب إلينا من حبل الوريد، وقال الشيخ في شرح كتابه^(٧) المسمى بـ "ترجمان الأشواق": كل الخلق واقفون خلف حجاب العزة الأحمى، لا يصح لأحد أن يتعدى هذا الحجاب إلى معرفة كنه الذات^(٨)، انتهى.

وقال في الباب السابع والستين ومائتين^(٩) من الفتوحات^(١٠): قد حارت

(١) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل الخواتم وعدد الأعراس الإلهية والأسرار الأعجمية". انظر: الفتوحات المكية، ٦/٣١٣.

(٢) ما ورد في الشيخ كلها هو "عين"، وأراه تصحيحاً بقلب المعنى، وصوابه ما ورد في المتن من الفتوحات.

(٣) عبارة محيي الدين بالبعد في الفتوحات، فقد قال: "ثم له علم نفسه ما هو عين ما حكم به العقل عليه، ولا هو عين ما حكم به شهود البصر عليه، ولا هو غير هذين؛ بل هو عين ما حكما به، وهو ما علمه الحق من نفسه مما لم يعلمه هذان الحاكمان". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٦/٣٢٣.

(٤) عنوان هذا الباب "في معرفة سر الشريعة ظاهراً وباطناً وأي اسم يلحق بوجودها". انظر: الفتوحات المكية، ١/٤٨٦.

(٥) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٦) هذا لفظ قريب من لفظ حديث شريف أخرجه الزبيدي، يختلف المثنان، ٢/٧٢، ٥/١٣٧، والبرقي، المعنى من حمل الأسفار، (مكتبة الخليلي)، ١/١٠١، والشوكاني، القوائد المجموعة، ٤٥٠.

(٧) "ب": "في شرحه".

(٨) قال في شرح "ترجمان الأشواق": "الإشارة بقوله - عليه السلام -: 'إن قد سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها أحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره، وهو مشهد عظيم لربه لا يليق أنسرا ولا عينا ولا كونا، فما احتجب إلا رحمة بنا لبقاء أعياننا". انظر: محيي الدين، شرح ترجمان الأشواق، ١٠٦.

(٩) "د"، "ك"، "ز"، "مائة". وليس ذلك كذلك، وصوابه ما ورد في "أ" و "ب" والفتوحات.

(١٠) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل التكليب واليحل وأسواره من مقام الموسوي". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤/٣٤١.

القول في معرفة كنه ذات الحق جلّ وعلا، وتعالى الله^(١) عن إدراك الحواس، وعن إدراك العقول^(٢)، وقال في الباب الحادي والخمسين ومائتين^(٣): قَسْبَحَانْ مَنْ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِأَنَّهُ لَا يُعْلَمُ^(٤)، وكفى بذلك تنزيهاً للحق - تعالى - وتمييزاً له عنه.

وقال في الباب الرابع والخمسين ومائتين^(٥): إِذَا كَانَ حِجَابُ الْحَقِّ - تَعَالَى - عَلَيْنَا دَائِمًا لَا يُرْفَعُ، وَالسِّرُّ عَلَيْنَا دَائِمًا يُسْدَلُ^(٦)، فَلَا تَقَعُ عَيْنُنَا إِلَّا عَلَى الْحِجَابِ دُونَ الْكُنْهِ وَالْحَقِيقَةِ^(٧). وقال في الباب التاسع عشر وثلاثمائة^(٨): اعْلَمْ أَنَّ الذَّاتَ لَمْ تَزَلْ مَجْهُولَةً، وَأَنِّي لِلْحَادِثِ^(٩) مَعْرِفَةُ الْقَدِيمِ^(١٠). وقال في الباب الستين وثلاثمائة^(١١): إِنَّمَا حَرَّمَ الْعُلَمَاءُ

(١) "د": "ذات" ساقطة والعبارة في "د": "في معرفة كنه الحق". (٢) "د": "تعالى الله تعالى".

(٣) وفي ذلك يقول شعراء:

وكيف يترك من لا شيء بشيه	من يأخذ العلم عن حس وعن نظر
فما العلم بالله عين الجهل فيه	والجهل بالله عين العلم فاعتبر
وليس في الكون معلوم سواه فما	تقول يا أيها المطلوب عن حصر
إن الظهور إذا حصر الغيوبة لنا	كذلك الأمر فانظر فيه وانكسر

انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٣/٤٢٧.

(٤) عنوان هذا الباب "في عدم الري"، ٢٧١/٤.

(٥) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٧٢/٤، ونحو تصحيح في النسخة "أ" و"د"، ففيها: "إلا بإذنه يعلم...".

(٦) عنوان هذا الباب: "في معرفة السر، وهو مشترك عما يفنيك". انظر: الفتوحات المكية، ٢٧٣/٤.

(٧) "ب": "ثم سقطت العبارة فيها: "... لا يرفع، والسر علينا مسدل".

(٨) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٧٤/٤، وعبارة: "فانستر مسدل، فلا تقع العين إلا على ستر، لأنها لا تقع إلا على صورة، وهذا لما تقتضيه الألوهية من الغيرة والرحمة، فأما الغيرة فإنه يترأى أن يتركه غير، فيكون محاطاً لمن أدركه "بكل شيء محيط"، وأما الرحمة فإنه علم أن المحدثات لا تبقى لسبحات وجهه، بل تشتت جأ، فسترهم رحمة لإبقاء عيّنهم".

(٩) عنوان هذا الباب "في معرفة تنزل سراج النفس عن قيد ما من وجوه الشريعة بوجه آخر منها". انظر: الفتوحات المكية، ١٠٥/٥.

(١٠) "د"، "ز": "لمحدث".

(١١) عبارة محيي الدين: "وقال - صلى الله عليه وسلم -: "من عرف نفسه عرف ربه"، ولم يقل: عرف ذات ربه، فبيان ذات الرب لها المعنى على الإطلاق، وأنى للتعبد بمعرفة المطلق، والرب يطلب المربوب بلا شك، ففيه راحة التقيّد". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٠٦/٥.

(١٢) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل الظلمات الممودة والأنوار المشهودة". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤٠٥/٥.

بالله التَّكْوَنُ في ذات الله؛ لَأَنَّ ذَلِكَ التَّكْوَنُ لَا يَصِلُ^(١) إِلَى مَعْرِفَةِ الذَّاتِ أَبَدًا^(٢)، وَإِنَّمَا يُؤَدِّي لِمَا تُحْشَى عَوَائِدهُ^(٣).

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالسَّبْعِينَ وَثَلَاثِينَ^(٤): وَإِذَا كَانَتْ ذَاتُ الْحَقِّ -تَعَالَى- غَيْرَ مَعْلُومَةٍ، فَالْحُكْمُ عَلَيْهَا بِأَمْرِ مَا دُونَ آخِرِ جَهْلِ عَظِيمٍ^(٥). وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ^(٦): مَا سَمَى الْحَقُّ -تَعَالَى- نَفْسَهُ^(٧) بِالْبَاطِنِ إِلَّا لِبُطُونِ الْعِلْمِ بِالذَّاتِ لِخَلْقِهِ^(٨)، فَهُوَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ مَعْلُومٍ^(٩)، أَتَمَّ.

وَقَالَ فِي "تَوَافِقِ الْأَنْوَارِ" لِلشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ: اعْلَمْ أَنَّ أَكْمَلَ الْعِلْمَاءِ بِاللَّهِ عِنْدَ عِلْمَاءِ الْكَلَامِ مَنْ أَوْغَلَ فِي تَحْرِيمِ الْأَدَلَّةِ، وَكَلَّمَا قَامَ بِبَاطِنِهِ أَمْرٌ تَفَاهَى مِنْ ذَهْنِهِ، فَكَانَ

(١) "ب": "يُوصِلُ".

(٢) "ب": "كَيْفَ الذَّاتِ".

(٣) "ك": "ب"، "ز": "إِلَى مَا تُحْشَى"، وَالْعِبَارَةُ بِمَحْيِي الدِّينِ فِي الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٤١٦/٥. وَيَقُولُ تَمِّ: "وَأَمَرْنَا بِالطَّاعَةِ الْأُولَى الْأَمْرَ كَمَا أَمَرْنَا بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلَا نَخْرُجُ بِهَا مِنْ طَاعَةِ عَمُومَتِ مِهْنَةِ جَاهِلِيَّةٍ، وَالجَهْلُ أَشَدُّ مَا عَلَى الْإِنْسَانِ...، وَمَا أَنْكَرَهُ مِنْ أَنْكَرِهِ فِي الْأَعْرَةِ، أَوْ حَيْثُ وَفَعَ الْإِنْكَارُ إِلَّا لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ النِّظَرِ الْعَقْلِيِّ، وَقَبِلُوا الْحَقَّ، قَلْبًا لَمْ يَرَوْا مَا قَبِلُوهُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ عَدَدَ ذَلِكَ أَنْكَرُوهُ".

(٤) عَوَانُ هَذَا الْبَابِ "فِي مَعْرِفَةِ مَزَلِ الْخَلْقِ وَالْعَقْدِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِهَانَةِ وَنَشْأَةِ الدُّعَاءِ فِي صُورَةِ الْإِعْبَارِ"، ٢٨٧/٦.

(٥) يَقُولُ فِي هَذَا الْبَابِ: "فَاتَّظَرُ فِي هَذَا السَّرِّ الْإِلَهِيِّ مَا أَدْلَهُ وَمَا أَنْعَمَهُ فِي التَّنْزِيهِ الَّذِي لَا يَصِحُّ لِلْحَقِّ مَعَ الْحَقِّ فِيهِ مِشَارَكَةٌ...، فَالْحَقُّ خَلَقَ لِنَفْسِهِ، وَالْحَقُّ حَقٌّ لِنَفْسِهِ". انْظُرْ: الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٦/٦٢٩٦.

(٦) "ك": "ز"، "ز": "الثَّامِنِ وَالسَّبْعِينَ وَثَلَاثِينَ"، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَعَوَانُهُ: "فِي مَعْرِفَةِ مَزَلِ عِلْمِ الْأَلَاءِ وَالْفَرَاغِ إِلَى الْبَلَاءِ وَهُوَ مِنَ الْخِصْرَةِ الْهَمْدِيَّةِ". انْظُرْ: عَمِّي الدِّينِ، الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ١٥٨/٥.

(٧) "ب": "ز"، "ز": "نَفْسَهُ" سَائِقَةً.

(٨) "ك": "ز"، "ز": "بِالذَّاتِ الْمُتَلَسِّسِ لِحَلْقِهِ".

(٩) انْظُرْ: عَمِّي الدِّينِ، الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ١٦٠/٥-١٦١، وَالْعِبَارَةُ مَنْقُولَةٌ بِالْمَعْنَى، وَالْتَفْسِيرُ لِلشَّعْرَاءِ، وَانْظُرْ كَيْفَ حَدَّثَهُ عَنْ حَصْرَةِ الْبُطُونِ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ وَحِسَابَتِهِ مِنَ الْفَتْوحَاتِ، فَقَالَ فِيهِ:

السِّرُّ مَا بَطَّنَتْ فِيهِ حَقِيقَتُهُ وَالْجَهْرُ يَظْهَرُهُ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ
لَوْلَا الْبُطُونُ وَلَوْلَا سِرُّ حِكْمَتِهِ مَا فَضَّلَ اللَّهُ عُلُوقًا عَلَى الْبَشَرِ

غاية^(١) هذا أنه وَقَفَ بعدَ التعبِ العظيمِ مع قوله -تعالى-^(٢): ﴿لَسَ تَسَ تَعْمَلِينَ شَيْئًا ۖ﴾^(٣)، وَضَعُ عُمُرَهُ فِي التَّفَكُّرِ فِيمَنْ لَا تَصِحُّ معرفتهُ بِالتَّفَكُّرِ، وَشَغَلَ لَبَّهُ فِيمَا^(٤) نَهَاهُ اللَّهُ -تعالى-^(٥) عَنْهُ مِنْ طَرِيقِ الإِشَارَةِ بِقَوْلِهِ^(٦): ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۖ﴾^(٧)، فَإِنْ اكْتَمَلَ التَّامُّ إِدْبَارًا مَعَ اللَّهِ -تعالى- مَنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ بِدَائِهِ الَّتِي تَرْفَعُ عَنْهَا^(٨)، فَاسْتَرَاحَ مِنْ الْخَوْضِ فِي ذَاتِ رَبِّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ أَوَّلِ قَدَمٍ، وَفَرَّغَ الْمَحَلَّ، فَبَقِيَ قَائِلًا لِلْمَوَاهِبِ وَالْأَسْرَارِ، أَشْهَى، فَاعْلَمْ ذَلِكَ^(٩)، وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الْمَحَلِّ، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جَدًّا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ ارْتِفَاعِ حِجَابِيَّةِ الْعِلْمِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ معرفتهُ بِالْعِلْمِ بِالْحَقِّ معرفةً بِالْحَقِّ تَعَالَى، وَأَنَّ حِجَابِيَّةَ^(١٠) الْعِلْمِ تَرْتَفِعُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فَيَصِيرُ يَعْرِفُهُ بِلَا حِجَابٍ عِلْمٍ، وَالْجَوَابُ أَنَّ حِجَابَ الْعِلْمِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَصَحُّ رَفْعُهُ، فَالْعِلْمُ هُوَ الْعَالِمُ بِالْحَقِّ^(١١) -تعالى- لَا الْعَبْدُ، وَعِبَارَةُ الشَّيْخِ مُحْسِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ"^(١٢): لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ الْحَقَّ -تعالى- (إِلَّا بِوَسْطَةِ الْعِلْمِ، فَالْعِلْمُ هُوَ الْعَارِفُ بِالْحَقِّ -تعالى- لَا الْعَبْدُ، فَمَا عَرَفَ رَبُّكَ إِلَّا الْعِلْمَ، لَا أَنْتَ)^(١٣)، فَإِنَّ^(١٤) عِلْمَكَ دَائِمًا حَاجِبٌ لَكَ عَنْ معرفتكِ بِحَقِيقَةِ كُنْهِ ذَاتِ

(١) "ك"، "ب"، "تغاية هذا"، "ز"، "وغاية هذا".

(٢) "د"، "تعالى" ليست فيها.

(٣) (الشورى، الآية ١١)، وقد وردت في "ك"، "ليس كمثل شيء، وهو السميع البصير".

(٤) "ك"، "ب"، "ز"، "تعالى". (٥) "ك"، "ب"، "تعالى" ليست فيها.

(٦) "د"، قوله: "من طريق الإشارة" ساقط.

(٧) (آل عمران الآية ٢٨)، "ب"، "الله تعالى".

(٨) "د"، العبارة: "التي بدائته"، (٩) "ب"، "فتأمل ذلك".

(١٠) "د"، "ك"، "ز"، "حجاب الحق يرتفع".

(١١) "ك"، "بالله".

(١٢) عسوان ههنا الباب "في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خيرة طينة آدم عليه السلام، وهي أرض الحقيقة، وذكر بعض ما فيها من الغرائب والمعجائب"، انظر: بحبي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٥/١.

(١٣) "ب"، "فأنت حائل لا أنت"، ولعل ذلك غير مستقيم.

(١٤) "ك"، "ب"، "ز"، "تعالى".

رُبُّكَ، فَأَنْتَ خَلْفَ عِلْمِكَ بِحُوسٍ فِي دَالِزِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ جَرَيْتَ عَلَى اسْلُوبِ الْحَقَائِقِ أَنْ تَقُولَ إِنَّكَ عَلِمْتَ الْمَعْلُومَ، فَإِنَّكَ مَا عَلِمْتَ إِلَّا الْعِلْمَ، وَالْعِلْمُ هُوَ الْعَالِمُ بِالْمَعْلُومِ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْلُومِ بَحُورٌ مِنَ الْعِلْمِ^(١) لَا يُدْرِكُ قَعْرُهَا، فَإِنْ سُرَّ التَّعَلُّقُ بَيْنَهُمَا مَعَ تَبَايُنِ الْحَقَائِقِ بِحَرِّ مَرَكَبِهِ غَسِيرٍ، بَلْ^(٢) لَا تَرَكِبُهُ الْعِبَارَةُ أَصْلًا وَلَا الْإِشَارَةُ، وَلَكِنْ يَدْرِكُهُ أَهْلُ الْكَشْفِ مِنْ حُلُوفِ حُجُبٍ كَثِيرَةٍ لَا يُحَسِّنُ بِهَا أَتَمَّهَا عَلَى عَيْنِ بَصِيرَتِهِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ^(٣)، وَكُمُلُ وَرَثَتِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لِدَقِيقَتِهَا بِغَمُوضِهَا، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْحُجُبُ عَسْرَةَ الْمَدَارِكِ^(٤) كَمَا بَيَّنَّاهُ فَأُخْرَى مَنِ خَلَقَهَا، أَشْهَى^(٥).

وَمِنْ هُنَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِنَّ الْعِلْمَ حِجَابٌ عَنِ اللَّهِ -تَعَالَى- إِجْبَارًا بِالْوَاقِعِ، فَظَنَّ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ أَنَّ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الذَّمِّ لِلْعِلْمِ، فَأَخْطَأَ فِي حَقِّ الْعَارِفِينَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَكَيْفَ يَذُمُّ الْعَارِفُونَ الْعِلْمَ الَّذِي مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَجَعَلَهُ أَسَاسَ الطَّرِيقِ إِلَى حَضْرَتِهِ، فَاهْبِثْ ذَلِكَ، وَإِهْلِكَ وَالْعَلَطَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ مُرَاقِبَةِ الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةِ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ تَوَهَّمُ مِنَ الثَّقَفَاءِ وَالْفُقَهَاءِ أَنَّ مُرَاقِبَةَ الذَّاتِ تَصَحُّ^(١) لِأَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ، وَالْجَوَابُ أَنَّ مُرَاقِبَةَ الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةِ لَا تَصَحُّ لِأَحَدٍ، فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- هُوَ الْمُرَاقِبُ؛ اسْمٌ فَاعِلٌ، لَا الْمُرَاقَبُ^(٢)؛ اسْمٌ مَفْعُولٌ، وَإِبْضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ تَعَلُّمَ يَا أَحْيَى أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ وَتَقَرَّرَ أَنَّ الْعِلْمَ بِأَمْرِ^(٣) لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ أُخْرَى قَدْ تَقَدَّمَتْ قَبْلَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ بِأَمْرِ أُخَرَ يَكُونُ بِهِ بَيْنَ الْمَعْرُوفَيْنِ مُنَاسِبَةٌ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ تَبَيَّنَ وَتَقَرَّرَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ -تَعَالَى-^(٤) أَنَّهُ

(١) "ك"، "ز"؛ "بحور من التوفيات".

(٢) "ك"؛ "بَلْ" ساقطة.

(٣) "د"، "ك"؛ "إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ"، "ز"؛ "عليهم السلام".

(٤) "ك"، "ز"؛ "المذكور".

(٥) لم يرد كلام عبي الدين في الباب الثامن كما ذكر الشعراوي.

(٦) "د"، "ك"؛ "الذات الأحادية"، "ك"؛ "لا تصح"، وهذا يقلب المعنى.

(٧) "د"، "ك"؛ قوله: "المراقب، اسم فاعل" ساقطة.

(٨) "د"، "ك"، "ز"؛ "بأمر ما".

(٩) "ك"، "ز"؛ "تعالى" ليست فيها.

لا مناسبة بين العبد وبين ربه بوجه من الوجوه، فليس بإيدينا علم متقدم بشيء من ذلك حتى ندرك به ذات الحق - جل وعلا -^(١) لما بينهما من المناسبة، فلا يعلم - تعالى - لنا يعلم سابق أبداً، وكيف يصبح لعبد معرفة ذات ربه حتى يُراقبها؟ ومن المتعالم أن العقل لا يدرك كنه نفسه فضلاً عن كنه ذات ربه - جل وعلا - من حيث ما العقل يبحث وناظر؟ لأن برهان العقل الذي يستند إليه هو الحس والضرورة والتجربة^(٢)، والحق - تعالى - غير مُدرك بهذه الأصول الثلاثة، وإنما يُدرك بها أن الحق - تعالى - موجود، وأن العالم كله مُقتبِر إليه اقتداراً ذاتياً^(٣) لا محيص له عنه.

وإذا كان الأمر على هذا الترتيب، فلا يصح لأحد مراقبة ذات الحق - تعالى - أبداً؛ لأنه - تعالى - لا كيف له، ولا أين، ولا متى، ولا وضع، ولا إضافة، ولا غرض، ولا جوهر، ولا كم، (وهو المقدار)^(٤)، وما^(٥) ثم في الوجود لا فاعل مُجبول عليه، مرئي أثره، ولا يُعرف خبره، ولا يعلم عينه، ولا يُجهل كونه، فلمن يراقب أحدنا ولا ثم^(٦) من تنفع عليه عين، ولا من يضبطه خيال، ولا يُحذِّه زمان، ولا من تُعدِّده صفات وأحكام، ولا من تُكفِّه أحوال، ولا من تُغيِّره^(٧) أوضاع، ولا من تُظهره إضافة؟ وكيف يصح مراقبة من لا يصح في حقه شيء من هذه الصفات؟ وقد اجتمعوا على أن من شرط^(٨) العلم أن يُرفع الخيال، فالكامل في المعرفة من عظمته في الله - تعالى - خيره، ودانت حسره، ولم يَلْ منه مراده، ولم يتحصل على أمر يضبطه منه في نفسه، فاعلم ذلك يا أخي، ونزة ربك عن الخيالات والأشكال حال مُراقبتك وغيرها، فإن الحق - تعالى - بخلاف ذلك بإجماع أهل الكشف والعقل، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ صَحَّةِ الْأَنْسِ بِاللَّهِ]

ومما أُجبت به من توهَم صَحَّةِ الْأَنْسِ بِاللَّهِ^(٩) لأحد من الأولياء، والجواب أن

(١) "ك"، "ز"، "تعالى وتقدس"، (٢) "ك": "أو التجربة"، "ز": "أو الضرورة أو التجربة".

(٣) "ك"، "ز": "ذاتاً ساقطة"، (٤) "د"، "ك": قوله: "ولا كم" ساقط.

(٥) "ك"، "ز": "ولا ثم"، (٦) "ك"، "ب"، "ز": "وما ثم".

(٧) "ك"، "ز": "صيره"، (٨) "ك": "من شروط".

(٩) "ك"، "ز": "بالله تعالى".

ذَلِكَ لَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْجَهْلِ بِكُنْهِ الذَّاتِ، وَقَدْ قَالَ الْوَلِيُّ الْكَامِلُ سَيِّدِي عَلِيُّ بْنُ وَفَا -رَحِمَهُ اللَّهُ-^(١): لَا يَصِحُّ الْأُنْسُ بِاللَّهِ -تَعَالَى- لِأَحَدٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، وَمَا أُنْسَ مَنْ أُنْسَ^(٢) إِلَّا بِمَا مِنْهُ مِنَ الْقُرْبِيَّاتِ لَا بِذَاتِهِ تَعَالَى، أَتَشْعَى.

وهذا نظيرُ ما قدَّمناه^(٣) آنفاً من عدمِ صَحَّةِ مُرَاجَعَةِ الذَّاتِ، فُلْتُ: وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الطَّرِيقِ عَلَى مَا قَالَهُ سَيِّدِي عَلِيُّ بْنُ وَفَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَالُوا: الْأُنْسُ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالْمُشَاكِلِ وَالْمُنَاسِبِ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ مُشَاكَلَةٌ^(٤)، وَلَا مُنَاسِبَةٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَكَانَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-^(٥) يَقُولُ كَثِيرًا: إِنَّ الذَّاتَ الْمُقَدَّسَةَ لَا تَدْعُلُ تَحْتَ إِحَاطَةٍ عِلْمٍ وَلَا إِدْرَاكٍ، وَكَانَ يَقُولُ: غَايَةُ عِلْمِ الْأَوْلِيَاءِ بِاللَّهِ -تَعَالَى- أَنْ يَصِلَ إِلَى عِلْمِ^(٦) حُصُولِ التَّجَلِّيَّاتِ لَا غَيْرَ، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ تَجَلِّيهِ فَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُهُ^(٧)، لِأَنَّهُ مِنْ خَصَائِصِ عِلْمِ الْحَقِّ -تَعَالَى- بِنَفْسِهِ، وَإِضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ الذَّاتَ مَهْبُولَةٌ فِي

(١) "ك": "رضي الله عنه"، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن وفا القرشي الشافعي المالكي، من أعلام التصوف، إسكندري الأصل، ولد بالقاهرة سنة (٧٥٩هـ)، مات أبوه وهو طفل صغير، كان في غاية الظرف والجمال، لم يُر -كما يقول الشعراوي- في مصر أجمل منه وجهاً ولا ثياباً، وله نظم وموشحات، تسوي وله نيف وأربعون سنة (٨٠٢هـ)، من كلامه: إياك أن تحسد من فضله الله عليك، فتسبغ كما مسح إبليس من الصورة الملكية إلى الشيطانية، وكذلك: العاقل لا يمدح نفسه بقله، ولا يلمها بحاله، إلا إذا أمره الشرع بحسن كماله، كما قال المصطفى: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"، وكذلك قوله: ألحظ قليل، والمعنف كثير، وما قل وكفى خير مما كثر وألغى، وكفسي باللهو ضروا، انظر ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، ٢٠/٦، والشعراوي، لوائح الأتوار، ٤٧٨/٢، والسناري، الكنواكب الدرسة، ٢٠١/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٧٠/٨، والذكر من العاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ١٠١، والنبهاني، جامع كرامات الأولياء، ٣٢٦/٢، والمزركلي، الأعلام، ٧/٥، وعمر كحلته، معجم المؤلفين، ٥٢٥/٢، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٧-٨/٤٣١.

(٢) "ك"، "ب"، "ز": "أنس به".

(٣) "ك": العبارة: "وهكذا مثل ما قدَّمناه"، "ز": "وهكذا نظير".

(٤) "د": "بين الخلق وربه".

(٥) "د"، "ز": "رحمه الله".

(٦) "ك": "إلى مقام التجليات"، "ز": "إلى مقام حصول التجليات".

(٧) العبارة في "ك": "وأما تجليه لأحد فلا..."، "ب": "وأما كيفية تجليات ذاته فما لأحد علمه"، "ز": "فلا يصح لأحد علمه".

الأصل: فَعِلْمٌ كَيْفِيَّةٌ تَجَلِّيَهَا غَيْرُ حَاصِلٍ وَلَا مُدْرِكٌ لِأَحَدٍ، أَشْبَهِي.
 فاعلم ذلك يا أخي، وإنا أن نقول إنك قد أسست بالله تعالى^(١)، فإن ذلك لا يصح، وقد^(٢) سمعت مرة هاتفا يقول: إذا كان كل شيء خطر يال عبيدي، فانا بخلافه، فكيف يصح له مناجاتي على الكشف والشهود، والأنس بي؟ أشبه، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ الْخَلْقِ صُورَةً مَعْقُولَةً لِلْحَقِّ]

ومما أجبت به من يتوهم أن الله -تعالى- صورة تُعَقَّلُ لأحد في هذه الدار على وجه الإحاطة أحدًا من ظاهري حديث: "إن الله -تعالى-^(٣) خلق آدم على صورته"^(٤)، ومن قول غلام التعبير لمن رأى ربه في المنام: رؤيتك حق، وقالوا: قد ورد خبر الرؤيا للعبد المؤمن أن يرى ربه في منامه.

والجواب أن هذين الحديثين لا يُثابِتَانِ تَزْيِيدَ الْحَقِّ تَعَالَى، لأن الرؤيا إذا وقعت لا تكون مُكَيِّفَةً لِلْحَقِّ جَلٍّ وَعَلَا، فالعبد يرى ربه حيث صَحَّتْ لَهُ رُؤْيَاهُ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْيِيلٍ، وذلك لأن من خصائص تجليات الحق -جل- وعلا- أنه لا يُثَبِّتُ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنْ

(١) "د"، "ك": "أنت بالله عا".

(٢) "ك": "قد" ساقطة.

(٣) "ك": "تعالى" ليست فيها.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، ٢/٢٤٤، والبخاري في الصحيح، كتاب الاستسقاء (الباب ١٠٢/٦٥١)، ٣٩١/٨٩، ومسلم في الصحيح، كتاب البر (الباب ١١٥/٣٢)، شرح صحيح مسلم، ٤٠٤/١٦، وكتاب الجنة (الباب ٢٨/١١)، ١٨٤/١٧، والسيوطي في الجامع الصغير (٣٩٢٨)، ٦٠٦/١، ونسبه: "إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته"، وفي صحيح البخاري: "خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا...". وقد عرج عليه محيي الدين في الباب الثالث من الفتوحات في تزيه الحق عن التشبيه والتجسيم، فقال: "أعلم أن المثلية الواردة في القرآن لغوية لا عقلية، لأن المثلية العقلية تستحيل على الله تعالى...، وهل وصفته بصفة كمال إلا منك، فنقط، فإذا دخلت من باب التعرية عن المتاعرة سلبت النقص التي تجوز عليك عنه، وإن كانت لم تقم قط به، ولكن المحسم والمثبه لما أضافا إليه سلبت أنت تلك الإضافة...، وإن كان للصورة هنا متاعل كبيرة أضربنا عن ذكرها رغبة فيما قصدهنا في هذا الكتاب من حذف التطويل". انظر: الفتوحات المكية، ١/١٥٢.

واحد كَلَمْحَةٍ بَارِقٍ، والتكليف إنما يكون في شيء ثَبَتَ آئِينَ فَأَكْثَرَ، وبالحسنة، فإذا كانت حقيقة الحق - تعالى - مُخَالَفَةً لِسَائِرِ الْحَقَائِقِ بِإِجْمَاعِ الْمُحَقِّقِينَ، فَمَا يَبْقَى لِلْحَقِّ - تعالى - صُورَةٌ تُعْقَلُ، بَلْ هُوَ - تعالى - لَا تُعْقِلُ ذَاتُهُ الصُّورَةَ أَبَدًا.

وَأَمَّا حَدِيثُ: "إِنَّ اللَّهَ - تعالى -^(١) خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"، فَقَالَ الْجَلَالُ السِّيُوطِيُّ^(٢) وَغَيْرُهُ^(٣): إِنَّ الْحَدِيثَ وَلَوْ عَلَى سَبَبٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى شَحَصًا يَلْطُمُ وَجْهَ غُلَامِهِ فِي بَعْضِ لِرْقَةِ الْمُنْبِجَةِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ اللَّهَ - تعالى - خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، فَالضَّمِيرُ فِي "صُورَتِهِ" عَلَى هَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْغُلَامِ^(٤)، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ: لَا تُلْطِمُهُ عَلَى وَجْهِهِ لِشَبْهِهِ لِلسَّيِّدِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، انْتَهَى^(٥).

وَسَيَّاهُ أَنَّهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ لِكُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ^(٦) صُورَةً مَخْصُوصَةً فِي سَائِرِ الْعَرْشِ أَظْهَرُهَا اللَّهُ - تعالى - لِإِسْرَافِيلَ^(٧)، وَأَنَّ الْمُرَادَ^(٨): خَلَقَ اللَّهُ - تعالى - آدَمَ - عَلَيْهِ

(١) "ك"، "ز"، "تعالى" ساقطة.

(٢) "د"، "ب"، "ز"، رحمه الله. وهو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الإمام المؤرخ الأديب النحوي المصري المفسر، له نحو ٦٠٠ مصنف، ولد في القاهرة سنة (٨٤٩هـ)، نشأ فيها بالقاهرة، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وحل بنفسه في روضة القنياس على النيل، فألف جل كتبه، وظل منقطعاً إلى شاليه إلى أن توفي بمنزله بروضة القنياس سنة (٩١١هـ). له "الإنشاد"، و"غدير الجلالين"، و"نغمة الوعاة"، و"الجامع الصغير"، و"مجمع المومنين"، و"مقامات"، و"الدلائل المصنوعة"، و"لباب النقول"، وغير ذلك كثير، انظر ترجمته: الشعرائي، الطبقات الصغرى، ١٧، والفريز، الكواكب السائرة، ٢٢٧/١، وابن العماد، شذرات الذهب، ٥١/٨، والفيثادي، هدية العارفين، ٥٣٤/٥، والزركلي، الأعلام، ٣٠١/٣، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٨٢/٢.

(٣) من الذين عرضوا لهذا الحديث ابن قتيبة وابن فورق وابن السيد وابن الجوزي وابن العربي والسيوطي وابن حمزة الحسني، وقد يتوهم سيقال الحديث، ومنه يظهر أن الضمير عائد على الغلام لا على الله. انظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ٢٠١، وابن فورق، مشكل الحديث وبيانه، ٤٣، وابن السيد، الإنصاف، ٥٩، وابن الجوزي، دفع شبه التشبيه بألف التنزيه، ١٤٤، وابن حمزة، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، ١٧٢/٢.

(٤) "ك"، قوله "راجع" ساقطة، "ز"، "راجع على..".

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) "ك"، "ز"، "الله تعالى".

(٧) أورد هذا الحديث أبو طاهر في "سراج العقول"، ٤٣، ولم أعر على نصه في كتب الأحاديث البتة.

(٨) "ك"، "ب"، "ز"، "المراد" ساقطة.

السَّلامُ - على صورته؛ أي التي هي مَنْقُوشَةٌ في ساقِ العرش^(١)، وأما حديث: 'إِنَّ اللَّهَ - تعالى - خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ'^(٢)، فقبلَ إله على حذف مُضَافٍ، وقال بعضهم: فليس المراد به إله خَلَقَهُ على صُورَةِ الذَّاتِ، إذ لا صُورَةَ لَهَا^(٣)، وإنما المراد به صُورَةُ الْأَنْعَالِ والأَخْلَاقِ مع تباين الحَقَائِقِ، فإنَّ اللَّهَ - تعالى - جَعَلَ لآدَمَ وَنَبِيهِ الْأَمْرِ، وَالنَّبِيِّ، وَالتَّوَلِيَّةِ، وَالْعَزْلِ، بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٤)، إِذِ الصُّورَةُ تُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا الشَّانُ وَالْأَمْرُ وَالْحُكْمُ؛ أَيْ: خَلَقَ اللَّهُ - تعالى - آدَمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -^(٥) وَأَوْلَادَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَمْرِهِ، وَتَبْهُونُ، وَيُؤَلُّونَ، وَيَعْمَلُونَ بِإِذْنِهِ^(٦) لَا بِحُكْمِ الْإِسْتِقْلَالِ، كَمَا قَالَ - تعالى - في عِيسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: 'وَإِذْ خَلَقْنَا مِنْ أَلْفَيْنِ كَهَيْئَةِ الطُّمْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ مَآثِرًا بِإِذْنِي وَتُتَبَرَّى الْأَشْجُمَةُ وَأَلَا تُرْسَ بِإِذْنِي وَإِذْ نَخَرَجُ أَلْعَوْنَ بِإِذْنِي'^(٧).

وقد سألتُ مرَّةً سَيِّدِي عَلِيًّا الْحَوْصَنَ عَنْ رُؤْيَا الْحَقِّ - جَلَّ وَغَلَا - فِي الْمَنَامِ فِي صُورَةٍ مَعَ أَنَّ الْحَقَّ - تعالى - مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ لَا تُقْبَلُ الصُّورَةُ، فَقَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: مِنْ شَأْنِ الْخَيَالِ أَنْ يُجَسَّدَ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ التَّجَسُّدُ لِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ، فَإِنَّهُ يُرِيكَ الْمُحَالَاتِ^(٨) كُلَّهَا صُورًا قَائِمَةً، فَيُرِيكَ الْعِلْمَ لَيْثًا، وَالْإِسْلَامَ قُبَّةً، وَالثَّبَاتَ فِي الدِّينِ قِيْدًا، وَيُرِيكَ الْحَقَّ - تعالى - فِي صُورَةٍ مَعَ أَنَّهُ - تعالى - لَا يَقْبَلُ الصُّوَرَ^(٩)، أَتَمَّهِ.

وقال في الباب الثَّامِنِ وَالسِّتِّينِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ"^(١٠): 'أَعْلَمُ أَنَّ أَدْنَى حِجَابِ

(١) "ب": العبارة فيها: "وَأَنَّ الْمَرَادَ: خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ مَنْقُوشَةٌ فِي سَاقِ الْعَرْشِ".

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٣) قوله: "إِذْ لَا صُورَةَ لَهَا" زيادة من "ك" و "ز".

(٤) "ك"، "ب": "بِإِذْنِهِ عَزَّ وَجَلَّ".

(٥) "ب": "عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ" ليست فيها.

(٦) "أ": "بِإِذْنِي"، وهو غير مستقيم.

(٧) (المائدة، الآية ١١٠).

(٨) "ك"، "ز": "الْمُعَانِي".

(٩) "أ": "الْصُّوَر".

(١٠) ورد هذا المعنى في قوله نظرًا في مستفتح الباب التاسع عشر، وهو:

تَجَلَّى وَجُودُ الْحَقِّ فِي مَلَكِ النَّفْسِ دَلِيلٌ عَلَى مَا فِي الْعَالَمِ مِنَ النِّقْصِ

انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٥٢/١.

يَحْبِبُ الْعَبْدَ عَنْ مَعْرِفَةِ كُنْهِ^(١) ذَاتِ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - هُوَ الصُّورَةُ الَّتِي يَفْعُ فِي ذَهَبِ الْعَبْدِ التَّجَلِّيَ فِيهَا، فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَا هُوَ عَيْنُ تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي تُفَعُّ فِي الذَّهَبِ، فَإِنَّهَا مُتَجَسِّدَةٌ مُتَحَيِّزَةٌ^(٢) تَأْخُذُهَا الْجِهَاتُ وَالْحُدُودُ^(٣)، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ^(٤)، انْتَهَى.

وَكَانَ يَتَشَدَّدُ كَثِيرًا:

وَلَيْسَ تَنَالُ الْعَيْنُ فِي غَيْرِ مَظْهَرٍ وَلَوْ هَلَكَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ الْخَرَصِ^(٥)
 أَي لَا تُعْقِلُ الذَّاتُ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا فِي مَظْهَرٍ، وَأَمَّا رُؤْيَا الْعَبْدِ لِلَّهِ إِذَا شَاءَ^(٦) فَهِيَ مِنْ وَرَاءِ الْعَقْلِ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نُورٌ أَتَى لِرَأْيِ" أَي: كَيْفَ أَرَاهُ"^(٧)، حِينَ سُئِلَ^(٨): كَيْفَ رَأَيْتَ رَبَّكَ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ تِلْكَ الْمَظَاهِرِ الْمُقْبِلَةِ.

(١) "ك": "كنه" ساقطة. (٢) "ك": "ك": قوله: "محصلة"، و"متحيزة" ساقطة.

(٣) "ك"، "ب": "الحدود والجهات".

(٤) انظر حديث يحيى الدين عن التزيه في هِلَالِ الْيَابِ: ١/٥٢٢-٥٢٣.

(٥) الشَّعْرُ مِمَّنِ الطُّوِيلُ هِيَ الدِّينِ اسْتَفْتَحَ بِهِ الْبَابَ الثَّامِعَ عَشَرَ الْمَعْقُودَ لَهُ الْعَوَانُ "فِي سَبَبِ نَقْصِ الْعُلُومِ وَزِيَادَتِهَا". وَرَوَاتِهِ فِي النِّسْخِ الَّتِي بَيْنَ يَدَي: "وَلَيْسَتْ تَنَالُ الذَّاتَ فِي غَيْرِ مَظْهَرٍ"، وَيُرْوَى فِي الْمُنْتَوَحَاتِ الْمَكِّيَّةِ فِي طَبْعَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ: "وَلَيْسَتْ تَنَالُ الْعَيْنَ فِي غَيْرِ مَظْهَرٍ"، أَمَّا فِي طَبْعَةِ الْهَيْئَةِ الْعَامَّةِ لِلْكِتَابِ قَيَرَوِي: "وَلَيْسَ يَنَالُ الْعَيْنَ فِي غَيْرِ مَظْهَرٍ"، وَقِيلَ:

وَلَمْ يَسُدْ مِنْ شَمْسِ الْوُجُودِ وَنُورِهَا عَلَى عَالَمِ الْأَرْوَاحِ شَيْءٌ سِوَى الْقَرَصِ
 وَلَيْسَ يَنَالُ الْعَيْنَ فِي غَيْرِ مَظْهَرٍ وَلَوْ هَلَكَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ الْخَرَصِ
 وَلَا رَيْبَ فِي قَوْلِي الَّذِي قَدْ بَيَّنَّتهُ وَمَا هُوَ بِالزُّورِ الْمَمْسُوعِ وَالْخَرَصِ
 انظر: الْمُنْتَوَحَاتِ الْمَكِّيَّةِ (طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ١/٢٥٣)، وَطَبْعَةُ الْهَيْئَةِ الْمَصْرِيَّةِ الْعَامَّةِ لِلْكِتَابِ، السَّفَرِ الثَّلَاثِ، ٧٩.

(٦) "ك"، "ز": "رؤية العبد إذا شاء الله".

(٧) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، ١٥٧/٥، ١٧١، ١٧٥، وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ (١٧٨/٢٩١) الْبَابُ (٧٨)، شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، ١٥/٣، وَابْنُ مَاجَةَ فِي السَّنَنِ، كِتَابُ الرُّهْدِ، ٣٢، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي السَّنَنِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٣٢٩٣)، ١٨٦/٥، وَالنَّسَائِيُّ فِي السَّنَنِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، ٣، وَقَدْ فُسِّرَ ذَلِكَ بِحَسْبِ الدِّينِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ الْأَنْوَارَ حُجُبٌ...، ثُمَّ وَعِدَ بِالرُّؤْيَا، وَهُوَ نُورٌ، فَلَا يَدُ أَنْ يَكُونَ النُّورُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ لَمِيعَاتُهُ مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَارِ الْحُجَابِيَّةِ كُنُوزَ الْأَحَدِيَّةِ وَالْعَزَّةِ وَالْكَسْبَاءِ وَالْعُظْمَى، فَبِهِدْ كُلِّهَا تَرْفَعُ عَنِ الْبَصَرِ، وَيَقَى حُكْمُهَا فِي الْقَلْبِ، فَبِنِعْمَتِهِ تَتَعَرَّى الرُّؤْيَا لِلْحَقِّ تَعَالَى، وَيَقَى حُكْمُهَا فِي الْقَلْبِ وَيَقَى الْعَبْدُ عَنِ الرُّؤْيَا". انظر: يحيى الدين، الْمُنْتَوَحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٢٥٥/٣.

(٨) "ك"، "ب": "سأله".

وسمعتُ سيدي علياً الخواصَّ -رحمه الله-^(١) يقول: "إذا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ حِجَابِ العظمى فِي جَنَّةِ عَدْنٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ مَعَ أَنَّ تِلْكَ النَّارَ لَيْسَتْ بِدَارٍ حِجَابٍ، فَكَيْفَ بِدَارِ الدُّنْيَا، فَقَدْ وَرَدَ: "وَلَيْسَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ إِلَّا رِجَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ"^(٢)، وَرِجَاءُ الْكِبَرِيَاءِ هُوَ عَدَمُ الْإِحَاطَةِ.

وسمعتُ سيدي علياً المرصفي -رحمه الله-^(٣) يقول: كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى ذَاتَ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا- فِي الْآخِرَةِ عَلَى وَجْهِ الْإِحَاطَةِ، وَعَدَمُ الْجَهْلِ بِهَا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، فَلَا يَدَّ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ عَطَأٌ ظَنَّهُ^(٤)، وَيَرَى الْأَمْرَ عَلَى خِلَافٍ مَا كَانَ يَظُنُّ، وَكَانَ^(٥) يقول: لَوْ غَلِبَتِ الذَّاتُ لَبْطَلَتِ أَحْكَامُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُظَلُّ سِرُّ الْقُدْسِ، فاعْلَمْ ذَلِكَ يَا أَحْيَا، وَنَزَّةَ رَبِّكَ عَنْ كُلِّ مَا يَخْطُرُ فِي الْبَالِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ وَأَنَّ كُلَّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْبَصَرُ هُوَ اللَّهُ]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ كُلَّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ بَصَرُ الْعَبْدِ هُوَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَمَا عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ، زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ جَمَلَةِ تَنْزِيهِ الْحَقِّ -تَعَالَى- عَنِ التَّحْيِيزِ وَالْجِهَةِ، وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا مَذْهَبٌ مُخَالَفٌ لِأَهْلِ الْعِلَالِي وَالْتِحَالِ قَضَاءً عَمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَالْمُرْسَلُونَ^(٦)، وَالْأَوَّلِيَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْكَشْفِ عَلَى أَنَّ الْوُجُودَ لَا يُعْقَلُ إِلَّا بِوُجُودِ عَيْدٍ وَرَبٍّ، أَرْزَأَ وَأَثَبَا، فَإِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي عِلْمِ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَى اخْتِلَافِ تَطَوُّرَاتِهِ هَكَذَا، فَكَيْفَا لَا انْتِشَاحَ لِعِلْمِ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا، فَكَذَلِكَ^(٧) لَا انْتِشَاحَ لِمَعْلُومِهِ مِنْ حَيْثُ تَعَلَّقَهُ بِهِ كَمَا سَيَأْتِي بِسَطْوِهِ فِي

(١) "ك"، "ب"، "و" رضي الله عنه.

(٢) أخرجه السيدي في الصحيح، تفسير سورة الرحمن (باب ١٣٠٣/٥٠٤)، ٥٢٥/٦، وكتاب التوحيد (الباب ١٢١٨/٢٢٤٣)، ٨٠٢/٩، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان (باب ٨٠/٢٩٦)، شرح صحيح مسلم، ١٩/٣، والترمذي في السنن، كتاب الجنة، ٣.

(٣) "ك"، "ز"، "ت" تعالي.

(٤) "ك"، "ظنه" ساقط.

(٥) "ك"، "ز"، "و" وكان رضي الله عنه.

(٦) "ب" قوله: "الأنبياء والمرسلون" ساقط.

(٧) قوله: "لا انتشاح لعلم الحق جل وعلا، فكذلك" ساقط من "ب".

مِجْهَاتِ الْقَوْلِ بِحَدُوثِ الْعَالَمِ.

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَاصَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(١) يَقُولُ: لَمْ يَزَلِ الْعَالَمُ مَعْلُومًا لِلْحَقِّ حَلًّا وَغَلًّا، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِنْ شَيْءٍ، وَالْمَرَادُ بِخَلْقِهِ لِثَابِتِهِمْ إِخْرَاجُهُمْ مِنْ مَكُونٍ حَضَرَةٍ عَلَيْهِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ، فَمَا شَهِدُوا نَفْسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِخْرَاجِهِمْ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، فَبِنَاكَ ذَاقُوا لَذَّةَ الْوُجُودِ، وَعَرَفُوا مِقْدَارَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ قَبِمْ مَا ذَكَرْنَاهُ عِلْمٌ أَنَّ الْعَالَمَ عِنْدَ الْحَقِّ - تَعَالَى -^(٢) عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ فِي حَالِهِ كَوْنُهُ مَعْدُومًا، وَفِي حَالِهِ كَوْنُهُ مَوْجُودًا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ إِجْصَاعِ السَّيِّئَةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ غَطَّرَ بِبَابِ الْعَبْدِ فَاللَّهُ - تَعَالَى - بِخِلَافِهِ، هَذَا اعْتِقَادُ الْجَمَاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ^(٣)، فَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ كَانَ لِلْحَلْقِي فِي مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ أَمْرٌ آخَرٌ أَرَى وَأَصْفَى وَأَعْلَى مِمَّا كَانَ لَهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ النُّصُوصَ قَدْ جَاءَتْ بِرُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -^(٤) فِي الذِّكْرِ الْأَحْرَرِ، فَوَجِبَ الْإِيمَانُ بِهَا، وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ تِلْكَ الرُّؤْيَا حَتَّى تَشْكُلَ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ، وَالْكَشْفُ قَدْ بَحِطَ^(٥)، فَقَدْ حَاطَ وَخَسَرَ وَاللَّهُ أَوْلَئِكَ الْبَعْضُ الَّذِينَ يَدْعُونَ^(٦) إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ؛ إِذْ رَفَضُوا^(٧) جَمِيعَ قَوَاعِدِ^(٨) الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي كَلَّفَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ، وَسَيَّأَى أَنَّ الْإِمَامَ أَيْهَا الْقَاسِمِ الْجَنِيدِ^(٩) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَقُولُ^(١٠): لَوْ كُنْتُ ذَا سُلْطَانٍ لَضَرَبْتُ عَنْ كُلِّ

(١) "ك"، "ز"، "رحمه الله تعالى".

(٢) "ك"، "ز"، العبارة فيهما: "ومن فهم ما ذكرناه علم أن العالم عند الحق تعالى من حيث أصل تعلق العلم به على حد سواء....".

(٣) "د"، "ألى يوم قيام الساعة"، (٤) "ب"، "سبحانه وتعالى" ليست فيها.

(٥) "ك"، "ز"، العبارة فيهما: "والكشف عن الأمور النورية لا يوضحه عبارة، وحاج وحسرو..".

(٦) "ب"، "البعض المدعون"، (٧) "ك"، "ز"، "إذ قد رفضوا".

(٨) "ب"، "أحكام الشرائع"، (٩) "ك"، "ز"، "الإمام" ساقطة.

(١٠) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي، وصفه القشيري وعبي الدين والشعراني بأنه سيد الطائفة وإمامهم، صوفي عالم، أصله من نهاوند، ببغداد المولود والنشأة والسمات، توفي سنة (٢٩٧هـ)، وقبره في بغداد بزر، أحد التصوف عن حاله السري السقطي، وحرث الحماسي، قال عنه المناوي: المميزين بفنون العلم، المتوخش بحلايب التقوى والحلم، المنور بخصائص الإيمان، المؤيد بثبات الإيمان،... كان كلامه بالنصوص مربوطا، وبيانه بالأدلة منوطا مبسوطا، ولذلك كان يقول: من لم يحفظ القرآن الكريم، ولم يكتب الحديث، لا يقندي به في هذا الأمر؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب

من^(١) يقول: ما ثمّ إلا الله؛ لأنه ينفي بذلك أنبياء الله وملائكته وأحكامه، ويُعطّل جميع أحكام الأسماء والصفات، وذلك كفر بإجماع المسلمين، انتهى^(٢).

وقد دحل عليّ شخص^(٣) من فقهاء العجم وأنا مريض، فقلت له: من تكون؟ فقال: أنا إبليس، فقلت له: كيف؟ فقال: أنا الله، وأنا إبليس^(٤)، وأنا النبي، وأنا الخنزير، وأنا كل شيء في الوجود، وما رأيت عندي قوة أمسكها بها حتى أجد من يشهد عليّ، فقلت له: أنت حاضر العقل؟ فقال: نعم، فقلت: له كيف قلت ما قلت؟ فقال: لأن الوجود كله صائر عن الله حين لم يكن هناك إلا الله، وإليه يرجع، فقلت له: إن هذا اعتقاد فاسد قد تترّأ إبليس عنه فضلاً عن غيره، فإنه صرّح بأنه مخلوق بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾^(٥)، فلم يجد هذا المزدنيّ جواباً، وفارقتني على اعتقاده الفاسد، تسأل الله العافية، فاعلم ذلك، ولذلك والخروج في اعتقادك عن أهل السنة والجماعة، والحمد لله رب العالمين.

والسنة، من كلامه: العارف من نطق عن سره وأنت ساكت، وكذلك: مكابدة العزلة أشد من مداراة الخلطة، وكذلك: قد طوي علم التوحيد من قبل، وإنما الناس يتكلمون في حواشيه، وكذلك: لو رأيت الرجل قد تربع في الهواء، ومشى على الماء، فلا تلفتوا إليه حتى تنظروه عند الأمر والنهي، فإن كان عاملاً بالأمر، مبتتاً لما نهى عنه، فاعتصموا، وكذلك: من ادعى أن له حالاً مع الله أسقط عنه التشكيك وهو حاضر العقل، فهو كاذب، ومن يسرق وزني أحسن حالاً ممن يقول ذلك. انظر ترجمته: الأصبهاني، حلية الأولياء، ٢٥٥/١٠، والفشيري، الرسالة القشيرية، ٤٣٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٨٨/٩، وابن تفرج، ردّي، النجوم الزاهرة، ١٦٨/٣، والشعراني، لوائح الأوتار، ١/١٨٩، والسنائي، الكواكب الدرية، ٥٧٠/١، وابن العماد، شيرات الذهب، ٢٢٨/٢، والمفيد، هدية العارفين، ٢٥٨/٥، والبيهقي، جامع كرامات الأولياء، ١٢/٢، والزركلّي، الأعلام، ١٤١/٢، وبيروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤٥٨/٤-٣.

(١) "ك": "حق من...".

(٢) أي على قول الجليلي المناوي في الكواكب الدرية، ٥٧٥/١.

(٣) "ك"، "ز": "شخص عليّ".

(٤) "ك"، "ز": قوله: "وأنا إبليس" سقط.

(٥) (الأعراف، الآية ١٢).

[تَوْهَمُ أَنْ ذَاتَ الْحَقِّ مُقَيَّدَةٌ مَشَبَّهَةٌ أَخْذًا مِنْ حَدِيثِ

"يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ"]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ تَوَهَّمُ مِنْ نَحْوِ حَدِيثِ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ سؤُله... إلى آخر ما ورد أنه نزولُ بَنَاتِهِ"^(١)، وَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ -تَعَالَى-^(٢) ذَاتًا تَوْصَفُ بِالذَّاتِ الْمُتَقَيَّدَةِ^(٣)، وَيَزْعُمُ أَنَّ لِلْحَقِّ -تَعَالَى- أَنَّ يَجْعَلَ^(٤) فِي صِفَةِ التَّشْبِيهِ لِعِبَادِهِ حَتَّى يَرْوَهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَيَتَلَذَّذُوا بِمُشَاهَدَتِهِ تَعَالَى، وَيَزْعُمُ أَنَّ لِلْحَقِّ -تَعَالَى- أَنْ يَخْتَصِرَ مِنْ ذَاتِهِ الْأَحَدِيَّةَ ذَاتًا أُخْرَى جَامِعَةً^(٥) لِمَا فِي الْكُبْرَى، وَيَجْعَلُ لِعِبَادِهِ فِيهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ الَّتِي خَلَقَ آدَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٦)- عَلَى صُورَتِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ الصُّورَةُ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ فِي مَنَامِهِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهَا حَبِيبُ الطَّبْرَانِيِّ: "حَبِيرُ الرُّؤْيَا أَنَّ يَرَى الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ، أَوْ نَبِيَّهُ فِي مَنَامِهِ"^(٧)، أَشْبَهَى، كَمَا سَمِعْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّطَطِ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢/٢٥٨، ٤٢٣ (مع تباين في الرواية)، والبخاري في الصحيح، كتاب الشهاد، (١٠٧١/٧٣١)، ٤٩٨/٢، ومسلم في الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، الباب ٢٤، (٧٥٨/١٦٨)، شرح صحيح مسلم، ٦/٢٨٢، وأبو داود في السنن، كتاب السنن، ١٩، ومالك في الموطأ، كتاب القرآن، ٣٠، والترمذي في الصحيح كتاب الصلاة، ٢١١، والنسائي في المستدرج، ٣٨، والحكيم الترمذي في نواتر الأصول، ٢/٢٥٤، والقطراني في الأوسط (٥٣٦٢)، ٤/١٠٥، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب الدعاء والذكر (٤٦٢)، ٩٣/٢.

(٢) "ب"، "تعالى" ليست فيها.

(٣) "ك"، "ز"، "المتقلبة"، وهذا تصحيف.

(٤) "ك"، "أن الحق تعالى يجعل"، "ز"، "ويزعم أن الحق تعالى أن يجعل..."

(٥) "د"، "جامعة"، وهو تحريف.

(٦) "ك"، "ب"، "ز"، "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها.

(٧) لم أفر على هذا الحديث التي في مظان الحديث، وسيرد ثانية في موضع آخر في هذا الكتاب، وقد ذكر الشعراني أنه حديث نبوي شريف، وقد ورد في "سراج العقول"، ١٦٣، وفي كتاب أبي سعد نصر بن عتب القادري المتوفى سنة (٤٣٥هـ)، وهو "القادري في التعبير"، ٩٥/١، وفي كتاب عبد العلي الشافعي، تعبير الأنام في تعبير المنام، ١٥، وروايته ثمة: "هبر ما يرى أحدكم في النوم أن يرى ربه أو نبيه أو يرى أبوه مسلمين، قالوا: يا بني الله، وهل يرى أحد ربه؟ قال: السلطان، والسلطان هو الله". وهذا الحديث يلتقي مع أحاديث أخرى وردت، ومن ذلك الحديث الذي أخرجه أحمد غير مرة في المسند: "طوبى لمن رآني وآمن بي..."، وكذلك الحديث الذي أخرجه

والجواب أن هذا اعتقاد فاسد لا يجوز بحال، ثم إنه يقال لهذا المُلحد^(١): ما دليلك على ما قلته؟ فلا نجد له دليلاً^(٢) واحداً يشهد له، وكذلك يقال له: لماذا^(٣) اختصر الحق^(٤) - تعالى - من ذاته الأحديّة ذاتاً أخرى^(٥) جامعة لما في الكبرى من الصفات، فهل صارت الكبرى بلا صفات^(٦) من حياة، وعلم، وإرادة^(٧)، وقدرة، وسمع، وبصر، وكلام، أم هذه الصفات باقية فيها بحكم الأصل، أو بحكم الفرع؟ وهل هي عنها، أو غيرها، ولعله تندحض حجته الناحضة بالكليّة؟ فاعلم ذلك، وإياك أن تُضيف إلى الحق - حلّ وعلا - ما لم يُضفْه إلى نفسه على السنة رُسله، فتتأرق أهل السنة والجماعة، أو تكفر وتدخل الجحيم الأكبر.

وقد رأيت نحو ذلك في "شرح المشاهد" لسيدة العجم^(٨)، وبعض الصوفيّة الأقدمين، ولفظه: اعلم أن الإله الذي جاء بوصفه ونعته الشارح ما هو الإله الذي أدركه العقل؛ إذ الإله الذي^(٩) أدركه العقل لا يحتاج إلى تأويل شيء من صفاته^(١٠)، بل هو موصوفٌ بصفاتنا كلها، ينزل لعباده^(١١) فيها ليعبده ويعرفوه، وأطال في ذلك، ثم قال:

الدارسي في كتاب الرؤيا، ١٢، وهو "من رأى ربه في المنام دخل الجنة"، وكذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب التعبير، ومسلم في كتاب الرؤيا: "من رأى فقد رأى الحق"، وكذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب التعبير، ومسلم في كتاب الرؤيا، والترمذي في الدعوات، وابن ماجه في كتاب الرؤيا، وأحمد في المسند، ونحوه: "إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإياها هي من الله".

(١) "ك": العبارة فيها: "ثم يقال: إنه يقول لهذا المُلحد، "ز": "ثم يقول لهذا المُلحد....".

(٢) "ب": "دليلاً" ساقطة. (٣) "ك"، "ب"، "ز": "لماذا" ساقطة.

(٤) "ب": "ذاته من ذاته الأحديّة".

(٥) "ك": "لصفات".

(٦) "ك": "إرادة" ساقطة.

(٧) كتاب "المشاهد القدسية ومطالع الأنوار الإلهية" منسوب هني الدين، وقد شرحته سيدة العجم، (لو ست المعجم) بنت النفيس ابن أبي القاسم البغدادي، وقد فرغت منه في صفر سنة (٨٥٢هـ) بحلب. انظر: إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ٤/٤٨٥.

(٨) "ك"، "ب": "الذي" ساقطة.

(٩) "ز": "من صفاته" ساقطة.

(١٠) "د"، "ز": "ينزل لعباده تعالى"، "ك": "ينزل تعالى".

فَمَنْ عَرَفَ مَا قُلْنَاهُ جَعَلَ صِفَاتِ الشَّيْءِ كُلِّهَا لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ^(١)، وَصِفَاتِ التَّشْبِيهِ كُلِّهَا لِلذَّاتِ الْفَرَعِيَّةِ، وَلَمْ يَحْتِجْ إِلَى تَأْوِيلِ شَيْءٍ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، قَالَ^(٢): لِأَنَّ التَّأْوِيلَ مَا جَاءَنَا إِلَّا مِنْ اعْتِقَادِ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَا يُنْزِلُ لِعُقُولِ الْعِبَادِ^(٣) فِي صِفَاتِ التَّشْبِيهِ آيَاتًا، أَنْتَهَى.

وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَأْوِيلُ حَدِيثِ^(٤): "إِنَّ اللَّهَ -تعالى- خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، فَرَاجَعَهُ، وَكَانَ مُتَرَعِّيًا لِرُبُّكَ عَنْ كُلِّ مَا تَحِيلْتَهُ فِي بَالِكَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ الْحَقُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ قَدَمِ الْعَالَمِ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ قَدَمَ الْعَالَمِ بِالذَّاتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَعْلُومٌ عِلْمَ اللَّهِ^(٥)، فَكَمَا لَا انْتِزَاحَ لِعِلْمِهِ تَعَالَى، فَكَذَلِكَ لَا انْتِزَاحَ لِمَعْلُومِهِ، وَيَزْعُمُ أَنَّ الْعَالَمَ مُسَاوٍ لِلْحَقِّ -تعالى-^(٦) فِي رَتَبَةِ الْوُجُودِ^(٧)، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُ قَدَمِ الْعَالَمِ بِالذَّاتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَعْلُومٌ عِلْمَ الْحَقِّ تَعَالَى^(٨)، فَإِنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَهُ رَتَبَةٌ الْفَاعِلِيَّةُ، وَرَتَبَةٌ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، وَالْعَالَمُ لَهُ رَتَبَةُ الْإِمْكَانِ وَالْمَفْعُولِيَّةِ، وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالْعَالَمِ إِلَى رَتَبَةِ الْفَاعِلِيَّةِ، وَرَتَبَةِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ أَمَلًا، وَصَحَّ حَيْثُ قَالَ الْإِمَامُ^(٩) أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبَدٌ مِمَّا كَانَ"؛ لِأَنَّهُ مَا تَمَّ لَنَا إِلَّا رَتَبَتَانِ: قَدَمٌ وَحَدُوثٌ، فَالْحَقُّ -تعالى- لَهُ رَتَبَةُ الْقَدَمِ، وَالْعَالَمُ كُلُّهُ^(١٠) لَهُ رَتَبَةُ الْحَدُوثِ، فَلَوْ خُلِقَ -تعالى- مَا خُلِقَ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْ رَتَبَةِ الْحَدُوثِ، فَكَلَامُ الْغَزَالِيِّ^(١١) فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ.

(١) "ك"، "ز"، "الأصلية".

(٢) "ك"، "ب"، "ز"، "قال" ساقطة.

(٣) "ب": "لعقول عباد".

(٤) "د": "وقد تقدم حديث...".

(٥) "ك"، "لله تعالى"، "ز": "الحق تعالى".

(٦) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٧) "ك"، "ز": "في الوجود".

(٨) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٩) "د": "قول أبي حامد". وقد أنسى على قولة الإمام الغزالي يحيى الدين في الفتوحات المكية، ٣٩٣/١.

(١٠) "ك"، "ز": "كله" ساقطة.

(١١) "ك"، "ز": "رضي الله تعالى عنه".

وسمعتُ سيدي علياً المَرْصُفي -رحمه الله تعالى- يقول: لا يجوز لأحدٍ^(١) اعتقادُ مُساواةِ العالمِ للحقِّ -جلَّ وعلا-^(٢) في الوجودِ والقِدَمِ^(٣) بوجهٍ^(٤)؛ لأنَّ وجودَ العالمِ مُستفادٌ مِن موجدٍ أوَّجده، وهو الله تعالى، فمِنَ المُحالِ مُساواةُ العالمِ للحقِّ -تعالى- في الرتبةِ ولو كانَ العالمُ هو معلومُ علمِ الله -تعالى-^(٥) الذي لا افتتاحَ له، فإنَّ حقيقةَ الموجدِ لغيره أن يوجِدَ ما لم يكنْ موصوفاً عندَ نفسه بالوجودِ وهو المَعْدُومُ، لا أن يوجِدَ ما كانَ موجوداً آنفاً، فإنَّ ذلكَ مُحالٌ، انتهى.

ويؤيِّده قولُ الشيخِ محيي الدينِ في بابِ الأسرارِ مِن كتابِ "الفتوحات": لو كانَ العالمُ مُساوياً للحقِّ -تعالى- في الوجودِ لاقْتَضَى ذلكَ الوجودُ العالمَ لذاته^(٦)، ولم يتأخَّرْ مِنه شيءٌ مِن مُحدثاتِهِ، ولو كانَ العالمُ قَدِماً^(٧) له رتبةُ القِدَمِ لاستحالَ عليه العدمُ، والعَدَمُ واقعٌ، فلا تدافع، وقالَ في هذا البابِ أيضاً: ما قالَ بالعللِ إلَّا القائلُ بأنَّ العالمَ لم يزلْ، وألَّى للعالمِ القِدَمَ، وما له في رتبةِ الوجودِ الوجوديُّ قَدَمٌ، انتهى^(٨).

وقالَ في البابِ الثَّالثِ والتَّسعينِ ومائتينِ^(٩) مِن "الفتوحات"^(١٠): اعْلَمْ أنَّ تشبیهَ مَنْ توهمَ قَدَمَ العالمِ مِنَ الفلاسفةِ وجودَ الارتباطِ المعنويِّ الذي بينَ الرُّبِّ والمربوبِ، والخالقِ والمخلوقِ، وغيرهما مِن سائرِ الأسماءِ إذ الرُّبُّ يَطلبُ المربوبَ، والخالقُ يَطلبُ المخلوقَ، والرَّزاقُ يَطلبُ الرِّزوقَ، إذ لا لِيَكُونَ الأسماءُ قَدِماً، ولا يَعمَلُ الرُّبُّ والخالقُ مثلاً إلَّا بوجودِ المربوبِ والمخلوقِ، فهذا هو البابُ الذي دخلَ مِنه مَنْ توهمَ قَدَمَ العالمِ، وغابَ عَنِ الفلاسفةِ أَنَّهُ لا يَلْزَمُ مِن وجودِ هذا الارتباطِ^(١١) مُساواةُ العالمِ للحقِّ جَلَّ

(١) "ك"، "ز": "لأحد" ساقطة. (٢) "ك"، "ز": "تعالى".

(٣) "ك"، "ز": "العدم"، وهو تصحيف.

(٤) "د"، "ز": "بوجه من الوجوه".

(٥) "ب" قوله: "في الرتبة ولو كان العالم هو معلوم علمه تعالى" ساقط، "د": "معلوم الله تعالى".

(٦) "ك"، "ز": العبارة: "لاقْتَضَى ذلكَ وجودَ العالمِ لذاته".

(٧) "ب"، "ز": "قديماً" ساقطة.

(٨) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٣٨/٨.

(٩) "ك"، "ز": "الثالث والتسعين".

(١٠) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل سبب وجود عالم الشهادة وسبب ظهور عالم الغيب من الحضرة الموسوية". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤٣٧/٤.

(١١) "ك": "وجود الارتباط"، "ز": "لا يلزم وجود هذا الارتباط".

وعلا، فَإِنَّ اللَّهَ -تعالى- هو الفاعلُ، وَالْعَالَمُ كُلُّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ^(١) تعالى، وَأَمَّا لَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: فَقُلْتُ أَنَّ الْمَرَادَ بِإِرْتِبَاطِ الْعَالَمِ بِأَسْمَاءِ الْحَقِّ -تعالى- أَنَّ الْعَالَمَ مُرْتَبِطٌ بِالْحَقِّ إِرْتِبَاطٌ عِبُودِيَّةٌ بِسَيَادَةٍ، لَا إِرْتِبَاطٌ مُسَاوَاةً فِي الرَّتَبَةِ، وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ مَا قُلْنَا، زَلَّتْ بِهِ قَدَمُ الْغُرُورِ فِي مَهْوَاةٍ مِنَ التَّلَفُّفِ ^(٢)، إِذِ الْأَعْيَانُ الثَّابِتَةُ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ لَمْ تَزَلْ تَنْظُرُ ^(٣) إِلَى الْحَقِّ -تعالى- بَعَيْنِ الْإِنْفِقَارِ أَرْلَا لِيَحْلُغَ عَلَيْهَا اسْمُ الْوُجُودِ، وَلَمْ يَزَلْ الْحَقُّ -تعالى- يَنْظُرُ إِلَى اسْتِدْعَائِهَا بَعَيْنِ الرَّحْمَةِ ^(٤) لِيُجِيبَهَا إِلَى سَوَالِهَا، وَلَمْ يَزَلْ -تعالى- رَبًّا لَهَا فِي حَالِ عَدَمِهَا، كَحَالِ وُجُودِهَا عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، فَالْإِمْكَانُ لَنَا دَائِمٌ، كَمَا أَنَّ الْوُجُودَ ^(٥) لَهُ -تعالى- دَائِمٌ، انْتَهَى ^(٦).

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَاصَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يَقُولُ: كُلُّ أَمْرٍ رَأَيْتُهُ يَطْلُبُ الْكَوْنَ مِنَ الْخَصَرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فَهُوَ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ -تعالى- لَهَا، وَرَاحَتًا، وَغَايَةً ^(٧)، وَكُلُّ أَمْرٍ رَأَيْتُهُ لَا ^(٨) يَطْلُبُ الْكَوْنَ؛ كَالْأَسْمَاءِ "الْأَحَدِ"، أَوْ "الْفَنِيِّ"، فَهُوَ مِنْ كَوْنِهِ -تعالى- ذَاتًا، فَصَحَّهَا أُنْثَاكُ مِنَ الصَّدَاتِ وَالْأَسْمَاءِ فَرَنُهُ بِهَذَا الْمِيزَانِ يَتَحَقَّقُ لَكَ الْأَمْرُ فِيهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا قُلْتُمُوهُ مِنْ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ تَطْلُبُ أَهْلَ خَصَرَاتِهَا لِتَحْكُمَ فِيهِمْ مُضَاهِ ^(٩) لِلْعَلَّةِ وَالْمَعْلُولِ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ مُضَاهِيًّا لَهَا؛ لِأَنَّ الْعَلَّةَ وَالْمَعْلُولَ أَمْرَانِ وَجُودِيَّانِ عِنْدَ الْفَلَسَافَةِ، وَأَمَّا الْإِلَهِيَّةُ وَنَحْوُهَا، فَهِيَ عِنْدَنَا نَسْبَةٌ عَدَمِيَّةٌ لَا وَجُودِيَّةٌ، فَرَبَّانَاكَ يَا وَلَدِي وَالْعَلَطُ.

فَقُلْتُ لَهُ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْحَقَّ -تعالى- مُوجِدُ الْعَالَمِ أَرْلَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَعْلُومٌ عَلَيْهِ الْقَدِيمُ؟ فَقَالَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ إِنَّهُ -تعالى- مُقَسِّرُ الْأَشْيَاءِ أَرْلَا، وَلَا يُقَالُ إِنَّهُ مُوجِدُهَا أَرْلَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ، بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ كَوْنَ الْحَقِّ -تعالى- مُوجِدًا إِنَّمَا هُوَ أَنْ يُوَجِّدَ مَا لَمْ يَكُنْ مَوْصُوفًا بِالْوُجُودِ، لَا أَنْ يُوَجِّدَ مَا هُوَ

(١) "ك"، "ز"، "مفعوله".

(٢) "ك"، "ب"، "مهواة التللف"، وما ورد في الفتوحات هو ما ورد في المتن.

(٣) "ك"، "ناظرة".

(٤) "ب"، قوله: "ولم يزل الحق تعالى ينظر إلى استدعائها بعين الرحمة" ساقط.

(٥) "د"، "الوجوب"، وأحببه تصحيحا.

(٦) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤/٤٣٩-٤٤٠.

(٧) "ك"، "ز"، "غافرا ورامسا".

(٨) "ك"، "لا" ساقطة.

(٩) "د"، "ك"، "ز"، "قد يضاهي العلة والمعلول".

موجود، فإذا من المحال أن يكون العالم أزلي الوجود؛ لأنه يرجع إلى قولنا: العالم المستفيد من الله الموجود غير مستفيد من الله الوجود^(١)؛ فقلت له: فلم شنع الأشعرية به على الحكماء في قولهم بالعلّة والمعلول مع أن ما شنعوا به على الحكماء يلزمهم في جعلهم سبق العلم الإلهي بذلك علّة؟ فقال إن الأشعرية ما شنعوا على الحكماء إلا من حيث إطلاق لفظ^(٢) العلّة على الله تعالى، فإنه لا يجوز لنا أن نطلق على الحق^(٣) من الأسماء والصفات إلا ما أطلقه على نفسه على السنة رسله، وإلا فالذي هرب منه الأشعرية يلزمهم في سبق العلم بكون ذلك المعلوم، فإن سبق العلم يطلب كون المعلوم بذاته، ولا هذا، ولا يُعقل بينهما كون مقترن، فلا^(٤) يلزم كما لا يلزم^(٥) مساواة المعلول علته^(٦) في جميع الأحوال؛ إذ العلّة متقدّمة على معلولها بالرتبة سواء كان سبق العلم أو ذات الحق جلّ وعلا، فعلم أن المخلوق لا يصح أن يكون في رتبة خالقه^(٧) أبداً، انتهى.

فقلت له: فما مدلول لفظة الأزل الجاري في كلام العلماء؟ فقال: هو عبارة عن نفي الأوليّة لله - تعالى - المعقولة؛ إذ الحق - تعالى - لا أوّل لوجوده، فأوكّيته غير معقولة، فهو الأوّل لا بأوّلية تحكم عليه، فيكون تحت خيطيها، ومعلولاً عنها، كالأوليات المخلوقة، والله - تعالى - أعلم، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب مستقل^(٨)، فراجع، والحمد لله رب العالمين.

[توهم إبداع العالم من ذاته]

ومما أجيبت من توهم من أرباب الغيبة^(٩) بغلبة الخيال أن الله - تعالى - لما

(١) "د": كسب شامخ جانب الورلة: "قد ظهر من كلام المعارف أن الأزل عبارة عن مرتبة وجود البراء سبحاته وتعالى قبل وجود الخلق، فشتان ما بين مرتبة القديم والحادث".

(٢) "ك"، "ب": "لفظة". (٣) "ك": "تعالى".

(٤) "ك"، "ز": "ولا يلزم". (٥) "ب": "كما يلزم" ساقطة.

(٦) "ب": "مساواة العلة للمعلولة". (٧) "د": "تعالى" ليست فيها.

(٨) انظر حديثه عن هذا الموضوع في كتابه البواطن والجواهر، في المبحث العاشر في وجوب اعتقاد أنه تعالى هو الأوّل والأخر والظاهر والباطن، ١٣٠/١.

(٩) "ز": "الغيبة".

أَوْجَدَ^(١) الْعَالَمَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ أَوْجَدَهُ فِي ذَاتِهِ^(٢)؛ لِأَنَّهُ مَا تَمَّ غَيْرُ ذَاتِهِ تَعَالَى^(٣)، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ أَشَدُّ فِي حَالِ غَيْبِهِ فِي مُنَاجَاتِهِ:

قَطَعْتَ الْوَرَى مِنْ نَفْسِي ذَاتِكَ قِطْعَةً وَلَا أَنْتَ مَقْطُوعٌ وَلَا أَنْتَ قَاطِعٌ^(٤)

وَالْجَوَابُ أَنْ هَذَا الْكَلَامَ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ أَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- مُصَدِّرٌ لِلْأَشْيَاءِ، لِإِبْهَامِهِ وَجُودِ الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ الْمُحْكَمِ وَالْمُوجِبِ، وَبَيْنَ مَنْ يَقْبَلُ الْأَوَّلِيَّةَ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَقْبَلُهَا، وَبَيْنَ مَنْ هُوَ مُفْتَقِرٌ فِي إِيجَادِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَبَيْنَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ، وَلَوْ أَنَّ الْعَالَمَ كَانَ صَادِرًا عَنْ ذَاتِ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا- كَمَا تَقَدَّمَ، لَكَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ خَالِقِهِ، وَلَمْ يَرُدَّ لَنَا شَرْعٌ بِالْإِذْنِ بِكَوْنِ الْحَقِّ -تَعَالَى- يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُصَدِّرٌ لِلْأَشْيَاءِ^(٥)، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ صَادِرٌ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ -تَعَالَى- لَهُ: "كُنْ"، فَبِهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ.

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْمَرْصُفِيَّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-^(٦) يَقُولُ: مِنَ الْأَدَبِ إِذَا سُئِلَ أَحَدُنَا عَنِ الْعَالَمِ مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهِ اللَّهُ -تَعَالَى- أَنْ يَقُولَ: لَا نَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- أَمَرَنَا بِطَوْنِ أَهْمَانَا لَا نَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِنَا السَّابِقَةِ عَلَى وَجُودِنَا، أَتَشْهَى. وَوَسِعَتْهُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-^(٧) مَرَارًا يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- أَوْجَدَ الْكَاتِبَاتِ مُوَافَقَةً لِمَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَجُودٌ فِي أَعْيَانِهَا عِنْدَ تَلْسِمِهَا، كَمَا لَا عِلْمَ لَهَا

(١) "ك"، "ز"، "امر".

(٢) "ك"، "ذاته تعالى".

(٣) "ب"، "ك"، قوله: "لأنه ما تم غير ذاته تعالى" ساقط.

(٤) الشعر من الطويل لعبد الكريم الجيلي من قصيدته "النادرَات العينية"، وهي من أطول الآثار الشعرية في التصوف الإسلامي، وتوَلَّفَ مِنْ ٥٣٤ بيتاً، والبيت كما هو في القصيدة:

قَطَعْتَ الْوَرَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ قِطْعَةً وَلَمْ تَكْ مَوْصُولًا وَلَا فَصْلَ قَاطِعُ

وَلَكِنَّا أَحْكَامَ رَبِّكَاتِكَ تَنْضَعُ أَلْوَحِيَةً لِلضَّدِّ فِيهَا التَّجَامُعُ

وفيهما ينفي عقيدة الحلول بقوله:

وَنَزَعَهُ عَنِ حُكْمِ الْحُلُولِ فَمَا لَـهُ سِوَى وَائِي تَوْحِيدِهِ الْأَمْرَ رَاجِعُ

انظر: عبد الكريم الجيلي، قصيدة النادرَات العينية، ٧٤، (وسترده له ترجمة بعداً).

(٥) "ك"، العبارة: "يجوز عليه أنه مصدر للأشياء".

(٦) "ك"، "ز"، "رحمه الله تعالى".

(٧) "ب"، "رضي الله عنه" ليست فيها.

بنفسها، ثم إنها ارتبطت بموجدها ارتباطاً مُمكن، فقير، عاجز، بغي، واجب الوجود، قوي، عزيز، ولا يُعقل^(١) لها وجود إلا به سبحانه وتعالى^(٢)، انتهى. وقد سئل الشيخ محيي الدين بن العربي - رضي الله عنه - عن العالم هل يقال فيه إنه صادر عن الله عز وجل^(٣)، فقال: هذا لا يجوز إطلاقه على الله تعالى؛ لأن القدم لو كان أمراً وجودياً يُشار إليه لكان الممكن صادراً عن الحق جل وعلا، فيكون صادراً من وجود إلى وجود، ويكون له عين شخصية قائمة في الأزلي، وذلك محال، انتهى.

فإن قيل: كيف صححت مخاطبة الحق - تعالى - للمعدوم بقوله "كن؟"

فالجواب أن الله - تعالى -^(٤) على كل شيء قدير، ومن قدرته أنه قال للممكنات في حال عديمها عتدنا، ووجودها في عليه - تعالى - ما من معناه^(٥)؛ أظهر من مكنون علمي إلى عالم الشهادة، وإلا فالعدم المحض ليس فيه عين يتعلق علم الله - عز وجل - بهجادنا منه لعدم ثبوتها في عليه، فافهم، وسيتبي بسطه قريباً إن شاء الله - تعالى -^(٦) عند قول الشيخ محيي الدين:

عُني من قائل: "كن" لعدم والذي قيل له لم يك ثم؟
ثم إلى آخره، فراجع، والحمد لله رب العالمين.

["توهم" لولا التوحيد ما فهمت الوحدانية"]

ومما أجبته به من توهم من أهل الشطح، أو غيرهم، أنه لولا توحيدنا للحق - جل وعلا - ما فهمت وحدانيته، واستدل بحديث: "كنت كنزاً لا أعرف، فأحييت أن أعرف، فخلقت الخلق، فبي عرفوني"^(٧)، انتهى.

-
- (١) "ب": "ولا يمكن". (٢) "ك": "سبحانه" ساقطة.
(٣) "د"، "ك": "تعالى". (٤) "د"، "ز": "تعالى" ليست فيها.
(٥) "ب": "ما من معناه" ساقطة. (٦) "ك"، "ز": "تعالى" ليست فيها.
(٧) الشعر من الرمل للشيخ عبي الدين، ذكره في مستفتح حديثه عن الباب الثامن وتلاشاته، وقد وسه به معرفة منزل احتلاط العالم الكلي من الحضرة الحميدة. انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤٦/٥.
(٨) "ب": "نصه فيها: 'عنّي لم أعرف' والحديث بنصه: 'كنت كنزاً لا أعرف، فأحييت أن أعرف، فخلقت خلقاً، فعرفتهم بي، فعرفوني'. وقد جاء في 'المقاصد الحسنة': 'قال ابن تيمية: إنه ليس

والجوابُ أَنَّ الإجماعَ على أَنَّ الحقَّ - تعالى - واحدٌ بنفسه لا بتوحيدٍ مُوَحَّد، كما أشارَ إليه قولُه: "فَبي عرفوني"، أي لا بأنفسهم، أي: عرفوا أنني واحدٌ لنفسي، وكلامُ هذا الشاطحِ ربما يؤدِّنُ أَنَّ الحقَّ مُتَقَرَّرٌ في وجودِ صفاته إلى غيرِه كما مرَّت الإشارةُ إليه أوَّلَ الأجوبةِ، فهو كلامٌ صدر^(١) من جاهلٍ بالله تعالى، فإنه لا يصحُّ إلَّا في حقِّ مَنْ لم يكن واحداً في نفسه لنفسه، والحقُّ - تعالى - ياجتمع البِللُ كُلُّها واحدٌ لنفسه، وليست وحدانيته بتوحيدِ الموحِّدين له، إذ لو كانت وحدانيته بتوحيدِ الموحِّدين لكان الحقُّ - تعالى - الذي^(٢) هو المقدَّسُ المُتَرَفَّعُ مُحَلًّا لتأثيرِ هذا الموحِّدِ فيه، وذلك مُحَالٌ، فتلطَّنْ يا أخي لهذه التَّنَكُّبَةِ العجيبةِ، فإنَّك لا تكادُ تجدُها في كتاب.

فإن قال قائل: فما الدليلُ على ذلك من القرآن؟

فالجوابُ: مِنَ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ^(٣) قولُه - سبحانه وتعالى -^(٤): ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَلَمَّ يَلْبِكًا وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^(٥)، فأخبرَ - تعالى - أنه هو المُوَحَّدُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ^(٦)، أي أنه هو^(٧) المُخْبِرُ عن كونه - تعالى - واحداً في الألوهية، وأما عبادُه فإنما شهدوا على شهادته - تعالى - لنفسه لَمَّا أوجدَهم من حضرةِ غيبه، ولا يصحُّ لهم أن يشهدوا مع شهادته - تعالى - لنفسه في حضرةٍ لا افتتاحَ لها، إنما يشهدون بعدَ علمهم بشهادته - تعالى - لنفسه، فكانت شهادتهم له بالألوهية إنما هي على سبيلِ الاعترافِ والإذعانِ، فافهم.

من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف. انظر: السخاوي، المقاصد الحسنة، (٣٨٦)، والمجلدوني، كشف الحقائق، ١٧٣/٢، وقد أشار جامع الأحاديث القدسية عبد السلام علوش إلى أنه موضوع كما ورد في "تمييز الطيب من الخبيث"، ١٢٦، والأسرار السرور في الأحاديث الموضوعة، ٢٩٩، والتلويح الرصوع في الحديث الموضوع، ١٤٣، وعبد السلام علوش، الجامع في الأحاديث القدسية، ٣٧٥، وقد مرجع عليه عيسى الدين في السياب السامع والسبعين ومائة في "معرفة مقام المعرفة"، وقد أوله هناك. انظر: الفتوحات المكية، ٤٦٦/٣.

(١) "ك"، "ز"، "صدق"، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى.

(٢) "ك": "الذي" ساقطة. (٣) "ك"، "ب"، "ز"، "عليه" ساقطة.

(٤) "ك": "وتعالى". (٥) (آل عمران الآية ١٨).

(٦) "ك"، "ز": "أنه الموحَّد لنفسه"، "ب": "هو الموحَّد نفسه بنفسه".

(٧) "ك": "هو" ساقطة.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَ قَالَ -تعالى-: ﴿وَأُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ^(١)، وَلَمْ يَقُلْ: "وَأُولُوا الْإِيمَانِ"؟ فالجواب أنه إنما قَالَ -تعالى- ذلك دُونَ أُولِي الْإِيمَانِ، لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْإِيمَانِ إِنَّمَا هُوَ الْخَيْرُ ^(٢) عَنْ وَقْعٍ أَمْرٍ، فَيَسْمَعُ الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ عَنْ اللَّهِ ^(٣)، فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَإِعْيَارُهُ -تعالى- عَنْ نَفْسِهِ بِالتَّوْحِيدِ لَيْسَ هُوَ مِنْ إِعْيَارِنَا، فَاسْتَفْذَلْنَا مِنْ إِضَافَتِهِمْ إِلَى الْعِلْمِ دُونَ الْإِيمَانِ الْإِعْلَامَ مِنَ اللَّهِ -تعالى-، لَنَا بِأَنَّ الْمَرَادَ بِأُولِي الْعِلْمِ مِنَّا هُمُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ النَّظَرِيِّ أَوْ الضَّرُورِيِّ لَا مَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ، كَأَنَّهُ -تعالى- يَقُولُ: وَشَهِدَ الْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ بِتَوْحِيدِي بِمَا جَعَلْتُهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ الَّذِي اسْتَفَادُوهُ مِنَ التَّحْلِيلِ الْوَاقِعِ لِقُلُوبِهِمْ، وَقَامَ لَهُمْ مَقَامُ النَّظَرِ الصَّحِيحِ فِي الْأَدَلَّةِ الشَّهْبِيَّةِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَ عَطَفَ -تعالى- الْمَلَائِكَةَ وَأُولِي الْعِلْمِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَاوِ، وَهُوَ حَرْفٌ يَقْتَضِي الْإِشْرَاكَ حَتَّى فِي الْوَقْتِ؟ وَالْجَوَابُ: صَحِيحٌ ذَلِكَ، وَلَكِنْ، لَا إِشْرَاكَ إِلَّا فِي الشَّهَادَةِ دُونَ وَقْتِهَا؛ لِأَنَّ شَهَادَةَ الْحَقِّ لَمْ تَكُنْ فِي زَمَانٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[تَوْهَمُ جِهَةِ الْفَوْقِ دُونَ التَّحْتِ]

وَمَا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ تَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿الَّذِينَ عَلَى الْأَرْشِ أُسْتَوُوا﴾ ^(٤)، مَا يَسْبِقُ إِلَى إِذْهَابِ الْعَوَامِّ مِنَ اللَّهِ -تعالى- فِي جِهَةِ الْفَوْقِ دُونَ جِهَةِ التَّحْتِ، وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ جَاهِلِيٍّ بِاللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ ^(٥)، أَمَّا الْعَالِمُ بِهِ -تعالى- ^(٦) فَلَا يَقَعُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ لِإِعْتِقَادِهِ جَزْمًا بِأَنَّ حَقِيقَتَهُ -تعالى- مُخَالِفَةٌ لِسَائِرِ الْخَلَائِقِ، فَلَيْسَ اسْتَوَاؤُهُ -تعالى- عَلَى عَرْشِهِ كَاسْتَوَاءِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ تَرْبُّعُهُ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْخَلَائِقُ كَالْمَخْلُوقِ أَيْدًا.

(١) (آل عمران الآية ١٨).

(٢) "ك"، "ز"، العبارة: "لأنما هو الخير بواسطة عن وقوع...".

(٣) "د"، "عن الله" ليست فيها، "ز"، "عن الله تعالى".

(٤) (طه، الآية ٥).

(٥) "ك"، "ز"، "بالله تعالى".

(٦) "ك"، "ز"، قوله: "أما العالم به تعالى" ساقط.

[أقوال المتصوفة في دفع شبهة الجبهة في جناب الحق]

وقد تلقنا عن سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه^(١) أنه قال: صعدت في الموفيات إلى سبعة آلاف عرش، فقبل لي: ارجع^(٢)؛ لا وصول لك إلى العرش العظيم الحاوي لجميع العروش، إنما ذلك خاصٌ بمحمد صلى الله عليه وسلم، فرجعت، ثم نزلت في السفليات حتى جاوزت سبعة آلاف عرش، فقبل لي: ارجع، لو مكنت تجاوز الأراض^(٣) عدد رمال الدنيا ما وصلت إلى الأرض الكبرى الحاوية لجميع الأراض، فرجعت.

وقال أيضاً: إن الله - تعالى - بحرٌ من رملٍ يجري بين السماء والأرض منذ خلق

(١) "ك": "أحمد الرفاعي". وهو أبو العباس أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي المغربي، منسوب إلى رفاة قبيلة من المغرب، وهو الشيخ الزاهد، أحد الأولياء المشاهير، مؤسس الطريقة الرفاعية، قدم أبوه إلى العراق، فسكن بام عبيدة قرب واسط، وولد بها سنة (٥٠٠هـ)، وقيل سنة (٥١٢هـ)، له الحادثة المشهورة أمام القبر الشريف على ساكنه الصلاة والسلام، فقد قال:

في حالة البعد وحي كنت أرسَلُها
تقول الأرض عني وهي نالِهي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامد يمينك كي تحطلي بها شفتي

من كلامه: التوحيد وجدان في القلب، عظيم ينفع من التعطيل والتشبيه، وكذلك: إذا عكنت الأنوار في السر، نطقت بالوارج بالشكر، وكذلك: حلت الأرواح في الأفراح، فهي تعلق أبدأ إلى محل الفرح، وخلقت الأجساد من الأكباد، فلا تزال ترجع إلى كمدنها من طلب هذه الثانية، والاهتمام بها وهذا، وكذلك: إذا صلح القلب أحبرك عما وراءك وأمامك، وإذا فسد حدثك بأباطيل يغب معها الرشد، ويتنفي معها السعد، وكذلك: كم من مسرور سروره بلاؤه، وكم من مغموم غصومه نجاته، وكذلك: ما حياة القلب إلا بإدانة النفس، توفي سنة (٥٧٨هـ) ولم يعقب، ترك الشيخة لابن أخته، انظر ترجمته: ابن الأثير، الكامل، ٤٩٢/١١، وابن خلكان، وفیات الأعيان، ١٨٢/١، والسليهي، سير أعلام النبلاء، ٣٦٤/١٢، والمصفي، الوافي بالوفيات، ١٤٣/٧، والشعراني، الطبقات الكبرى، ٣١٣/٢، والناوي، الكواكب النيرة، ٢١٨/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٥٩/٤، والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ٧٦، والبيهقي، جامع كرامات الأولياء، ٤٣٧/١، والزركلي، الأعلام، ١٧٤/١، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٢١٣/١، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٣٥٢/٨-٧.

(٢) "ك": "ر"، "له أرجع"، ولا يستقيم مع ما بعده وقوله.

(٣) "د": "مستلأ لراشي"، "ك": "من الأراض"، "ر": العبارة: "قال لي: ارجع لو مكنت تجاوز الأراض..."

الله - تعالى - الدنيا إلى يوم القيامة، لله^(١) بعدد كل رملة منه مدينة^(٢) قدر دُنياكم هذه، لا بد لكل ولي حق له قدمُ الولاية من دخول هذه المدن، والإحاطة بأهلها وحيواناتها ومعرفة أساليبهم وأساليبهم وطبائعهم، انتهى. وحيث صَحَّ التَّقَلُّ فهو من بعضِ وَسْعِ معلوماتِ الله - تعالى - التي يُطْلَعُ عليها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

وسمعتُ سيدي الشيخ عبد القادر الدُّشْتُوطِي^(٣) - رحمه الله -^(٤) يقول: مَنْ تَأَمَّلَ الوجودَ المَعْقُولَ للخلقِ كُلِّهِمْ وَجَدَهُ مُشَاهِياً، فهو بالنسبة لمعلوماتِ الله - تعالى - التي لا تُنْصَافُ كَذَرَّةٍ طَائِرَةٍ فِي هَوَاءٍ لَا سَقْفَ لَهُ وَلَا سَفْلَ، انتهى. وهذا يؤيدُ ما سَبَقَ عَنْ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ الرَّفَاعِيِّ^(٥)، بَلْ لَوْ ضُرِبَ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ عَرْشٍ، وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ أَرْضٍ فِي مِثْلِهَا عِدَدُ الرَّمَالِ^(٦)، وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ، وَعِدَدُ مَا عَلَّمَهُ الْخَلْقُ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، لَوَقَفَ الأَمْرُ عَلَى شَيْءٍ مَحْصُورٍ، وَلَقَالَ^(٧) لِسَانُ حَالِ الْعَقْلِ لِصَاحِبِهِ^(٨): قَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَيْضاً؟

وسمعتُ سيدي علياً الخواص - رحمه الله -^(٩) يقول: غَالِبُ الْخَلْقِ جَاهِلُونَ بِعَظَمَةِ

(١) "د"، "هـ" ليست فيها، "ك"، "ز"، "الله تعالى".

(٢) "ب"، "دنيا".

(٣) وصفه الشعراوي بأنه من أكابر الأولياء، فقد صحبه نحو عشرين سنة، وكان له هيئة كهنة المذاهب، وصفه المساوي بأنه المعروف بالكرامات، المشهور بالخواص والآيات البينات، كان صبرياً، وعُفْرَ عِلَّةٍ حوامع بمصر وفراها، لما دلت وفاته أكثر من البكاء والتضرع، وكان يقول للبناء الذي يبي القبا: عجل في البناء، فإن الوقت قد قرب، فمات وبقي منها يوم، مكملت بعده، ودفن في قبره، من كلامه: أوصيك بعدم الالتفات لغير الله في شيء من أمر الدارين، فإن جميع الأساور لا تبرز إلا بأمره، فارجع لمن قدرها. ذكر الشعراوي والمساوي أنه توفي سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاوية خارج باب الشرعية. انظر ترجمته: السحراوي، الضوء اللاسع، ٢٦٥/٤، والشعراني، توفيق الأتوار، ٧٢٥/٣، والفري، الكواكب السائرة، ٢٤٧/١، والمناوي، الكواكب الدرية، ٣٨٥/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ١٢٩/٨، والبيهقي، جامع كرامات الأولياء، ٢/١٩٤.

(٤) "ك"، "رحمه الله تعالى".

(٥) "د"، "ك"، "أحمد الرفاعي".

(٦) "د"، "الرمل".

(٧) "ق"، "لكان"، ولعل الأعلى هو ما أتيت في المتن.

(٨) "ك"، "ز"، العبارة: "ولللسان حال العقل: يمكن أن يقول لصاحبه".

(٩) "ك"، "رحمه الله تعالى"، "ز"، "رضي الله تعالى عنه وتغنا به".

الله عز وجل^(١)، ولا تعرف شيئاً من عظمتِهِ^(٢) - تعالى - المُصْطَلَح عليها عند القوم إلا من نَفَذَ مِنَ الْأَفْطَارِ أَجْمَعِهَا^(٣)، وتجاوزَ حَدَّ الرُّفْعِ والحَفْضِ، وما دَامَ الْعَبْدُ يَشْهَدُ فَوْقَهُ سَقْفًا، وَتَحْتَهُ أَرْضًا، يَصْحُحُ الْإِسْتِقْرَارُ عَلَيْهَا، فهو لَمْ يَعرِفْ عَظَمَةَ اللَّهِ عز وجل^(٤)، انشَبَى وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ وَفَا رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ نَفَذْتُ مِنَ الْأَفْطَارِ أَجْمَعِهَا وَقَدْ تَجَاوَزْتُ حَدَّ الْحَفْضِ وَالرُّفْعِ^(٥)
فَذِكْرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ^(٦) - رضي الله عنه - مِنْ بَابِ التَّحَدُّثِ بِالْتَّعَمُّعِ، وإظهارِ عَظَمَةِ اللَّهِ عز وجل^(٧)، كَأَنَّهُ يَقُولُ: جُلْتُ فِي الْمَلَكُوتِ هَذَا الْجَوَلَانَ الْعَظِيمِ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَمَا أَحْطَتْ عِلْمًا بِاللَّهِ عز وجل^(٨)، وفي حديثٍ رَوَاهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي "نَوَادِرِ الْأَوْصُولِ"^(٩) مَرْفُوعًا: "إِنَّ اللَّهَ - تعالى - احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ،

(١) "ك"، "ز": "عز وجل".

(٢) "ك": "من عظمة الله تعالى"، "ز": "من عظمة شجاعته وتعالى".

(٣) "ز": "أجمعها" سائلة، "د": "جميعها".

(٤) "ك": "الله تعالى".

(٥) الشعر من اليسيط لعلي بن وفا، وقد تقدّمت ترجمته، ورواها في الديوان:

عبرت عن شاطئ الأطراف والطبع وقد تجاوزت حد الحفض والرفع

وقد نفذت من الأفطار أجمعها لما عرفت حجاب الفرق والجمع

انظر: ديوانه، ٩٧ ب.

(٦) "د": العبارة: "لذكر ما أنعم تعالى به عليه"، ك: "يذكر ما أنعم الله عليه".

(٧) "د"، "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٨) "ك"، "ز": "تعالى".

(٩) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، قال عنه المناوي بأنه صاحب التصانيف المشهورة، زاهد اشتهر بسلامة العبادة بين العباد، وتفرّد بين الصوفية بكثرة الرواية، وعلو الإسناد، ولما قام عليه معاصروه وكفروه، جمع كتبه كلها، وألفهاها في البحر، أني من ترمذ لكن أهلها أنه خالف عقيدتهم، فقدم إلى بلخ، اضطرب في سنة وفاته، ولعل الأرجح أنه توفي سنة ٣٢٠هـ)، من أشهر مصنفاته "نوار الأصول في أحاديث الرسول"، مثل عن صفة الخلق، فقال: ضعف ظاهر، ودعوى عريضة، من كلامه: الدنيا عروس الفلوك، ومراة الزاهد، وكذلك: من جبل أوصاف العبودية، فهو يعمت الربوبية أجهل، وكذلك: إذا مكنت الأنوار في السراء نطق المهورح بالبر، وكذلك: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره، واجعل شكرك لمن لا تسقط عنك نعمه، وعضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه، انظر ترجمته: الأصبهاني، حلية الأولياء، ٢٣٣/١٠، والتشيري، الرسالة النفسية، ٤٠٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٨١/٨،

وإنَّ المَلَأَ الأعلى يَطْلُبُونَهُ كَمَا يَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ^(١)، انتهى. أي: كما تَطْلُبُونَ الحقَّ - تعالى - في حِجَةِ العلويات، كَذَلِكَ المَلَأُ الأعلى يَطْلُبُونَهُ^(٢) في حِجَةِ السفليات.

[مَذْهَبُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ فِي آيَةِ الاسْتَوَاءِ]

وَكَانَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(٣) يَقُولُ: مِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: لَيْسَ اللَّهُ - تعالى - فِي حِجَةِ دُونِ أُخْرَى، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَغْلِبُ وَهُوَ عَلَى عَقْلِهِ، وَلَا يَتَعَقَّلُ إِلَّا فِي حِجَةِ الْفَوْقِ حَالَ مُحَاطَتِهِ لَهُ - تعالى - فِي الدُّعَاءِ وَغَيْرِهِ كَحَالِ الْمُرَاقِبَةِ، أَنْتَهَى، وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ^(٤) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرَّةً عَنْ قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٥)، فَأَنْشَدَ^(٦):

العرشُ والله بالرحمنِ محمولٌ وحاملوه وهذا القولُ معقولٌ
وأيُّ حِجَةٍ لمَحْمُولٍ ومقدرةٍ لَوْلَاهُ جَاءَ بِهِ شَرْعٌ وتَنْزِيلٌ^(٧)

والشعراني، لوائح الأنوار، ٢٠٢/١، والشتاوي، الكواكب الدرية، ١٣٠/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٢١/٢، والبغدادلي، هدية العارفين، ١٩/٦، والنبهاني، جامع كرامات الأولياء، ٥٠/٢، والزركلسي، الأعلام، ٢٧٢/٦، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤٦٢/٤-٣، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٥٠٢/٣.

(١) ما عثرت عليه البنية في تواتر الأصول، وقد ذكره الشعراني في "لطائف المنن" مشيراً إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، ٥٦٦، وقد عرج عليه محيي الدين في الفتوحات في الباب الثالث في مضمار حديثه عن تنزيه الحق عن التشبيه والتجسيم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونصه فيه: "إن الله احتجب بحسن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن المَلَأَ الأعلى يَطْلُبُونَهُ كَمَا يَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ". ومعنى ذلك عنده أن العقل لم يدركه بفكره، ولا بعين بصيرته، كما لم يدركه البصر. انظر: الفتوحات المكية، ١٤٨/١.

(٢) "ك"، "ز": قوله: "العلويات، كذلك المَلَأُ الأعلى يَطْلُبُونَهُ" ساقط.

(٣) "ك"، "ز": "رضي الله عنه"، والعبارة في "ت" مشوبة.

(٤) "ك"، "ب"، "ز"، "ابن العربي" ساقطة.

(٥) (طه، الآية ٥).

(٦) الشعر من البسيط، آيته أول الباب الثالث عشر المبتدوء له العنوان "في معرفة حيلة العرش". انظر:

الفتوحات المكية، ٢٢٥/١-٢٢٦.

(٧) في الفتوحات: "لَوْلَاهُ جَاءَ بِهِ عَقْلٌ وتَنْزِيلٌ".

جِسْمٌ وَرُوحٌ وَأَقْسَامٌ وَمَرْئِيَّةٌ مَا تَمَّ غَيْرُ الَّذِي رَتَبْتُ تَفْضِيلُ^(١)
وَقُسَمٌ ثَمَانِيَّةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَالْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ مَا فِيهِ تَأْوِيلُ^(٢)
مَحَمَّدٌ تَمَّ رِضْوَانٌ وَعَازِلُهُمْ وَآدَمُ وَخَلِيلٌ تَمَّ جَنَرِيلُ^(٣)
وَالْحَقُّ بِمِثْكَالِ إِسْرَافِيلَ لَيْسَ هُنَا بِسَوَى ثَمَانِيَّةٍ غُرَّ بِهَا لِيلُ^(٤)
هَذَا هُوَ الْعَرْشُ إِنْ حَقَّقْتَ صُورَهُ وَالْمُسْتَوَى بِسَبِيهِ الرَّحْمَنُ مَأْمُولُ^(٥)
أَتَشَى^(٦)، أَيُّ أَنْ جَمْعُ هَذِهِ الْأُمُورِ هُوَ حَقِيقَةُ الْعَرْشِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ الْإِسْتِوَاءُ فِي
التَّصْرِيفِ لَا الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ الْإِسْتِوَاءُ الْمُطْلَقُ، فَإِذَا^(٧) اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ،
وَقَامَ الْعَرْشُ عَلَى سَاقٍ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ تَصْرِيفٌ خَالِقُهُ فِيهِ.

وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ يَا أَحْمَدُ أَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- لَمَّا كَانَ هُوَ الْمَلِكُ
الْعَظِيمُ، وَلَا بَدْءَ لِلْمَلِكِ مِنْ حَضَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَقْصِدُهُ عَبْدُهُ فِيهَا لِحَاجَتِهِ مَعَ أَنْ ذَاتَهُ -تَعَالَى-
لَا تَقْبَلُ الْمَكَانَ أَصْلًا، انْقَضَتْ الْمَرْئِيَّةُ لَهُ -تَعَالَى- أَنْ يَخْلُقَ لَهُ عَرْشًا، ثُمَّ ذَكَرَ لِعِبَادِهِ أَنَّهُ
اسْتَوَى عَلَيْهِ، أَيُّ خَضَرَ عَبْدُهُ، فَمَنْ سَأَلَهُ فِيهِ أَجَابَهُ، نَظِيرُ قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
"يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ، لَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ سَوْلَهُ؟ هَلْ مِنْ مُتَبَلِّئٍ
فَأَعِيقَهُ؟"^(٨)، الْحَدِيثُ، مَعَ أَنَّهُ -تَعَالَى- يَسْمَعُ دَعَاءَ عَبْدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ، أَوْ نَهَارٍ،
وَلَكِنْ الشَّرْعُ يَجْرِي عَلَى الْعُرْفِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ نَزْلًا لِعُقُولِ الْعِبَادِ، فَإِذَا انْقَضَى
حُكْمُ ذَلِكَ التَّدَايِ كَانَ بِمَثَابَةِ انْقِضَاءِ مَوْكِبِ مُلُوكِ الدُّنْيَا، وَاسْتَدْبَاهُمْ الْحِجَابُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
رِعْيَتِهِمْ وَخِصَامِهِمْ، وَفِيهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَلَوْلَا ذِكْرُهُ -تَعَالَى- لِعِبَادِهِ ذَلِكَ، وَنَزَلَهُ لِعُقُولِهِمْ،
لَقَبِيَ أَحَدُهُمْ خَائِرًا لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ إِلَى سُؤَالِ رَبِّهِ فِي حَوَائِجِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- مَا
خَلَقَ الْخَلْقَ إِلَّا لِلْعِبَادَةِ فِي الْعِبَادَاتِ^(٩)، كَمَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٠)، دُونَ الْأَعْيَانِ لِعَفَاءِ^(١١) عَنِ الْعَالَمِينَ، أَتَشَى. وَهُوَ كَلَامٌ عَظِيمٌ يُكْتَبُ

(١) "ب"، "ز"، "تم". (٢) الفتوحات: "تعليل".

(٣) الفتوحات: "محمد ثم رضوان ومالكهم".

(٤) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢٥/١.

(٥) "٣": "فإن". (٦) تقدم شرحه.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "العبادة". (٨) (الذاريات، الآية ٥٦).

(٩) "ك"، "ز": "لغناه تعالى".

بنور الأحقاق^(١).

وسمعتُ سيدي علياً الخواصَّ -رحمه الله-^(٢) يقول: إنما كان المحجوبون عن عظمة الله^(٣) لا يَكْادُ أحدُهم يشهدُ ربه إلا في جبهة القوي؛ لأنَّ الحقَّ -تعالى- خلق العبدَ ذا جبهة، فلا يتعلَّقُ ربه إلا في جبهة، اللهمَّ إلا أنْ يَمُنَّ اللهُ -تعالى- على بعضِ أصفائه بنور الكشف عن عظمة الله عزَّ وجلَّ^(٤)، فهناك يندرج نورُ عقله في نورِ كشفه وإيمانه، فتساوى الجهاتُ الستُ عنده من غيرِ ترجيح، وبعلمٍ كَشَفًا وَتَقِينًا أنَّ الحقَّ -تعالى- لا يَقْبَلُ التَّحِيَّزَ، ولا تَأْخُذُهُ الجِهَاتُ، انتهى.

وقال الشيخُ محيي الدين في باب الأسرار من "الفتوحات"^(٥): اعلم أنَّ العرَّادَ من استواءِ الحقِّ -تعالى- على العرشِ، أو نُزُولِهِ إلى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ، إنما هو كتابةٌ عن إعلانه لعبده بإذنه في مُتَاجِاتِهِ، ومُسامَرتِهِ بالدَّعَاءِ، والسُّؤَالِ في حوائِجِهِ، والاستِغْفَارِ مِنْ ذُنُوبِهِ، فإنَّ استواءَهُ -تعالى- ونُزُولَهُ صفتان من صفاتِ ذاته، وصفاته قديمةٌ، والعرشُ والسَّمَاءُ مُحَدَّثَانِ بإِصْباحٍ، فلمْ يَزَلْ مَوْصُوفًا بالاستِواءِ والنُّزُولِ^(٦) قبلَ خَلْقِ العَرْشِ والسَّمَاءِ، فَمَا كُنْتَ تَعْقِلُهُ مِنْ صِفَةِ الاستِواءِ والنُّزُولِ قبلَ خَلْقِ العَرْشِ والسَّمَاءِ^(٧) فهو الذي يَنْبَغِي تَعْقِلُهُ بعدَ خَلْقِهِمَا، وأَطَالَ في ذلك، ثُمَّ قَالَ: وَكَمَا أَدْنَاهُمْ فِي مُسَامَرتِهِ، كَذَلِكَ هُوَ -تعالى- مُسَامِرُهُمْ بِقَوْلِهِ -تعالى-^(٨): "هَلْ مِنْ سَائِلٍ ... إلى آخِرِهِ"، فهو -تعالى- يَقُولُ لَهُمْ، ويقولونَ لَهُ، كَأَنَّهُمْ في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، وَفِيهِ الشُّبُلُ الْأَعْلَى، وَأَنْشَدُوا^(٩):

(١) "د": قوله: "وهو كلام عظيم يكتب بنور الأحقاق" ساقط.

(٢) "د"، "ك"، "ز": "رحمه الله تعالى".

(٣) "د"، "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٤) "ك"، "ز": العبارة فيهما: "على بعض أصفائه بنور الكشف عن عظمة الله تعالى بحسب استعداد العبد".

(٥) لم يرد ما أتته الشعرا في باب الأسرار وروداً لفظياً، وقد ورد في باب الأسرار حديث عن "نظم السلوك في مسامرة الملوك"، فاشتغل على النزول والاستغفار والمسامرة، ولعل ما أتته في المتن هو شرحه بخاص لفظه، انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٩٢/٨.

(٦) "أ": "أو النزول". ولعل الألف بسياق الكلام هو "والنزول".

(٧) "أ"، "ب": قوله: "فما كنت تعقله من صفة الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسما" ساقط.

(٨) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٩) "ك"، "ب": "وأنشدوا بيتاً".

إِنَّ الْمُلُوكَ، وَإِنْ جَلَّتْ مَرَاتِبُهَا لَهَا مَعَ السَّوْفَةِ الْأَسْرَارُ وَالسُّمُرُ^(١)

[أَقْوَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي آيَةِ الْاِسْتَوَاءِ وَحَدِيثِ التَّزْوِيلِ]

وسمعتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْمَرْصُفِيَّ -رحمه الله تعالى- يَقُولُ كَثِيرًا: **إِلْمَا أَخْبِرُ^(٢) الْحَقُّ** -تعالى- أَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ التَّزْوِيلُ عَلَى وَجْهِ الثَّقَلِ مُحَالًا فِي حَقِّهِ -تعالى- لِيُعَلِّمَنَا التَّوَاضُّعَ مَعَ الْعِبَادِ، وَلَا تَرَى نَفُوسَنَا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ.

وسمعتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَاصِ -رحمه الله-^(٣) يَقُولُ: **فُوقِيَّةُ الْحَقِّ** -تعالى- حَيْثُمَا وَرَدَتْ الْمَرَادُ بِهَا **فُوقِيَّةُ الْمَكَانَةِ وَالرُّتَبَةِ^(٤)** لَا **فُوقِيَّةُ الْمَكَانِ**، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَإِذَا كَانَتْ **فُوقِيَّةُ مَكَانَةٍ وَرُتَبَةٍ**، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالسُّفُلِ، فَمَنْ قَصَّدهُ فِي سُجُودِهِ، كَانَ قَاصِدًا جِهَةَ **الْفُوقِيَّةِ**، كَمَا قَالُوا فِي غُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ إِنْ تَزَوَّلَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ بِالْوَحْيِ عُرُوجَ لِحَضْرَةِ الْحَقِّ، وَهِيَ **أَسْرَارُ** يَعْرِفُهَا الْعَارِفُونَ لَا تُسَطَّرُ فِي كِتَابٍ، قَالَ^(٥): **فَكَمَا لَا يَلْزَمُ مِنْ** **إِبْتِهَاتِ الْفُوقِيَّةِ لِلْحَقِّ** -جلَّ وعلا- **إِبْتِهَاتُ الْجِهَةِ**، فَكَذَلِكَ لَا يَلْزَمُ مِنْ اسْتَوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ **إِبْتِهَاتُ الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ**، وَقَدْ اتَّعَدَّ الْإِحْصَاءُ عَلَى ذَلِكَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا الْمَرَادُ يَقُولُهُ -تعالى- فِي الْمَلَائِكَةِ: ﴿تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ

(١) "ب"، "ك"، "ز": "الأَسْرَارُ"، وهو تصحيف، والشعر من البسيط للشيخ محيي الدين قاله في مستفتح باب الثامن عشر المَعْتُودُ لَهُ الْعِتْوَانُ "في معرفة علم المتجهدين، وما يظهر منه من العلوم في الوجود"، وروايته في طبعة دار الكتب العلمية والمطبعة العامة للكتاب:
إِنَّ الْمُلُوكَ وَإِنْ جَلَّتْ مَنَاصِبُهَا، وَقِيلَ:

علم التَّهَجُّدِ عِلْمُ الْغَيْبِ لَيْسَ لَهُ فِي مَنْزِلِ الْعَيْنِ إِحْسَاسٌ وَلَا نَظَرُ
إِنَّ التَّزْوِيلَ يُعْطِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْنِهِ سُورًا تَعْلُو بِهِ صُّورُ

انظر: الفتحاحات المكيَّة، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٢٥٠/١، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب، السفر الثالث، ٧٠.

(٢) "د"، "ك"، "ز": "أَخْبِرْنَا".

(٣) "ك"، "ب"، "ز": "رحمه الله تعالى".

(٤) "د"، "ز": "المرتبة".

(٥) نسب الشعراني هذا القول إلى شيعه علي الخواص، وهو للشيخ محيي الدين في باب الأسرار من الفتحاحات المكيَّة، ١٨٢/٨.

فَوْقَهُمْ؟^(١)

فالجواب: المراد: يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذاباً من فوقهم، فالقوة راجعة إلى العذاب، لا إلى ربهم جلّ وعلا؛ لاستحالة التحيز في حقّه تعالى، ولو كانت الموقوفة في الآية راجعة للحقّ -جلّ وعلا- لما كان لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"^(٢) معنى ولا خصوصية، فما قال -صلى الله عليه وسلم- ذلك إلا لينة أمته على أن الحقّ -تعالى- لا يتغيّد بجهة العلو^(٣) دون السفلى، ولا عكسه بقرينة قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، فلم يخصّ -تعالى- نفسه بجهة علو، ولا عكسه، وفي الحديث مرفوعاً: "لو دليتم بحبل لحيط على الله"^(٥)، انتهى. أي: كما يعلم -تعالى-^(٦) سرّكم وجهكم حال كونه موصوفاً بكونه في السماء، كذلك يعلم ذلك منكم حال كونه موصوفاً بكونه في الأرض^(٧)، على أن أهل الكشف كلهم أجمعوا على أن لقوة الحقّ -جلّ وعلا- لا توصف بظرف زمان ولا مكان إصابتها بظرفية

(١) (النحل، الآية ٥٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ٤٢١/٢، والترمذي في السنن، كتاب الدعوات، ١١٨، ومسلم في الصحيح، كتاب الصلاة (الباب ٤٢/٢١٥)، شرح صحيح مسلم، ٤/٤٤٥، والشافعي في السنن: كتاب التطبيق، ٢/٢٢٦، وأضاف على الحديث: "فأكثروا الدعاء"، والسيوطي في الجامع الصغير (١٣٤٨)، ١/٢٠١.

(٣) "ك": "بالعلو".

(٤) (الأعام، الآية ٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٣٧٠/٢، ونسبه تم: "لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لحيط"، والترمذي في السنن، كتاب التفسير، (في معرض تفسير سورة الحديد)، وهو حديث طويل، ومنه: "فوالذي نفس محمد بيده، لو أنكم دليتم رجلاً بحبل إلى الأرض السفلى لحيط على الله"، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦)، وقد جاء عقبه في سنن الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، قال: وبروي عن أيوب وبولس بن عبيد وعلى بن زيد، قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة، وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقالوا: إنما هيط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على شئ كل شيء كما وصف في كتابه". انظر: الترمذي في السنن، كتاب التفسير، تفسير سورة الحديد، (٣٣٠٩)، ٥/١٩٤، وابن الجوزي في الملل المتناحرة، ١٣/١.

(٦) "د"، "ك"، "ز": "كما يعلم الله تعالى".

(٧) "ك"، "ب": قوله: "في السماء، كذلك يعلم ذلك منكم حال كونه موصوفاً بكونه في" ساقط.

الْحَقِّ، انتهى^(١).

فإن قال قائل: فإذا كَانَ الْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ في حَقِّه -جَلَّ وَعَلَا-^(٢) واحداً، فأيُّ قائدة للإسراء يرسل الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى السَّمَوَاتِ^(٣) وما فوقها؟ فإنه يُؤَدِّنُ أَنْ لِلْعُلُوِّ خصوصيةً على السُّفْلِ.

فالجوابُ أَنَّ الذي أُجْمِعَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّ الْإِسْرَاءَ لَمْ يَكُنْ لِيَزِيدَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِلْماً بِرُبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ عَيْنُ مَا عَلَّمَهُ مِنْ صِفَاتِ رَبِّهِ^(٤) فِي السَّمَاءِ هُوَ عَيْنُ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ فِي الْأَرْضِ، وَلِذَلِكَ قَالَ -تَعَالَى-^(٥): ﴿لِرَبِّهِمْ مِنْ نَازِلَاتٍ إِنَّهُمُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٦)، فَأَعْبَرُ^(٧) أَنَّ الْإِسْرَاءَ إِنَّمَا كَانَ لِرُؤْيَا آيَاتِ أَمْرِ: الْعَلَامَاتِ، فَلَمْ تَتَغَيَّرْ صُورَةُ اعتقاده^(٨) فِي رَبِّهِ -تَعَالَى- عَمَّا كَانَ يَعْرِفُهُ مِنْهُ -تَعَالَى- فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَغَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ عَرَفَ بِذَلِكَ الْإِسْرَاءِ اخْتِلَافَ الْمَوَاطِنِ، وَأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- لَهُ حَضْرَةٌ خَاصَّةٌ يُخَاطَبُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَحَضْرَةٌ لَا يُخَاطَبُ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ^(٩).

فإن قلت: فهل كانت رؤيته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِرَبِّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مُنْزَهَةً عَنِ الْأَلْبَيْنِ، وَالْكَيْفِ، وَالْجِهَةِ؟

فالجوابُ: نعم، قَدْ أُجْمِعَ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-^(١٠)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنْ قُلْتُ: فَمَا أَسْلَمَ الْعُقَايِدُ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحْيَاها؟ فالجوابُ: أَسْلَمَ الْعُقَايِدُ فِيهَا أَنَّ يُؤْمِنُ الْعَبْدُ بِهَا عَلَى عِلْمِ اللَّهِ -تَعَالَى- فِيهَا، وَهِيَ كَايَةُ الْإِسْتِوَاءِ، وَكَالتَّوَلَّى إِلَى

(١) انتهى كلام شيخه علي الخواص، وقد أورد محيي الدين تأويلاً لما تقدم في التفويحات المبكية، ٨/ ٢١٥.

(٢) "د"، "ك"، "ز": "في حق الحق جل وعلا".

(٣) "ك"، "ب": "السَّماوات".

(٤) "ك"، "ز": "ربه عز وجل".

(٥) "ك": "الله تعالى".

(٦) (الإسراء: الآية ١)، والآية في "ب": "كربه من آياتنا الكبرى". وفي "د" و"ك": "كربه من آياتنا".

(٧) "ك"، "ز": "فأعبر تعالى".

(٨) "ب": "صورة في اعتقاده".

(٩) "ك"، "ب"، "ز": "لا يخاطب أحدا منهم".

(١٠) "د": "الله تعالى"، "ك": "تعالى" ليست فيها.

سواء الدنيا، والإيمان، والنبي، والمرولة، والضجك، والتعجب، وأشياءها؛ لأن الله - تعالى - لم يكلفنا بحقيقة معرفة وجه نسبة الصفات إليه جلّ وعلا.

لماذا سألنا: كيف استوى ربنا على العرش؟ أو كيف نزلوه إلى سماء الدنيا؟ أو كيف يتعجب أو يضحك مثلاً؟

قلنا: هو - تعالى - بنفسه عليهم، وهو الصادق فيما أخبر، ونحن مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله، وأما علم الكيف في ذلك، فنكمله إلى الله تعالى.

فإن قال قائل: فهل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مثلنا في ذلك لا يعلمون كيف^(١) نسبة هذه الأمور إلى الله تعالى، أم يعلمون ذلك؟

فالجواب: قد أجمع غالب أهل الكشف على أن غاية^(٢) علم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أن يعلموا لماذا تجلّى تعالى؟ وأما كيف تجلّى، فلا يصح لمخلوق علمه؛ لأنه من علم سرّ القدرة^(٣) الذي طوي علمه عن الخلق، فلا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، انتهى. فقلت: ويحتمل أن الله - تعالى - يعطي خواصّ أنبيائه ذلك من حضرة الإطلاق التي يمنح من علمه منها^(٤) ما شاء لمن شاء، كما أشار إليه قوله - تعالى -: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٥) على وجه الكرامة والخصوصية، والله أعلم^(٦)، وسعت سيدي عليّ الخواصّ - رحمه الله - يقول: قد يكون الأنبياء^(٧) يُسلمون في - تعالى - في علم نسبة الصفات إلى الله - تعالى - كما نسلّمها^(٨) نحن من غير تأويل، وقد يعطيه الله - تعالى - العلم بذلك من باب الخصوصية والاصطفاء.

(١) "د": كيفية.

(٢) "د": غالباً، وأحسبه تصحيحاً، "ز": غالباً ساقطة.

(٣) "د"، "ك"، "ز": "القدر"، ولعل الألق بسياق الكلام ما ورد في "و" و"ب"، ذلك أن الحديث عن "القدرة" لا "القدر".

(٤) "د": منها ساقطة. والعبارة ثم: "يمنح من علمه ما شاء...".

(٥) (البقرة، الآية ٢٥٥).

(٦) "د"، "ك": "والله تعالى أعلم".

(٧) "ك": "الأنبياء عليهم الصلاة والسلام".

(٨) "د": "سلمنا".

وسمعه -رضي الله عنه- يقول مراراً: الاستواء المصطلح عليه عند بعض القوم^(١) على العرش العظيم خاصاً بالصفات كالرحمة والخلق، لا الذات؛ لأنه -تعالى- قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢)، فلم يذكر الاستواء إلا للاسم "الرحمن"، والاسم هنا عندهم هو عين الصفة، وقال -تعالى-: ﴿لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣)، وليس لنا أن نقول إن الحق -تعالى- استوى على العرش^(٤) بذاته، وإن كانت الصفة لا تفارق الموصوف، أو قلنا: إن الصفة في جانب الحق -تعالى- عين ذاته لمباينة صفاته لإصفاة عباد كما سيأتي إيضاحه في مبحث الجواب عن معاني الأساء رضي الله تعالى عنه، ولم يرد لنا في كتاب ولا سنة أن الحق -تعالى- استوى على العرش بذاته، فلا نقول على الله تعالى^(٥) ما لم تعلم، انتهى.

وسمعت سيدي علياً المرصفي^(٦) -رحمه الله- يقول: الذات الإلهية منزوعة عن الاستواء، والنزول، والمشي، والمرولة، وإنما ورد ذلك على سبيل التزويل للقول، وسمعه أيضاً يقول: من رحمة الله -تعالى- بعض خلقه أن أراهم صفاتهم في مراة العلم الإلهي، فتشبهوا نفوسهم فيها^(٧)، وزادهم علماً، حتى نزهوا الحق -تعالى- عن كل ما يخطر ببالهم، لكن لما لم يزد آخرين علماً شهدوا أنفسهم^(٨)، فظنوا أنها صفات الحق جل وعلا، ولو اتسع علمهم بالله، أنزهوا الحق -جل وعلا-^(٩) عن كل ما يخطر ببالهم، انتهى.

فإن قيل: إن جمهور أئمة المتكلمين يقولون إنه ليس وراء العرش العظيم

(١) "أ": العبارة: "والاستواء على العرش العظيم..."، "ب": العبارة: "والاستواء على العرش العظيم المصطلح..."

(٢) (طه، الآية ٥).

(٣) (سجدة، الآية ٤). وقوله تعالى: "وما بينهما" ساقط إلا من "ك".

(٤) "ك": قوله: "وليس لنا أن نقول: الحق تعالى استوى على العرش" ساقط.

(٥) "ك": "تعالى" ليست فيها. (٦) "د": "الحواص".

(٧) "ك"، "ز": "رحمة الله تعالى". (٨) "ك": "بعض نفوسهم فيها".

(٩) فـسـلـه: "وزادهم علماً، حتى نزهوا الحق -تعالى- عن كل ما يخطر ببالهم، لكن لما لم يزد آخرين علماً شهدوا أنفسهم" ساقط من "أ".

(١٠) "ك"، "ز": "الحق تعالى".

خلاء ولا ملاء، وقد قال -تعالى-: ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾^(١)، أي من خارجها، فكيف الحال؟

فالجواب أن الجواب في ذلك مثل الجواب^(٢) عن استوائه -تعالى- على العرش، وإن اختلف الأمر^(٣)، فكما يجب علينا الإيمان بالاستواء^(٤)، وإن لم نفعل كيفية، كذلك يجب علينا الإيمان بكون الملائكة حافين من حول العرش، ولكل علم كيفية^(٥) ذلك إلى الله عز وجل، وبشهادة لذلك حديث الثرمذي في شأن القبة، فإن آدم^(٦) عبته في القبة حال شهود نفسه^(٧) خارجها، انشبه^(٨).

وكان أبو طاهر القزويني أحد أئمة الكلام يقول^(٩): العرش هو مجموع الكائنات، فلا يُعقل وراءه خلاء ولا ملاء، وكل من ظن أن وراء العرش خلاء أو ملاء، فقد وهم، وليس ذلك هو العرش الذي وقع عليه الاستواء الرحاني، قال: ولم يُلغ في كتاب ولا سنة أن الله -تعالى- خلق وراء العرش العظيم شيئاً^(١٠)، وأن معنى الاستواء استتمام الخلق؛ أي انتهاء الخلق^(١١) السابق في علمه -تعالى- على العرش كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَكُنَّا نَنْقُحُ

(١) (الزمر: الآية ٧٥).

(٢) "ك"، "ز": العبارة: "فالجواب: حيث سم ذلك أن الجواب في ذلك مثل الجواب".

(٣) "د": قوله: "وإن اختلف الأمر في ذلك" ساقط، "ك"، "ز": "وإن اختلف الأمر في ذلك".

(٤) "د"، "ك": "بإية الاستواء".

(٥) "ك"، "ب": "علم كيف".

(٦) "ك"، "ب": "عليه الصلاة والسلام"، "ز": "عليه السلام".

(٧) "ك"، "ب"، "ز": "شهوده نفسه".

(٨) أقدم تخريج حديث القبة، وفي نوادر الأصول للحكيم الثرمذي: "إن الله تعالى مثل آدم من قبضة قبضتها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض...". انظر: نوادر الأصول، ١/

٤٤٦.

(٩) هو أبو محمد طاهر بن أحمد بن محمد القزويني المعروف بالنجار، أديب نحوي صرمي مشارك في علوم متنوعة، من آثاره "سراج المفلوج في الكلام"، و"غاية التصريف"، و"كتاب لباب الألياب في مراسم الإعراب"، وقد اضطرب في سنة وفاته، فقد جاء في الوافي بالوفيات أنها كانت (٥٨٠هـ)، وفي إنباح المكنون (٧٥٦هـ). انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٦/٢٢٥، وإسماعيل باشا، إنباح المكنون، ٤/٧٤، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٩/٢.

(١٠) "ك"، "ز": "العظيم" ساقطة.

(١١) قوله: "أي انتهاء الخلق" ساقط من "ك".

أَشْدُّهُ وَأَشْتَوْى ٥^(١)، وكما في قوله - تعالى -: ﴿ تَزْجِرْ أَجْرَجَ شَعْلَهُ قَنَازَهُ فَاسْتَفْظَظْ قَاشْتَوْى عَلَى سَوْفِهِ ٥^(٢)، وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن. قال: وهذا من^(٣) أحسن ما قيل في معنى الاستواء لِحُلُولِهِ عَنِ الْإِشْكَالِ، وَقَدْ حَبَّطَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ عَشْوَاءَ، وَفِي ذَلِكَ حِكْمٌ وَأَسْرَارٌ^(٤).

ولعل قائلًا يقول: إنك ابتدعت للآية تفسيرًا خلاف ما قاله جميع المفسرين، فنقول له: نعم، قد يُطْلَعُ^(٥) الله - تعالى - بعض المتأخرين على ما لم يُطْلَعِ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَإِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ مَعْنَى خَارِجًا عَنِ الْإِشْكَالِ وَعَنِ الْوُقُوعِ فِي الْخَوَاضِ فِي ذَاتِ اللَّهِ - تعالى -^(٦) بِغَيْرِ عِلْمٍ^(٧) وَجِبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ الْفِطَامَ عَمَّا تَلْقَاهُ الْعَبْدُ عَنْ آبَائِهِ وَمُشَاهِدَةِ عَسِرٍ جَدًّا، انْتَهَى^(٨)، وهو كلامٌ نفيسٌ.

لِإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى السَّمَاءِ ٥^(٩)؟ فإله يقتضي أن تحت العرش ماء، وإذا كان تحته ماء، فأي قولكم إنه ليس خارج العرش علاء ولا ملاء على معنى: إن "كان" هنا ليس هي^(١٠) الوجودية التي في نحو قوله - تعالى -: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٥^(١١).

فاجواب قد أجمع أهل الكشف على أن "على" هنا بمعنى "في"؛ أي: كان العرش في الماء مستويًا فيه بالقوة، ثم برز منه بعد ذلك بالفعل، ونظير ذلك أن الإنسان خلق من الماء مُبْتَدَأً، فإذًا فالماء^(١٢) أصل الموجودات^(١٣) كلها، قال - تعالى -: ﴿ وَخَلَقْنَا مِنَ الْمَاءِ

(١) (القصص، الآية ١٤)، وهذه الآية ليست في "ك" و "ب".

(٢) (الفتح، الآية ٢٩). (٣) "ك"، "ز"، وهذا أحسن.

(٤) انظر حديث أبي طاهر في كتابه "سراج المفلول" في الباب الثالث في قوله الرحمن على العرش استوى، ١٢ ب.

(٥) "ب"، "ك"، "ز"، "اطلع". (٦) "ك"، "ز"، "عر وجل".

(٧) "ب"، "بغير علم" ليست فيها. (٨) انتهى كلام أبي طاهر.

(٩) (هود، الآية ٧). (١٠) "ك"، "ب"، "ز"، "ليس الوجودية...".

(١١) (الأحزاب، الآية ٤٠، الفتح، الآية ٢٦).

(١٢) "ك"، "ز"، "منا الماء".

(١٣) "ب"، "كل شيء الموجودات".

كُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ أَقَلًّا يُؤْمِنُونَ^(١)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لِمَنْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ: "خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ"^(٢).

وسعدت سيدي عليّ المرصفي^(٣) يقول: الماء أصل ظهور عين الملك كله، فكان له كالمقبولي^(٤) ظهر فيه صور العالم كله الذي هو ملك الله عز وجل^(٥)، ولا يقال: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ بَرَزَ الْمَاءُ؟ لَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عُلُومِ سِرِّ الْقُدْسِ، انشبه.

وقال الشيخ أبو طاهر في كتابه المسمى بـ"سراج العقول"^(٦): العرش أعظم المخلوقات لاستوائه على كل ما خلق الله تعالى، فلا يصح خروج شيء من الخلق عنه، والحق -تعالى- فوق هذا العرش فوقية مرتبة، لا فوقية مكان؛ وذلك أننا إذا نظرنا فوقنا وجدنا الهواء، وإذا نظرنا فوق الهواء رأينا سماء فوق سماء^(٧)، ثم إذا نظرنا بعقولنا^(٨) فوق السموات وجدنا الكرسي، وإذا ترقينا ببصرنا إلى ما فوق الكرسي، وجدنا العرش العظيم الذي هو منتهى المخلوقات التي هي بجملتها^(٩) تدل على الخالق جل وعلا، ثم إننا لو تدبرنا إلى ما فوق العرش لم نر للتدبر فيه^(١٠) مرقاة البتة^(١١)، فيقف فكرنا هناك ضرورة؛ إذ نظر^(١٢) الفكر ينتهي بانتهاه الأجسام، وهناك نرى بقلوبنا وعقولنا حضرة تصريف

(١) (الأنبياء: الآية ٣٠).

(٢) جاء في الحديث: "مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ؟" قال: من الماء". أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الجنة، ٢.

(٣) "ك"، "ب"، "ز"، "رحمه الله".

(٤) المقبولى: الجبهة المنبسطة، وهو ما تراه في البيت من ضوء الشمس يدخل في الكوة، وهي كلمة أعجمية، والمالة عربية. انظر: اللسان، مادة "ميل".

(٥) "ك"، "ز"، "تعالى".

(٦) نقلت ترجمة أبي طاهر، أما كتابه "سراج العقول" فهو كتاب يشرح فيه منهاج الأصول لليساوي، وقد ورد كلامه الذي نسبته الشعراي في الباب الثالث، وهو "في قوله تعالى: 'الرجمن على العرش استوى'". انظر: سراج العقول، ١٣ب.

(٧) "ك"، "ز"، العبارة: "نظرنا سماء فوق سماء"، وفي "ب": "ثم إذا نظرنا رأينا سماء".

(٨) "ك"، "ب"، "ز"، "بقلوبنا".

(٩) "د": "جملتها"، وأظنه تصحيحا.

(١٠) "ك"، "ز"، "فيه" ساقطة، وهي ليست في "سراج العقول".

(١١) "د": "عمالا".

(١٢) "آ": "مطار"، وفي "سراج العقول": "مطان".

الرحمن - عز وجل - في جميع خلقه وإمدادهم بالوجود للذواتهم وصفاتهم، فإن رتبة الخلق فوق رتبة المخلوق بلا شك، وهي فوقية مكانة - كما تقدم -^(١) ثابته فوقية العرش على ما تحته من الكروسي والسموات والأرضين؛ إذ فوقية العرش وما تحته لا تكون إلا بالجهة والسكان، انتهى^(٢). فتأمل يا أخي في هذه الأجوبة، فإِنَّكَ ربَّما لا تجدُها في كتاب، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ "لَوْ أَنَّ اللَّهَ فَعَلَ كَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ"]

ومِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾^(٣) أَنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ فِي حَضْرَةِ التَّقْيِيدِ وَالْإِيمَانِ، يَقُولُ^(٤): "لَوْ أَنَّ اللَّهَ - تعالى -^(٥) فَعَلَ كَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ: وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا جِهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى تَغْيِيرِ مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ فِي الْأَزَلِّ، وَهُوَ مُحَالٌ، وَإِبْضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ لِلْحَقِّ - تعالى - حَضْرَتَيْنِ: حَضْرَةً إِبْطَاقٍ يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَحَضْرَةً تَقْيِيدٍ لَا يُخْلَفُ فِيهَا الْمِيعَادُ"^(٦)، وَلَا يُغَيَّرُ مَا كَانَ، فَلَا يَجْعَلُ الْكَافِرَ نَبِيًّا، وَلَا عَكْسَهُ"^(٧)، بَلْ جَعَلَ فِيهَا الْأَفْلاَمَ، وَطَوَيْتِ الصَّحُفَ.

وَمِنْ كَلَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: مَا كُلُّ^(٨) مُمَكِّنٍ لِلْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَاقِعٌ، وَفِي طَرَفِ الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ السَّابِقِ: "إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا الْغِي، وَلَوْ أَنْفَرْتَهُ لَفَسَدَ حَالُهُ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لَفَسَدَ حَالُهُ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا السَّقَمُ، وَلَوْ لَمْ أَسْقُمْهُ لَفَسَدَ حَالُهُ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا الصَّحَّةُ، وَلَوْ أَمْرَضْتُهُ لَفَسَدَ حَالُهُ"^(٩)، وَعَدَدُ - تعالى - أَشْيَاءَ^(١٠).

(١) "د": "كما تقدم" ليست فيها.

(٢) هنا ينسب كلام أبي طاهر المقتبس من "سراج العقول"، ١٣ ب.

(٣) (السجدة، الآية ١٣).

(٤) "ب"، "ب": "يقول"، ولعل "يقول" هو الأعلى.

(٥) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٦) "د": "الميعاد" ساقطة.

(٧) "د": العبارة: "ولا عكسه إلا القضاء".

(٨) "ب"، "ب": "ما كان".

(٩) تقدم تخريجه. (١٠) "ب": "تعالى" ليست فيها.

فإنَّك يا أحمي، ثمَّ إنَّك والاعتراضُ على شيءٍ من أفعالِ القدرةِ الإلهيةِ إلاَّ إنَّ شَهِدْتَ لكَ قواعدَ الشريعةِ، فتَنكَّرُ بالشرعِ لُصْرَةً للشرعِ بوجهينِ مختلفينِ، فتَشْهَدُ أَحَدُ الحقِّ - تعالى - بنَاصيةِ عبدهِ إلى ذلكِ الفعلِ، وتَشْهَدُ وَجْهَ تَكْلِيفِهِ العبدَ بعدمِ فعلِ ذلكِ الأمرِ، فتَنَازِعُ أَقْدَارَ الحقِّ - تعالى - بالحقِّ للحقِّ^(١) كما قاله الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلِيُّ رضي الله عنه^(٢)، وقال: الرَّجُلُ هُوَ الْمَنَازَعُ لِلْقُدْرَةِ أَي عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ^(٣) إِذَا خَالَفَ الشَّرْعَ لَا الْمَوَاقِفَ لَهُ، انْتَهَى.

وسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيَّ الْخَوَاصَّ - رحمه الله تعالى -^(٤) يَقُولُ: نَلْعَنُ أَنْ بَعْضَ الْأَكَاكِمِ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتْلَاهُ اللَّهُ - تعالى - بِالْخَوَعِ وَالْفَقْرِ وَالْقَمَلِ عَشْرَ سَنِينَ، وَهُوَ^(٥) يَشْكُو حَالَهُ إِلَى اللَّهِ - عزَّ وجلَّ - فَلَا يَجِيبُ دَعَاةَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَمَا تَرَى حَالِي،

(١) "ب": العبارة: "فتنازع أقدار الحق تعالى بالحق".

(٢) "ب": "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" ليست فيها، أما الجليلي فهو عبد القادر بن موسى بن يحيى الخليلي الحنبلي، وقيل: الكيلاني، أو الجيلي، من ذرية الحسن رضي الله عنه، مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان، وراء طبرستان سنة (٤٧١هـ)، وقيل سنة (٤٧٠هـ)، وانتقل إلى بغداد شاباً، فالتقى بسيوخ العلم والتصوف، وسمع الحديث، وتلقاه، وقرأ الأدب، له من المصنفات "فتح الرباني"، قال عنه المناوي: "أجمع على إمامته أهل الخلاف والوفاء، وأقام أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، ولما حضرته الوفاة كان رأسه تحت عدة، فقال: أترلوا عدي عنها، ضعوه على التراب، لتسل الله بصرحتي، ثم قال: هذا هو الحق الذي كنا فيه في حجاب، من كلامه: دوام الليل عاص بأهل الولاية الكبرى، ليكونوا عاكفين على مناجاته، وكذلك: إذا سألت ربك حاجة فنعاه عن الجهات كلها، ولا تسع على جهة معينة، فإن ربك غيور، فلا يفتح لك باب فضله وأنت محبوب عنه، ناظر إلى جهة أحد من عبده، ألفت كتب في سيرته ومنها: "قلائد الخواهر في مناقب الشيخ عبد القادر"، و"هجرة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر"، توفي في بغداد سنة (٥٦١هـ). انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٤٢/١٢، وابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٢٧٠، والشعراني، الطبقات الكبرى، ٢/٢٨٦، والمناوي، الشواكب النورية، ٢/٢٥٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٤/١٩٨، والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ٧٧، وشبهاني، جامع كرامات الأولياء، ٢/١٩٦، والزركللي، الأعلام، ٤/٤٧، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٧-٣٤٠/٨، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٢/١٨٦.

(٣) "ك"، "ز": "حذف المضاف".

(٤) "ك": "رحمه الله تعالى".

(٥) "ب": "وهو" مبالغة.

ومَرْضِي، وفَقْرِي، وجَوْعِي؟ فأوحى الله -عزَّ وجلَّ-^(١) إليه: كَمْ تَشْكُو إِلَيَّ حَالَكَ؟ هكذا كان بدءَ أمرِكَ في أمِّ الكتابِ عِنْدِي قَبْلَ أَنْ أَعْلِقَ الدُّنْيَا، أَفَرِيدُ أَنْ أَغَيِّرَ خَلْقَ الدُّنْيَا كُلَّهَا مِنْ أَجْلِكَ، أَمْ تَرِيدُ أَنْ أَبَدِّلَ مَا قَدَّرْتَهُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ مَا تُحِبُّ فَوْقَ مَا أُحِبُّ، وَيَكُونَ مَا تُرِيدُ فَوْقَ مَا أُرِيدُ؟ وَعِزِّي وَخَلَالِي، لَيْنٌ تُلْجِئُ هَذَا فِي صَدْرِكَ مَرَّةً أُخْرَى، لِأَمْحُوَنَّ أَسْنَدَكَ مِنْ دِيْوَانِ الشُّبُوهِ^(٢)، أَتَشْهَى. وَفِي ذَلِكَ تَقْدُمْتُ الْإِشَارَةَ إِلَى ذَلِكَ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، وَهَذَا مِنْ حَضْرَةِ الْإِطْلَاقِ، وَالْأَقَالِيْبُوهُ وَهَبْ لَا كَسْبْ، وَمَا كَانَ وَهَبًا مِنَ الْحَقِّ -تَعَالَى- فَلَا يَقَعُ فِيهِ سَلْبٌ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكَشْفِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَاصَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-^(٣) يَقُولُ: مِنْ كَمَالِ الْوُجُودِ كَوْنُهُ مُتَّفِقًا فِي الدُّوَابِّ وَالصُّفَاتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿يَبْلَى قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّى بِنَانِهِ﴾^(٤)، أَيُّ: لَوْ أَرَادَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ أَنْ يُطِيلُوا^(٥) [صَبَا خَلْقَهُ اللَّهُ نَالصًا فِي الطُّوَلِ عَنْ أَحِبِّهِ لَا يَقْدِرُونَ، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ نِعْمَتَهُمْ فِي آلِ عَنَزَةِ الدُّنْيَا وَزَعَمْنَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾^(٦)، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، فَكَانَ مِنْ كَمَالِ الْوُجُودِ أَنْ يُرَى مِنْ حَضْرَةِ الْغَيْبِ^(٧) عَلَى صُورَةٍ مَا سَقَى بِهِ الْعِلْمُ مِنْ عَالِمٍ وَجَاهِلٍ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَرَيْسٍ وَمَرْؤُوسٍ، وَعَالِمٍ وَأَعْلَمٍ، وَصَالِحٍ وَأَصْلَحَ، وَزَاهِدٍ وَأَزْهَدَ، وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ مَا خَرَجَ مِنْ خِزَانَةِ^(٨) الْجُودِ وَالْقُضْلِ، فَعَمَّ جُودُهُ -سَحَابَتُهُ وَتَعَالَى- الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى، وَلَمْ يَخْصُ بِجُودِهِ وَفَضْلِهِ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، فَالْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْتُونَ مِنْ جُودِهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ يَسْتَمْتُونَ مِنْ جُودِهِ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي خَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَفِي السُّؤْمِنِينَ، وَالْكَافِرِينَ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿كُلًّا نُمِيتُ هَتُوْلًا وَهَتُوْلًا مِنْ عَطَاٍ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاؤُكَ رَبِّكَ يَحْطُرُونَ﴾^(٩).

(١) "د": "تعالى".

(٢) "ك": "رحمه الله تعالى".

(٣) "ك": "القيامة، الآية ٤".

(٤) "ب": "أَنْ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ لَرَادُوا أَنْ يُطِيلُوا".

(٥) (الزخرف، الآية ٣٢).

(٦) "ك": "ب": "الغيب".

(٧) "ب": "خزائن"، والعِبَارَةُ فِي "د": "فِي جَمِيعِ مَا مَرَحَ صُورَةٌ مِنْ...".

(٨) (الإسراء، الآية ٢٠).

فإن قيل: قد جعلتم ملاذ الكافرين في الدنيا استدرجاً، وجاء النص بأنهم يزادون^(١) عذاباً في الآخرة، وأنهم يزدون إلى أشد العذاب، وأنهم^(٢) لا يُخفف عنهم ما هم فيه، وأن صفات الحق^(٣) لا تنتهي، فإين رحمته للكفار^(٤)، حينئذ؟ فالجواب أنه - تعالى - يقرر على تعذيبهم بأشد من الأشد السبباً لهم، المشار إليه بالكلف واللام، انتهى^(٥).

وسمعه مرة أخرى يقول: صدقة الحق - تعالى - غامرة ساهبة على جميع العباد، ولكن، تارة يتصدى على بعضهم بالجواهر، وتارة بالذهب، وتارة بالفضة، وتارة بالفلوس الجدد، وأعلى ما تصدق به الحق^(٦) على عباده إيجاده^(٧) محمدًا صلى الله عليه وسلم، ثم سائر الأنبياء على اختلاف طبقاتهم، ثم الأنبياء على اختلاف طبقاتهم، ثم سائر الدعاة إلى دين الله عز وجل، فالأنبياء مثال^(٨) الجواهر النفيسة على اختلاف أتماتها، وخواص الأولياء مثال^(٩) الذهب، والمؤمنون مثال^(١٠) الفضة، والفلوس والنحاس مثال^(١١) الغصاة، وتقدمت الإشارة إلى نحو ذلك بعبارة أخرى عن سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى^(١٢).

فإن قيل: فما وجه صدقته - تعالى - على عباده بالكفار؟

فالجواب: وجهه كما تقدم أنه يُدفع إلى كل مسلم يوم القيامة يهودي أو نصراني، فيقال له: هذا فداؤك من النار^(١٣)، وربما يقع ذلك في حق عصاة المؤمنين^(١٤) من أهل جنّة الميراث، فقد علمت كمال الوجود، وأن جوده - تعالى - مطلق لا تحجير فيه لإنفاقه - تعالى - وتصدقته على عباده بجميع ما أعطاه - تعالى -^(١٥) لهم في خلائقه، لا يذخر عنهم شيئاً مما فيها لهم، فإنّك يا أخي، ثم إنّك من الوقوع فيما فيه والحة اعتراض على العال

(١) "ك"، "ب"، "يزادون".

(٢) "ك"، "ز"، "الحق تعالى".

(٣) "ك"، "ز"، "إيجاد محمد...".

(٤) "ك"، "ز"، "من". ولعل ما ورد في الشيخ الأخرى هو الأعلى.

(٥) "ك"، "ز"، "مثل".

(٦) "ك"، "ز"، "الغصاة الموحدين".

(٧) "ك"، "ز"، "ما أعده الله لهم".

(٨) "ك"، "ز"، "ما أعده الله لهم".

(٩) "ك"، "ز"، "ما أعده الله لهم".

الحقُّ تعالى^(١)، قَرَّبَ مَا مَسَّحَ اللَّهُ - تعالى - صورتهُ صورةً خِزِيرٍ كَمَا وَقَعَ فِي زَمَنِ السُّلْطَانِ عَمَدٍ مِنْ فَلَائِوُنَ^(٢)، فَاعْتَرَضَ إِنْسَانٌ عَلَى رَبِّهِ، وَقَالَ: لَوْ أَنَّهُ فَعَلَ كُنَّا لَكُنَّا أَفْضَلُ، فَسَحَّه - تعالى - فِي الْحَالِ عَلَى صُورَةِ خِزِيرٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْبَرَارِيِّ^(٣)، فَانْقَطَعَ عِيبُهُ، وَاللَّهُ بِحِفْظِ مَنْ يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ غَضِبَ الْحَقُّ عَلَى وَزَانٍ غَضِبَ الْخَلْقُ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ تَوْهَمَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ - تعالى - عَلَى مَنْ جَعَلَ لَهُ زَوْجَةً وَهَذَا^(٤)، وَقَالَ: ﴿يُذِ اللَّهُ مَقُولَةً﴾^(٥)، وَ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٦)، أَنَّهُ عَلَى وَزَانٍ^(٧) غَضِبَ الْخَلْقَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُمْ، وَأَسَاءَ الْأَدَبَ مَعَهُمْ، وَذَلِكَ وَهُمْ بِاطَّلٍ وَالْجَوَابُ أَنَّ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّهُ - تعالى - مَا أُخْرِجَ عَلَى السَّنَةِ بَعْضُ عِبَادِهِ كَلِمَاتِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ^(٨)، أَوْ مَا فِيهِ سُوءُ أَدَبٍ مَعَهُ - تعالى - (لَا تُبَيِّهَا لِعِبَادِهِ لِيَعْلَمَهُمْ - تعالى -

(١) "ك"، "ز": "سبحانه وتعالى".

(٢) هو الملك الناصر أبو الفتح محمد بن فَلَائِوُنَ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٨٤هـ)، أَنَامَ فِي طُغْرُكَةِ فِي دِمَشْقَ، وَوَلَّى مُسْلِمَةَ مِصْرَ وَالشَّامَ سَنَةَ (٦٩٣هـ)، وَخَلَعَ مِنْهَا لِحَنَانَةَ سَنَةً، وَتَوَلَّى الْأَمِيرُ بَيْرُسَ الْقِيَادَةَ، وَلَكِنَّهُ اصْطَلَحَ حِطَّةً لِاسْتِرْدَادِ السُّلْطَانِ، فَرَزَعَ أَنَّهُ قَاصِدُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَتَزَلَّ فِي قَلْعَةِ الْكُرْكِ سَنَةً، ثُمَّ وَتَسَبَّ عَلَى دِمَشْقَ، فَمَصَّرَ، فَقَاتَلَ الْمُنْظَرُ بَيْرُسَ وَقَتْلَهُ بِدَمِهِ خَنْقًا، وَشَرَّدَ أَمْصَارَهُ، كَانَ مَسْكًا مَطَاعًا مَبِيحًا مَحْطُوطًا ذَا دَهَاءٍ وَحِزْمٍ وَمَكْرٍ، طَوِيلَ النَّصْرِ عَلَى مَا يَكُونُ، إِذَا حَاطَلَ أَمْرًا لَا يَسْرِعُ فِيهِ بَلْ يَتَحَامَلُ غَايَةَ الْإِحْطَاءِ، لَهُ آثَارُ عَصْرَانِيَّةٍ ضَحْمَةٍ، كَانَ مَوْلَعًا بِكَرَاهِمِ الْخَيْلِ، غَايَةَ فِي الْكِرَامِ، لَمْ يَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ أَنَّهُ أَطْلُقَ لِسَانِهِ بِكَلَامٍ فَاحِشٍ فِي شِدَّةِ غَضَبِهِ وَلَا تَبْسَاطِهِ، وَقَدْ تَسَلَّطَ مِنْ أَوْلَادِهِ شَانِيَّةٌ، تَوَفَّى فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ (٧٤١هـ)، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَزَّ الدِّينُ بْنُ جِبَالَةَ. انظر ترجمته: ابن حجر، الدرر الكامنة، ٩٠/٤، واثركلبي، الأعلام، ١١/٧.

(٣) "ك"، "ب": "البراري".

(٤) "ق"، "د": "وولدا"، ولعله تصحيف تدخسه الآية التي تليه.

(٥) (والمائدة، الآية ٦٤).

(٦) (آل عمران الآية ١٨١).

(٧) السوزان: القبيظة، ولعل ما ورد في المتن هو الألقب يسايك الكلام، فقد جاء في اللسان: "وزانه وبوزانه: أي قبائله". انظر: اللسان، مادة "وزن".

(٨) "ك"، "ز": "بالله تعالى".

الحليم^(١) على مَنْ خالف أمرهم، فإنَّ الرُّبُوبِيَّةَ لا تَنقُصُ لِنَفْسِهَا لِكُونِهَا خَالِقَةً لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَقْوَالِهِمْ، وَأَمَّا تَنقُصُ تَأْدِيماً لِلْعَصَاةِ مِنَ الْعِبَادِ، وَزَجْراً لِعِبْرِهِمْ أَنْ يَقَعُوا فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ غَيْرُهُمْ، وَإِذَا كَانَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ عَمَّادٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَنْقُصْ لِنَفْسِهِ قَطُّ^(٢) تَشْرِيعاً لِأَمَّتِهِ، وَتَعْلِيماً لَهُمْ، لِيَحْتَمِلُوا مَنْ آذَاهُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَلَا يُقَابِلُونَهُ بِنَظِيرِهِ، فَكَيْفَ رَبُّ الْأَرْبَابِ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ بِذَلِكَ يَا أَحْيَى سَوْءَ آدَبٍ مَنْ قَالَ حِينَ وَقَعَ الْخُلُقُ فِي عَرَضِهِ، وَقَابَلَهُمْ بِنَظِيرِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْحَقُّ - تَعَالَى - لَمْ يَحْتَمِلْ قَوْلَ مَنْ قَالَ فِيهِ الْبَهْتَانُ، بَلْ تَوَعَّدَهُ^(٣) بِالنَّارِ، فَكَيْفَ يَمْتَلِي؟ أَتَسْتَهْجِئُ.

فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَجُوزُ فَهْمُهُ فِي جَانِبِ الْحَقِّ - تَعَالَى - أَبَدًا، بَلِ اللَّائِقُ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: إِنَّمَا قَضَى اللَّهُ - تَعَالَى -^(٤) عَلَى بَعْضِ عِبِيدِهِ بِسَوْءِ الْآدَبِ مَعَهُ لِأَجْلِ مَا حَتَّى لَا يَقَعَ أَحَدُنَا فِيهَا وَقَعُوا فِيهِ، وَيَكَادُ أَحَدُنَا يَذُوبُ مِنَ الْخَجَلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِمَّنْ وَقَعُوا فِي سَوْءِ الْآدَبِ مَعَ اللَّهِ - تَعَالَى -^(٥) لِأَجْلِ مَا لِيَجْعَلَهُمْ عِبْرَةً لَنَا، وَلِكُونِهِمْ كَانُوا سَبِيًّا فِي اجْتِنَابِنَا مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنْ حَيْثُ الْحِكْمَةُ وَالْتَفَدِيرُ الْإِلَهِيَانِ لَا مِنْ حَيْثُ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ، فَافْهَمْ، فَإِنَّ هَذَا مَوْضِعَ تَرْؤُلٍ فِيهِ الْأَقْدَامُ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ تَأَمَّلَ وَخَدَّ جَمِيعَ مَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِهَمٍّ أَيْ: لِوُجُودِهِمْ الْفَضْلَ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا سَبِيًّا فِي تَغْيِيرِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي نَظِيرِ مَا وَقَعُوا فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَقْصِدُوا هَمَّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا أَسْرَارٌ يُنْفِقُهَا أَهْلُ اللَّهِ^(٦) لَا تُسْطَرُّ فِي كِتَابٍ لِعُلُوِّ مَرَاتِبِهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ التَّكْلِيفِ بِمَا هُوَ فَوْقَ الطَّاقَةِ]

وَمِمَّا أَحَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ^(٧) - تَعَالَى -^(٨): ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِيزْنَا مَا لَا قِوَامَ لَهُ لَنَا بِهِ﴾^(٩) أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ يَكْلِفُ عَبْدَهُ بِمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ^(١٠) بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُودِ،

(١) "ب": "الحكيم"، وهو تصحيف. (٢) "ب": "ألا تشريعاً".

(٣) "د": "يوعده". (٤) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٥) "ب": "تعالى" ليست فيها، "ز": "يسوء الأدب معه...".

(٦) "ك"، "ز": "الله تعالى". (٧) "ك"، "ب": "من نحو قوله".

(٨) "ب": "تعالى" ليست فيها. (٩) (البقرة، الآية ٢٨٦).

(١٠) "ك"، "ز": "به" ساقطة.

ولذلك شرع لنا سؤاله أنه لا يُكَلِّفُنَا بذلك: والجواب أن هذا تَوْهَمٌ باطلٌ، فإن أفعال الحق - تعالى - كلها عين الحكمة لا بالحكمة كما مرَّ، لئلا تكون الحكمة علّة لها، وتعلّت أفعال الله - تعالى - عن العلل، والدُّوَر، والتسلسل.

وسمعتُ سيدي عليّاً الخوَّاص - رحمه الله تعالى -^(١) يقول: لو صَحَّ أَنْ يُكَلِّفَ اللهُ - تعالى -^(٢) عَبْدًا بِمَا فَوْقَ طَاقَتِهِ مَا كَانَ اللهُ الْحِجَّةَ الْبَالِغَةَ عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدْ قَالَ^(٣) - تعالى -: ﴿قُلْ فِىهِ الْحِجَّةُ الْكُلِّيَّةُ﴾^(٤)، وَقَالَ^(٥): ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِشْرًا وَلَا نَفْسًا﴾^(٦)، وَقَوْلُهُ - تعالى - حقٌّ وصدقٌ^(٧) لا شك فيه، انتهى.

فَيَحِبُّ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ الْإِيمَانَ وَالْقَصْدَ بِمَا وَعَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِمَا أَضَافَهُ إِلَى عِبَادِهِ^(٨) مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي يُوَاعِدُهُمْ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ يَكْشِفَ اللهُ - تعالى - عنه الْحِجَابَ فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَعْلَمُ الْأَمْرَ يَقِينًا، وَيَعْرِفَ وَجْهَ نَسَبَةِ الْفِعْلِ إِلَى اللهِ^(٩)، وَوَجْهَ نَسَبِهِ إِلَى الْعَبْدِ بِطَرِيقٍ حَقِّقٍ لَا شُبْهَةَ فِيهِ، وَلَوْلَا خَوْفُ إِثْرَةِ الْفِتَنِ^(١٠) مِنَ الْمَحْجُوبِينَ لَأَظْهَرْنَا ذَلِكَ لِأَحْوَاتِنَا، وَسَتَانِي لِيَذَّهَبَ مِنْ ذَلِكَ فِي^(١١) الْجَوَابِ الْآخِي بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ - تعالى - يَمْنُ عَلَيْهِمْ بِكَشْفِ الْحِجَابِ، وَيَجْعَلُهُمْ مِمَّنْ يُقِيمُ الْحِجَّةَ عَلَى نَفْسِهِ دُونَ رَبِّهِ بَاطِلًا وَظَاهِرًا، آمِينَ^(١٢).

فَعَلِمَ أَنَّ مَنْ تَوَهَّمَ فِي اللهِ - تعالى - أَنْ يُحْتَمَلَ مِنَ التَّكْلِيفِ مَا فَوْقَ طَاقَتِهِ فَهُوَ مُسِيءٌ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ - تعالى - لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ رَاحَةِ إِقَامَةِ الْحِجَّةِ عَلَى اللهِ فِي سِرِّهِ، وَلَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَقْدِرَ الْحَقُّ - تعالى - بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا فِيهِ رَاحَةٌ اعْتِرَاضٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ اللهُ - تعالى - قَدْ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى الْعَبْدِ كَمَا أَضَافَهُ - تعالى - إِلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ^(١٣) صَادِقٌ فِي كِلَا الْإِضَافَتَيْنِ^(١٤)، فَلَا بُدَّ لَذَلِكَ مِنْ عَمَلٍ يَكْشِفُ لِلْعَبْدِ

(١) "ك"، "ز"، "تعالى" ساقطة.

(٢) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٣) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٤) "ك"، "ز": "وقال تعالى".

(٥) (الأنعام، الآية ١٤٩).

(٦) "ك"، "ب"، "ز": "صدق وحق".

(٧) (البقرة، الآية ٢٨٦).

(٨) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٩) "ب": "أضاف إليه عبادته".

(١٠) "ك"، "ب"، "ز": "الفتنة".

(١١) "ك"، "ز": "آمِينَ، اللهم آمين".

(١٢) "ك"، "ز": "وهو تعالى".

(١٣) "ك"، "ز": "آمِينَ، اللهم آمين".

(١٤) في النسخ جميعها: "كلا الإضافتين".

المحجوب^(١) فيه الأمر؛ فَجَزَى اللهُ الْأَشْيَاخَ عَنِ الْأُمَةِ عَيْرًا فِي عَمَلِهِمْ عَلَى كَشْفِ حُجُبِ الْمُرِيدِينَ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنِ الشَّقَايِ، وَيَصِيرَ أَحَدُهُمْ لَا يَقُولُ شَيْئًا بِلِسَانِهِ إِلَّا وَهُوَ مُصَدِّقٌ بِهِ بَقْلِهِ، أَوْ مُشَاهِدٌ لَهُ، وَذَلِكَ فِي مَقَامِ الْإِحْسَانِ، وَمَقَامِ الْإِيقَانِ، وَمَا دَامَ الْعَبْدُ لَمْ يَدْخُلْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ فَمِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ -تعالى- بِهِ لَا أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَمَا بَعْدَهُ إِلَّا الْكُفْرُ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

[تَوْهَمُ الْجَبَرِيَّةِ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ مِنْ تَوْهَمِهِمْ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيَّةُ^(٢)﴾، أَنْ الْمُرَادَ بِهَا تَعْلِيلُنَا الْأَدَبَ مَعَهُ^(٣) لَا تَحْقِيقُ الْمَنَاطِ^(٤)، كَمَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ السَّالِي: "يَدُ لَا تَقْدِرُ عَلَى عَضِّهَا قَبْلَهَا"^(٥)، وَرَبَّمَا قَالَ هَذَا التَّوَهُّمُ أَيْضًا وَلَوْ فِي نَفْسِهِ: كَيْفَ يُؤَاخِذُنِي اللهُ -تعالى-^(٦) عَلَى أَمْرِ فَتْرَتِهِ^(٧) عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ مَعَ عِلْمِهِ -تعالى- بِعَجْزِي عَنْ رَدِّ أَفْعَادِهِ النَّافِلَةِ فِيَّ، وَرَبَّمَا قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ -تعالى- هُوَ الْخَالِقُ لِذَوَاتِنَا وَلِصِفَاتِنَا وَلِقَوَانَا، فَلَا تَحْرُكُ إِلَّا أَنْ حَرَكْتَنَا قَدْرَتُهُ تَعَالَى، فَابْنِ وَجْهَ إِضَافَةِ الْأَفْعَالِ إِلَيْنَا؟ وَلَكِنْ، قَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ لَيْلَا لَيْلَا أَنْ تَبْتَغِيَ بِالْمَاءِ، انْتَهَى^(٨).

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا كُلُّهُ أَنَّهُ كَلَامٌ سَاقِطٌ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ جَاهِلٍ بِاللَّهِ -تعالى-.

(١) "ك"، "ز": "المحجوب" ساقطة.

(٢) (الأَنْعَامِ، آيَةُ ١٤٩).

(٣) "ك": "تعليم الأدب معه تعالى".

(٤) "ز": "لا بتحقيق المناط".

(٥) هذا من أسئلة المتأخرة، وقد ورد في كتاب الغزي العامري "أبعد الحديث في بيان ما ليس بعديث"، ورقمه (٦٦٦)، ١/٦٦٦، ونصه ثم: "يد لا تقدر على قطعها قبلها".

(٦) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٧) "د"، "ب"، "ز": "قدرة الله علي".

(٨) الشعر من السبيل للحلاج، وقيله:

ما حيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال أبها الرائي

النظر: سبيل السعيد، الحسين بن منصور، الحلاج: حياته وشعره ونثره، ١٢٢، وقاسم عباس، الحلاج: أعماله الكاملة، ٢٨٨.

وبأحكامه، وقد قالت الرُّسُلُ -عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- الذين هم أعلمُ الخلقِ باللهِ - تعالى-^(١) وبأحكامه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، وقال موسى -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-^(٣): ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾^(٤)، وقال يونس -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- في الظُّلُمَاتِ: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥)، فاضافوا كُلِّهِمْ^(٦) الظُّلْمَ إلى انفسِهِمْ دونَ اللهِ^(٧) إضافةً مُحَقَّقةً مَقْهُومَةً لَهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ -عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- أَعْرِفُوا بِمَعْنَى كَلَامِ رَبِّهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْعَارِفِينَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ آيَدَهُمُ اللَّهُ -تعالى- وَصَدَّقَهُمْ عَلَى إِضَافَتِهِمُ الظُّلْمَ إِلَى الْعِبَادِ بِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٨)، وَقَوْلُهُ -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٩)، وَقَوْلُهُ -تعالى-: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾^(١٠)، وَقَوْلُهُ -تعالى-: ﴿وَمَا زُكِّتُمْ بِظُلْمٍ لِيُفْهِمُوا أَنَّ يُخْبِرُوا إِلَّا بِالْوَاقِعِ، فَإِنْ إِيْمَانُ هَذَا التَّوْحِيدِ الْمَذْكُورِ بِأَعْيَادِ اللَّهِ -تعالى- وَبِأَعْيَادِ أَنْبِيَائِهِ، وَلَعَلَّ غَالِبَ النَّاسِ مِنَ الْعَامَّةِ وَاقِعُونَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلَا يُشْيءُ شَيْءٌ فَكَيْفَ الْحَقُّ -تعالى- عَيْبُهُ إِلَى شَقِيٍّ وَإِلَى سَعِيدٍ؟ وَلَمْ تَمْ^(١١) يَجْعَلِ الْعَالَمُ كُلَّهُ سَعِيدًا؟ أَوْ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ، فَالْعَبْدُ هُوَ الَّذِي اشْتَقَى نَفْسَهُ، فَكَيْفَ الْحَالُ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ سِرِّ^(١٢) الْقَدَرِ، وَبِكَيْفِيَةِ الْإِجْمَاعِ إِلَهُ لَا فَاعِلَ فِي

(١) "ب": "تعالى" ليست فيها. (٢) (الأعراف، الآية ٢٣).

(٣) "د"، "ز": "عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ" ليست فيها، "ز": "عليه السلام".

(٤) (التقصي، الآية ١٦). (٥) (الأنبياء، الآية ٨٧).

(٦) "ك"، "ز": "كُلِّهِمْ" ساقطة، والعبارة: "فاضافوا الظلم".

(٧) "د"، "ز": "الله تعالى". (٨) (النحل، الآية ١١٨).

(٩) (الزمر، الآية ١١). (١٠) (الزمر، الآية ٧٦).

(١١) (فصلت، الآية ٤٦).

(١٢) "د"، "ك"، "ز": "كُلِّهِمْ" ساقطة، وبهذا يغلب المعنى.

(١٣) "ب": "من علم القدرة".

الوجود سواء، ولا موجود بذاته إلا إياه، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَأَنَا نَعْمَلُونَ﴾ (١)، ﴿لَا يُشْفِلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنْفَلُونَ﴾ (٢)، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَاطِنَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَهْلِيَيْنِ﴾ (٣)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٤)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (٥)، ﴿إِلَّا مِنْ رَحْمَتِ رَبِّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ﴾ (٦)، ﴿وَتَمُتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمَلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٧).

وأما قول هذا العبد^(٨): كيف يؤاخذني الله - تعالى - على أمرٍ قدره الله^(٩) عليّ قبل أن أخلق مع علمه بعجزِي عن ردِّ أقداره التأفُّد في؟
فالجواب: أنا نقول لهذا العبد: أما أنت^(١٠) محلٌّ لجريان أقداره عليك أزلًا في علمه كما هو مُشاهد؟ فلا يسعه إلا أن يقول: نعم، أنا محلٌّ لجريان أقداره فيّ، فنقول له: قد أنصفت إذا، وسقط اعتراضك حيث كنت، كذلك في الافتتاح، ولا يمكن تغيير ما سبق به العلم.

وإن قال بقول المعتزلة^(١١) إنه يخلق أفعال نفسه، قلنا له: فإذا يُقام عليك ميزان

(١) (الصافات، الآية ٩٦). (٢) (الأنبياء، الآية ٢٣).

(٣) (الأعام، الآية ١٤٩). (٤) (يونس، الآية ٩٩).

(٥) (هود، الأيات ١١٨، ١١٩). (٦) (هود، الآية ١١٩).

(٧) "١": "هذا الضد".

(٨) "ب"، "ز": "الله" ليست فيها، والعبارة: "قدره علي".

(٩) "ب": "إنك أنت...".

(١٠) المعتزلة أصحاب العدل والوحيد، ويقولون بالقدرية، والذي يعمهم من الاعتقاد أن الله - تعالى - قديم، والقدم أحسن وصف لذاته، ونفوا الصفات القدسية أصلاً، فقالوا هو عالم لذاته، قادر لذاته، حي لذاته، لا يعلم وقدره وحياة، وافقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت، كتب أمثاله في المصاحف، وافقوا على رؤية الله بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه مكاناً وصورة وجسماً ونحوها وانقلا وتغيراً وتأثيراً وافقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله، خبرها وشعرها، انظر مقولاتهم: الشيرمستاني، الملل والنحل، ٨/١، والمرجاني، المعرفات، ٣٣٨.

العدل في قوله -تعالى-: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ^(١)، فَلَمْ تَفْسَك، وَلَا تَلَمْ رُبُّكَ، فَإِنَّكَ ادَّعَيْتَ ^(٢) أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَعْلُقُ كُلَّ مَا يَقَعُ عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَقَدْ سَمِعَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- ^(٣) شَخْصًا يَقُولُ: كَيْفَ يُوَاعِدُنِي الْحَقُّ -تَعَالَى- عَلَى فِعْلٍ قَدَرَهُ عَلَى قَبْلِ أَنْ أُعْلَقَ، وَهُوَ يَعْلَمُ عَجْزِي عَنْ رَدِّ أَقْدَارِهِ النَّاقِذَةِ فِي؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: قَهْلُ تَعْلُقُ عِلْمُهُ -تَعَالَى- بِكَ إِلَّا عَلَى صُورَةٍ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَتَعْلَقْ عِلْمُهُ بِي إِلَّا عَلَى صُورَةٍ مَا أَنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: فَإِذَا لَمْ تَفْسَك، وَلَا تَلَمْ الْحَقُّ حُلَّ وَعِلًّا، فَإِنَّهُ مَا لَسَجَ لَكَ إِلَّا مَا غَرَقَهُ مِنْ رَبِّقِي، أَوْ غَلِظَ، أَوْ نَفِيسَ، أَوْ حَسِيسَ، أَوْ خَرِبَ، أَوْ مُشَاقَّةٍ كَثَانٍ ^(٤)، انْتَهَى.

وَمَنْ فُهِمَ ذَلِكَ عَرَفَ صِدْقَ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا رَأَيْتُكَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ^(٥)، ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٦)، وَنَحْوَهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَحْقِيقِ الْأَمْرِ لَا مِنْ بَابِ تَعْلِيمِ الْخَلْقِ الْأَدَبَ مَعَ رَبِّهِمْ، فَإِنَّ قَوْلَ: فَمَا وَجَّهَ ^(٧) إِيَّانَهُ -تَعَالَى- ^(٨) بِصِغَةِ "ظَلَامٌ" دُونَ "ظَالِمٌ"؟ فَإِنَّهُ لَمَّا ^(٩) انْتَفَى الظُّلْمُ عَنِ الْحَقِّ -تَعَالَى- مَرَّةً وَاحِدَةً، انْتَفَى عَنْهُ الظُّلْمُ مَرَّاتٍ مِنْ بَابِ أَوَّلِي، فَاجْزَأُ أَنَّهُ -تَعَالَى- إِذَا جُمِعَ بِالنَّظَرِ لِمَجْمُوعِ أَفْرَادِ الْعَالَمِ، فَلَا يَظْلَمُ هَذَا، وَلَا هَذَا وَلَا هَذَا ^(١٠)، فَمَا أَتَى بِصِغَةِ الْجَمْعِ إِلَّا رَدًّا لِمَا يَتَوَهَّمُ كُلُّ عَبْدٍ مِنَ الْمُتَوَهِّمِينَ فِي زَعْمِهِ فِي الْبَاطِلِ ^(١١)، وَلَا يَقْدَرُ عَلَى التَّلَقُّظِ بِهِ، فَانْهَمَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصْحُحُ وَصْفُهُ -تَعَالَى- بِالظُّلْمِ لِعَبْدٍ يُوَجِّهُ مِنَ الوجودِ لِأَنَّهُ مَالِكُهُ، وَمَخْلَقُهُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الذِّكْرُ دَارَ حِجَابٍ ^(١٢)، فَرُبَّمَا خَطَرَ عَلَى بَالِ الْعَبْدِ شَيْءٌ مِنْ

(١) (البقرة، الآية ٢٨٦). (٢) "ادَّعَيْتَ" ساقطة.

(٣) "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ".

(٤) الشَّخْصَانَةُ مِنَ الشُّكَّانِ وَالْقَطْنِ وَالشَّعْرِ: مَا خَلَصَ مِنْهُ، وَقِيلَ هُوَ مَا طَارَ وَسَطَعَ عَنِ الْمَشْنِيِّ، وَهُوَ الْمُشَطَّ.

(٥) (فصلت، الآية ٤٦). (٦) (التحليل، الآية ١١٨).

(٧) "تَوَجَّهَ" ساقطة. (٨) "لَمْ"، "زَ"، "تَعَالَى" ساقطة.

(٩) "لَمْ"، "زَ"، "فَإِنَّهُ إِذَا". (١٠) "بَ"، "زَ"، "وَلَا هَذَا" ساقطة.

(١١) "لَمْ"، "بَ"، "الْبَاطِلُ"، وَهُوَ تَصْغِيرُ.

(١٢) "بَ"، "الدَّارُ حِجَابٍ".

الاعتراض، ونأمل إذا كشف الله - تعالى - الحجاب عن الخلق، وأمر^(١) القيامة أن تقوم، وبذلك الخلق كلهم بالتفحة، كيف لا يحطر على بال أحد الاعتراض أبدا لا تكشاف الحجاب عن الخلق كلهم؟

لأن قال قائل: فإذا كان كل شيء يقع في^(٢) العالم سبق به علم الله^(٣) القديم الذي لا يحتاج له، فما معنى قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ لَوْنَكُم حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ﴾^(٤)؟

فالجواب أنه - تعالى -^(٥) يعلم أن المجتهدين قبل الجهاد مجاهدون بالقوة، وحين الجهاد بالفعل، وقال بعض القوم إنه - تعالى - ما قال ذلك إلا دعيلًا لإقامة الحجّة على العباد تنزلًا لعقولهم؛ ليرى بهم - تعالى - بيان صدقهم في دعاوهم المحيّة له، أو الرضا بأقداره، أو الصبر تحت بلائه مع إجماع سائر الملائكة والشّمل أن الله - تعالى - عالم بجميع ما يقع من عباده في مستقبل الزّمان دُنيا وأخرى؛ لأنه - تعالى -^(٦) خالقهم وخالق أفعالهم، وقد قال - تعالى -: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٧).

ولكن، لما كان كل أحد لا يقدر على دوام شهوده^(٨) لهذا العلم ابتلاه الله تعالى، ومعلوم عند كل عاقل أن الحجب إنما يُقام عادة على المحجوبين عن حكمة أسرار أفعال الله - تعالى -^(٩) في العالم بخلاف من رُفِعَ حجابُه كالأنبياء وأهل الكشف لا يُقام عليهم حجّة لا في الدّنيا ولا في الآخرة لشهودهم الكمال في الفعل^(١٠) الله تعالى، وإقامة الحجّة على نفوسهم، فعلم مما قرّره أنه يجب على العبد أن يعلم أنه لا يجري عليه إلا ما كان هو عليه في علم الله - عز وجل - القديم، وما فوق إقامة الحجّة هو موضع ﴿لَا

(١) "ك"، "ب"، "ز"، "فامر". (٢) "د"، "ز"، "من".

(٣) "ك"، "ز"، "الله تعالى".

(٤) (حمد، الآية ٣١)، وفي "٣": "ولقد لونكم حتى تعلم".

(٥) "د"، "ك"، "ز"، "فالجواب أن الله تعالى".

(٦) "ب"، "تعالى" ليست فيها. (٧) (الملك، الآية ١٤).

(٨) "ك"، "ز"، "شهود". (٩) "ب"، "تعالى" ليست فيها.

(١٠) "د"، "أقوال"، وهو تصحيف صوابه ما ورد في النسخ الأخرى.

يُسْتَفْتَلُ عَنْهُمَا يُفَعَّلُ وَهُمْ يُسْتَفْتَلُونَ ﴿٢٥﴾ (١)، وَإِنَّمَا كَانُوا يَسْأَلُونَ دَوْلَهُ -تَعَالَى- لِأَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- (٢) إِذَا أَطْلَعَهُمْ عِنْدَ السُّؤَالِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْعِلْمِ الَّذِي لَا افْتِتَاحَ لَهُ تَحَقُّقُوا أَنَّ عِلْمَهُ -تَعَالَى- مَا تَعَلَّقَ بِهِمْ فِي الْأَزْلِ إِلَّا بِحَسَبِ مَا هُمْ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَنَّهُ مَا حَكَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ وَجُودَهُمْ بِأَحْوَالِهِمْ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ لَا يُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَإِنَّمَا الْمَخْلُوقُ خَرُوجُهُمْ مِنْ مَكُونٍ عَلَيْهِ الْأَزْلَى إِلَى قَضَاءِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ، فَبِذَا الَّذِي يُقَالُ فِيهِ مَخْلُوقٌ، وَمِنْ هُنَا كَانَ اعْتِقَادُ مَنْ يَحْتَقِذُ إِلَهَ -تَعَالَى- كَانَتْ (٣) خَالِقًا بِالْإِخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ لَا بِالذَّاتِ، فَالْمَعْنَى، وَإِنَّكَ وَالْعَلْفُ، وَاسْمٌ يَا أَحْيَى فِي تَحْصِيلِ (٤) مَقَامِ الْإِطْلَاعِ عَلَى مَذْهَبِ الْمَشْهَدِ التَّقْيِيسِيِّ لِتَصْيِيرِ تَقْيِيمِ الْحُجَّةِ لِلَّهِ -تَعَالَى- عَلَى نَفْسِكَ بِحَقِّ وَصْدَقٍ، وَلَا يَكَادُ يَحْفَظُ فِي بَالِكَ رَاحَتُهُ اعْتِرَاضٍ عَلَى أَحْكَامِ رَبِّكَ.

وَسَعَتْ سَيْدِي عَلِيًّا الْخَوَاصُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ: كُلُّ مَنْ لَمْ يُطْلَعْهُ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى الْحِكْمَةِ فِي أَنْعَالِهِ -تَعَالَى- فَمِنْ لَازِمِهِ الْإِعْتِرَاضُ غَالِبًا، بِخِلَافِ مَنْ أَطْلَعَ عَلَى تِلْكَ الْحِكْمَةِ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ يَعْتَرِفُ (٥) بِالْحُجَّةِ الْمُبَالِغَةِ لِلَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ طَائِعًا مُخْتَارًا، كَشَفَا وَبَقِيَّتًا، لَا أَدْبًا وَتَسْلِيمًا مِنْ غَيْرِ ذَوِي، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَوَامِّ، أَتَقْبَلُ.

وَسَعَتْهُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- (٦) مِرَارًا يَقُولُ: أَوُ كُنْتُ ذَا سُلْطَانٍ لَضَرْبَتْ عَنْقَ كُلِّ مَنْ رَأَيْتُهُ يَشُدُّ قَوْلَ الْقَائِلِ:

أَلْفَاءُ فِي الْيَمِّ مَكْنُوقًا وَقَالَ لَهُ: (٧) إِنَّكَ إِذَاكَ أَنْ تَبْسُلَ بِالْمَاءِ (٨)

لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ رَاحَتِهِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى اللَّهِ (٩)، وَالْمُرُوفِ مِنْ تَحْتِ طَاعَتِهِ اخْتِيَارًا، أَتَقْبَلُ.

فَعَلِمَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ لَا يَصْدُرُ مِنْ عَارِفٍ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْعَارِفَ سَدَادُهُ

(١) (الأنبياء الآية ٢٣).

(٢) "ك"، "ز"، "كان" ساقطة. ب: "العبارة: "إله كان تعالى...".

(٣) "ب": "في مقام".

(٤) "أ": "يعرض"، وإعماله تصحيحًا لا يستقيم به المعنى.

(٥) "ب": "رضي الله عنه" ليست فيها، "ك"، "ز": "رضي الله تعالى عنه".

(٦) "أ" "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٧) تقدم تخرجه.

وَلَحْمُهُ^(١) أَدَبٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ حُجَّةَ اللَّهِ^(٢) قَائِمَةٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَعِبَارَةُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ^(٣) فِي "الفتوحات" فِي مَعْنَى قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(٤)؛ اعْلَمْ يَا أَحِبِّي أَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَجْهَ هَذِهِ الْحُجَّةِ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُونَهَا عَلَى وَجْهِ الْإِيمَانِ بِهَا وَالتَّسْلِيمِ، وَنَحْنُ وَأَمثَالُنَا إِنَّمَا نَأْخُذُهَا عِيَانًا وَبَقِيَّةً لِعِلْمِنَا بِمَوْجِعِهَا، وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ الْحَقُّ بِهَا، انْقَهَى^(٥).

فَمِنْ إِنْ مِنْ عِلَامَةٍ مَنْ يَأْخُذُ حُجَّةَ اللَّهِ^(٦) عَلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ دُونَ الدَّوْقِ وَالْعِيَانِ إِلَّا بِتَحْيِيلِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ عَلَى وَجْهِهَا^(٧) حَقِيقَةً، بَلْ رُبَّمَا لِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: لَوْ مَكَّنَنِي الْحَقُّ -تَعَالَى-^(٨) مِنْ الْإِحْتِجَاجِ حِينَ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ لَقُلْتُ لَهُ: يَا رَبِّ، أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ ذَلِكَ حَقِيقَةً، وَقَدَّرْتَهُ^(٩) عَلَيَّ فِي الْأَوَّلِ قَبْلَ أَنْ أُحَلِّقَ، فَلَا يَصِحُّ مِنِّي تَرْكُهُ بِالْأَبْقَعِ عَلَى يَدَيَّ، وَلَكِنْ الْأَدَبُ مِنَّا الْأَسْأَلُ يَا رَبِّ عَمَّا تَفْعَلُ وَتَضَيِّقُهُ الْبِنَاءَ، وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ جَاهِلٍ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، بَلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ مَطْلَقًا^(١٠).

[مَذْهَبُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾]

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ^(١١) فِي الْبَابِ السَّابِعِ وَالْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِينَ فِي قَوْلِهِ

(١) الشَّهْدَى خِلَافَ لَحْمَةِ الثَّوْبِ، وَقَبْلَ اسْتِطْلَاقِهِ وَقَبْلَ مَا مُدَّ مِنْهُ، وَاحِدَتُهُ سَدَقَ، وَيُقَالُ: مَا آمَتْ يُلْحِمُهُ وَلَا سُدَّةٌ وَلَا سَنَادٌ؛ يَضْرِبُ لِمَنْ لَا يَبْصُرُ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَعَلَّ الْمُتَعَمِّقِينَ مِنْ عِبَارَةِ الشُّعْرَانِيِّ أَنَّ الْعَارِفَ كَلَّمَ أَدَبٌ مَعَ اللَّهِ بِشَحْمِهِ وَلَحْمِهِ. انْظُرْ: لِلْسَّانِ، مَادَّةُ "سَدَا".

(٢) "ك"، "ز": "حُجَّةُ اللَّهِ تَعَالَى". (٣) "ك"، "ز": "رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ".

(٤) (الأنعام، الآية ١٤٩).

(٥) انْظُرْ: مُحْيِي الدِّينِ، الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، ٣٥٢/٧.

(٦) "ك"، "ز": "اللَّهُ تَعَالَى". (٧) "د": "عَلَى وَجْهِ الْإِيمَانِ"، "ك": "عَلَى وَجْهِهِ".

(٨) "ب": "اللَّهُ تَعَالَى".

(٩) "ك"، "ب"، "ز": "كُوِّدَ قَدْرَتُهُ".

(١٠) "د"، "ك": "بَلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لِلَّهِ مَطْلَقًا".

(١١) "ك"، "ز": "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ".

- تعالى - (١): ﴿فَلْيَلْ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (٢): اعلم أن الحجة ما كانت بالغة علينا إلا من جهة كون العلم تابعاً (٣) للمعلوم، وما تميز علم الحق - تعالى - عن المعلوم إلا (٤) من حيث كونه - تعالى - له رتبة القاعدية على العالم كله؛ إذ العالم كله مفعوله، فإذا قال المعلوم شيئاً، أو فعله، كان لله الحجة البالغة عليه لو قال: كَيْفَ يُؤَاعِدُنِي اللَّهُ (٥) بأن يقول له - تعالى -: ما تعلق علمي (٦) بك إلا على ما أنت عليه في حال عديك، وحال وجودك، فما أبرزك إلى الوجود إلا على قدر ما أنت عليه في ذاتك، وعلى قدر قبولك واستعدادك، وحينئذ يعرف العبد أن ذلك هو الحق، وتندحض حجة الخلق كلهم في موقف العرفان الإلهي الخاص بالأَكابر (٧).

وأما موقف العرفان في العموم فالأمر فيه قريب، ويختلف الحكم فيه بحسب فهم الرجال، فما كل أحد تقام عليه حجة هي عين ما تقام على عبد آخر أبداً، بل لكل عبد حجة عند الله (٨) تقام عليه كما يليق بمقامه (٩)، وذلك ليظهر الحق - تعالى - لهم فضله عليهم، أو ليظهر لهم مقام كونه - تعالى - (١٠) هو القاهر فوق عباده، فإنه ما فهمهم إلا بالحجة البالغة عليهم، وهو الحكيم الخبير، فيظهر لكل عبد ما يقيم تعالى به (١١) الحجة

(١) عنوان هذا الباب "في معرفة منازل التكليف الممثلة"، وقد اقتضه بقوله:

حكم التكليف بين الله والناس من عهد والدنا المنعوت بالناسي

انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٠٤/٧.

(٢) (الأحكام، الآية ١٤٩).

(٣) "ك"، "ب"، "ناهما" ساقطة.

(٤) "ك"، "ز"، "لا"، وهو تعريف يلقب المعنى.

(٥) "ك"، "ب"، "ز"، "الله" ليست فيها.

(٦) "ب"، "علمه".

(٧) الكلام محيي الدين في الفتوحات المكية، ١٠٥/٧.

(٨) "ك"، "الله تعالى".

(٩) العبارة في الفتوحات: "فما كل أحد تقام عليه حجة تقام على الآخر، فلكل صنف حجة عند الله بما يظهر لوق عباده، وهو القاهر بالحجة فوق عباده، وهو الحكيم الخبير، حيث يظهر على كل صنف بما تقوم به الحجة لله عليه". انظر: الفتوحات المكية، ١٠٥/٧-١٠٦.

(١٠) "ب"، قوله: "لم فضله عليهم، أو يظهر لهم مقام كونه تعالى" ساقطة.

(١١) "ك"، "ما يقيم به تعالى".

عليه، فلو لا إطلاق الشكيب ما جعل نفسه - تعالى -^(١) مُحاجاً لنا، ولا عمل لنا معه مجلس حكم، ولا ناظرنا تعالى، وهذا من جملة انصاف الحق - تعالى - عباده ليطلب منه التصف، انتهى^(٢).

وقال في الباب السابع والسبعين والمائة في معنى قوله - تعالى -^(٣): ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾^(٤): اعلم أن في هذه الآية^(٥) أعظم دليل على أنه - تعالى - ما كلف عباده إلا ما يطيقونه عادة، ولم يكلفهم نحو الصعود إلى السماء بلا سبب، ولا بالجمع بين الضدين، ولو أنه - تعالى - كان كلفهم بذلك لما كان يقول: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾، بل كان يقول "قلله أن يفعل ما يريد"، كما قال: ﴿لَا يُسْتَلْ عَنْهُ يَفْعَلُ﴾^(٦)، في أصل الفسمة^(٧) الأربعة، فهذا موضع "لا يُسأل عما يفعل".

وقال في باب الأسرار^(٨): من احتج عليك بما سبق في علمه^(٩) فقد حاجك بالحق، لكنها حجة لا تنفع صاحبها، ولا تعصم حائتها^(١٠)، ومع كونها ما نفعنا سمعنا وقيل بها، وإن عدل الشرع عن مذهبها، فإنه - تعالى - ﴿لَا يُسْتَلْ عَنْهُ يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَأْذِنُونَ﴾^(١١)، ولكن أكثر الناس لا يشعرون، وأطال في ذلك، ثم قال: ومثل التلقظ في هذه المسألة لا يكون جباراً، ولا ينبغي التكلّم بها إلا إشعاراً، مع أنه لو جهر بها لكانت

(١) "ب": العبرة: "ما جعل تعالى نفسه".

(٢) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٠٥/٧.

(٣) عنوان هذا الباب: "في معرفة مقام المعرفة"، وقد اقتضه بقوله:

من ارتقى في درج المعرفة	رأى الذي في نفسه من صفه
لأنها دلت على واحد	للترك بين العلم والمعرفة

انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤٤٧/٣.

(٤) (الأنعام، الآية ١٤٩).

(٥) "د"، "ب": "اعلم أن هذه الآية أعظم".

(٦) (الأنبياء، الآية ٢٣)، وفي "د" و "ك" و "ز": "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون".

(٧) "ب": "القيام"، وهو تصحيح لا يستقيم.

(٨) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١١٧/٨.

(٩) "د": "علمه تعالى".

(١٠) عبارة الفتوحات: "لا تنفع قائلها، ولا تعصم حاملها". انظر: الفتوحات المكية، باب الأسرار،

علمًا، وتَفَحَّتْ فَمَئًا، وَأُورِثَتْ فِي الْفَوَادِ كَلَمًا دَوْلَهُ تَحْرُ الْقَسَمُ لِمَا يُوَدِّي ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنْ دَرَسِ الطَّرِيقِ الْأَمَمِ الَّذِي عَلَيْهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ دَائِبَةٍ هُوَ أَحَدٌ بِنَاصِيئِهَا، فَانْهَمُ^(١).
وقال في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢): مَنْ فِيهِمْ مَوَاقِعَ عِطَابِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ يَتَوَقَّفْ فِي شَيْءٍ أَضَافَهُ الْحَقُّ -تعالى- إِلَى نَفْسِهِ، أَوْ إِلَى عِبَادِهِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ -تعالى-: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لَا يَدُلُّهَا مِنْ مُصَرَّفٍ؛ لِأَنَّهُ -تعالى- لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، وَمِنْ مُصَارِفِهَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ^(٣) فِي حَقِّ الْعُلَاقَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: نَحْنُ نَخْلُقُ أَعْمَالًا نَفْسِنَا، فَيَقَالُ لَهُمْ: إِذَا أَنْتُمْ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، انْتَهَى^(٤). وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْبَيْلِ وَالنَّحْلِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ -تعالى-^(٥) عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، ﴿وَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾^(٦).

وقال في الباب الرابع والخمسين من "الفتوحات"^(٧): "اعْلَمْ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ بِإِصْغَاعِ أَهْلِ الْبَيْلِ وَالنَّحْلِ؛ حَتَّى الَّذِينَ قَالُوا اجْتِنَاءً: إِنَّ عِلْمَ الْحَقِّ -تعالى- يَمْتَلِكُ بِالْكَلِّيَّاتِ دُونَ الْجَزْئِيَّاتِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا بِذَلِكَ نَفْيَ عِلْمِ الْحَقِّ -تعالى- بِالْجَزْئِيَّاتِ، وَإِنَّمَا قَصَدُوا أَنَّهُ -تعالى- يَعْلَمُ الْجَزْئِيَّاتِ فِي ضَمَنِ عِلْمِهِ بِالْكَلِّيَّاتِ، وَلَا

(١) النظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١١٧/٨، وقد تصرف الشعراوي بعبارة الفتوحات، والمعنى واحد.

(٢) (النحل، الآية ١١٨).

(٣) "ب": قوله: "وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون": من فهم مواقع عتاب الله عز وجل لم يتوقف في شيء أضافه الحق تعالى إلى نفسه، أو إلى عباد، فإن قوله تعالى "سقط".

(٤) "ك"، "ز": "الآية" ساقطة.

(٥) انتهى كلام محيي الدين، ولم أشر عليه في الباب الذي أشار إليه الشعراوي إلا بلفظ عام، وأحسب أن الشرح للشعراوي. النظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٠٠/٥، وله حديث طويل عن مفهوم هذه الآية في الباب الثاني عشر وأربعمائة، ٢٤/٧.

(٦) "ب": "أنه تعالى".

(٧) (الملك، الآية ١٤).

(٨) عنوان هذا الباب في الفتوحات: "في معرفة الإشارات". وقد استنتجته بقوله:

علم الإشارة تقريب وإبعاد وسيرها إليك تأويل وإسعاد

تبيح عصمة من قال الإله له كن فاستوى كتابنا والقوم أشهاد

انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢٠/١.

يتوقف علمه بها على تفصيلها بالعدد كما يحتاج إليه خلقه، فقصودوا التنزيه للحق - تعالى - فقط، فأخطؤوا في التعبير بما يؤهم خلاف المراد، ولو أن من نصب الخلاف بيننا وبين الفلاسفة فهم ما ذكرناه ما كفرهم بذلك، وإن كانوا كفاراً من وجوه أخرى^(١).

وقال في باب الأسرار: اعلم أنه ليس في علم الحق^(٢) - تعالى - إجمال؛ إذ الإجمال في المعاني محال، وإنما الإجمال في الأقوال والأفعال^(٣).

وقال في الباب الحادي عشر وأربعين من "الفتوحات"^(٤): من المحال أن يتعلق العلم الإلهي إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه، فلو أن أحداً احتج على ربه، وقال: قد سبق علمك في أن أكون^(٥) على كذا وكذا، فلم تؤاعذني؟ فقال له الحق - جل وعلا -^(٦): وهل يتعلق علمي بك إلا على ما أنت عليه، فلو كنت على غير ذلك لعلمت بك، فارجع إلى نفسك، وأنصف في كلامك، فإذا رجعت العبد إلى نفسه، وفهم ما ذكرناه، علم أنه مخرج، وأن الحجة البالغة عليه لله تعالى، بل بصير هو يقيم الحجة لله - تعالى - عليه أدباً حقيقياً^(٧)، وهناك يلوح له أن قول الحق - جل وعلا -^(٨): وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(٩) حق وصدق، كشفاً وقيناً، ومعنى هذه الآية أن الحق - تعالى - يقول: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ^(١٠) لأن علمنا ما يتعلق بهم في الأزلي إلا على صورة ما ظهروا به في الوجود من

(١) العبارة في الفتوحات: "فإن الذين قالوا: إن الله لا يعلم الجزئيات ما أرادوا نفي العلم عنه بها، وإعنا قصدوا بذلك أنه - تعالى - لا يتحدد له علم بشيء، بل علمها مندرجة في علمه بالكمالات، فأتوا لسه العلم سبحانه مع كونهم غير مؤمنين، وقصدوا تنزيهه سبحانه في ذلك، وإن أخطؤوا في التعبير عن ذلك". انظر: الفتوحات المكية، ٤٢٢/١.

(٢) "ب": "في علم الله الحق".

(٣) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٥٢/٨، وصام عبارته: "فليس من نعوت الكمال أن يكون في علم الله إجمال، والإجمال في المعاني محال، وعمل الإجمال الألفاظ والأقوال".

(٤) عسوان هذا الباب في الفتوحات: "في معرفة منازلته فيسبق عليه الكتاب، فيدخل النار من حضرة كاد لا يدخل النار". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢/٧.

(٥) "ب": "هناك أن أكون".

(٦) "ك"، "ز": "عز وجل".

(٧) "ك"، "ز": "حقيقة".

(٨) (الشمل، الآية ١١٨).

الأحوال، ولا تبدل خلق الله^(١).

وسمعتُ سيدي عليَّ الخواصَّ -رحمه الله-^(٢) يقول: مَنْ فهِمَ قَوْلَهُ -تعالى-: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣): لَمْ يَقُلْ قَطُّ: اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ عَجْزِي عَنْ رَدِّ الْقَدَائِرِ النَّافِذَةِ فِي لَمَّا فِيهِ مِنْ رَاحَةِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ مَعْدُودٌ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ -تعالى- وَسُوءِ الْأَدَبِ مَعَهُ، انْتَهَى.

وكانَ سيدي إبراهيم المتبولي -رحمة الله عليه-^(٤) يقول: طَلِبْتُ مَرَّةً مِنَ الْحَقِّ -تعالى- أَنْ يُكْشِفَ لِي عَنْ أَمْرِ الْخَلْقِ وَأَعْمَالِهِمْ، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ -تعالى- لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ، وَأَوْجَدَهُمْ خَلْقٌ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ، ثُمَّ خَبَّرَهُمْ فِيهَا، فَاخْتَارَ كُلُّ عِبْدٍ مِنْهُمْ عَمَلًا مُعَيَّنًا، ثُمَّ رَأَى -تعالى- طُغْيَ لَهُمْ^(٥) تِلْكَ الْأَعْمَالِ فِيهِمْ، وَطُغَاهُمْ فِي الْغَيْبِ، ثُمَّ لَمَّا أَظْهَرَهُمْ إِلَى عَالِمِ الشَّهَادَةِ خَبَرَهُمْ بِالْعُقُولِ، وَأَخْرَى عَلَى كُلِّ عَبْدٍ مَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ، فَبِذَلِكَ وَقَعَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَمَّا كَشَفَ لَهُمْ عَمَّا قَدْ بَدَأَ الْيَوْمَ، فَسَيَكْشِفُ لَهُمْ غَدًا، انْتَهَى.

[تعلق علم الحق بالخلق قديماً]

فَإِنْ قِيلَ: لِإِذَا كَانَ تَعَلُّقُ عِلْمِ الْحَقِّ -تعالى- بِالْخَلْقِ قَدِيمًا، وَهُم مَعْلُومٌ عَلَيْهِ، وَفَعْلُومُ الْعِلْمِ لَا يَفَارِقُ الْعِلْمَ، فَبِمَ تَمَيَّزَ الْحَقُّ -تعالى- عَنْ خَلْقِهِ؟^(٦)، فَالْجَوَابُ: قَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ الْأَجُوبَةِ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- تَمَيَّزَ عَنْ خَلْقِهِ بِكَوْنِهِ خَالِقًا، وَالْعَالَمُ كُلُّهُ مَخْلُوقًا، فَلَوْلَا إِعْرَاجُهُ -تعالى- لِلْعَالَمِ كُلِّهِ مِنْ مَكْنُونٍ عَلَيْهِ إِلَى هَذَا الْوُحُودِ الْخَاصِّ بِنَا لَمَّا قَدَرُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِ أَنْ يُخْرِجَ نَفْسَهُ مِنَ الْعِلْمِ.

(١) انتهى كلام يحيى الدين المتبولي بصرف، انظر: الفتوحات المكية، ٢٤/٧، وفيها يحتم مذهبه قائلًا: "فَاعْلَمْ مَا ذَكَرْنَا، فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ وَيُقْوِيكَ فِي بَابِ التَّسْلِيمِ وَالْفَوْضِ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الَّذِي قَدْ بَدَأَ هَذَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا هَذِهِ السَّأَلَةُ لَكَانَتْ كَافِيَةً لِكُلِّ صَاحِبِ نَظَرٍ سَدِيدٍ وَعَقْلٍ سَلِيمٍ".

(٢) "ك"، "ز"، "رضي الله عنه".

(٣) تقدم شرحها.

(٤) "ك"، "ز"، "رضي الله عنه".

(٥) "ك"، "ز"، "لم يسلط".

(٦) "د"، قوله: "بِمَ تَمَيَّزَ الْحَقُّ تَعَالَى عَنْ خَلْقِهِ" سَالِطٌ.

وقد ذكر الشيخ محيي الدين^(١) هذه المسألة في الباب الحادي عشر وأربعمائة^(٢)، وأطال في بيانها، ثم قال: وهذا يدلُّك على أنَّ العلم تابع للمعلوم، وما هو المعلوم تابع للعلم، وهي مسألة دقيقة ما في علمي أنَّ أحدًا نَبَّ عليها من أهل الله - تعالى - إلاَّ إنَّ كان مِنَّا وَصَلَ إلينا، وما مِن أحدٍ إذا تحقَّقها يُمكنه أن يُكرِّها، ومرتقٍ بين أن يكون الشيء موجودًا بعد تقدُّم^(٣) العلم بوجوده، وبين كونه على هذه الصورة حال عديمه الأزلي له؛ إذ لا يُعقل بين العلم والمعلوم بوزن زمني، وما تمَّ تمييزًا بالرتبة فقط، وهو أنَّ العالم كله مفعول لله تعالى، والله تعالى هو الفاعل له، قال: ولو لم يكن في كتاب "الفتوحات" إلاَّ هذه المسألة لكاثت كافية لكل ذي نظرٍ سديد، وعقلٍ سليم^(٤).

وأطال في ذلك، ثم قال في حديث: "إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها"^(٥): اعلم أنَّ الحق - تعالى - ما كتب إلاَّ ما عَلِم، وما عَلِم إلاَّ ما شَهِد من صور المعلومات على ما هي عليه في نفسها^(٦) ما يتغيَّر مِنها وما لا يتغيَّر، فهو يشهدُها كلها في حال

(١) "ك"، "ز": "رحي الله عنه".

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة منازل تيسق عليه الكتاب، فيدخل النار..."، وقد تقدم حديث عنه، انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢/٧.

(٣) "ك"، "ز": "فيقدم العلم بوجوده".

(٤) انظر عبارة محي الدين في الفتوحات المكية، ٢٤/٧، وقد نقلها الشعراوي بصرف.

(٥) كلام الحديث: "...فسوالذي لا إله غيره، إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، ثم يسبق عليه الكتاب، فيحتم له بعمل أهل النار، فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، ثم يسبق عليه الكتاب، فيحتم له بعمل أهل الجنة، فيدخلها". أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٣٨٢/١، ٤١٤، والنجاشي في الصحيح، كتاب بدء الخلق (الباب ١٨٨٣/١)، ٥٥٣/٤، ومسلم في الصحيح، كتاب القدر (٢٦٤٣/١)، شرح صحيح مسلم، ٤٢٩/١٦، وابن ماجة في السنن، المقدمة، كتاب السنن (باب القدر، ٧٦)، ٧٥/١، والترمذي في السنن، كتاب القدر، (٢١٤٤)، ٥٣/٤، والحكيم الترمذي في نوافر الأصول، ٦٤٠/٢، والسيوطي، الجامع الصغير (٢١٧٩)، ٣٣٣/١، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب التوحيد والإيمان (٧٩)، ١٠١/١، وانظر مذهب محي الدين في هذا الحديث في الباب الأحد عشر وأربعمائة من الفتوحات المكية، ٢٢/٧.

(٦) "ك"، "ز": "أنفسها".

عديها على تنوعات^(١) تغييراتها^(٢)، فلم يوجد لها إلا على صورة ما هي عليه في علمه القديم^(٣)، فما تم كتاب يسبق إلا بإضافة الكتاب إلى ما يظهر به ذلك الكتاب الشيء^(٤)، فتكون الكتابة حاكية صفته التي هو عليها في الأزلي لا غير، فللم العبد نفسه، ولا للم الكتاب الإلهي، ويقول: كيف يؤاخذني الله - تعالى - على شيء كتبه علي في الأزلي قبل أن أخلق كما يقع فيه بعض الجهلة، ومن فهم ما ذكرناه علمنا يقيناً صحة وصف الحق - تعالى -^(٥) بأن له الحجة البالغة أو نوزع تعالى^(٦)، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ أَنْ ظَلَمَ الْخَلْقُ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ الْحَقِّ]

ومِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿وَمَا آتَاكَ بِهِدًى ظُلُمًا لِلْعِبَادِ﴾^(٧) أَنْ الظُّلُمَ الْوَاقِعَ فِي الوجودِ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةِ مِنْهُ، وَالْجَوَابُ أَنَّ الْإِرَادَةَ لَا تَتَوَجَّهُ إِلَّا عَلَى مَعْدُومٍ لِتَوْجُّدِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوجودِ موجودٌ فِي عِلْمِ الْحَقِّ تَعَالَى، فَلَا تَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ الْإِرَادَةُ، فَلَا يَرِيدُهُ - تعالى - لِأَنَّهُ عَدَمٌ، وَمَا تَمَّ إِلَّا ظُلُمَ نَسْبٍ لِلْخَلْقِ دُونَ الْحَقِّ تَعَالَى، لِأَنَّهُ عَالِمٌ حَكِيمٌ، فَافْهَمْ^(٨).

[تَوْهَمُ اسْتِفَادَةِ الْحَقِّ عِلْمًا مِنَ الْخَلْقِ]

ومِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْحَقَّ - تعالى - لَهُ مَرْتَبَةٌ يَسْتَفِيدُ مِنْ خَلْقِهِ عِلْمًا لَمْ

(١) "ك"، "ب"، "ت" تنوعات.

(٢) العبارة في الفتوحات: "على تنوعات تغييراتها إلى ما يتلقى". انظر: الفتوحات المكية، ٢٣/٧.

(٣) العبارة في الفتوحات: "فلا يوجد لها إلا كما هي عليه في نفسها"، انظر: الفتوحات المكية، ٢٣/٧.

(٤) "ك"، "الشيء" ساقطة، "ز": العبارة: "إلى ما يظهر به ذلك الشيء".

(٥) "ك"، "ز": "وصف الحق تعالى نفسه".

(٦) انظر عبارة محيي الدين في الفتوحات، ٢٤-٢٣/٧، وفيها يقول: "هل علمتك إلا بما أنت عليه، فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه، ولذلك قال: "حتى نعلم"، فارجع إلى نفسك، وأنصف في كلامك، فإذا رجع العبد على نفسه، ونظر في الأمر كما ذكرناه علم أنه عجوج، وأن الحجة لله تعالى عليه". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٤/٧.

(٧) (غافر، الآية ٢١).

(٨) "ك"، "ز": قوله "لأنه عليم حكيم، فافهم" ليس فيهما.

يَكُنْ عَدَهُ، كَمَا قَدْ يَقَعُ^(١) مِنْ أَهْلِ النَّهْمِ السَّقِيمِ، مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَلَنَلْبَثُنَّكُمْ خَتَّى تَعْلَمَ﴾^(٢)، وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ فِهِمْ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وَجُودِهَا فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَوْجَدَهَا فِي عَالَمِ^(٣) الشَّهَادَةِ عَلَى حَدِّ مَا عَلِمَهَا، لَمْ يَجْعَدْ لَهُ عِلْمٌ بِهَا عِنْدَ تَجَدُّدِ الْأَشْيَاءِ كَمَا تَقَدَّمُ فِي الْعَقِيدَةِ أَوَّلَ الْبَابِ، وَلَمْ تَزَلْ الْأُمُورُ كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ لِلْحَقِّ -تعالى- فِي مَرَاتِبِهَا بِتَعَدَادِ صُورِهَا، هَكَذَا إدْرَاكُهُ -تعالى- لِلْعَالَمِ كُلِّهِ حَالٌ عَدِيمٌ وَوُجُودُهُ، فَتَنَوَّعَتْ الْأَعْيَانُ فِي خِيَالِ الْمُحْكَمَاتِ، لَا فِي عِلْمِهَا، ثُمَّ لَمَّا كَشَفَ لَهَا عَنْ نَفْسِهَا وَهِيَ فِي الْعَدَمِ اسْتِفَادَتِ الْعِلْمَ بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا حَالَةً لَمْ تَكُنْ عَلَيْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ -تعالى- مَا أَوْجَدَ الْأَعْيَانِ إِلَّا لِيَكْشِفَ لَهَا عَنْ أَعْيَانِهَا وَأَحْوَالِهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ عَلَى التَّسْلِي^(٤) وَالتَّابِعِ.

وَاعْلَمْ يَا أَحْسَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ اضْطَرَبَتْ أُنْفُسُهُمْ فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَلَنَلْبَثُنَّكُمْ خَتَّى تَعْلَمَ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَشْكَلِ الْعُلُومِ إِضَافَةُ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ، وَالْقُدْرَةِ إِلَى الْمَقْدُورَاتِ، وَالْإِرَادَةِ إِلَى الْمُرَادَاتِ^(٥)، وَظَاهِرٌ مَا يَفْتَضِي ذَلِكَ كَوْنُ الْحَقِّ -تعالى- جَعَلَ نَفْسَهُ يَسْتَفِيدُ^(٦) الْعِلْمَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ أَشْكَلًا، وَأَشْكَلٌ عِنْدَ أَهْلِ الْقُصُورِ مِنَ النَّهْمِ، فَمَا اضْطَرَبَتْ أُنْفُسُ الْعُلَمَاءِ إِلَّا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ لِلْقَاصِرِينَ بِمَا تَقْبَلُهُ أُنْفُسُهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ أَعْطَاكَ الْعِلْمَ بِنَفْسِهِ وَلَا يَعْلَمُ هُوَ نَفْسَهُ، وَلَا مَا يُعْطِيكَ مِنَ الْعِلْمِ لَا يَكَادُ الْعَقْلُ يَتَعَقَّلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ أَبَدًا، فَإِنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَوْلَا أَنَّهُ أَعْطَى الْمَوْجُودَاتِ الْعِلْمَ بِنَفْسِهَا مَا كَانَتْ عَرَفَتْ نَفْسَهَا.

[مَذْهَبُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ ﴿خَتَّى تَعْلَمَ﴾]

وَإِطَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ^(٧) فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْبَابِ الرَّابِعِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ"^(٨)، ثُمَّ قَالَ: وَسَبَبُ اضْطِرَابِ عُقُولِ الْعُلَمَاءِ فِي فَهْمِ هَذِهِ الْآيَةِ (إِنَّمَا هُوَ مِنْ

(١) "ك": "كما يقع". (٢) (عمد، الآية ٣١).

(٣) "د": "أوجدنا لعالم". (٤) "ك"، "ز": "الوحي".

(٥) العبارة هي الدين في الباب الرابع وأربعمئة من الفتوحات المكية، ٨/٧.

(٦) "ك"، "ز": "يستفيد". (٧) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٨) عنوان هذا الباب: "في معرفة منازل: من شق على رعيته سعى في هلاك ملكه، ومن رفق بهم بقي ملكه، كل سيد قتل عبدا من عبده فلهما قتل سيادة من سيادته، إلا أنا فأنظره". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٨/٧.

حيث حدوث التعلقي؛ أعني تعلّق كلّ صفةٍ بمتعلّقها من حيث العالم، والقادر، والمريد مثلاً، فإنّ المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم الإلهي؛ إذ هي معلوم عليه - تعالى - الذي لا افتتاح له، كما تقدّم بسطه في هذه الأجوبة، وأطال في ذلك، ثم قال: ولما كان الأمر على ما أشرنا إليه، وعثر على ذلك من عثر عليه من المتكلمين^(١)، كابن الخطيب^(٢) قال بالاسترسال المعبر عنه عند الأشعرية بحدوث التعلقي، فلذلك قال الله - تعالى - في هذا المقام: ﴿حَقِّي نَقْلَهُ﴾ أيّ حتى يظهر لكم علثنا بما علثناه^(٣) من أحوالكم قبل ابتلائكم، فهو نزّل للعقول كآيات الصفات التي يُعطي ظاهرها القرب من صفات التشبيه، والله أعلم^(٤).

وقال في موضع آخر^(٥): أعلم أنّه^(٦) ما اضطربت أفتاؤه فحول العلماء في فهم قوله - تعالى -: ﴿حَقِّي نَقْلَهُ﴾ إلا لاضطراب أنكارهم، حتى إن من بعض القدماء [من]

(١) "٣": المسبارة: "وعثر على ذلك من عثر عليه المتكلمون"، ولعل ما ورد في "ك" و "ز" هو الأعلى والأثيق.

(٢) لم يرد لابن الخطيب ذكر في عبارة محيي الدين، وأحسبها من إضافة الشعراوي، وقد ورد ذكره في هذه المسألة في الباب التاسع والسبعين ومائتين، ٤/٤٨٠، وقد تحدث عن مفهوم الاسترسال. أما ابن الخطيب فهو عبد الله بن محمد الشّعي الماراف الحبيب، ذو الشأن الباهر الباهي، والخطاب الإلهي، أصله من "آتين"، نشأ بها وقرأ القرآن، وأخذ العلم عن إسماعيل بن محمد الحضرمي، جد واجتهده، واستغرق في التصوّف، جاور بالمدينة وهو شاب، مات سنة (٦٧٩هـ). انظر ترجمته: مرآة الجنان، ٤/٣٥٦، وفتاوى، الكواكب النيرة، ٢/٤٣٣، والبهائي، جامع كرامات الأولياء، ١١٥/٢.

(٣) "ك"، "ز": "علثنا".

(٤) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٩/٧.

(٥) لم يسبق ذلك محيي الدين في موضع آخر، بل ورد هذا البلعب في الباب نفسه الذي نقل منه الشعراوي كلامه، وفيه يقول: "واضطربت العقول فيه لاضطراب أنكارها، ورفع الإشكال في هذه المسألة عندنا لعل الكشف والوجود والإلقاء الإلهي أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات، وما ثم إلا ذات الحق، وهي عين وجوده، وليس لوجوده مفتوح ولا منتهى، فيكون له طرف، والمعلومات مستعلية وجوده، فتعلق ما لا يتناهى وجودها بما لا يتناهى معلوماً ومقدوراً ومراداً تفتقر، فإنه أمر دقيق". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٩/٧.

(٦) "ك"، "ز": "أعلم" ساقطة.

أَنكَرَ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ بِالتَّفْصِيلِ، وَذَلِكَ لِعَدَمِ التَّنَاهِي عَنْهُ فِي ذَلِكَ، وَغَابَ عَنْهُ ^(١) -تعالى- مُحِيطٌ بِأَنَّ مَعْلُومَاتِهِ لَا تَنْتَاهِي بَعْدَ تَعَلُّقِ عِلْمِهِ بِهَا، كَذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: وَأَمَّا نَحْنُ فَقَدْ رَفَعَ الْكَشْفُ عَيْنَنَا الْإِشْكَالَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَأَلْقَى فِي قُلُوبِنَا أَنَّ الْعِلْمَ نِسْبَةٌ بَيْنَ الْعَالَمِ وَالْمَعْلُومَاتِ، وَمَا نُمُّ مَنْ لَهُ الْقَدَمُ وَعَدَمُ الْحُدُوثِ إِلَّا ذَاتُ الْحَقِّ -تعالى- فَقَطُّ، وَهِيَ عَيْنُ وَجُودِهِ تَعَالَى، وَوُجُودُهُ -تعالى- لَيْسَ لَهُ افْتِتَاحٌ وَلَا انْتِهَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَقِيَ الْبَدَأَ وَالنَّهْيَةَ مِنْ جَمَلَةِ دَرَجَاتِهِ الَّتِي تَبَيَّنَ بِهَا عَنْ خَلْقِهِ. قَالَ -تعالى-: ﴿زَلَّيْغُ أَلْذَرَجَتِ ذُو الْأَفْرَاشِ﴾ ^(٢)، ثُمَّ لَمَّا كَانَتْ الْمَعْلُومَاتُ مُتَعَلِّقَةً وَجُودُهُ تَعَالَى، فَتَعَلَّقَ مَا لَا يَنْتَاهِي وَجُودًا بِمَا لَا يَنْتَاهِي مَعْلُومًا وَمَقْدُورًا وَمُرَادًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَتَفَقَّطُوا إِلَيْهَا الْإِخْوَانُ لِهَذَا الْأَمْرِ الْحَقِيقِيِّ، وَلَعَلَّهُ مَا طَرَّقَ سَمْعَكُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَعَلِّمَ أَنَّ ذَاتَ الْحَقِّ -تعالى- لَا تُوصَفُ ^(٣) بِالدَّخُولِ فِي الْوُجُودِ الْمُتَنَاهِي؛ إِذْ كُلُّ مَا دَخَلَ فِي الْوُجُودِ الْمُتَنَاهِي مُتَنَاهٍ، وَالْيَارِئُ -جَلَّ وَعَلَا- هُوَ الْوُجُودُ الْحَقِيقِيُّ، فَمَا هُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْوُجُودِ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ وَجُودَهُ -تعالى- عَيْنُ مَا هِيَ بِهِ بِخِلَافِ وَجُودِ غَيْرِهِ، وَعَلَى هَذَا نَأْخُذُ الْمَقْدُورَاتِ وَالْمُرَادَاتِ وَغَيْرَهَا ^(٤).

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ وَصَلَ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ -تعالى- إِلَى مَعْرِفَةِ سَبَبِ بَدَأِ الْعَالَمِ؟ فَالْجَوَابُ: قَدْ قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الرَّابِعِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ" مَا نَصَّهُ ^(٥): أَعْلِمُ أَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ -تعالى- لَيْسَ عَنْدهُمْ مَعْرِفَةٌ بِسَبَبِ بَدَأِ الْعَالَمِ إِلَّا تَعَلُّقَ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ ^(٦) بِهِ لَا غَيْرَ، فَيَكُونُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى -عِلْمُ مِنَ الْعَالَمِ مَا عِلْمُ آلِهِ سَيَكُونُ ^(٧)، وَهَذَا

(١) "د"، "ب"، "و" غاب عنه". (٢) (غافر، الآية ١٥).

(٣) "ك"، "ز"، "ت" تصف".

(٤) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٩/٧.

(٥) عنوان هذا الباب "في سبب بدء العالم ومراتب الأسماء المحسوسة من العالم كله"، وفي مفتحه يقول: دالا على مضمونه ومضمونه:

في سبب البدء وأحكامه	وقاية الصنيع وأحكامه
والفرق ما بين رعاة العلى	في نشئه وبين حكماته
دلائل دلت على صانع	قد فهر الكل بأحكامه

انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٥٣/١.

(٦) "د"، "ب"، "الفقيد" ليست فيهما، وهي في الفتوحات، وعبارة محي الدين: "إلا تعلق العلم القديم بإيجاد". انظر: الفتوحات المكية، ١٥٤/١.

(٧) عبارة الفتوحات: "فَيَكُونُ مَا عِلْمُ آلِهِ سَيَكُونُهُ". انظر: الفتوحات المكية، ١٥٤/١.

أنهى علمهم، وأما نحن فقد أمْلَعْنَا الله - تعالى - على ما فوق ذلك من طريق الوهيب الإلهي، وهو أن الأساء الإلهية هي المدبرة في أهل حضراتها من جميع العالم، وهي المعبر عنها بالفتاح^(١) الأول التي لا يعلمها إلا هو، ولا أدري لأعطي الله - تعالى - ذلك غيري من الأمة، أو خصني به من بينهم، وكل من تحقق بعلم ذلك عليم أن الحجة البالغة لله - تعالى - عليه، فإن الأساء ما دثرت في العالم وجوده، وإنما دثرت خروجه من مكنون علم الله - تعالى - إلى هذا الوجود المشهود لنا لا غير، انتهى^(٢).

فإن قلت: فإذا حضرة العلم على التحقيق هي حضرة المعلومات، وهي نسبة بين العالم والمعلوم، فاجواب: نعم، وهو كذلك، كما ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة من "الفتوحات"^(٣)، فليس للعلم أثر في المعلوم لتأخره عنه عقلاً، ونظير ذلك المحال، فإن المحال لا أثر لك فيه من حيث علمك به، فإنه إذا أعطاك العلم بنفسه أعطاك العلم به أنه محال، ومن تحقق بعلم ما قلناه عليم أن جميع أعيان المسكنات صدرت عن القول الإلهي كشفاً وشرعاً، كما صدر عن القدرة الإلهية كشفاً وشرعاً وعقلاً^(٤)، وأنها لم تظهر عن العلم الإلهي، وإنما ظهر المسكن في عينه، فتعلق به عقلاً علم الذات العالمية به ظهوراً لا إيجاباً، فلم يتعلق به معدوماً ما عندها أبداً^(٥)، وكذلك من تحقق بعلم ما ذكرناه فهو العالم بقوله - تعالى -: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٦)، وليس فوق ما ذكرناه من العلم لمن سوانا من هذه الأمة في اعتقادنا إلا ما هو جهل، فتأمل.

وسمعت سيدي علياً المرصفي - رحمه الله تعالى - يقول: ليس بين علم الحق

(١) الفتوحات: "الفتاح".

(٢) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٥٥/١.

(٣) عنوان هذا الباب هو "في معرفة الأساء الخمسة: حضرة العلم، وهي للاسم المليم والعالم والعلام"، انظر: الفتوحات المكية، ٣٢٧/٧، وعبارته ثم: "فالعلم متأخر عن المعلوم، لأنه تابع له، هذا تحقيقه، فحضرة العلم على التحقيق هي المعلومات".

(٤) لم ترد كلمة "كشفاً" في الفتوحات، والعبارة: "وعن القدرة الإلهية عقلاً وشرعاً". انظر: الفتوحات المكية، ٣٢٧/٧.

(٥) هنا ينتهي كلام محي الدين في الفتوحات، ٣٢٧/٧.

(٦) (النحل، الآية ١١٨).

-تعالى- وبين معلوميه بون يعقل أبداً من الزمان، فلم يكن بينهما إلا التميز بالرتبة، ولا يصح أن يكون الخلق في رتبة الحق أبداً، كما لا يصح للمعلول أن يكون في رتبة العلة من حيث ما هو معلول فيها، إذ العلم الإلهي يطلب كون المعلوم بذاته، ولا بد، ولا يعقل بينهما زمان مفترق، ولا يلزم، كما لا يلزم مساواة المعلول علته في سائر المراتب، وكيف تصوّر علم بلا معلوم به، انتهى.

وقد تقدّم الكلام على قوله -تعالى-: ﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ﴾^(١)، ولا يصح العالم الخير -سبحانه وتعالى- أن يستفيد علماً من المعلومات، وجعل الله -تعالى- عن ظاهر ما يقتضيه قوله -تعالى- ﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ﴾ من أن معنى ﴿أخبر به﴾ هو من يحصل العلم بعد الابتلاء لا قبله، بل هو -تعالى- العالم بجميع ما يكون من العبيد قبل كونه^(٢)، أي ظهوره، ومن رحمة الله -تعالى- التّنزّل لعقول عباده كما تنزّل لعقولهم في آية الاستواء، والتّنزّل إلى سائر الدنياه ونحو ذلك، مع أن ظاهر ذلك كله ينافي صعات التّزوي التي هو -تعالى- عليها.

فإن قيل: فإذا يجب الإيمان بما أخبر به -تعالى- عن نفسه، وإن لم يتعقل ذلك.

فالجواب: نعم، يجب الإيمان بذلك، ومن لم يؤمن به فانه من العلم بالله -تعالى- حظاً وافر، وهو على النصف من مقام المعرفة بالله تعالى، فإنه -تعالى- تعرف إلينا بصفات التّزوي وبصفات التشبيه، ولا سبيل لنا إلى رد^(٣) صفات التشبيه لورودها في الكتاب والسنة.

(١) (محمد، الآية ٣١).

(٢) يناقش محي الدين هذا المفهوم قائلاً: "وهنا المقام افرد الاسم "الخبر"، وهو من أعجب أحكام الأسانيد لأن الخبر إما جاءت لاستفادة علم لشعب المصير، وهنا في الجواب الإلهي للعلم عقل بما يكون من هذا المصير (اسم مفعول)، فلا يستفيد علماً المصير (اسم فاعل)، فيظهر أنه لا حكم لهذا الاسم.... ولو كان كما زعموا لكان نقصاً، وإنما أوقفهم في ذلك قوله -تعالى- ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾، وهو حجة عليهم". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤/٤٧٩.

(٣) "ك": "رد" سالطة، والمعنى غير مستقيم.

وقد سئل الشيخ محيي الدين^(١) عن قوله -تعالى-: ﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُمْ حَتَّى تَخْلُقَ الْمُجَنَّبِينَ﴾^(٢)، وكان السائل له ابن أبي الصيف اليماني الشافعي^(٣) في الحرم الشريف المكي، فقال له: مَنْ عَلِمَ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ فَمَا عَلِمَهُ مِنْ حَيْثُ كَوَلَهُ كَمَا عَلِمَهُ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْمَعْلُومِ، وَلَا يَتَغَيَّرُ الْمَعْلُومُ بِتَغْيِيرِ الْعِلْمِ^(٤)، فكيف الحكم؟ وأطال في ذلك، ثم قال: هذه مسألة حارت فيها العقول، وما دل عليها نقول^(٥)، ولكن، قد يستفهم العالم تلميذه ليعرفه مقام علمه وأدبه وإيمانه.

وقال في باب الأسرار من "الفتوحات": من أعجب ما في الانبلاء من الشئ قوله -تعالى-: ﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُمْ حَتَّى تَخْلُقَ﴾^(٦)، وهو العالم بما يكون قبل أن يكون، ولكن، إن من الله -تعالى- عليك بفهم ذلك فاكم، وإن سئلت عنه فقل: لا أعلم، فإن من علوم الحقيقة ما هو أحسن ما تعلم، وأقبح ما يقال^(٧)، انتهى^(٨).

(١) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٢) (محمد، الآية ٣١).

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف المشهور بالعلم والملاح، والصوف والفلاح، أصله من زبيد، ثم سكن مكة، ونشر بها العلم، له مؤلفات منها "الميمون"، جمع فيه الأخبار الواردة في فضل اليمن وأهلها، وله في الحديث والرفائق وفضائل رجب وشعبان ورمضان، من كلامه: "إذا كانت العائسات لا تترك، فالقليل منها لا يترك، وإذا كان الغالب في هذا الزمان ألا تبال درجة المستغنيين، فلا سبيل إلى السزول إلى درجة الغالين". اختلف في سنة وفاته، فقبل سنة (٦٠٦هـ)، وقبل سنة (٦٠٩هـ) وغير ذلك. انظر ترجمته: ابن الأثير، الكامل، ١٢/٣٠٠، والسناري، الكواكب النيرة، ٥١٦/٢، والفيقادي، هدية العارفين، ١٠٨/٦، والزركلي، الأعلام، ٣٦/٦، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ١٣٣/٣.

(٤) "ك"، "ز": "ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم".

(٥) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ٩٠/٨.

(٦) "ك"، "ز": "وتبليوكنكم".

(٧) عبارة عيسى السدين: "وتبليوكنكم حتى تعلم"، وهو العالم بما يكون منهم، فأنهم من يعلم، فإذا علمت فسألكم، وإذا فهمت فاكم، وإذا كنست فالزم، وتأخر ولا تتقدم، وإذا قدمت فاحذر أن ترى في الحشر تدم، وإذا سئلت فقل: لا أعلم، "إنك أنت علام الغيوب....". انظر: الفتوحات المكية، ١٠١/٨.

(٨) "ك": "التهب" سائلة.

وقال في موضع آخر في هذا الباب^(١): لَمَّا أُخْبِرَ اللهُ -تعالى-^(٢) عَنْ نَفْسِهِ بِاتِّتِقَالِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ مِنَ الْكُونِ بِـ "حَتَّى نَعْلَمَ"، سَكَتَ الْعَارِفُ بِاللهِ -تعالى- وَمَا تَكَلَّمَ، وَتَأَوَّلَ عَالَمُ النَّظَرِ لِهَذَا الْقَوْلِ حَذَرًا مِمَّا يَتَوَهَّمُ، وَفَرَضَ قَلْبُ الْمُشَكِّكِ وَتَأَلَّمَ، وَسَرَّ بِذَلِكَ الْعَالَمُ بِاللهِ، وَلَكِنَّهُ يَتَكَبَّرُ، وَقَالَ كَقَوْلِ الظَّاهِرِيِّ: اللهُ أَعْلَمُ^(٣)، انْتَهَى.

فَعَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ عَلَى عِلْمِ اللهِ فِيهِ^(٤)، وَإِنْ عَانَدَتْ يَا أَحْيَى فِي ذَلِكَ فَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾^(٥)، وَبِمَا حَكَّمَ الْحَقُّ -تعالى- عَلَى نَفْسِهِ فَأَحْكَمَ^(٦)، وَهُوَ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ حَتَّى إِبْلِيسَ الَّذِي هُوَ الْوَاسِطَةُ فِي الْوَسْوسَةِ لِجَمِيعِ الْعَصَايَا بِالْمَعَاصِي، فَإِنَّهُ بَلَّغَنَا أَنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ تَرِيدُ مِنِّي السَّجُودَ لِأَدَمَ، لَمْ يَسْبِقْ ذَلِكَ^(٧) فِي عِلْمِكَ، فَقَالَ لَهُ الْحَقُّ -جَلَّ وَعَلَا-: مَتَى عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ فِي عِلْمِي^(٨) قَبْلَ الْإِبَادَةِ أَوْ بَعْدَهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، بَلْ بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ الْحَقُّ -جَلَّ وَعَلَا-: وَبِذَلِكَ أَعْدَنْتُكَ، فَتَأَمَّلْ يَا أَحْيَى فِي هَذَا السَّحْلِ، فَإِنَّهُ يُكْتُبُ تَوَرُّ الْأَحْدَاقِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) هُوَ الْمَبَادِئُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ وَخِسْمَاةٌ مِنَ الْفَتْوحَاتِ، وَعنوانه: "فِي مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ وَحَفَائِقِ مِنْ مَنَازِلِ مُخَلِّقَةٍ"، انظر: عِيَالِ الدِّينِ، الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، ٦٢/٨.

(٢) "ك"، "ز"، "لَحَقَّ تَعَالَى".

(٣) نَسَخَ عِبَارَةَ عِيَالِ الدِّينِ: "لَمَّا انْتَقَلَ الْعِلْمُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ "حَتَّى نَعْلَمَ" سَكَتَ الْعَارِفُ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ وَمَا تَكَلَّمَ، وَتَأَوَّلَ عَالَمُ النَّظَرِ هَذَا الْقَوْلَ حَذَرًا مِنْ جَاهِلِ يَتَوَهَّمُ، وَفَرَضَ قَلْبُ الْمُشَكِّكِ وَتَأَلَّمَ، وَسَرَّ بِهِ الْعَالَمُ بِاللهِ، لَكِنَّهُ مَا تَكَلَّمَ، بَلْ تَكَبَّرَ، وَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَهُ الظَّاهِرِيُّ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِذَا عِلْمُ، وَاحْدَتِ سَلَمَ، فَاحْصَدَ اللهُ الَّذِي عِلْمُكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ"، انظر: عِيَالِ الدِّينِ، الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، بَابُ الْأَسْرَارِ، ٦٩/٨.

(٤) "ك"، "ز"، "اللهُ تَعَالَى".

(٥) (هَمْدُ، الْآيَةُ ٣١).

(٦) "د": "الظَّاهِرُ بِهِ أَعْلَمُ"، وَهُوَ لَا يَسْتَقِيمُ، وَالْعِبَارَةُ عِيَالِ الدِّينِ، وَفِيهَا يَقُولُ: "فَإِنْ عَانَدَتْ فَاقْبِمْ قَوْلَهُ -تعالى-: "وَلْيَبْلُوتَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ"، وَبِمَا حَكَّمَ بِهِ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ فَأَحْكَمَ، وَلَا تَفْرُدْ بِعَقْلِكَ دُونَ ذَلِكَ، فَإِنَّ اتِّتِقَالَ فِي التَّجَرُّدِ قَبْدَ الْخَلِيقَةِ فِي النَّظَرِ فِي عِبَادَةِ حِينَ أَعْطَاهُ إِلَى مَهَادِهِ، فَقِيلَ: حِينَ قِيلَهُ: "لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"، انظر: عِيَالِ الدِّينِ، الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، ٧٠/٨.

(٧) "ك": "ذَلِكَ" سَاقِطَةٌ.

(٨) "ب"، "ز": الْعِبَارَةُ: "فِي عِلْمِي السَّجُودَ".

[تَوْهَمُ أَنْ نَزُولَ الْبَلَاءِ عَلَى أَهْلِ مَحَلَّةِ الْعَاصِي لَيْسَ بِعَدْلِ]

ومِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ يَوَهُمُ، أَوْ يَخْطُرُ بِإِلَهٍ أَنْ نَزُولَ الْبَلَاءِ عَلَى أَهْلِ مَحَلَّةِ الْعَاصِي^(١) لَيْسَ هُوَ بِعَدْلِ، وَيَقُولُ: كَانَ الْأَوَّلِيُّ نَزُولَ الْبَلَاءِ عَلَى الْعَاصِي وَحْدَهُ، أَوْ عَلَى مَنْ رَضِيَ بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ مَحَلَّتِهِ دُونَ مَنْ كَانَ مِنْ أَشَدُّ الْمُنْكَرِينَ عَلَيْهِ، كَمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْمُتَجَرِّبِينَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَابْنِ الرَّائِثِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ^(٢)، فَيُورِثُ عِنْدَ الْعَامَّةِ رَاحَةً اعْتَرَاضِيَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَاجْلُوبِ أَنْ نَزُولَ الْبَلَاءُ عَلَى أَهْلِ مَحَلَّةِ الْعَاصِي، أَوْ أَهْلِ بَلَدِهِ، مِنْ جَمَلَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- بِالْعَاصِينَ^(٣)، فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ لَوْ أَنْزَلَهَا اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى الْعَاصِي وَحْدَهُ، لَكَانَ فِيهَا هَلَاكٌ لِغَالِبِ الْأُمَّةِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَرَيْمًا وَقَعَ فِي مَعْصِيَةٍ بِحَسَبِ مَقَامِهِ، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مَا تَرَكْتُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٤)، فَفَرَى الْحَقُّ -تَعَالَى- يُوزَعُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ النَّازِلُ بِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ عَلَى الْأَثَمِ مِنَ النَّاسِ، فَيَحْصُرُ كُلَّ إِنْسَانٍ جَزْعًا خَفِيفًا بِالنِّسْبَةِ لِمَا دَفَعَهُ اللَّهُ^(٥) عَنْهُ، بَلْ رَيْمًا لَا يَكَادُ يَحْسُرُ بِهِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: الْبَلَاءُ عَامٌّ، وَالرَّحْمَةُ خَاصَّةٌ، فَيُنَزَّلُ^(٦) اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى الْمُطِيعِ غَالِبٌ

(١) "د": "محلة" ساقطة.

(٢) أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ الرَّائِثِيِّ، وَقِيلَ: الرَّائِثِيُّ، نَسَبُهُ إِلَى 'رَائِدٍ' مِنْ فَرَسٍ "أَسْبَهَانَ"، فَيَلْسُوفُ بِمَاهِرٍ بِالْإِخْلَادِ، مِنْ سُكَّانِ بَعْدَانَ، صَاحِبُ تَصَانِيفٍ فِي الْخَطِّ عَلَى الْمَلِكِ، وَقَدْ وَصَمَ بِالْمَرْتَدَّةِ، يَلْزِمُ الرِّفْقَةَ وَالْمَلَاخِظَةَ، كَانَ أَوَّلًا مِنْ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزَلَةِ، ثُمَّ تَزَدَدَ، فَكَانَ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى مَذْهَبٍ، وَلَا يَثْبِتُ عَلَى حَالٍ، ظَلِمَهُ السُّلْطَانُ فِهْرَبُ، وَلَمَّا إِلَى ابْنِ لَاوِي الْيَهُودِيِّ بِالْأَهْوَازِ، وَصَنَّفَ فِي مَقَامِهِ "الدَّمَاعُ لِلْقُرَّانِ"، وَقِيلَ إِنَّهُ صَنَّفَ لِلْيَهُودِ كِتَابَ "الْبَصِيرَةِ" رَدًّا عَلَى الْإِسْلَامِ لِأَرْبَعِمِائَةِ دُرْهَمٍ، أَخَذَهَا مِنْ يَهُودِ سَامَرَاءَ، قِيلَ إِنَّهُ صَنَّفَ مِائَةَ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ مِصْنَفًا، وَلِلْعُلَمَاءِ عَلَى بَعْضِ مِصْنَفَاتِهِ رَدُّودٌ، قِيلَ إِنَّهُ مَاتَ مُصْلُوبًا، وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً (٢٩٨هـ-)، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ، انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ: ابْنُ حُلَكَانَ، وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ، ١١٢/١، وَالنَّهْجُ، سِيرُ أَعْلَامِ الْبُلَاءِ، ٣٤٩/٩، وَالْعِيَّاسِيُّ، مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ، ١٥٥/١، وَابْنُ الْعِمَادِ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ، ٢٣٥/٢، وَالسَّيْفِي، هُدًى الْعَارِفِينَ، ٥٥/٥، وَالرُّزْكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ، ٢٦٧/١، وَبِرُوكْلَمَانَ، تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، ٣-٤١٩/٤، وَعَمَرُ كَحَالَةَ، مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، ٣٢٢/٣.

(٣) "ك"، "ب"، "ز": "للعاصي".

(٤) (فاطر، الآية ٤٥).

(٥) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٦) "ك": "فيقول"، وَهُوَ تَصْحِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى.

الرحمة^(١)، لكونه فاعلاً للطاعة، ولا يقال جبراً منها إلا اليسير، ونُزِّلَ -تعالى-^(٢) على العاصي اليسير من العقوبة، ويوزَعُ الباقي على أهل محبته، أو بلبده، أو إقليبه.

وسعتُ أخي أفضلَ الذين -رحمه الله تعالى- يقول: لو نُزِّلَ بلاءُ المعصية على صاحبها فقط لَهلكَ غالبُ الناسِ، وتَعَطَّلتْ حَضَرَاتُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِذَلِكَ الْفِعْلِ، كَالْمُتَّقِمِ، وَالْمُذَلِّ، وَالصَّابِرِ، وَالْحَلِيمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَكَانَ تَوَزِيعُ الْبَلَاءِ عَلَى الْعَاصِي وَغَيْرِهِ أَكْمَلَ مِمَّا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْمُعْتَزِلِينَ عَلَى أَفْعَالِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْحِكْمَةِ لَا بِالْحِكْمَةِ، وَلَيُتَأَمَّلُ الْمُعْتَزِلُ نَفْسَهُ إِذَا وَقَعَ فِي شَرْبِ خَمْرٍ مَثَلًا، وَمَسَّكَ الْوَلِيُّ، وَسَاعَدَهُ أَهْلُ حَارَتِهِ فِي الْفَرَامَةِ^(٣)، أَوْ قَلَبَ الْأَذَى بِطَبِيعَةِ نَفْسِهِ، كَيْفَ يُصِيرُ بِشُكْرِ اللَّهِ -تعالى- على مُسَاعَدَتِهِمْ لَهُ، وَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ تِلْكَ الْمَغَارِمَ كُلَّهَا عَلَيَّ، أَشْتَكِي.

وسعتُ سيدي عليَّ المرصفي -رحمه الله تعالى- يقول في توزيع الناسِ الْمَغَارِمَ على بعضهم بعضاً بسبب وقوع واحد^(٤) منهم في معصية عملاً بحديث الطبراني وغيره مرفوعاً: "مَنْ لَمْ يَهْتَمْ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ"^(٥)، فَلَوْ نُزِّلَ الْبَلَاءُ عَلَى الْعَاصِي وَحْدَهُ، لَرُبَّمَا هَلَكَ، وَفَاتَ أَهْلَهُ وَجِبْرَانَهُ وَأَصْحَابَهُ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فِي مُقَابِلَةِ مَشَارِكِهِمْ لَهُ فِي الْبَلَاءِ الَّذِي رَغِبَ فِيهِ الشَّارِعُ بِقَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِيهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ جَمِيعُ الْجَسَدِ بِالْحَسَنِ وَالسَّهْرِ"^(٦).

وسعتُ سيدي عليَّ الخوَصَر -رحمه الله-^(٧) يقول: مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ -تعالى- فَقَدْ

(١) "ك"، "ز"، "على المطيع الرحمة". (٢) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٣) "ك"، "ز"، "مغارم".

(٤) "ك"، "ز"، "أحد".

(٥) الحديث بتمامه: "مَنْ لَا يَهْتَمْ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِحْ وَيَسِرْ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكُتَابِهِ وَإِلِمَامِهِ وَلِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ". أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧١)، ١/١٤٧، والمحلي في مجمع الزوائد، كتاب الإيمان (٢٩٤)، ١/١١٤.

(٦) أخرجه البحاري في الصحيح، كتاب الأدب (الباب ٥٤٩/٨)، ٣٢٨/٨، ومسلم في الصحيح، كتاب السير (٦٦/٢٥٨٥)، شرح صحيح مسلم، ٣٧٦/١٦، والسيوطي في الجامع الصغير (٨١٥٥)، ٥٣٢/٢.

(٧) "ك": "رحمه الله تعالى"، "ز": "رحمه الله" ليست فيها.

أَحْسَنَ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِهِ، وَجِيرَانِهِ، وَأَهْلِ بَلَدِهِ، وَإِقْلِيمِهِ^(١)، بِحَسَبِ مَرْتَبَةِ تِلْكَ الطَّاعَةِ، وَكَثْرَةِ نَفْعِهَا، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ -تَعَالَى- فَقَدْ أَسَاءَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ بَلَدِهِ، أَوْ جِيرَانِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، بِحَسَبِ فَحْشِ تِلْكَ الشَّعْصِيَةِ، وَكَثْرَةِ ضَرَرِهَا فِي الْوُجُودِ، وَمَنْ فَهِمَ مَا ذَكَرْنَاهُ عَلِمَ أَنَّ الرُّحْمَةَ عَامَّةً أَيْضًا كَالْبَلَاءِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَفِي ذَلِكَ سِرٌّ خَفِي^(٢)، وَهُوَ أَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- أَمْلَأَ الطَّائِعَ عَلَى كَثْرَةِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْدَادِ، وَلَمْ يُطْلِعِ الْعَاصِيَ عَلَى كَثْرَةِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ بِتَوَازِيهِهِ عَلَى النَّاسِ رَحْمَةً بِكُلِّ مَنِهْمَا^(٣)، وَذَلِكَ لِيَقْوَى يَقِينُ الْمُطِيعِ، فَيَزِيدَ فِي الطَّاعَاتِ، وَأَمَّا الْعَاصِي، فَلَوْ أَمْلَأَهُ اللَّهُ -تَعَالَى-^(٤) عَلَى كَثْرَةِ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ^(٥) بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِ لَرُبَّمَا كَانَ يَمُوتُ نَفْسَهُ مِنَ الْمَعَاصِي جَمَلَةً، فَكَانَ يُطْلَلُ حَكْمُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فِي حَقِّهِ، فَذَلِكَ لَا يَصُحُّ، أَتَشَى. فَتَأَمَّلْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ نَقِيسٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمٌ فِي مَعْنَى "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ"]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ حَدِيثِ "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ"^(٦) أَنَّ مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مُسَاوِي^(٧) عِلْمُهُ عِلْمَ الْحَقِّ -تَعَالَى- بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى فِي الْمَعْرِفَةِ تَطْلُبُ، وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا الْقَهْمَ خَاصٌّ بِمَقَامِ بَعْضِ الْعَامَّةِ لَا الْخَوَاصِّ^(٨)،

(١) "د"، "أو إقليمه".

(٢) "د"، "وذلك سر خفي".

(٣) "ك"، "لكل".

(٤) "ك"، "ز"، "تعالى" ليست فيها.

(٥) "ك"، "كثرة ما ترك من البلاء"، "ز"، "كثرة ما نزل...".

(٦) أخرجه السيوطي في المسابقي للفتاوي، دار السعادة، ٤١٢/٢، والدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٥٢، والمجلوني في كشف الخفاء، مكتبة دار التراث، ٣٦٢/٢، والقساري في الأسرار المرفوعة، مؤسسة الرسالة، ٣٥٦، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الحديث منسوب إلى علي رضي الله عنه، ٥٤٧/٤، وقيل إن للسيوطي تاليفاً ساء "القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه".

(٧) "ك"، "ز"، "ساوي". وهنا ينتهي سقط ظهر في النسخة "ب".

(٨) العبارة في "ز": "بمقام من عرف نفسه"، وهو لا يتساوى مع ما بعده.

أَمَّا الْخَوَاصُّ فَيَعْرِفُونَ^(١) أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- بِنَفْسِهِ عَلِمًا آخِرَ زَائِدًا عَلَى مَعْرِفَةِ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ أَوْ فَرَضْنَا ذَلِكَ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِنْ^(٢) أَنْبِيَائِهِ وَأَصْغِيَاءِهِ فَضْلًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ، وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْبَاقَلَانِيُّ^(٣): إِنَّ اللَّهَ -تعالى- وَصَفًا أَحْصَى لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى إِدْرَاكِهِ، قَالَ: وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤)، لَكِنْ، نَقَلَ الشَّيْخُ سَعْدُ الدِّينِ عَنْ أَبِي عَمَدٍ الْجَوْنِيِّ^(٥) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ^(٦): لِلْعَقْلِ مَزِيَّةٌ، فَلَا يَبْعُدُ أَنَّ اللَّهَ -تعالى- يُكْرِمُ بَعْضَ الْعُقَلَاءِ بِمَزِيَّةٍ^(٧) يُدْرِكُ بِهَا حَقَائِقَ النَّاتِبِ، قَالَ -تعالى-:-

(١) "د": "لأن الخواص".

(٢) "ب": قوله: "من عرف نفسه لو فرضنا ذلك حتى ولو كان من" ساقط.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه رئاسة مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة سنة (٣٣٨هـ)، وسكن بغداد، فسكن فيها سنة (٤٠٣هـ)، قيل إن عضد الدول وجيه سفيراً عنه إلى ملك الروم، فحرق له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية، له مصنف مشهور في "أعجاز القرآن"، انظر ترجمته: ابن حلكان، وفيات الأعيان، ٩٨/٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ٣٧٣/١٢، والبيهقي، هدية العارفين، ٥٩/٦، والزركللي، الأعلام، ١٧٦/٦، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤٤٢/٤-٣، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٣٧٣/٣.

(٤) هو الإمام إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، المعروف بأبي إسحاق الإسفراييني الشافعي الأصولي، وقد لقب بـ"كن الدين"، نشأ في إسفراين، ثم خرج إلى نيسابور، كان له أمال في مجالس، وكان شيخ خراسان في زمانه، جمع شرائط الإمامة، والاجتهاد في الفقه والأصول، توفي بنيسابور يوم عاشوراء، ثم نقل إلى بلد إسفراين، ودفن فيه سنة (٤١٨هـ). انظر ترجمته: ابن حلكان، وفيات الأعيان، ٥٤/١، والسيبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١١١/٣، والصفدي، الوحي بالوفيات، ٩٦/٦، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٠٩/٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦/١٢، والزركللي، الأعلام، ٦١/١، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٥٦/١.

(٥) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجوني، والد إمام الحرمين الجوني، من علماء التفسير واللغة والفقه، ولد في جون من نواحي نيسابور، ثم سكن نيسابور، وفيها توفي سنة (٤٣٨هـ)، وله مصنفات متنوعة، منها "آيات الاستواء"، و"الوسائل في فروع المسائل"، انظر ترجمته: ابن حلكان، وفيات الأعيان، ٣٥/٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٢٧/١٠، والسيبكي، الطبقات، ٧٣/٥، والصفدي، الوحي بالوفيات، ٣٦٣/١٧، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٦١/٣، والبيهقي، هدية العارفين، ٤٥١/٥، وأحمد بن محمد، طبقات المفسرين، ١١٥، والزركللي، الأعلام، ١٤٦/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٧-٢٦/٨.

(٦) "د"، "ك"، "ز": "كان رضي الله عنه".

(٧) "ب": قوله: "فلا يبعد أن الله تعالى يكرم بعض العقلاء بمزية" ساقط.

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، ولعني بالمزية كمال قوة وإيمان في النظر، انتهى.

ولا يخفى ما فيه، وكان أخي الفضل المذنب -رحمه الله تعالى- يقول: قد مات غالب الناس بحسرة معرفة الروح، وكيفية مجيء التوهم للإنسان، ورواحه عنه، مع أن الروح جاهلة أيضًا بنفسها^(٢)، لأنها لا تعقل نفسها قط مجردة، وكان الشيخ محيي الدين^(٣) يقول كثيرًا: اعلم أن اللطيفة الإنسانية لا توجد دُنيا وأخرى إلا مدبرة لمركب، ولا يصح أن تُترك لحظة واحدة لبسيتها^(٤) وهي عرّة عن مركبها من غير علاقة أبدًا، قال: وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة والفلاسفة ممن لا علم لهم بما الأمر عليه^(٥)، فإن النفس لا يصح أن تتصل بالملأ البسيط الأعلى^(٦)، لأن تدبيرها لمركبها وصف^(٧) لازم لها، فلا تفرغ لغيره^(٨).

وقال الشيخ في باب الأسرار من "الفتوحات"^(٩): اعلم أن الحق -تعالى- لا يعقل قط إلا إلهًا منزهاً غير معقول، ولا يمكن في العلم به -تعالى- تجريده عن العالم المربوب^(١٠)، وإذا لم يعقل مُحركًا عن العالم لم يعقل ذاته، ولم تُشهد قط من حيث ما هي، فأنشأ العلم به العلم بالنفس، ولجامع عدم التجريد، فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التي بين نفسك وبدنها، كذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التي بين الله -تعالى- وبين العالم، وأطال في ذلك، ثم قال: فكل من قال بتجريد النفس عن تدبير هيكل ما^(١١)، فما عنده علم بالنفس ما هي؛ لأنها لا تعقل نفسها قط^(١٢) إلا في

(١) (طه، الآية ١١٤).

(٢) "ب": العبارة: "مع أن الروح أيضًا جاهلة بنفسها".

(٣) "ك"، "ز": "رضي الله عنه". (٤) "ك"، "ز": "لمشاهدة بسيطها".

(٥) "ب": قوله: "ممن لا علم لهم بما الأمر عليه" ساقط.

(٦) "ك"، "ز": العبارة: "لا يصح لها أن تتصل بالملأ أبد الآباد بالمزج البسيط الأعلى".

(٧) "ب": "بسط".

(٨) انظر عبارة محيي الدين في باب الأسرار من الفتوحات السكية، ٢٠٤/٨، وفيها يقول: "وكل من قال بتجريد النفس عن تدبير هيكل ما فما عنده خبر بما هي النفس".

(٩) انظر: محيي الدين، الفتوحات السكية، ٢٠٤/٨.

(١٠) "ب": "المربوب" ساقط، وفي "أ" و "ب" والفتوحات السكية: "العالم المربوب".

(١١) "ب": العبارة: "...عن تدبير ما".

(١٢) "ك"، "ز": "قط نفسها".

مُرْكَب، انتهى^(١).

فإن قال قائل: فما سبب الخيرة في الله تعالى؟ ومعلوم أن من لازم صاحب الخيرة الجهل بالله تعالى، وقد أمَرنا الحق -تعالى- بمعرفته وبإخروجه من الجهل؟
فالجواب أن سبب الخيرة في الله -تعالى- طلبنا^(٢) معرفة ذاته -تعالى- بأحد هذين الطريقين: إما بالأدلة العقلية، وإما بطريق يُسمى المشاهدة، فأما الدليل العقلي فهو ينفع من المشاهدة، وأما الدليل السمعي فقد أومأ إليها وما صرح، وقد منع الدليل العقلي من إدراك حقيقة ذاته -تعالى- من طريق^(٣) الصفة الثبوتية التفسيرية التي هو -تعالى- في نفسه عليها، فلم يُدرِك العقل بنظره إلا صفات السلوب، وقد سَمَى القوم^(٤) ذلك معرفة، وقالوا: كلما زادت الخيرة في الله تعالى، زاد العبد في العلم به كأنه يقول: الله أجل وأعظم أن يُحيط به عقل^(٥)، ومن هنا كانت خيرة أهل الكشف أعظم لإدراكهم اختلاف التجليات مع الآيات، فلا يستقر لهم في معرفته -تعالى- قدم^(٦).

وقال في "لوائح الأنوار": ليس عند الفلاسفة ولا أصحاب الأكار علم بنفوسهم فضلاً عن غيرها من حقائقهم، فإنهم سلكوا بالفكر، فما برحوا من الكون، فما عندهم حزم غيرهم^(٧)، وتعالى الله تعالى عما يَتَخَيَّلُونَهُ في نفوسهم، ويولدونه بعقولهم، فإن الله -تعالى- قد أخبر بأنه لم يلد ولم يولد، فشمل ولادة البراهمين والأدلة والأكار وما يخشونه^(٨) بأنكارهم، وإذا كان التكليلاً لا يُعرف إلا بالتكليل، فما إلى معرفته -تعالى- سبيل، فإن من عَلِمَتْ به معلوماً وجهلته فما علمته؛ لأنك ما علمته به^(٩)، وقد قالوا: لكل عقل عقل

(١) أي انتهى كلام عبي الدين في باب الأسرار، ٢٠٤/٨.

(٢) "د"، "ك"، "ز": "طلب"، وهي في عبارة عبي الدين كما هي ضمن. انظر: الفتوحات المكية، ٤٠٨/١.

(٣) "ك"، "ز": العبارة: "من طريق صفاته من طريق الصفة الثبوتية".

(٤) "ك"، "ز": "رعى الله عنهم".

(٥) "د": "أن يحيط بعظمته عقل"، "ك": "به عقلي"، "ز": "أن يحيط بعظمته عقلي".

(٦) الكلام مقتبس جصرف من عبارة عبي الدين في الباب الخمسين من الفتوحات، وعنوانه: "في معرفة رجال الخيرة والمعجز"، انظر: الفتوحات المكية، ٤٠٨/١.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "فما عندهم غيرهم".

(٨) "ك": "لخشونه".

(٩) وردت عبارة عبي الدين هذه في الفتوحات المكية في باب الأسرار، ٩٩/٨.

مثله^(١)، وليس للحق - تعالى - حق مثله، فمن عَرَفَهُ - تعالى - بعقله وفكره فما عَرَفَهُ. وقالوا: من كمال المعرفة بالله - تعالى - معرفته من طريق التنزيه ومن طريق^(٢) صفات التشبيه معاً، ومن عَرَفَهُ بأحدهما فهو على النصف من المعرفة، فإن التنزيه ميل، والتشبيه ميل، والاعتدال هو ما بين هذين^(٣)، وذلك لا يوجد في العين، وقالوا: لئلا أن تدعى معرفة خالقك، فإنك في المرتبة الثانية^(٤) من الوجود.

وقال الشيخ في الباب العشرين وثلاثمائة من "الفتوحات"^(٥): من^(٦) خاض في معرفة الذات فهو عاصي لله ولرسوله، وما أمر الله^(٧) بذلك أحداً لا الثاني ولا الثالث، بل لو سئل من يطلب معرفة كنه الذات عن تحقيقي معرفة ذات واحدة من العالم ما عَرَفَ ذلك، ولو قيل له: كيف تدبر نفسك بذلك؟ وهل^(٨) هي داخلة فيه أو خارجة عنه^(٩)، أو لا داخلة ولا خارجة^(١٠)؟ وهل^(١١) الزائد الذي يحرّك به هذا الجسم الحيواني، ويسمع ويصرّ ويحسّ ويحكم^(١٢)، إماذا يرجع؟ هل لواحد أو كثيرين؟ وهل ذلك يرجع إلى جوهر، أو عرضي^(١٣)، ويطلبه بالأدلة العقلية على ذلك فضلاً عن الشرعية، لما عرف بذلك دليلاً عقلياً أبداً، ولا عرف بالعقل أن للأرواح بقاء ووجوداً بعد الموت أبداً. وقال في باب الأسرار: اعلم أن العبادة لله لا تصح إلا بعد نوع من المعرفة به،

(١) "ب": لكل عقل مثله.

(٢) "د": وعن طريق.

(٣) القول لهما الدين في باب الأسرار من الفتوحات المكية، ٩٤/٨.

(٤) "ك": "ب": في المرتبة من الوجود.

(٥) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل تسبيح الفضتين وهما". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٠٩/٥.

(٦) "ك": "ز": العبارة: "جميع من خاض...".

(٧) "ب": الله تعالى.

(٨) "ك": "ز": "أولاً" ساقطة.

(٩) "ب": "عنه" ساقطة.

(١٠) "ب": "أو ليست داخلة ولا خارجة"، "ك": "ز": "أو لا خارجة عنه، أو لا داخلة".

(١١) "ك": "وهل".

(١٢) "ك": "ب": "ز": "ويحكم".

(١٣) "ك": "ب": "ز": "جوهر أو عرض أو جسم".

فلا بد من تعلّي العبد بما هو مشهود، وبما هو كالشهود كما أشار إليه: "اعبد الله كأنك تراه"^(١)، فلا سبيل إلى العبادة مع الغيب المحض أبداً، ولو يؤاخذ الله -تعالى-^(٢) أصحاب التقييد للحق -تعالى- بمقولهم لأهلكهم، فإن كل صاحب عقل قد قيد ربه، وخصره في كذا دون كذا، ولا ينبغي لله -تعالى- إلا الإطلاق، ولولا ذلك لكان بعض العبيد يعبد عدماً من حيث إنه -تعالى- إذا وجد عند عبد يكون مفقوداً عند العبد الآخر، ولكن من رحمة الله -تعالى- أنه عفا عن الجميع حيث بذلوا وسعهم في فهم آيات الصفات، واختارها، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب "اليواقيت والجواهر"، فراجعه^(٣)، والحمد لله رب العالمين.

[توهم أن التسبيح تنزيه عن النقائص]

ومما أجبت به من توهم أن في التسبيح تنزيهاً للحق -تعالى- عن النقائص، ومعلوم^(٤) أنه لا يصح تنزيه إلا مع تعقل لحوق صفات التقصير له تعالى، وذلك محال، والجواب أنه لا يلزم من التسبيح تعقل^(٥) صفات التقصير له تعالى^(٦)، ومن هنا قالوا: يحب على كل مَسْبُح ألا يسبح الله -تعالى- إلا امتثالاً لأمره لا غير، ومن توهم أن صفات الحدث تلحقه -تعالى- بوجه من الوجوه، ثم صار ينزهه عنها، فهو جاهل بما يجب لله -تعالى- من صفات الكمال.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٠٧/٢، ونصه: "أن تحسب الله كأنك تراه"، والحاوي في الصحيح في كتاب الإيمان (الباب ٢٨)، ٤٩/١، ٨٩/١، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان (١/٨)، شرح صحيح مسلم، ٢٥٩/١٥، وابن ماجه في السنن، المقدمة، باب الإيمان، الحديث (٨/٦٣)، ٤٩/١، وأبو داود في السنن، كتاب السنة (الباب ١٧٩)، ٤٦٩/٥، ٤٨/٥، والترمذي في السنن، كتاب الإيمان (٢٦١٩)، ٢٧٥/٤، والحكيم الترمذي في توافر الأصول، ٦٢٢/١.

(٢) "ك"، "ز"، "يؤاخذ تعالى".

(٣) انظر: الشعراني، اليواقيت والجواهر، بحث "وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يزل موصوفاً بعبادي أسمائه وصفاته وبيان ما يقتضي التنزيه والعلمية وما لا يقتضيها"، ١٣٦/٢.

(٤) "ك"، "ب"، "ز"، "معلوم" ليست فيهما.

(٥) "ك"، "ز"، "تعقل لحوق صفات".

(٦) "د"، "له تعالى" ليست فيها.

وَمِنْ هُنَا قَالَ النَّسِيحُ مُحْيِي الدِّينِ^(١) فِي بَابِ الْأَسْرَارِ: النَّسِيحُ تَجْرِيعٌ؛ أَيْ لَأَنْ مَنْ لَا يُلْحَقُهُ نَقْصٌ لَا يُنْزَعُ، وَأَمَّا نَسِيحُ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ -تَعَالَى- مِنْ^(٢) الْأَنْبِيَاءِ وَالْكَمَالِ^(٣) أَتْبَاعِهِمْ فَهُوَ حِكَايَةٌ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-^(٤) عَنْ نَفْسِهِ لَا غَيْرَ، يَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْقَلَاوَةِ، وَأَطَالُ فِي ذَلِكَ^(٥)، ثُمَّ قَالَ: لَعَلِمَ أَنَّ التَّنْزِيهَ أَوْ التَّقْدِيسَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَهُ أَوْ يَقُولَهُ لَيْسَ هُوَ التَّنْزِيهَ أَوْ التَّقْدِيسَ^(٦) الَّذِي يُنْزَعُ الْحَقُّ -تَعَالَى- بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ يَدَّسُهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَنْزِيهَ الْأَمْرِ مُرَكَّبٌ، وَالْمَامُورُ بِذَلِكَ مَخْلُوقٌ، وَلَا يَصْدُرُ عَنِ الْمَخْلُوقِ إِلَّا مَخْلُوقٌ، لَكِنْ لَمَّا تَعَيَّنَ الْحَقُّ -تَعَالَى- عِبَادَهُ بِالتَّنْزِيهِ، وَالتَّقْدِيسِ، أَفْرَوْهُ فِي مَوْضِعِهِ وَقَالُوهُ كَمَا أَمَرَهُمْ عَلَى حِجَةِ الْقَرْبَةِ إِلَيْهِ مَعَ اعْتِقَادِهِمْ الْحَاجِزَ أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَا الْقَوِيُّ بَيْنَ التَّقْدِيسِ وَالتَّنْزِيهِ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ التَّقْدِيسَ^(٧) هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَعَ شَهَادَةِ^(٨) صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ اسْتِشْعَارٌ لِحُوقِ نَقْصٍ بِالْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ بِخِلَافِ تَنْزِيهِ الْعَوَامِّ^(٩)، وَسَعَتْ سَيِّدِي عَلِيٍّ الْمَرْصُفِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-^(١٠) يَقُولُ: تَنْزِيهِ الْأَكْبَابِ لِلَّهِ -تَعَالَى- لَا يَكُونُ مَعَ اسْتِشْعَارِ نَقْصٍ، فَهُوَ كَالْتَّقْدِيسِ عَلَى حِدٍّ سَوَاءً: أَشْهَلِي^(١١).

وَسَعَتْهُ يَقُولُ مَرَّةً أُخْرَى: اعْلَمْ أَنَّ تَقْدِيسَ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ أَكْمَلُ مِنْ تَنْزِيهِهِمْ لَهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّ التَّنْزِيهَ الْوَاقِعَ مِنَ الْعَوَامِّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ اسْتِشْعَارِ لِحُوقِ نَقْصٍ كَوْنِيٍّ لِلْحَقِّ، وَذَلِكَ مُحَالٌ، فَلِأَجْلِ هَذَا الْخَاطِرِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ بَارِكِ شَرْعُ التَّنْزِيهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ

(١) "ك"، "ز"، "رضي الله عنه".

(٢) "د"، "مثل".

(٣) "د"، "ك"، "ز"، "وَكُمُلْ".

(٤) "ك"، "الحق تعالى".

(٥) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٩٠/٨.

(٦) "ب": قوله: "الذي أمر به العبد أن يعلمه أو يقوله ليس هو التَّنْزِيهِ أَوْ التَّقْدِيسَ" ساقطة.

(٧) "د": "أن تقديس العباد لربهم...".

(٨) "د": "شهود" ساقطة.

(٩) "د": أضاف: "مقبول كالتنزيه".

(١٠) "د"، "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(١١) قول علي المرصفي في هذه الفقرة ساقط من "ج".

مستقر^(١) في القلوب، انتهى^(٢).

وسمعتُ سيدي علياً المرصفي^(٣) - رحمه الله -^(٤) يقول: إنما شرع لنا التكبير أول الصلاة وحيث وقع دفعا^(٥) لما توجهه العبد، ويخطر في باله من أن الحق - تعالى - هو ما تحيله العبد في قلبه، فكان العبد يقول بلسان قلبه: الله أكبر عن كل ما يخطر ببالي من الصور والمعارف، وأنه يجل عن كونه في جهة الغلو دون السفلى^(٦)، قالوا: وإنما شرع الحق - تعالى - التوجه إلى الكعبة في الصلاة رحمة بعباده؛ ليجمع فيهم عليه لئلا تفرق قلوبهم، ولألا فسائر الجهات في حقه - تعالى - واحدة.

وسمعتُ سيدي علياً المرصفي - رحمه الله تعالى -^(٧) يقول: الخاص بالتوجه إلى الكعبة إنما هو الجسم فقط، وأما القلب فهو متوجه إلى الله تعالى، فمقيّد لمقيّد، ومطلق لمطلق، قال: ولا يخفى أن من وقف في صلاته، وأغلى باطنه عن وجه الحق تعالى، وحمل الحق - تعالى -^(٨) في وجهه كالدائرة المحيطة به، فهو جاهل^(٩) بالله - عز وجل - لتحيز الحق - تعالى - في وجهه، فاعلم ذلك، ونزه الحق - تعالى - مع شهود الكمال كما نُفِذَته على حد سواء، والحمد لله رب العالمين.

[توهم أن الحق يوجب على نفسه ما لا يصح له الرجوع عنه]

ومما أحبت به من توهم أن الحق - تعالى - إذا أوجب على نفسه شيئا لا يصح له الرجوع عنه^(١٠)، والجواب أن للحق - تعالى - من حيث ما أخبر به عن نفسه لا من حيث ذاته حضرتين: حضرة تقييد، وحضرة إطلاق^(١١)، وكلاهما يجب الإيمان بهما،

(١) "ك"، "ز": "مستقر القلوب".

(٢) أي انتهى كلام محي الدين.

(٣) "ك"، "ز": "المرصفي".

(٤) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٥) "ك"، "ز": "رفعا".

(٦) "ك": "دون السفلى" ساقط، "ز": العبارة: "وأنه يجل عن كونه في جهة".

(٧) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٨) "د"، "ز": "تعالى" ليست فيها.

(٩) "د": "جاهل" ساقطة.

(١٠) "ك"، "ز": "الرجوع فيه".

(١١) "د": قوله: "حضرتين، حضرة تقييد، وحضرة إطلاق" ساقط.

وَيَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذَا الْإِيمَانِ إِلَى عَيْنَيْنِ: عَيْنٌ يَنْظُرُ بِهَا إِلَى مَا قَبْدَهُ الْحَقُّ -تعالى- فَيُقْبِدُهُ، وَعَيْنٌ يَنْظُرُ بِهَا إِلَى مَا أُطْلِقَهُ فَيُطْلِقُهُ^(١)، قَالَ -تعالى-: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾^(٢)، فَهَذَا مِنْ حَضَرَةِ الْإِطْلَاقِ، وَقَالَ -تعالى-: ﴿إِنَّ أَتَمَّهُ لَا يَغْفِرُ لِمَن يُفْتَرِكُ بِهِ﴾^(٣)، فَهَذَا مِنْ حَضَرَةِ التَّقْيِيدِ، وَمِنَ التَّقْيِيدِ قَوْلُهُ -تعالى- أَيْضًا: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ^(٥): ﴿وَكُتِبَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ -تعالى- عَلَى أَنَّهُ -تعالى- إِذَا أَوْجِبَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا لَا يَدْعُلُ نَحْتًا حَذُّ الْوَاجِبِ عَلَى عِبَادِهِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ بِخِلَافِ الْعَبْدِ، لِأَنَّهُ نَحْتُ التَّحْجِيرِ^(٧) وَالتَّكْلِيفِ، فَيَأْتِمُ إِذَا تَرَكَّ مَا أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ كَالْتَّنَزُّهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ عَقُوبَةً لَهُ؛ حَيْثُ زَاخَمَ الْفَتَّارُغَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-^(٨) فِي التَّشْرِيعِ، وَأَوْجِبَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا لَمْ يُوَجِّهْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ^(٩) مِنَ "الْفَتْوحَاتِ" فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَكُتِبَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٠): إِنَّ قَالَ قَائِلًا: إِنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَا

(١) "ك"، "ز"، العبارة: "مَا أُطْلِقَهُ الْحَقُّ أَنْفَالًا فَيُطْلِقُهُ".

(٢) (البقرة، الآية ١٨، النحل، الآية ١٤).

(٣) (النساء، الآية ٤٨).

(٤) (الأنعام، الآية ١٢). "ب": "كَتَبَ رِيكُم".

(٥) "ك"، "ز": "تعالى".

(٦) (الروم، الآية ٤٧).

(٧) "ب": "التَّحْجِيرُ"، وَأَحْسَنُهُ تَصْحِيفًا يَصَحُّحُهُ مَا وَرَدَ فِي النُّسخِ الْأُخْرَى وَالفَتْوحَاتِ وَمَا سَبَقَ بِهِ.

(٨) "ك"، "ب"، "ز": "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ساقطة.

(٩) صَوْنَانِ هَذَا الْبَابِ هُوَ "فِي مَعْرِفَةِ الْغُطَابِ النَّبَاتِ وَأَسْرَارِهِمْ وَكَيْفِيَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمُ الشَّيْبَانُونَ".

انظر: محي الدين، الفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةُ، ٣١٦/١، وَقَدْ افْتَتَحَهُ بِقَوْلِهِ:

الروح للجسم والنبات للعمل	تحيها كحياة الأرض بالمطر
فتبصر الزهر والأشجار بارزة	وكل ما تخرج الأشجار من ضر
كذلك تخرج من أعمالنا صور	لها روائع من تين ومن عطس

انظر: الفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةُ، ٣١٦/١.

(١٠) (الروم، الآية ٤٧).

يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَكَيْفَ قَالَ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَسْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)؟ فالجواب أن المراد بالوجوب هنا ما وَجِبَ مِنْ حَيْثُ التَّبَعِ، وذلك أَنَّ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ إِذَا تَعَلَّقَ أَرْلًا بِمَا فِيهِ سَعَادَتُهُ كَانَ ذَلِكَ الْوَجُوبُ عَلَى التَّبَعِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ أَيْ لَا يَدُ مِنْ وَجُوبِ^(٢) تِلْكَ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ^(٣) الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ^(٤).

وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْحَقِّ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى- لَهُ الرَّجُوعُ عَمَّا أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ -تَعَالَى- لَوْ خَجَرَ عَلَى نَفْسِهِ لَا يَتَحَجَّرُ، فَإِذَا وَفَى -تَعَالَى- بِمَا كَتَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ^(٥) فَهُوَ فَضْلٌ مِنْهُ، وَمَكَارِمُ أَخْلَاقِي^(٦)، وَإِنْ لَمْ يَوْفَ فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَذَا إِذَا كَانَ الْوَفَاءُ مِنْهُ بِمَا وَعَدَ مِنَ الْخَيْرِ، فَإِنْ كَانَ بِمَا تَوَعَّدَ بِهِ^(٧) الْعَصَاةَ فِي^(٨) الشَّرِّ، فَمَا حَكَمُهُ؟

فالجواب أَنَّهُ مَا تَمَّ شَيْءٌ صَادِرٌ عَنِ الْحَقِّ -تَعَالَى-^(٩) إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ، وَلَكِنْ الْخَيْرُ عَلَى قَسَمَيْنِ: خَيْرٌ مُحْضٍ، وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي النَّفْسَ^(١٠) وَلَا تُكَرِّهُهُ، وَخَيْرٌ مُتَزَجٍ^(١١)، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الشَّرِّ كَشَرْبِ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ، فَصَاحِبُ هَذَا الْخَيْرِ كَالْمُعَذِّبِ الْمَرْحُومِ بِجِدِّ عَذَابِهِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ^(١٢)، وَثَابِتًا لَهُ، هَذَا حَكْمُ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ فَذَلِكَ فِي شَرٍّ مُحْضٍ لَا خَيْرَ فِيهِ يُوْجِبُهُ مِنَ الْوَجْهِ

(١) "ك"، "ز"، "وكان حقاً".

(٢) "ب": "وجود".

(٣) "ب": "إلى ذلك الذي".

(٤) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣١٨/١، وقد نقل الشعراني عبارة محيي الدين مصرفاً بها، وفيها يقول: "ولا نوجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه، وقد أوجب التعريف على نفسه بقوله -تعالى-: ﴿وَعَنَى أَنَّهُ قَسَمٌ أَكْسَبِلِي﴾، مثل قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَسْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وعلى الحقيقة إنما وجب ذلك على التبعة لا على نفسه...". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣١٨/١.

(٥) "ك"، "ز"، قوله: "لأنه تعالى ولو حجر على نفسه لا يتحجر، فإذا وفى تعالى بما كتبه على نفسه" ساقط.

(٦) "ك"، "ز"، قوله: "ومكارم أخلاق" ساقط.

(٧) "د"، "ز"، "فيه".

(٨) "ك"، "ز"، "من".

(٩) "ك"، "ز"، "النفوس".

(١٠) "ك"، "ز"، "الله تعالى".

(١١) "ك"، "تعالى" ليست فيها.

(١٢) "د"، "متزوج".

الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، فَانْهَمَ، وَإِيَّاكَ وَالْعَلْفَةَ.

[تخصيص قول الحق "وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ"]

ومِمَّا وَقَعَ أَنَّ إِبْلِيسَ^(١) اجتمعَ بِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ^(٢)، وجادلَهُ في قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾^(٣)، فقالَ إِبْلِيسُ^(٤): هَلْ أَنَا شَيْءٌ؟ فقالَ: نَعَمْ، فقالَ: فَبأيِّ دَلِيلٍ تَقُولُونَ أَنَّ رَحِمَتَهُ -تعالى- لا تُشَالِّي، فقالَ سَهْلٌ: فَغَصِبْتُ بِرَيْفِي، وَصَرْتُ أَرَدُّ الْآيَةَ زَمَانًا، فَأَبَيْتُ الْحَقَّ -تعالى- عَقِبَهَا بِقَوْلِهِ -تعالى-^(٥): ﴿فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٦)، إِلَى آخِرِ النَّسَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: خُذْ جَوَابَكَ،

(١) "ك"، "ز": "لَعَنَهُ اللَّهُ".

(٢) "د"، "ك"، "ز": "وَحْسَى اللَّهُ عَنْهُ". وَهُوَ أَبُو عَمَدٍ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ التُّسْتَرِيِّ، وَلَدَ فِي مَدِينَةِ "تُسْتَر" سَنَةَ مائَتَيْنِ، وَقِيلَ [أَحَدَى مِائَتَيْنِ]، أَحَدُ أَمَةِ الصُّوفِ وَعِلْمَانِهِمْ، وَمِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي عِلْمِ السُّلُوكِ وَالْإِحْلَاصِ وَعُيُوبِ الْأَعْيَالِ، كَمَا يَقُولُ الشُّعْرَانِي فِي لَوْاحِ الْأَنْوَارِ، لَهُ كِتَابٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ مَعْرُوفٌ بِتَفْسِيرِ التُّسْتَرِيِّ، وَلَهُ رِفَاقَتَانِ الْهَجَرِيَّةُ، وَرِسَالَةٌ فِي الْحُرُوفِ، وَرِسَالَةٌ فِي الْحُكْمِ وَالصُّوفِ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُصَنِّفَاتِ قَدْ نَسَبَتْ إِلَيْهِ، وَقَدْ وَصَفَهُ الْمَنَاوِي فِي طَبَقَاتِ الصُّوفِيَةِ بِأَنَّهُ الشَّيْخُ الْأَمِينُ النَّاصِحُ الشَّامِكِيُّ، النَّاطِقُ بِالْعَقْلِ الرَّصِينِ، مِنْ أَكْبَاطِ الشُّيُوخِ الْمُشْهُورِينَ، زَيْسُ طَرِيقِ الصُّوفِيَةِ بِقَلَانْدِ فَوَائِدِهِ وَعَقُودِهِ، وَكَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ الْفَرَاصِدِ، قَامَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَسَدِ، وَنَسَبُوهَ إِلَى عِظَامِهِ وَقِبَالِهِ حَتَّى أَعْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ فَمَاتَ فِيهَا. وَمِنْ كَلَامِهِ: النَّاسُ لِسَامٍ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا، فَإِذَا انْتَبَهَوْا لَدِمُوا، وَإِذَا لَدِمُوا لَمْ يَفْقَهُمُ الدِّمَ، وَكَذَلِكَ: الْجَاهِلُ مَيِّتٌ، وَالنَّاسِي تَائِبٌ، وَالْعَاصِي سَكْرَانٌ، وَالْمَصْرُ هَالِكٌ، وَكَذَلِكَ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ فَقَدْ بَعْدَ عَنْهُ كُلُّ مَا سَوَّلَ. تُوُفِيَ سَنَةَ (٢٨٣هـ). انظر: ترجمته: الأصفهاني، حلية الأولياء، ١٠/١٩٠، والقشيري، الرسالة القشيرية، وابن الأثير، الكامل، ٧/٤٨٣، وابن حنكلا، وفيات الأعيان، ٢/٣٥٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ١١/٧٩، والصدقي، الوالي بالوفيات، ١١/١١، والسهمي، سير أعلام النبلاء، ٨/٥١٥، والشُّعْرَانِي، لَوْاحِ الْأَنْوَارِ، ١/١٧٥، والمناوي، الكواكب الدرية، ١/٦٣٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢/١٨٢، والبغداد، هدية العارفين، ٥/٤١٢، والسبهي، جامع كرامات الأولياء، ٢/١٠٥، والزركلي، الأعلام، ٣/١٤٣، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٣-٤/٤٠١، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ١/٨٠٦.

(٣) (الأعراف، الآية ١٥٦). (٤) "ك": "لَعَنَهُ اللَّهُ".

(٥) "ك"، "ب"، "ز": "تعالى" ليست فيها.

(٦) "ك"، "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٧) (الأعراف، الآية ١٥٦).

فَقَالَ لَهُ: ^(١)؛ قَدْ عَرَفْتُ مَا حَزَمْتُ عَلَى قَوْلِهِ، فَإِنَّ الْحَقَّ -تعالى- ^(٢) لَوْ كَسَبَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا فَلَهُ الرَّجُوعُ، وَالتَّقْيِيدُ مِنْ صِفَتِكَ لَا صِفَتِهِ، قَالَ سَهْلٌ: فَفَصَّصْتُ بِرَيْقِي وَلَمْ أَرُدْ لَهُ جَوَابًا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا سَهْلُ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَطْلُبُ بِكَ هَذَا الْجَهْلَ الْعَظِيمَ بِاللَّهِ، لَيْتَكَ سَكَتَ، لَيْتَكَ سَكَتَ، لَيْتَكَ سَكَتَ، انْتَهَى كَلَامُ سَهْلٍ ^(٣).

لَوْ ^(٤) كُنْتُ مَكَانَ سَهْلٍ لَقُلْتُ لَهُ: "وَرَحْمَتِي وَسَعَتُ كُلِّ شَيْءٍ" مَحْصُوصَةٌ بِمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَا يَشْهَدُ لَهُ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ تُنَالَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ ^(٥) أَبَدًا بِإِجْمَاعٍ مِنَ السُّلُطِ وَالْخُلَفَاءِ؛ إِذِ التَّقْيِيدُ لَوْ كَانَ صِفَتِي دَوْلَةٍ وَهُوَ مُطْلَقٌ، فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْإِطْلَاقَ صِفَتُهُ، لَكِنْ لَا يَفْعَلُ مَا يُخَالِفُ مَا أَحْبَبَ بِسَبِي الْعِلْمِ بِهِ، لِأَنَّهُ تَغْيِيرٌ مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ مُحَالٌ، وَحِينَئِذٍ لَتَقْطَعُ الْحُجَّةُ بِهِ بِعِلْمِ اسْتِحَالَةِ ذَلِكَ ^(٦)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْحَقَّ غَنِيٌّ عَنِ إِيجَادِ الْخَلْقِ لَا وَجُودِهِمْ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْحَقَّ -تعالى- غَنِيٌّ عَنِ إِيجَادِ الْخَلْقِ لَا عَنْ وَجُودِهِمْ، وَقَدْ أَشْكَلُ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، فَاجْلُوبِ أَنْ اللَّهَ -تعالى- غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ مُطْلَقًا، وَجُودًا وَإِيجَادًا، هَذَا اعْتِقَادُنَا حَتَّى نَلْقَاهُ، وَيُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الدِّينِ ^(٧) فِي بَابِ الْخَلْقِ وَالسَّيِّئِينَ وَالثَّلَاثَةِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ" ^(٨)؛ إِنَّ اللَّهَ -تعالى- غَنِيٌّ عَنِ ثُبُوتِ الْعَالَمِ ^(٩)، كَمَا أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ إِيجَادِهِ ^(١٠)، لَكِنْ لَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ الْأَسْبَابَ، وَرَتَّبَ بَعْضُهَا عَلَى

(١) "ب": "له" ساقطة.

(٢) "ك": "ز": "تعالى" ليست فيهما.

(٣) لُورْد هَسَلَه المَاجِسَة أَيْضًا فِي الدِّينِ فِي الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، ٤/ ٤٣٦، وَكَذَلِكَ عَرَجَ عَلَيْهَا مُحَمَّدٌ الدِّينِ فِي شَرْحِ تَرْجَمَانِ الْأَشْوَكَ، ١١٠.

(٤) "ك": "ز": "ولو".

(٥) "ك": "ز": "الله تعالى"، وَقَوْلُهُ: "أَبَدًا" سَاقِطٌ مِنْ "ك".

(٦) "ك": "استحالته"، "ز": الْمَبَارَةُ: "تَقْطَعُ الْحُجَّةُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ اسْتِحَالَتَهُ".

(٧) "ك": "ز": "رضي الله عنه".

(٨) عَسَوَانُ هَذَا الْبَابِ فِي مَعْرِفَةِ مِزَالِ الْإِشْتِرَاكِ مَعَ الْحَقِّ فِي التَّغْيِيرِ. انْظُرْ: مُحَمَّدٌ الدِّينِ، الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٣/٦.

(٩) "ك": "وجوده"، "ب": "ز": "وجود العالم".

(١٠) "د": "وجود العالم".

بعضي زاع^(١) نظر بعضي الناس، فقال إن الله - تعالى - غنيٌّ عن وجود^(٢) العالم، لا عن ثبوته في علمه، وهذه من أكبر زلات تقع للعلماء^(٣)، فإن كونَ العالم ثابتاً في العلم الإلهي مع غناه عنه، وعن إيجاده، لا يصحُّ وصف الحق - تعالى - بالافتقار إليه، وإذا تعارض عند الحقِّ آتان أو حديقان أحدهما يُعطي التنزيه، والثاني يُعطي التشبيه، فمن الواجب عليه الأخذ بما يوجب التنزيه، وإن تعارض ذلك عند بعض الناس، فذلك راجع إلى الحق - تعالى - لا إلى العبد.

قلت: وبإضاح ذلك أن العالم لما كان ثابتاً في العلم وقع به الاكتفاء والاستغناء عن إيجاده وعن وجوده، فإنه وفي الألوهية حقها بإمكانه، ولو لا أن الممكنات طُلِبَتْ من الله - تعالى - بلسان الافتقار أن يُدبِّقها طعم الوجود، كما ذاق طعم الغدَم، ما أظهرها، فإنها سُلِّتْ بلسان ثبوتها في علم واجب الوجود أنه - تعالى - يُخرجها من الغدَم، ويوحدها أعيانها ليكون العلم لها ذوقاً، فأوجدتها لها لا أنه سبحانه وتعالى؛ إذ هو الغني عن وجودها، وعن كون وجودها ذليلاً عليه، أو علامة على ثبوته، بل الذي نقول به: إن وجودها كعدمها بالنسبة للدلالة عليه تعالى، فإن كل شيء رَجَمَ الحق - تعالى - من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الله - تعالى -^(٤) وجلاله، فلهذا قلنا إن غناه - تعالى - عن العالم هو عين غناه عن وجود العالم.

قال سيدي علي المرتضي: وهذه مسألة غريبة ذكرها الشيخ في "الفتوحات"، قال: وجه غرابتها أن فيها انصاف الممكن بالغدَم في الأزلي، وكون الأزلي لا يقبل الترجيح، وكيف قبله الممكن مع إزليته؛ وذلك أنه من حيث ما هو ممكن لنفسه، استوى في حقه القول للممكنين، فما تعرض^(٥) له حال عدمه إلا ويعرض له حال وجودها^(٦)، فما كان له الحكم فيه حال الفرضين فهو مرجح، فالترجيح ينسحب على الممكن أزلاً في

(١) "د"، "ز"، "زل".

(٢) "ك"، "ب"، "ز"، "إيجاد العالم".

(٣) "د": "العلماء" ساقطة.

(٤) "ك"، "ب"، "ب": "تعالى" ليست فيهما.

(٥) "ك": "يفرض"، وهو تصحيف من الناسخ.

(٦) "ك"، "ز"، "وجود".

حالٍ عديمه، وأنه منعوته لعدم المرجح، ومعلوم أن الترجيح من المرجح الذي هو اسم فاعلي لا يكون إلا مع قصد لذلك، والقصد حركة معنوية يظهر حكمها في كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته، فإن كان محسوساً شغل حيزاً، وفرغ حيزاً آخر، وإن كان معقولاً أزال معنى، وأثبت معنى، ونقل من حال إلى حال، انتهى.

نعلم من جميع ما خرجناه^(١) من كلام بعضهم أنه لا يقال إن الحق - تعالى - عني عن تضمن علمه القديم بالمعلوم؛ إذ هو معلوم علمه تعالى، فهو ملحق بصفاته تعالى، فكما لا يقال: إن الله عني عن علمه، كذلك لا يقال: إن الله - تعالى - عني عن معلومه^(٢) على حد سواء لعدم^(٣) التضمن، واعتقادنا مع ما قدرناه^(٤) أنه موصوف بالغي عن العالم، وإن كان معلوم علمه، فافهم، فإنه أسلم، وأما غناه عن إيجاد العلم فهو محل وفاق^(٥).

وقد قال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة^(٦) من "الفتوحات" في الكلام على اسمه - تعالى - "الباري"^(٧)؛ اعلم أن الله - تعالى - عني عن العالمين، ولكن لا بد من تحيل وجود العالمين ليظهر غي الحق - تعالى - في الوجود، كما يقال في صاحب المال إنه غني عن حاله بماله، أي المال هو الموجب له صفة الغنى عنه، أي فلا بد من وجود العالمين في الذهن لتعقل صورة الغنى عنهم، وأطال الشيخ محيي الدين^(٨) في بيان هذه المسألة، ثم قال: وهذه مسألة دقيقة لطيفة الكشف، وهي نظير كوننا سبباً للثناء على الله - تعالى - من حيث وجودنا، وأنه لا بد منا ليظهر لعباده تزييه عن صفاتنا، فما تنزه عن صفاتنا إلا بنا، وما وقع الثناء عليه إلا بنا، فهو غني عنا بنا في الدائرة العقلية دون الكشفية، فإن كونه غنياً إنما هو بفناءه^(٩) عنا، ولا بد من ثبوت هذا الغنى له نعتاً حتى يصح لنا تصوّر غناه

(١) "ك"، "ز"، "قرئنا".

(٢) "ك"، العبارة: "عني عن علمه لمعلومه".

(٣) "ك"، "لقدّم". (٤) "ب"، "خرجناه".

(٥) قوله: "وإن كان معلوم علمه فافهم..." ساقط من "ب".

(٦) عنوان هذا الباب في معرفة الأسماء الحسنى التي لرب العزة وما يجوز أن يطلق عليه منها لفظاً وما لا يجوز. انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٨٨/٧.

(٧) "د"، "اسم الباري". (٨) "د"، "أطال محيي الدين".

(٩) "ك"، "ز"، "لفناه".

عنا^(١)؛ لأننا لا نتعقل غناه إلا بنا^(٢)، ومن هنا قال سهل بن عبد الله^(٣): إِنَّ لِلرَّبِّوِيَّةِ سِرًّا لَوْ ظَهَرَ لَبُطِّلَ ظُهُورُ حُكْمِ الرَّبِّوِيَّةِ، أَتَشَبَّهِ وَهُوَ يُؤَيِّدُ مَا تَقْلَتَاهُ عَنْ بَعْضِهِمْ، وَأَمَّا عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ مِنَ الشَّرْهَانِ فَاللهُ -تعالى- غِنًى عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالْعَالَمُ هُوَ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ -تعالى- فِي وَجُودِهِ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ الْإِنْفَاقُ إِلَيْهِ طَرَفَةً عَيْنٍ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ يوصَفُ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ -تعالى- حرف "كُنْ" بِالْإِنْفَاقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَمْ يُخْرِجُ عَنْ صِلَةِ الْفَقْرِ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ خُرُوجُهُ قَطُّ لِصِفَةِ الْغِنَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ -تعالى- هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِحَرْفِ "كُنْ"، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ قُوَّةٌ عَلَى تَكْوِينِ شَيْءٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ -تعالى- حرف "كُنْ" لَا يَقُولُ لِشَيْءٍ "كُنْ" حَتَّى يَشَبَّهَهُ، فَمَا طَلَبَ إِلَّا مَا لَيْسَ عَنْده لِيَكُونَ عَنْده، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ مَا أَمَرَ بِالتَّكْوِينِ إِلَّا مَا هُوَ ثَابِتٌ فِي عِلْمِهِ لِيُسَبِّحَ عَلَيْهِ نَعْمَةً إِذَا أَوْجَدَهُ بِاسْتِدْعَاءِ ذَلِكَ الْمَعْلُومِ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَوْجِدَهُ، وَأَنَّ^(٤) يُخْرِجَهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ إِنَّ اللَّهَ -تعالى- أَوْجَدَنَا لَنَا لَا لَهُ، فَضْلًا مِنْهُ إِلَيْنَا؛ لِأَنَّا مَا تَرَحُّنَا فِي عِلْمِهِ حَالًا وَجُودَنَا وَحَالًا عَدَمًا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلِ الْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ: فَلَانَ غِنًى بِاللَّهِ، أَوْ غِنًى بِمَا مِنَ اللَّهِ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ الْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ: فَلَانَ مُسْتَعْفًى بِمَا مِنَ اللَّهِ لَا بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ الْغِنَى بِعَيْنِ الْحَقِّ -تعالى- لَا يَصِحُّ، فَلَوْ قَالَ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ، أَنَا جَوْعَانٌ، أَمَرَهُ بِأَكْلِ الرِّغِيْبِ، أَوْ عَطْشَانٌ، أَمَرَهُ بِشَرَبِ الْمَاءِ، وَمَا وَضَعَ اللَّهُ -تعالى- الْأَسْيَابَ سُدًى^(٥)، فَمَا أَغْنَى مَنْ شَاءَ

(١) "د": قوله: "ولا بد من ثبوت هذا الغنى له نعتا حتى يصح لنا تصور غناه عنا" ساقط، وهو مثبت في "أ" و "ك" و "ب" و "ز" والفنوحات.

(٢) هنا تنهي عبارة محيي الدين في الفتحاحات، ومنها: "وهي مسألة دقيقة لطيفة الكشف، فإن الشيء لا ينتسب إلى نفسه، فهو غني بنفسه عن نفسه لكونه عند نفسه....، وأما تزبيده عما يجوز علينا، فما وقع إنشاء عليه إلا بنا، فهو غني عنا بنا، لأن كونه غنيا إنما هو لغناه عنا، فلا بد من ثبوت هذا الغنى له نعتا". انظر: الفتحاحات المكية، ٣١٢/٧.

(٣) هو التستري، وقد تقدمت ترجمته قبلا.

(٤) "ك"، "ز"، "أ" ساقطة.

(٥) الكلام محيي الدين في الفتحاحات المكية، ٣١٣/٣.

من عبادته حقيقةً إلا بالكون، ولا يصح لأحد أن يكون^(١) غنياً عن جميع المخلوقين عامة، إنما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره فقط، فقول بعضهم: "فلان قد استغنى بالله واستراح" جهل بحقيقة الأمر؛ إذ الحق - تعالى - من حيث ذاته لا يصح الاستغناء به، كما بسط الشيخ الكلام عليه في الباب الخامس والعشرين ومائة^(٢)، فاعلم ذلك وتأمله، فإنه نفيس، ونزه الحق - تعالى -^(٣) عن كل ما نزه عنه نفسه، والحمد لله رب العالمين.

[توهم حلول الحق واتحاده بالخلق]

ومما اجبت به من توهم في فهمه السقيم في الحق - تعالى - حلولاً واتحاداً بخلقه: اعلم يا أخي أن الله - تعالى - واحد لا شريك له، ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء، أو يحل هو في شيء، أو يتحد بشيء، ولما أحدث الله - تعالى - العالم لم يحدث بانجذاعه في ذاته حادث؛ إذ ليس هو محلاً للحوادث، فلا تحل الحوادث ولا يحلها، ويقال لمن قال: أنا الله؛ إن كنت صادقاً، فادفع الموت أو شيئاً من الآفات عن نفسك، أو أطلق بولك إذا حبس، أو اطلع لنا التل، أو أنزل لنا المطر مستغلاً بلا سؤال لرئيسك، فإنه تدحض حجته، ويعرف أن جميع ما فهمه طول عمره من كلام العارفين فهم سقيم.

[منع الشيخ محيي الدين مفهوم الحلول والاتحاد]

وقد صرح الشيخ محيي الدين بن العربي بمنع الحلول والاتحاد في نحو مائة موضع من الفتوحات^(٤)، فقال في الباب الثالث من "الفتوحات"^(٥): اعلم أنه ليس في أحد

(١) "ك": العبارة: "ولا يصح أن يكون أحد...".

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة مقام ترك الصبر وأسراره". انظر: الفتوحات السكية، ٣/٣١٢.

(٣) "ك"، "ز": "سبحاته وتعالى".

(٤) عنوان هذا الباب "في نزه الحق تعالى عما في طي الكلمات التي أطلقها عليه سبحاته في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من التشبيه والتجسيم، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً". انظر: الفتوحات السكية، ١/١٤٤، وفيه يقول: "تارتع العقول عن المحسوس هذه المنزلة، وهي التنزه أن يشارك بلماته، ولما يترك بفعله...، لأن ذاته غير مدركة لنا فنتبهه المحسوس، ولا فعلها كفعل اللطيف فيشبه اللطيف، لأن فعل الحق تعالى إبداع الشيء لا من شيء، والتلطف الروحاني فعل الشيء من الأشياء، فأي مناسبة بينهما". انظر: الفتوحات السكية، ١/١٤٦.

من الله شيء، ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجود، فقال في باب الأسرار: لا يجوز لعارف ولو بلغ أقصى مراتب التقريب أن يقول: أنا الله، بل حاشا العارف من هذا القول حاشاه، بل الواجب عليه أن يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقبل^(١).

وقال في الباب التاسع والستين ومائة^(٢): القديم لا يصح أن يكون محلاً للحوادث، ولا أن يكون حالاً في المحدث، وإنما الوجود الحادث والقديم مربوط بعينه بعض ربط إضافية العقلي وحكم لا ربط وجودي عين، فإن الرب لا يجمع مع العبد في مرتبة واحدة أبداً، وغاية الأمر أن يجمع بين العبد والرب في الوجود، وليس ذلك بجامع؛ لأننا إنما نعني بالجامع نسبة المعنى إلى كل واحد على حد نسبه إلى الآخر، لا إطلاق الألفاظ، وهذا غير موجود، انتهى.

وقالت الولية الكاملة سيدة العجم في "شرح المشاهد"^(٣): اعلم أن الربوبية مرتبطة بالعبودية ارتباطاً مقابلة، كارتباط حرف "لا"؛ لأن كل واحد من هذين الحرفين اللذين قد صارا واحداً في النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف، انتهى. أي فمعرفة العبد لله - تعالى - لا تعقل إلا بوجود العبد^(٤)، وأما حديث: "إذا أحببتني كنت سمعاً الذي يسمع به..." إلى آخره^(٥)، فليس المراد به معنى الحدوث في نفس الأمر، كما

(١) العبارة في الفتوحات: "فإنك إذا علمت حكمت ونسيت ونسيت وتصب، وكنت أنت أنت، وصاحب هذا العلم لا يقول قط أنا الله، وحاشاه من هذا حاشاه، بل يقول: أنا العبد على كل حال، والله الممنون علي بالإيجاد، وهو المتعالي". انظر: الفتوحات المكية، باب الأسرار، ٨٨/٨.

(٢) عنوان هذا الباب هو "في معرفة مقام ترك الأدب وأسراره". ولم أعر على كلام محيي الدين الذي أشار إليه الشعراوي في هذا الباب البتة.

(٣) تقدم بيان عن شرح المشاهد وسيدة العجم.

(٤) "د": قوله: "أي فمعرفة العبد لله - تعالى - لا تعقل إلا بوجود" ساقط.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق (الباب ٩-١٣٦٧)، ٤٨٣/٨، ورواه: "أن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالغرب، وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به..."، وفي مستدرك: "ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فأكون أنا سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، فإذا دعاني أحببته، وإذا سأني أعطيته، وإذا استنصرني نصرت، وأحب ما تعبدني عبدي به النصح لي". انظر: الإمام أحمد في المسند، ٢٥٦/٦ (مع تبين قليل في رواية الحديث)، والحكيم الترمذي في

قاله سيدي علي بن وفا^(١)، وإنما المراد به أن ذلك الكون الشهودي مُرتَّبٌ على ذلك الشرط الذي هو حصول الشهادة، ومن^(٢) حيث الترتيب الشهودي جاء الحدث لا من حيث التفسير الوجودي، وهذا نظير قوله -تعالى-: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾^(٣)، فإن المراد به أنه مُحَدَّثُ التزول، لا مُحَدَّثُ الوجود، كما يُقال: حَدَّثَ الليلة عندنا ضيف، مع أن عُمره قد يكون مائة سنة وأكثر، انتهى.

وقال في الباب الخامس والستين وثلاثمائة^(٤): اعلم أنه أولاً نداء^(٥) الحق -تعالى- لنا، ونادانا أنه ما تميز عنا، ولا^(٦) تميزنا عنه، ففصل -تعالى- نفسه عنا في الحكم، كما فصلنا نحن أنفسنا عنه، فلا حلول ولا اتحاد، انتهى^(٧).

وقال في باب الأسرار: من قال بالحلول فهو معلول، وهو صاحب مرض لا يزول^(٨)، ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه، ألا ترى إلى قوله: "كنت سعة

نساء الأصول، ١/٤٩٣، ٢/٤٩١، ٢/٢١٨، وروايته ثم: "إذا أحببت عبدي كنت سعة وبصره وبسده ورجله، في يسع، وي بصر، وي يمش، وي يحل، وي يحل، وي يعل"، والطبري في الكبير، (٧٨٣٣)، والمجتمعي في مجمع الروايات، كتاب الصلاة (٣٤٩٩)، ٢/٤٢٧.

(١) "ك": "رضي الله عنه"، وقد نقلت ترجمته.

(٢) "ك"، "ز": "فمن".

(٣) (الأنبياء، الآية ٢)، وقد ضرب هذا المثال محيي الدين في الفتوحات، ٤٦/٨.

(٤) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل أسرار اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه وحاله على الأكران". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤٢/٦.

(٥) "ب": "بدء"، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى البتة.

(٦) "ك"، "ز": "وما".

(٧) عبارة محيي الدين في معرض حديثه عن قول الحق -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِدِ شَيْءٍ﴾، وهو أشبه بـ "التبصير"، وفيها يقول: "وإن التزوية من التشبيه والآية واحدة، وهي كلامه عن نفسه على حجة التعريف لنا بما هو عليه في ذاته، تفصل بليس، وأثبت به، وأما ندائه -تعالى- للعالم وبداء العالم له، فمن حيث الانفصال فهو يبادي: "يا أيها الناس"، ونحن ننادي: "يا ربنا"، لفصل نفسه عما كما فصلنا أيضاً أنفسنا عنه، فتميزنا، وأين هذا المقام من مقام الاتصال إذا أحبنا، وكان سماعاً وبصرنا...". انظر: الفتوحات المكية، ٤٨/٦.

(٨) عبارته: "من قال بالحلول فهو معلول، وهو مريض لا دواء له، ولا طبيب يسعى في شفاؤه".

انظر: الفتوحات المكية، ١٣٩/٨.

الذي يسمع به"، فأتيتك بإعادة الضمير إليك، ليدل عليك، ولم يقل بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، فليعلم أن من فصل فيعلم ما فعل، ومن وصل فقد شهد على نفسه بأنه فصل حتى وصل، والشئ الواحد^(١) لا يصل نفسه، فأنهم^(٢).

وقال في باب الأسرار أيضاً: لو حل بالحادث القديم، نصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلاً^(٣). وقال فيه أيضاً: أنت أنت، وهو هو، فاحذر أن تقول كما قال العاشق:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا^(٤)

فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة، لا والله، فإنه جميل، والجهل لا يستطيع تعقله حقاً، فلا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله^(٥)، فلا تقل: أنا هو، وتغالط^(٦)، فإنتك لو كنت هو لأحطت به، ولم^(٧) تجهله، ولا شيئاً من مصنوعاته، وتراك جاهلاً بالله^(٨) وبمصنوعاته.

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين^(٩): من أعظم دليل على نفي القول بالحلول^(١٠) والاتحاد الذي ربما توهمه بعضهم علمك عقلاً بأن الشمس هي التي اناضت على القمر النور، وأن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء مشهود، لأنها لم تنتقل إليه

(١) "ك": العبارة: "والشئ لا يصل...".

(٢) انظر: يحيى الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٢٩/٨.

(٣) انظر: يحيى الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٠٦/٨.

(٤) هذا شعر بيت من الرمل من مقطوعة للحلاج، انظر: الحلاج، الأعمال الكاملة، ٣٣٠، والحسين بن منصور الحلاج: حياته وشعره ونثره، ١٠٦.

(٥) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٦) حسنا ينتهي كلام يحيى الدين في باب الأسرار، وفيه يقول معلقاً على قول الشاطح: "ففرق واعتد الفرقان تكس من أهل البرهان،... فلا تغالط نفسك بأن تقول: أنا هو، وهو أنا". انظر: الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٢١/٨.

(٧) "ك": "ولن".

(٨) "ك"، "ز": "تعالى".

(٩) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب وعالم الشهادة من الحضرة الموسوية". انظر: يحيى الدين، الفتوحات المكية، ٤٢٦/٤.

(١٠) "ك": "على نفي الحلول".

بذاتها، وإنما القصر محل لها، فكذاك العبد ليس فيه من خائفه شيء، ولا حل فيه^(١).
وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة^(٢) في الكلام على اسمه - تعالى -
"البدیع" بعد كلام طويل: وهذا يدلُّك على أن العالم ما هو عين الحق تعالى، ولا حل فيه
الحق تعالى، إذ لو كان عين الحق تعالى^(٣)، أو حل فيه، لما كان قنينا أو بديعا^(٤).
وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة^(٥): لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته،
والملك عن ملكيته، ويتحد بالحق تعالى، لصح انقلاب الحقائق، وخرج الإله عن كونه
لها، وصار الخلق حقاً، والحق خلقاً^(٦)، وما وثق أحد بعلم، وصار المحال واجباً،
اشبه^(٧).

وقال في الباب الثامن والأربعين^(٨): الوجود كله رب وعبد، وكل عبد مخلوق^(٩)،
فمن نفى المخلوق^(١٠) في وقت ما فقد خرج عن مقام الكمال، وكان صاحب حال
وسكر، لا صاحب علم وتحقيق، وقال الشيخ في "لوائح الأنوار": لا يقدر عبد مقرب
ولو ارتفعت درجته في التقرب إلى حضرة قاب قوسين أو أدنى أن يقول إن العالم عين

(١) انظر عبارة محي الدين في الفتوحات المكية، ٤٣١/٤.

(٢) ما ورد في "د" و "ك" و "ز": في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة، وليس ذلك كذلك، وإنما
في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة، وعنوانه: في معرفة الأسماء الحسنى التي لرب العزة: حضرة
الإبداع. انظر: الفتوحات المكية، ٤٥/٨.

(٣) "د"، "ز": "عين الحق".

(٤) عبارة محي الدين: "وهذا يدلُّك على أن العالم ما هو عين الحق، وإنما هو ما ظهر في الوجود
الحق، إذ لو كان عين الحق ما صح كونه بديعا". انظر: الفتوحات المكية، ٤٧/٨.

(٥) عنوان هذا الباب: في معرفة منزل الفرق بين مدارج الملائكة والنبين والأولياء من الحضرة
الحمدية، انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٧٧/٥.

(٦) "د" قوله: "والحق خلقاً" ساقط، وهو مثبت في الفتوحات المكية، ٧٨/٥.

(٧) زاد في الفتوحات: "وصار الواجب ممكناً ومحالاً، والمحال واجباً، وانفسد النظام، فلا سبيل إلى
قلب الحقائق...". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٧٨/٥.

(٨) عنوان هذا الباب: في معرفة "لما كان كذا لكذا، وهو إثبات العلة والسبب". انظر: محي الدين،
الفتوحات المكية، ٣٩٥/٢.

(٩) جاء في الفتوحات: "فالوجود منقسم بينك وبينها لأنه مقسوم بين رب وعبد، فالقديم الرب،
والحدث العبد". انظر: الفتوحات المكية، ٢٢٤/٨.

(١٠) "ك"، "ز": العبارة: "وكل عارف نفى مخلوقاً في...".

الحقّ - تعالى - أبداً، وانظرْ إلى ذاتِكَ، فَتَعْلَمُ قطعاً أَنَّكَ واحدٌ، لكنْ تعلمُ أَنَّ عَيْنَكَ غيرَ حاجِبِكَ^(١)، وبذلكَ غيرُ رَجَلِكَ، إلَيَّ غيرَ ذلكَ كَمَا ذَكَرْتَاهُ فِي كِتَابِ "فَرَائِدِ" الْفَلَائِدِ فِي عِلْمِ الْعَقَائِدِ^(٢)، فَرَأِجَعُهُ، وَمَنْ فَيَهْمُ مَا قُلْنَاهُ^(٣) عَرَفَ أَنَّ عَطْطاً مَنْ قَالَ: "أَنَا اللَّهُ" لَا شَكَّ فِيهِ^(٤)، وَكَذَلِكَ مَنْ فَيَهْمُ ذَلِكَ عَرَفَ مَعْنَى قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿قُلِ الْآرُؤُوسُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٥).

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالسَّبْعِينَ وَثَلَاثِينَ^(٦) مِنْ "الْفَتْوحَاتِ" بَعْدَ كَلَامِ طُولِي: فَالْقُلُوبُ بِهَ هَائِمَةٌ، وَالْعُقُولُ فِيهِ^(٧) حَائِرَةٌ، يَرِيدُ الْعَارِفُونَ أَنْ يَفْصِلُوهُ عَنِ الْعَالَمِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُودِ مِبَالِغَةً فِي التَّنْزِيهِ، فَلَا يَقْدِرُونَ، وَيُرِيدُونَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ مِنْ شِدَّةِ الْقُرْبِ عَنِ الْعَالَمِ، فَلَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ لَهُمْ، فَيَهْمُ مُتَحَيِّرُونَ مُمَسِّكُونَ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَتَارَةً يَقُولُونَ هُوَ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: مَا هُوَ^(٨)، وَتَارَةً يَقُولُونَ: هُوَ مَا هُوَ^(٩)، فَتَحَيَّرُوا فِي ذَاتِهِ، كَمَا تَحَيَّرُوا فِي صِفَاتِهِ، وَأَتَشَدَّوْا:

وَمِنْ عَجَبِ آتِي أَحْنُ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ دَائِماً وَهُمْ مُعَيَّ

(١) "ك"، "ب": "عينك غير حاجبك".

(٢) "ك"، "ز": "قوائد"، وهو تصحيف.

(٣) تقدم ذكر هذا الكتاب في باب القول على تأليف الشعرائي.

(٤) "ك"، "ز": "ومن فهم عين ما قلناه".

(٥) "ز": "عرف عطاء من قال...". "ب": "العبارة ملتبسة فيهما؛ وهي: "عرف من قال أنا الله" خطأ لا شك فيه".

(٦) (الإسراء: الآية ٨٥).

(٧) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل سر وسرين وثائق عليك بما ليس لك، وإحابة الحق إليك في ذلك لمعنى شرفك به من حضرة محمدية". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢٢/٦.

(٨) "ك"، "ز": "فيه" ساقطة.

(٩) "ك": "ما هو هو".

(١٠) العبارة في الفتوحات: "ألا ألسة ناطقة، والقلوب به هائمة عاشقة، والألباب فيه حائرة، يروم العارِفون أن يَفْصِلُوهُ مِنَ الْعَالَمِ فَلَا يَقْدِرُونَ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوهُ عَنِ الْعَالَمِ فَلَا يَتَحَقَّقُ لَهُمْ ذَلِكَ، فَيَهْمُ بِعَجْزٍ، فَتَكُنُّ لُغْهَامُهُمْ، وَتَحْيِرُ عَفْوَهِمْ، وَتَتَنَاضَى عَنْهُ فِي التَّصْيِيرِ أَلْسِنُهُمْ، يَقُولُونَ فِي وَقْتٍ هُوَ، وَفِي وَقْتٍ هُوَ مَا هُوَ، فَلَا تَسْتَطِيعُ لَهُمْ فِيهِ قَدَمٌ". انظر: الفتوحات المكية، ٢٢٤/٦.

وَتَكْبِهِمْ عَنِّي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَتَشْتَقِقُهُمْ رُوحِي وَهُمْ بَيْنَ أَصْلَعِي^(١) أَتَشْهَى.
وَكَانَ سَيِّدِي عَلَيَّ بِنُ وَفَا يَقُولُ: مرادُ القومِ بلفظِ الاتحادِ^(٢) حيثُ أَطْلَقُوهُ فَنَاءً
مِرَادِهِمْ فِي مُرَادِهِ تَعَالَى، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ مُرَادٌ فِي غَيْرِ مُرَضَاتِهِ، فَكَانَ الْمُرَادَانِ مِنْ مُرَادِ ذَاتِ
وَاحِدَةٍ^(٣)، وَانْتَدُوا:

وَعِلْمُكَ أَنَّ كُلَّ الْأَمْرِ أَمْرِي هُوَ الْمَعْنَى الْمُسَمَّى بِالْإِحَادِ، أَتَشْهَى^(٤)
أَيَّ^(٥) كَمَا يَقَالُ: فَلَانُ بَيْتُهُ وَبَيْنَ فَلَانِ الْإِحَادِ، لَا يَعْنُونَ أَنَّ ذَاتَهُ أَتَصَلَّتْ بِذَاتِ
الْآخَرِ، فَصَارَتْ وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرَاعِي مُرَادَ الْآخَرِ^(٦)، وَتَعْرِفِي
إِنَّ عِبَادَ الْأَوَّلَانِ، فَضْلًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ، مَا تَجَرَّوْا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا الْهَيْبَةَ هِيَ اللَّهُ، وَإِنَّمَا
جَعَلُوهَا مَرْتَبَةً دُونَ اللَّهِ^(٧) يَقُولُهُمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٨)، فَكَيْفَ يَقْظُنُ
أَحَدٌ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ -تَعَالَى- أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالْإِثْنَادِ بِالْحَقِّ -تَعَالَى- عَلَى حَذِّ مَا يَتَعَلَّقُهُ الْعَوَامُّ،

(١) الشعر من الطويل لأي مدين، من قصيدة سطلما:

شلتكم عقلي وطرفي ومسلسلي ورؤيحي وأحشائي وكلّي بأجمع

ورواية البيت في طبعة دار الكتب العلمية والمطبعة المصرية للكتاب:

ومن عجب أي أحسن إليهم وأسأل عنهم من أرى وهم معي

وترسلهم عيني وهم في سوادها وشلتهم قلبي وهم بين أصلعي
أما الرواية في "جامع التفحات القدسية":

ومن عجب أي أحسن إليهم وأسأل شوقا عنهم وهم معي

وتكبيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أصلعي

انظر: الفتوحات المكية، طبعة دار الكتب العلمية، ٢٧٢/١، وطبعة الهيئة العامة للكتاب، السفر الثالث، ١٤١، وجامع التفحات القدسية، ٤٥.

(٢) "ك": "مراد القوم بالاتحاد".

(٣) قوله: "فكان المرادان من مراد ذات واحدة" ساقط من "د".

(٤) الشعر من الوافر، وقائله علي بن وفا، وقيله:

إذا ما كان قصدك عين قصدي فذلك دليل صدقت في الوداد

انظر: ديوانه، ٢٩.

(٥) "ك": "أي" ساقطة.

(٦) "د": قوله: "فصارت واحدة، وإنما يعنون أن كل واحد منهما يراعي مراد الآخر" ساقط.

(٧) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٨) (الزمر، الآية ٣).

هذا كالمُحالٍ في حَقِّهم، وما مِنْهم أَحَدٌ إِلَّا وهو يَعْلَمُ وَيَحْقُقُ في رَبِّهِ أَنْ حَقِيقَتَهُ -تعالى- مُعَالَفَةٌ لِسَائِرِ الْحَقَائِقِ، وَأَنْ كُلُّ مَا عَطَرَ بِأَلْيَالِ اللَّهِ -تعالى- بِعِلَالَتِهِ، لَا سِمْما الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْحَقِّقُ^(١) مُحْصِي الَّذِينَ بَنَى الْعَرَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْلِيَاءِ تَنْزِيهاً لِلْحَقِّ حُلًّ وَعِلًّا، كَمَا يَتَّسِقُ لِلذَّكَاءِ نَصُوحُهُ السَّابِقَةُ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ، فَإِنَّهَا كُلُّهَا تُكَذِّبُ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ^(٢).

وقَدْ ذَكَرَ فِي الْبَابِ الْخَادِي عَشَرَ وَثَلَاثِينَ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ" مَا نَصَّهُ^(٣): اعْلَمْ يَا أَحْمِي إِلَيَّ لَا اعْلَمْ أَحَدًا إِلَّا فِي عَصْرِي تَحَقَّقَ بِمَقَامِ الْعُودَةِ الْخَالِصِ غَيْرِي، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ أَحَدٌ، فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ عَلَيَّ، فَإِنِّي بُلَغْتُ مِنْ مَقَامِ الْعُودَةِ الْإِلَاقَةِ بِأَمْثَالِي غَايَةً^(٤)، فَإِنَّا الْعَبْدُ الْمَحْضُ الْخَالِصُ الَّذِي لَا أَعْرِفُ لِلرُّبُوبَةِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِ طَعْمًا، وَقَدْ مَتَّحَنِي اللَّهُ -تعالى- ذَلِكَ هِبَةً مِنْهُ تَعَالَى، وَلَمْ أَنْلِ بِعَمَلِي^(٥)، وَأَرْجُو مِنْ فَضْلِهِ -تعالى- أَنْ يُمَسِّكَ ذَلِكَ عَلَيَّ حَتَّى الْقَاءِ، ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَتَجَمَّعُونَ﴾^(٦)، أَشْهَى.

وَكَانَ سَيِّدِي عَلِيٌّ بْنُ وَفَا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَتِ الْقُلُوبُ السَّالِمَةُ تَحْنُ إِلَى التَّزْيِيدِ أَكْثَرَ مِنَ التَّخْيِيرِ؛ لِأَنَّ التَّزْيِيدَ هُوَ الْأَصْلُ، وَالتَّخْيِيرُ إِنَّمَا هُوَ تَنْزُلٌ لِلْعُقُولِ، وَمِنْ شَأْنِ الذَّاتِ الْإِطْلَاقُ لِذَاتِهَا، وَتَسَاوِي السَّنَسْبِ لِصِفَاتِهَا، فاعْلَمْ ذَلِكَ، وَنَزَّةَ رَبِّكَ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ الْخَلْقِ أَيْنَهُ لِلْحَقِّ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَهُ أَيْنَةٌ تَلْقَى بِهِ أَحَدًا مِنْ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٧)، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ

(١) "ك": "ز": "المحقق" ليست بهما.

(٢) "ك": "ز": قوله: "فإنها كلها تكذب من نسب إلى القول بالحللول والإتِّحاد" ساقط.

(٣) عنوان هذا الباب "في معرفة التواضع الاختصاصية الغيبة من الحضرة المحمدية". انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٦٠/٥.

(٤) "ك": "ز": "غاية".

(٥) "ك": "يعلم".

(٦) (يونس، الآية ٥٨)، انظر عبارة عبي الدين في الفتوحات المكية، ٦٠/٥.

(٧) (الحديد، الآية ٤).

-تعالى- قديمٌ، والعالمُ محدثٌ، فكَمَا لَا يُعْقَلُ لَهُ^(١) -تعالى- أَيْنَةُ قَبْلَ خَلْقِهِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، فكذلك لَا يَكُونُ لَهُ أَيْنَةُ بَعْدَ خَلْقِهِ لَهُمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ -تعالى-: ﴿ وَهُوَ مُتَعَزِّزٌ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(٢) فَالْأَيْنَةُ رَاجِعَةٌ لِلْخَلْقِ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُحَاطَبُونَ فِي الْأَيْنِ اللَّزِمِ لَهُمْ لَا لَهُ تَعَالَى، فَهُوَ مَعَ كُلِّ صَاحِبِ أَيْنٍ بِإِلَّا أَيْنٍ لِعَدَمِ مُمَاتِلَتِهِ لَخَلْقِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُودِ.

وَقَدْ قَالَ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالسَّبْعِينَ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ"^(٣): اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَتْ مَعِيَةُ الْحَقِّ -تعالى- أَنَا بَائِنٌ، فَإِنَّ مَنْ لَا أَيْنَةَ لَهُ لَا يَقِلُّ الْمَكَانُ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: الْمَكَانُ لَا يَقِلُّ الْمَكَانُ، فَإِنَّمَا كَانَ لَا أَيْنَ لِمَنْ لَهُ أَيْنٌ^(٤)، فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَيْنُ لِمَنْ لَا أَيْنَ لَهُ.

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالْأَرْبَعِينَ^(٥): إِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ -تعالى- الْخَلْقَ بِالسُّجُودِ، وَجَعَلَهُ مَقَامَ قَرْبِهِ يَقُولُهُ: ﴿ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾^(٦)، وَيَقُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ"^(٧)، (إِعْلَامًا لَنَا بِأَنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَا يُنْحَرِزُ، فَنَسَبَةُ الْقَوْفِيَةِ إِلَيْهِ -تعالى- كَسَبَةِ التَّحَرُّزِ إِلَيْهِ^(٨) عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، فَالسَّاجِدُ يَطْلُبُ السُّفْلَ بِوَجْهِهِ وَيَذِيهِ، لَا يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ -تعالى- شَيْئًا قَطُّ مِنْ جِهَةِ السُّفْلِ^(٩)، وَإِنْ كَانَ يُعْتَقَدُ فِيهِ -تعالى- عَدَمُ التَّحَرُّزِ، لَكِنَّ هَذَا مُشَبَّهُ الْخَلْقِ مَعَ رَبِّهِمْ، وَقَدْ زُلْ نَظَرُ بَعْضِهِمْ مِنْ فَوْقِيَةِ الْمَكَانَةِ إِلَى شُهُودِ فَوْقِيَةِ الْمَكَانِ، فَكَانَ^(١٠) يَشْهَدُهَا، ثُمَّ يَصْرِفُهَا فِي الْحَالِ عَنْ ذَهَبِهِ بِخِلَافِ الْأَكَابِرِ، فَإِنَّهُمْ قَبِتُوا شُهُودًا^(١١) عَلَى فَوْقِيَةِ الْمَكَانِ، وَلَمْ يَزَلُوا، فَهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ -تعالى-^(١٢) مِنْ جِهَةِ

(١) "كَلَمْ": "يَعْقِلُ". (٢) (الحديد، الآية ٤).

(٣) عنوان هذا الباب "في الحج وأسراره". انظر: الفتاوى المكية، ٤١٩/٢.

(٤) "كَلَمْ": "فَمَاذَا كَانَ لَا أَيْنَ لِأَيْنٍ مَنْ لَهُ أَيْنٌ".

(٥) عنوان هذا الباب "في معرفة إلهما كان لكلنا"، وهو إثبات العلة والسبب". انظر: الفتاوى المكية، ٣٩٥/١.

(٦) (الفلق، الآية ١٩). (٧) تقدم شرحه.

(٨) "كَلَمْ": "إِلَيْهِ تَعَالَى".

(٩) انظر حديث يحيى الدين في الفتاوى المكية، ٣٩٩/١، وقد تصرف الشعراوي بالعبارة تصرفاً ظاهراً.

(١٠) "كَلَمْ"، "زَلْ": "فَصَارَ".

(١١) "كَلَمْ"، "زَلْ": "قَبِتُوا عَلَى شُهُودِ".

(١٢) "دَلَمْ"، "زَلَمْ": "تَعَالَى" ليست فيهما.

السَّمَاءِ مِنْ حَيْثُ إِثْنَا قِبْلَةُ الدُّعَاءِ كَالْكَبَةِ قِبْلَةُ الصَّلَاةِ^(١)، مَعَ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ جِهَةَ الْفَوْقِ كَجِهَةِ السَّمَلِ عَلَى حَذِّ سِوَاهِ، وَمِنْ هُنَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا جَعَلَ الشَّارِعُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-^(٢) السُّجُودَ مَحَلَّ قُرْبِهِ مِنَ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا- لِثَبْتِ الْحَقِّ^(٣) عَلَى الْإِتِّبَادِ^(٤) الْحَقِّ -تَعَالَى- فِي جِهَةٍ دُونَ جِهَةِ لِعَدَمِ دُخُولِهِمْ فِي حَضْرَةِ الْكَوْنِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَاعْلَمْ ذَلِكَ قَوْلَهُ نَفْسِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ مَعِيَّةَ الْحَقِّ مَعِيَّةٌ تُحَيِّرُ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنْ مَعِيَّةَ -تَعَالَى-^(٥) مَعَنَا كَمَعِيَّةِ مُتَحَيِّرِينَ، فَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ، وَإِبْضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْمَعِيَّةِ مُصَاحَبَةٌ كُلِّ شَيْءٍ لِأَخَرٍ سِوَاهُ كَانَا وَاجِبِينَ كُنَاثِ الْحَقِّ -تَعَالَى- مَعَ صِفَاتِهِ، أَوْ جَائِزِينَ كَالْإِنْسَانِ مَعَ مِثْلِهِ، أَوْ وَاجِبًا وَجَائِزًا، وَهُوَ مَعِيَّةُ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا- مَعَ خَلْقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْمَقْبُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَهُوَ مَتَّكِرٌ﴾^(٦)، وَنَحْوَهَا مِنَ الْآيَاتِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْخُسْبِيِّينَ﴾^(٧)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٨)، وَذَلِكَ لِمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ أَنَّ مَدْلُولَ الْأَسْمِ الْكَرِيمِ إِنَّمَا^(٩) هُوَ الذَّاتُ الْأَوْزَمَةُ لَهَا الصِّفَاتُ الْمُتَعَيَّنَةُ لَتَعَلُّقِهَا بِجَمِيعِ الْمُسْكِنَاتِ، وَلَيْسَ كَمَعِيَّةِ مُتَحَيِّرِينَ لِعَدَمِ مُسَائِلَتِهِ -تَعَالَى- بِخَلْقِهِ، فَإِنَّ مِنْ لَازِمِهِمُ الْجَسَمِيَّةِ الْمُفْتَقِرَةَ لِلْوَازِمِهَا الضَّرُورِيَّةِ كَالْحُلُولِ فِي الْجِهَةِ الْأَبْنِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَائِيَّةِ، بَلْ مَعِيَّةَ -تَعَالَى- كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ^(١٠)، وَعَدَمِ الشَّيْبِ وَالْقَطَرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١)، وَبِهَذَا يُدْفَعُ مَا تَوَهَّمَهُ هَذَا الْمُتَوَهَّمُ، وَانْقَضَى الْقَوْلُ بِلزومِ الْحُلُولِ فِي حَيِّزِ الْكَائِنَاتِ عَلَى

(١) "ك": كالكعبة، فإثنا قِبْلَةُ الصَّلَاةِ.

(٢) "ك": "ر": "صلى الله عليه وسلم" ليست فيهما.

(٣) "ك": "ر": "الحق". (٤) "ر": "يتبعوا".

(٥) "ك": "ر": "أن معية الحق". (٦) "ك": "ر": "كل" ساقطة.

(٧) (الحديد، الآية ٤).

(٨) (التكوير، الآية ٦٩).

(٩) (الأفعال، الآية ٤٦).

(١٠) "ك": "ر": "الكمال والجلال". (١١) (الشورى، الآية ١١).

القول بمعنيّة الذات مع أنّه يلزم على القول بمعنيّة الصفات دون الذات لانفكاك الصفات عنها وتبعدها وتحرّرها وسائر لوازم المعنيّة التي لا يصلح^(١) إطلاقها على الذات المقدّسة، ولا على صفاته تعالى، وحينئذٍ فيلزم من معنيّة الصفات التي سبّها العلم بشيءٍ بمعنيّة الذات له وعكسه لتلازميهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الإمكان؛ لأنّه -تعالى- مبين خلقه تبييناً مطلقاً.

وكان سيدي محمد المغربي الشاذلي^(٢) -رحمه الله- يقول: يلزم من القول بأن الله -تعالى- معنا بالعلم فقط اشتغال^(٣) الصفات بأنفسها دون الذات، وذلك ممنوع، ولعلّ من قال ذلك إنّما قاله قياساً على صفات الخلق، فإنّه ربما رأى الإنسان يُسلب علمه وذاته كاملة لم ينقص منها شيءٌ، فظنّ أنّ الحقّ -تعالى- كذلك، وهو قياسٌ فاسدٌ.

وقد قال الشيخ محيي الدين^(٤) في باب حضرات الأسماء من "الفتوحات"^(٥): اعلم أنّه ليس في حضرات الأسماء الإلهية من يُعطي الثبوت^(٦) على أنّ الحقّ -تعالى- معنا بذاته إلاّ الأمين الرقيب، لأنّه من الرقيب، وهو أنّ هلك ربة الشيء، ثمّ إذا ملكت ربة ذلك الشيء تبعته صفاته كلّها وما ينسبُ إليه تعالى^(٧)، كما أشار إليه قول الأعرابي لما

(١) "ك": "لا يصح".

(٢) "د"، "ك": "علي المغربي"، وليس ذلك كذلك، وإنّما هو "محمد المغربي الشاذلي"، من مشايخ الشعراوي السدين أخذوا الطريق عن الشيخ أبي العباس المرسي، وهو كذلك من مشايخ الجلال السيوطي، كما جاء في لطائف الفن للشعراوي. كان من أولاد الأكراد، وإنّما اشتهر بالعربي لأن أمه تروحت مغربية، كان يخيّل بالكلام في الطريق، فقد سئل أن يصف رسالة فيها، فقال -كما يقول الشعراوي-: "أصف الطريق لمن، هاتوا لي رافعا صادقاً إذا قلت له اخرج عن ملكك وغيبالك خسر، فسكتوا"، من كلامه: "الساكنون ثلاثة: جلاليّ وهو إلى الشريعة أميل، وجهليّ وهو إلى الفلسفة أميل، وكلامي جامع لما على حد سواء، وهو منهما أكمل وأفضل"، مات سنة ١٢٧٩ هـ وعشرين وتسعمائة، ودفن بالقرقفة. انظر ترجمته: الشعراوي، لواقع الأتوار، ٦٧٩/٢، والعري، الكواكب السائرة، ٧٩/١، والبيهقي، جامع كرامات الأولياء، ٢٦٠/١.

(٣) "ب"، "ز": "استقلال".

(٤) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٥) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٣٧٢/٧.

(٦) "د": "الثبوت"، "ب"، "ز": "استتبه"، ولمن ذلك تصحيف صوابه: "الثبوت"، وهو ما ورد في الفتوحات المكية.

(٧) "ك"، "ز": "تعالى" ليست فيهما.

قَالَ لَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- ^(١) لَيُضْحِكُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَذَا ^(٢)، فَقَالَ: لَا نَعْدَمُ خَيْرًا مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ"، فَإِنَّهُ أَنْتَبَحَ الضَّحْكَ تَوَابِعَهُ وَأَثَارَهُ ^(٣).

وَسَعَتْهُ سَيْدِي عَلِيًّا الْمَرْصُفِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٤) يَقُولُ: إِنَّمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ^(٥) [إشارة إلى أَنَّ "الْأَيْنَ" فِي الْآيَةِ إِنَّمَا أُطْلِقَ لِإِفَادَةِ "مَعَ" اللَّهِ -تَعَالَى- لِلْمُخَاطَبِينَ فِي الْآيَةِ الْإِزْمَ لَهُمْ لَا لَهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُقَالُ ^(٦) فَهُوَ مَعَ كُلِّ صَاحِبِ أَيْنٍ بِلَا أَيْنٍ، وَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَغْرِبِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ ^(٧): مَعِيَةُ الْخُلُقِ -تَعَالَى- أَزَلِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا أَجْدَاءٌ لِثَبُوتِ الْأَشْيَاءِ أَزَلًا فِي عِلْمِهِ -تَعَالَى- تَمَيُّنًا بِأَنَّهَا لَتَعْلُقُهَا بِهِ تَعْلُقًا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ لِاسْتِحَالَةِ كَوْنِ عِلْمِهِ الْوَاجِبِ وَجُودَهُ بِغَيْرِ مَعْلُومٍ، وَاسْتِحَالَةِ حَرَكَاتِ تَعْلُقِهِ بِالذَّاتِ ^(٨) لِمَا يَلْزَمُ مِنْ حَدُوثِ تَصَرُّفَاتِهِ ^(٩) فِي عِلْمِهِ -تَعَالَى- بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ ^(١٠)، وَكَمَا أَنَّهَا أَزَلِيَّةٌ، كَذَلِكَ هِيَ أَبَدِيَّةٌ، أَيْ لَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ، فَهُوَ مَعَهَا بَعْدَ حَدُوثِهَا مِنَ الْعَدَمِ عَيْنًا عَلَى وَفْقِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ تَعَيَّنًا، وَهَكَذَا إِنَّمَا كَانَتْ بِسَاطِئِهَا ^(١١) وَتَرْكِبِهَا وَإِضَافَتِهَا وَتَجَرِيدِهَا ^(١٢) مِنَ الْأَزَلِ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ، أَتَمَّتْ.

وَكَانَ ^(١٣) الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْمَنْصُورِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ^(١٤) يَقُولُ: الْمَعِيَةُ خَيْرٌ، وَلَكِنْ يَجْمَعُهَا الْمَعِيَةُ الْجَامِعَةُ الشَّامِلَةُ لِكُونِهِ -تَعَالَى- مَعَنَا إِنَّمَا كُنَّا فِي حَالِ كَوْنِهِ

(١) "ك"، "ز"، "تَعَالَى" لَيْسَتْ فِيهَا.

(٢) ضَامُ الْحَدِيثِ: "ضَحْكَ رَبِّنَا مِنْ قُوطِ عِبَادِهِ وَقَرَبِ غَيْرِهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُؤْضَحُّكَ الرَّبُّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ خَيْرًا مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ". أَعْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، ١١/٤، وَابْنُ مَاجَةَ فِي السُّنَنِ، ٨٥/١، وَرَقْمُهُ ٦٨، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٢٠٧/١٩-٢٠٨)، وَالْأَوْسَطِ (٤٨٨٥)، ٣٧٨/٣، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ (٢٧٨)، ١١٠/١.

(٣) الْفَرَسِيُّ: عَمِي الدِّينِ، الْقَتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٢٢٨/٦، وَفِيهَا يَقُولُ: "إِذَا مِنْ شَأْنٍ مِنْ يَضْحَكُ أَنْ يَتَوَفَّعَ مِنْهُ وَجُودَ الْخَيْرِ".

(٤) "ك"، "ز"، "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ". (٥) (الْحَدِيدُ، الْآيَةُ ٤).

(٦) "ك"، "ز"، "وَيُقَالُ سَاقَطَةً". (٧) تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فَبَيَّلَ لِقِيلَ.

(٨) "ك"، "ز"، "بِالْمَعْلُومَاتِ". (٩) "ك"، "ز"، "مَعْلُومَاتِهِ".

(١٠) "د"، "يَكُنْ". (١١) "ك"، "ز"، "فِي عَوَالِمِ بِسَاطِئِهَا".

(١٢) "ك"، "الْعِبَارَةُ: فِي عَوَالِمِ بِسَاطِئِهَا، وَإِضَافَتِهَا، وَتَرْكِبِهَا، وَتَجَرِيدِهَا".

(١٣) "ك"، "قَالَ"، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(١٤) "د"، "رَحِمَهُ اللَّهُ" لَيْسَتْ فِيهَا.

في العماء، في حال كونه -تعالى- مُستويًا على العرش، في حال كونه في السموات والأرض^(١)، في حال كونه -تعالى- أقرب إلينا من حبل الوريد، ولكل من هذه المعاني معية تخصها، وأطال في ذلك، ثم قال: واعلم أنه لا يجوز على الذات المقدسة معية، كما أنه لا يجوز أن يُطلق على الذات استواء على العرش؛ وذلك لأنه لم يرد لنا التصريح بذلك في كتاب ولا سنة، فلا نقول على الله ما لا نعلم^(٢)، فليُتأمل.

وكان^(٣) الشيخ محيي الدين -رحمه الله- يقول: الأدب أن يقال إن الله معنا، ولا نقول: نحن معه، لأننا لا نعلم ذاته بخلافه سبحانه وتعالى، فإنه يعلمنا، ويعلم أصلنا وفرعنا، وغاية ما قاله في المعية^(٤) إنها معية الصفات، وإن^(٥) لم تنفك عن الذات كما مر، فإن الأسماء تطلب العالم، والذات لا تطلب أحدا، فلا بد من معية الخلق مع الصفات ليظهر آثارها فيهم^(٦)، فريحهم بمن، وعقو عمن، ومتنق من، وهكذا^(٧).

وقال في باب الأسرار: لا^(٨) يشترط في المحاورة الجنس، لأنه علم في لبي، فالله جار^(٩) عبده بالمعية، وإن انفكت المثلية^(١٠).

وسمعت سيدي عليًا المرصفي -رحمه الله-^(١١) يقول: من الأدب والإيمان أن نقول إن الله -تعالى-^(١٢) معنا، ولا نقول: نحن مع الله، لأن الشرع ما ورد به، والعقل لا

(١) "ك"، "ز": "وفي الأرض".

(٢) "ب": "فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون".

(٣) "ك": "قال".

(٤) "ك": العبارة: "وغاية ما قاله إنها معية...".

(٥) "أ"، "د": "وإن" ساقطة. (٦) "د": "فيهم" ساقطة.

(٧) "د"، "ز": "وهكذا" زيادة فيها. (٨) "ك": "لا" ساقطة.

(٩) "ك": العبارة: "لأنه علم في لبي جار عبده بالمعية"، وليس ذلك كذلك في الفتوحات.

(١٠) "ك": "استفقلت"، وهو تصحيف، والعبارة في الفتوحات: "المحاورة لا تعلى من غير محاورة، المحاورة مراجعة الحديث في القديم والحديث، الجار أحق بصفته من صاحب نسيه، فإنكم بالأصل من أولي الأرحام، ومن أجل الالتئام والاتحاد، لا يشترط في المحاور الجنس، فإنه علم في لبي، الله جبار عبده بالمعية، وإن انفكت المثلية، والعباد حار الله في حرمه، ومطلع على حرمه". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ٧٤/٨.

(١١) "ك"، "ز": "رحمه الله تعالى".

(١٢) "ك": "تعالى" ليست فيها.

يُعْطِيهِ، وَلَوْلَا مَا نَسَبَهُ الْحَقُّ -تعالى- إِلَى نَفْسِهِ مِنَ الْمَعِيَةِ لَمْ يَقْدِرِ الْعَقْلُ أَنْ يَتَعَقَّلَهَا، لِأَنَّ الْحَقَّ -تعالى- ^(١) ظَاهِرُ الْمَعِيَةِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَلْقَى بِجَلَالِهِ كَمَا أَنَّهُ -تعالى- ظَاهِرُ الصَّحْبَةِ ^(٢) مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَلْقَى بِهِ، قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السُّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ" ^(٣)، وَالسُّفَرُ مَا حُوِذَ مِنَ الْإِسْقَارِ، وَهُوَ الظُّهُورُ.

قَالَ: وَلَا يَخْفَى أَنْ مَنْ يَقُولُ: "إِنَّ الْحَقَّ" ^(٤) -تعالى- مَعْنَى بَصَفَاتِهِ ^(٥) أَكْثَرُ أَذْهَابًا مِمَّنْ يَقُولُ إِنَّهُ -تعالى- مَعْنَى بِلَذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ الصِّفَةُ لَا تَفَارِقُ الْمُوصُوفَ؛ لِأَنَّ التَّصْرِيحَ بِمَعِيَةِ الذَّاتِ لَمْ يَرُدَّ لَنَا فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُورِدَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ -تعالى-: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ ^(٦)، وَقَوْلَهُ -تعالى- ^(٧): ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَعَنَا﴾ ^(٨)، فَانْظُرْ جَوَابَهُ، فَمَتَّعْنِي هَيْبَتَهُ، وَأَنَا أَعْتَقِدُ قُدْرَتَهُ عَلَى الْجَوَابِ عَنْهُ، فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٩).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ -تعالى- أَقْرَبَ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، فَكَيْفَ صَحَّ قُرْبُ إِبْلِيسَ مِنْهُ حَتَّى إِنَّهُ أَقْرَبُ بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْهُ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ قُرْبَ الْحَقِّ -تعالى- لَا يُكْفِي؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ ^(١٠) بِمَسَافَةٍ كَقُرْبِ الْخَلْقِ مِنْ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَهَذَا أَسْرَرٌ لَا تُسْطَرُّ فِي كِتَابٍ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، وَكُنْ مِنَ أَهْلِ الْفَتْرَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) "ك": قوله: "لأن الحق تعالى" ساقط، "ز": "فإن الحق تعالى..."

(٢) "ك": العبارة: "ظاهر من الوجه..."

(٣) أحسنه الإمام أحمد في المستدرج (٢٥٦/١)، والترمذي في السنن، كتاب الدعوات (٣٤٥٠)، ٥/

٢٧٦، ومسلم في الصحيح، كتاب الحج (١٣٤٢/٤٢٥)، الباب (٧٥)، شرح صحيح مسلم، ٩/

١١٨، والطبراني في الأوسط (١٥٢٨)، ٤١٧/١، والمجلسي في مجمع الزوائد، كتاب الأذكار

(١٧٠٨٤)، ١٣٤/١٠.

(٤) "ك": "إنه تعالى".

(٥) "ك"، "ز": العبارة: "معنا بصفاته دون ذاته".

(٦) (الحديد، الآية ٤).

(٧) "ك"، "ز": "تعالى" ساقط.

(٨) (التوبة، الآية ٤٠).

(٩) "د": نسوله: "فأردت أن أورد عليه قوله تعالى: "وهو معكم"، وقوله تعالى: "إن الله معنا"، فانظر

جوابه، فمتعنتي هيبته، وأنا أعتقد قدرته على الجواب عنه، فتأمل ذلك، والله أعلم" ساقط.

(١٠) "ك"، "ز": "ليس هو بمسافة".

[تَوْهَمُ أَنْ الْحَقَّ يَضْبِطُهُ اصْطِلَاحٌ]

وَمِمَّا أَحْبَبَ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- يَضْبِطُهُ اصْطِلَاحٌ، فَيَكُونُ مَا يَشْهَدُهُ مِنْهُ زَيْدٌ هُوَ مَا يَشْهَدُهُ مِنْهُ عَمْرُو، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ يُوْدِي إِلَى حَصْرِ الْحَقِّ -تعالى- وَقَدْ قَالَ -تعالى- عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَأَنَّهُ وَسَّعَ عَلَيْهِ﴾^(١)، وَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ -تعالى- قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ الشَّيْخُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، وَإِذَا كَانَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^(٣)، فَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَضْبِطَهُ اصْطِلَاحٌ، فَلَيْسَ مَا يَشْهَدُهُ مِنْهُ عَمْرُو جَمْلَةً وَاحِدَةً، وَبِهَذَا الْقَوْلِ عَرَفَهُ الْعَارِفُونَ، كَمَا قَالَهُ الشَّيْخُ فِي الْبَابِ الثَّامِسِ وَالسِّتِينَ وَثَلَاثِينَ مِنْ "الْفَتْوحَاتِ"^(٤)، فَلَا يَتَجَلَّى -تعالى- فِي شَأْنٍ وَاحِدٍ لِشَخْصَيْنِ، وَلَا فِي شَأْنٍ^(٥) وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: وَلَيْسَ فَوْقَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مَقَامٌ يُطَلَّبُ حُصُولُهُ يُضْبِطُ بِهِ التَّجَلِّيَاتُ أَبَدًا.

قَالَ^(٦): وَأَمَّا الْقِدَمَاءُ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْأَشَاعِرَةِ وَالْخَنَابِلَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ فَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَمْرِ مَضْبُوطٍ فِي صِفَاتِ الْحَقِّ جُلٍّ وَعَلَا، وَجَعَلُوا ذَلِكَ ضَابِطًا لِلْحَقِّ جُلٍّ وَعَلَا، مِنْ^(٧) لَعْنَتِهِ أخطأ، وَالَّذِي تَعَفَّدَهُ أَنْ أَتَمَّتْهُمْ يَقُولُونَ: تَعَالَى اللَّهُ عَنِ التَّفْيِيدِ بِحَالٍ دُونَ حَالٍ، وَلَعَلَّهُمْ إِذَا ضَبَطُوا ذَلِكَ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مَرَاتِبَ التَّجَلِّيَاتِ وَلَا يَشْعُرُونَ^(٨) بِهَا بِخِلَافِ الْكَمَلِ مِنَ الْعَارِفِينَ، فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ تَنَوُّغَ التَّجَلِّيَاتِ لِقُلُوبِهِمْ مَعَ الْأَنَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، وَلِذَلِكَ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَارِفٌ أَنْ يَوْصَلَ إِلَى عَارِفٍ آخَرَ صَوْرَةً مَا يَشْهَدُهُ مِنْ رَبِّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَبَدًا؛ وَلِذَلِكَ لَأَنْ كُلُّ وَاحِدٍ يَشْهَدُ مَنْ لَا مِثْلَ لَهُ، وَلَا يَكُونُ التَّوَصُّلُ إِلَّا بِالْإِمْتِنَانِ، فَعَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- لَا يَجِيءُ لَهُ تَجَلٍّ^(٩) فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ أَكْثَرَ

(١) (البقرة، الآية ٢٤٧). (٢) (الشورى، الآية ١١).

(٣) "د": قوله: "وَإِذَا كَانَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" ساقط.

(٤) عنوان هذا الباب هو "في معرفة منزل مفاتيح خزان الجود". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٩٨/٦.

(٥) "د": "ولا بشأن".

(٦) يعني بذلك محيي الدين، وعبارته في الفتوحات المكية، ١٣٣/٦.

(٧) "ك"، "ز": "كل من". (٨) "ك"، "ز": "ولا يعرفون".

(٩) "ك"، "ز": "عمل"، وهو تصحيف.

مِنْ أَنْ وَاحِدٍ، وَمِنْ هُنَا ^(١) كَانَ لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ تَكْيِيفُهُ -تَعَالَى- إِذَا شَهِدَهُ؛ لِأَنَّ التَّجَلِّيَّ لَا يُمْكِنُ لَهُ لَحْظَةٌ حَتَّى يَكْتِفِهِ وَيَمْتَلِئَهُ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يُخَيَّرُ عَلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَعْظَمٍ مِنْ نَعْيِ الْبَيْتِ ^(٢).

فَإِنَّ ^(٣) قَالَ قَائِلٌ: فَهَلِ الْكَافِ فِي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ^(٤) كَافٍ الصِّفَةِ أَوْ زَائِدَةٌ؟ فَاجْلُوبِ أَنْ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ قُضِيَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ لَا يُدْرِكُ فِيهَا بِالْقِيَاسِ وَلَا بِالنَّظَرِ، بَلْ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَا يَعْلَمُهُ الْحَقُّ -تَعَالَى- مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ -تَعَالَى- لَمْ يُفْصِحْ لَنَا عَنْ مُرَادِهِ بِهَا مِنْ كَوْنِهَا أَصْلِيَّةً أَوْ زَائِدَةً.

وَقَالَ الشَّيْخُ ^(٥) فِي بَابِ الْأَسْرَارِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ": مَا حَجَبَ الرُّجَالُ إِلَّا وَجُودَ الْأَمْثَالِ، وَلِهَذَا نَعَى الْحَقُّ -تَعَالَى- عَنْ نَفْسِهِ الْبَيْتَةَ تَنْزِيهَاً لِقُدْسِهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا تَصَوَّرَهُ الْعَقْلُ ^(٦)، أَوْ مَثَلَهُ، أَوْ عَيَّلَهُ هُنَالِكَ، فَالْهَذَا -تَعَالَى- بِخِلَافِ ذَلِكَ، هَذَا اعْتِقَادُ الْجَمَاعَةِ إِلَى قِيَامِ الْمَسَاعَةِ ^(٧)، أَشْبَهَى.



[تَوْهَمُ تَقْيِيدِ أَسْمَاءِ الْحَقِّ وَصِفَاتِهِ]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ أَسْمَاءَ الْحَقِّ -تَعَالَى- وَصِفَاتِهِ غَيْرُ مُطْلَقَةٍ، وَيَعْتَقِدُ تَقْيِيدَ كُلِّ صِفَةٍ بِشَيْءٍ، هُوَ عَاصٍ بِهَا دُونَ أَخَوَاتِهَا؛ أَعْلَمُ أَنَّ صِفَاتِ الْحَقِّ -تَعَالَى- مَبَانِيَةٌ لَصِفَاتِ خَلْقِهِ، فَكُلُّ صِفَةٍ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ أَخَوَاتُهَا بِخِلَافِ صِفَةِ الْخَلْقِ، فَإِنَّ كُلَّ ^(٨) صِفَةٍ لَا تَعْدَى مَا جَعَلَهُ الْحَقُّ -تَعَالَى- فِيهَا، فَقُوَّةُ الشَّمِّ مَثَلًا لَا تُعْطِي سِوَى وَصُولِ الرَّائِحَةِ الْعَظِيمِ

(١) "د": "هنا" ساقطة.

(٢) انظر قول عيسى الدين في الفتوحات المكية، ١٣٣/٦.

(٣) "د": "وإن".

(٤) تقدم شرح الآية.

(٥) "د"، "ز": "رضي الله عنه".

(٦) "د"، "ز": "العياء"، وإعماله تصحيحاً.

(٧) انظر: عيسى الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ٩٧/٨، وقد ورد في السبع التي بين يدي قوله: "أو عيَّله هالك" في مقام "هالك"، وأظنه تصحيحاً صوابه ما ورد في المتن اعتماداً على المعنى، وعلى ما ورد في الفتوحات المكية.

(٨) قوله: "فكل صفة تفعل ما تفعل أخواتها بخلاف صفة الخلق، فإن كل "ساقطة من "د" و "ز".

والمُتَنِّي^(١)، ولَمَّا رَأَى بَعْضُ الْمُحْجُوبِينَ ذَلِكَ ظَنُّوا أَنَّ صِفَاتِ الْحَقِّ - تَعَالَى^(٢) - كَذَلِكَ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ أَوَّلُ^(٣) مِنْ غَيْرِهِ مَا هُوَ آخِرٌ، وَظَاهِرٌ مِنْ غَيْرِهِ مَا هُوَ أَوَّلُ وَبَاطِنٌ وَظَاهِرٌ، وَبَاطِنٌ مِنْ غَيْرِهِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ وَأَوَّلُ وَآخِرُ^(٤).

وَكَانَ الشَّيْخُ مُحْسِي الدِّينِ يَقُولُ: الْحَقُّ - تَعَالَى - أَوَّلُ بِلا^(٥) أَوْلِيَّةٍ تُحَكِّمُ عَلَيْهِ، وَظَاهِرٌ لَا بَعْدَ اسْتِقَارٍ، وَلَا يَنْزِلُ بَعْدَ ارْتِفَاعٍ كَمَا قَدْ تَوَقَّعَهُ بَعْضُهُمْ، بَلْ هُوَ الظَّاهِرُ فِي حَالِ كَوْنِهِ بَاطِنًا، وَالبَاطِنُ فِي حَالِ كَوْنِهِ ظَاهِرًا، وَاختِلَافُ حُكْمِ التَّجَلِّيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الْمُدْرِكِينَ^(٦) وَالْمُشَاهِدِينَ يَقْدِرُ مَا يَكْشِفُ عَنْ سِرِّهِمْ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ صِفَةِ الْأَجْسَامِ حَتَّى إِنَّهُ يَظْهَرُ بَعْدَ اسْتِقَارٍ^(٧)، وَيَنْزِلُ^(٨) بَعْدَ الارتفاعِ، وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّهُ - تَعَالَى - مَا أَخْبَرَنَا بِأَنَّهُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ إِلَّا لِيُرْشِدَنَا إِلَى تَرْكِ التَّعَبِ فِي مَعْرِفَةِ الذَّاتِ، أَيْ: الَّذِي يَطْلُبُونَهُ مِنَ الْبَاطِنِ هُوَ عَيْنٌ مَا يَطْلُبُونَهُ مِنَ الظَّاهِرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تَصِبْ^(٩) أَكْثَرَ الْقَوْمِ مِنَ التَّغْلِيهِ إِلَى هَذَا الْإِرْشَادِ، بَلْ كُلُّ أَمْرٍ ظَهَرَ لَنَا مِنَ الصِّفَاتِ تَطَلُّبٌ خِلَافَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا كَانَتْ وَقَفَتْ مَعَ مَا ظَهَرَ لَهَا^(١٠) مِنْ وَجْهِهِ الْمَعَارِفِ لَاسْتَرَاخَتْ، وَعَرَفَتْ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ فَكَانَ طَلِبُهَا لَمَّا غَابَ عَنْهَا هُوَ عَيْنَ حُجَابِهَا، فَمَا قَدَّرَتْ الَّذِي ظَهَرَ لَهَا حَقُّ قُدْرِهِ لِشُغْلِهَا بِمَا تَخَيَّلَتْ أَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْهَا^(١١)، وَاللَّهُ مَا يَطْلُبُ عَنْهَا شَيْءٌ

(١) "ك"، "ز": "الجنة العطر والنتن".

(٢) "ك"، "ز": "سبحانه وتعالى".

(٣) "د": "أول" ساقطة.

(٤) كسدت أجعل العبارة: "والحق أنه أول من غير ما هو آخر، وآخر من غير ما هو أول، وظاهر من غير ما هو باطن، وباطن من غير ما هو ظاهر"، ولكن حديث الشمراني عن إثبات صفات الحق المطلقة دون تقييد واحدة بأخرى، وما ورد في "ك": "أنه أول من غير ما هو آخر، وظاهر وباطن وآخر من غير ما هو أول، وظاهر وباطن من غير ما هو ظاهر وأول وآخر".

(٥) "ك"، "ز": "لا بأولية".

(٦) "ز": "المستدركين"، "ب": "المذكورين"، وأحسبه تصحيفاً.

(٧) "ب": "الاستقرار".

(٨) "ك": "أو ينزل"، "ز": "أو ينزل".

(٩) "د": "منع"، "ت": "فتنع"، وكله تصحيف.

(١٠) "ك": "نمها".

(١١) "ك": "عنها".

هو من مقامها، وإنما حُجِبَ كلُّ إنسانٍ بما هو فوقَ مقامه لا غيرًا.
وكانَ الشيخُ أبو الحسنِ الشاذليُّ رضي الله عنه^(١) يقول: قد مُحَقَّقَ اللهُ -تعالى-
الأغبارَ كُلُّها بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(٢)؛ فإنَّ هذه الحَضَرَاتِ الأربعَ
هي مجموعُ الوجودِ انتهى، فليُتأمل.

وكانَ سيدي عليُّ المرصفيُّ^(٣) يقول: لا يجوزُ حُلُّ الاسمِ الظَّاهِرِ والباطنِ على
مَحْمِلِ النِّسْبِ والإضافاتِ، وإنما يُبغى حمله على آلهِ أمرًا^(٤) ذاتيٍّ يوصفُ به على الوجهِ
الذي يليقُ به، ويعلمُه -تعالى- من نفسه. انتهى، فاعلمْ ذلك، والحمدُ لله ربَّ العالمين.

[تَوْهَمُ إِيجَادِ الْعَالَمِ عَنْ عَدَمِ مُتَقَدِّمٍ مُطْلَقًا]

ومِمَّا أُجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ اللهَ -تعالى- أوجدَ العالمَ عن عَدَمٍ مُتَقَدِّمٍ مُطْلَقًا؛
كما قالَ به بعضُ الأشاعرةِ: اعلمْ يا أخي أَنَّ العَدَمَ عَدَمَانِ: عَدَمٌ مُطْلَقٌ، وعَدَمٌ إضافيٌّ؛

(١) "د": "رضي الله عنه" ليست فيها. أما أبو الحسن فهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي،
رأس الطائفة الشاذلية، ولد سنة (٥٩١هـ)، في بلاد "لعمارة" في المغرب، ثم نشأ وسكن بشاذلة،
فألبها نسب، اشتغل بالعلوم الشرعية فأفقهها، وصار يناظر عليها مع كونه ضريباً، ثم سلك منهاج
التصوف، فوجد واجتهد، أخذ عن ابن مَشِيش ومُحَمَّد سعيد الباجي، قدم إلى الإسكندرية من
المغرب بعد أن بُرِّرَ عليه وكُوِّدِي وأُخرج بجماعته من المغرب، ثم انتقل إلى القاهرة، فأخذ عنه
العز بن عبد السلام، له أحزاب محفوظة، مات في رمضان سنة (٦٥٦هـ) وهو قاصد الحج في
الطريق. من كلامه: "كل علم يسبق إليك فيه الخواطر، وسيل النفس إليه، وتلذذ به، فارم به، واخذ
بالكتاب والسنة"، وكذلك: "من أراد عز الدارين فليرح من الدنيا قلبه وبذنه"، وكذلك: "إذا أراد
الله هوان عبيد ستر عيوبه، وإذا أراد عزه بصره بها ليُتوب منها". انظر ترجمته: ابن عطاء الله
السكندري، لطائف المئين في مطالب الشيخ أبي العباس القوسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن،
والصفدي، الوالي بالوفيات، ٢١/٢١٤، والشراي، لوائح الأنوار، ٢/٤٤٠، والماوي، النواكب
الشرية، ٢/٤٧٠، وابن العماد، شذرات الذهب، ٥/٢٧٨، والبغداد، هدية العارفين، ٥/٧٠٩،
والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ١٩، والتهامي، جامع كرامات الأولياء، ١٢/٣١١،
والزركلي، الأعلام، ٤/٣٠٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤/٤٢٠، وعبد الله الخليلي،
الطرب، ١٢٢.

(٢) (الحديد، الآية ٣).

(٣) "ك"، "ز": "رحم الله تعالى".

(٤) "د": العبارة: "على أنه ذاتي...".

فالعدم المطلق^(١) ما لم يتضمنه علم الله القديم، فهذا لا وجود له اليقينية؛ لأنه ليس له عين ثابتة في العلم الإلهي، والعدم الإضافي^(٢)، وهو الذي تكلم الناس فيه، وهو ما له عين ثابتة في العلم الإلهي، فهو عدم بالنسبة لعلم الخلق، ووجود بالنسبة إلى علم الحق تعالى، ومن هنا قال المحققون: العالم كله قديم في العلم الإلهي، حادث في الظهور؛ ولعل مراد الأشاعرة بقولهم: إن الله أوجد العالم من عدم، أي من عدم نسي إضافي لا العدم المحض الذي لم يتضمنه علم الله القديم.

فإن قال قائل: فهل العالم مرئي للحق تعالى - حال عدمه، أم^(٣) لم تتعلق به الرؤية إلا بعد إيجاده في عالم الشهادة؟

فالجواب أن رؤية الحق - جل وعلا - لكل ما تضمنه العلم القديم رؤية واحدة، لا فرق في رؤيته له بين أن يكون موجوداً لها، أو معدوماً عندها؛ لأن الأمور كلها لم تر لمعلومة مرتبة للحق تعالى - في مراتبها كلها على حد سواء، وهذه من أعم المسائل المتعلقة بسر القدر، وقليل من الأولياء من عثر عليها، فالمسكيات^(٤) كلها مشهودة للحق تعالى، وإن لم تكن موجودة عندها، فما هي مفقودة^(٥) عند الحق تعالى، فهي في حال عدمها مرتبة للحق تعالى - مسموعة^(٦)، ولا ينبغي للمؤمن أن يتوقف في ذلك، فإن الله تعالى - على كل شيء قدير.

فإن قال قائل: هل هذا الذي وصف الحق تعالى - نفسه بالقدره عليه يشمل العدم المطلق، أم هو خاص بالعدم الإضافي؟

والجواب هو خاص بالعدم الإضافي كما مررت الإشارة إليه قريباً، فإن ما^(٧) لم يتضمنه علمه القديم ليس هو بشيء قديم، ولا حادث حتى يوصف الحق تعالى - بأنه قدير عليه، بل قالوا: لا يصف الحق تعالى - بالقدره على نفسه لقدمه، وإن أطلق عليه شيء.

(١) "ك": "المطلق"، "ز": العبارة: "قالعدم المطلق هو ما لم...".

(٢) "د"، "ز": "وعدم إضافي". (٣) "ك"، "ز": "أو".

(٤) "ك"، "ز": "والمسكيات". (٥) "د": "مفقودة"، وإخاله تصحيحاً.

(٦) "ك"، "ز": "مسموعة له".

(٧) "د"، "ما" ساقطة.

وقد قال في الباب التسعين من "الفتوحات"^(١): اعلم أن الله -تعالى- لا يوصف بالقُدرة إلا على شيء^(٢) كما قال: ﴿إِنَّ أَلَهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، فنص تعلق القدرة على ما ليس بشيء في علمه، لأن "لا شيء" لا يقبل الشيئية^(٤)؛ إذ لو قبلها ما كانت حقيقته "لا شيء"، ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته، فلا شيء محكوم عليه بأنه لا^(٥) شيء أبداً، وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء أبداً^(٦)، ويصح الجمع بين قولَي المعتزلة والأشعرية^(٧) بأن يحصل قولُ الأشعرية أن كل ما وجد عن "كُن" وجد عن عدم على عدم الإضافي لا على العدم المطلق، ويحصل قولُ المعتزلة أن العالم كله وجد^(٨) عن ثبوت في العلم^(٩) لا في الوجود الظاهر؛ إذ العالم قديم في العلم، حادث في الظهور.

وقال في باب الأسرار^(١٠): العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم أعياناً حائلها العدم، ثم إنه يقال: إذا أهرزهم إلى وجودهم^(١١) تميزوا في الأعيان بحدودهم، انظر وحقق ما أثبتك عليه، ونظيره ما أوحى الله -تعالى- في عالم الدنيا من^(١٢) الكشف والرؤيا، فترى الأمور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها، وترى الساعة في مجلاتها، والحق -تعالى- يحكم بين عباده فيها حين جلالاتها^(١٣)، وما ثم ساعة وجدت، ولا حالة

(١) عنوان هذا الباب "في معرفة الفرائض والسنن". انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٢٥٢/٣.

(٢) "د": "إلا على ما شيء".

(٣) (آل عمران الآية ١٦٥).

(٤) الفتوحات: "الشيئية". انظر: الفتوحات المكية، ٢٥٧/٣.

(٥) "د": "لا" سائطة، وهذا لا يستقيم المعنى.

(٦) "د": قوله: "وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء أبداً" سائط. وهنا ينتهي كلام عبي الدين في الباب التسعين من الفتوحات، وما بعده تفسير واستدراك للأشعراني. انظر: الفتوحات المكية، ٢/٣.

٢٥٧.

(٧) "ك": "ز": "الأشعرية والمعتزلة".

(٨) "ك": "ألوحد".

(٩) "ك": "ز": العبارة: "من ثبوت أي ثبوت في العلم...".

(١٠) انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ١٥٥/٨.

(١١) "ك": "إلى الوجود".

(١٢) "ك"، "ز": "من" سائطة.

(١٣) "د": قوله: "والحق تعالى يحكم بين عباده فيها حين جلالاتها" سائط.

مما رآها شهدت^(١)، فتوجد بعد ذلك في مرآها كما رآها^(٢)، فإن تظننت فقد رمت بك على الطريق، وهذا منهج التحقيق، انتهى^(٣).

لأن قال قائل: ما^(٤) المراد بالحق المخلوق به السموات والأرض وما بينهما في قوله - تعالى -: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(٥)، هل لهذا الحق عين موجودة أم لا؟

فالجواب أن هذا موضع غلط فيه جماعة من أهل الابتداء في طلب طريق أهل الله تعالى، فجعلوا لهذا الحق عيناً موجودة، والحق أن الباء هنا اللام^(٦)، ولهذا قال - تعالى -^(٧) في صام الآية: ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُفْرِكُونَ ﴾ من أجل الباء، فمعنى ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ : أي "للحق"، وهذه الباء^(٨) هي عين اللام في قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٩)، فإن الحق - تعالى - لا يخلق شيئاً بشيء حقيقة، وإنما يخلق شيئاً عند شيء، وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية فهي لام، فما خلق الله - تعالى - شيئاً إلا للحق^(١٠)، وهو أن يعبد ذلك المخلوق بحسب مقامه، فيجازهه على ذلك بحسب ما سبق له في علمه^(١١)، فاعلم ذلك، واعتقد أن صفات الحق - تعالى - عالية عن صفات خلقه، والحمد لله رب العالمين.

(١) "د": "شهدت" ساقطة.

(٢) "ك": "ر": "كما رآها" زيادة فيها.

(٣) انتهى كلام يحيى الدين في باب الأسرار من الفتوحات المشكية، ١٥٥/٨.

(٤) "ك"، "ر": "تعالى".

(٥) (الأحقاف، الآية ٣).

(٦) "ك"، "ر": "بمعنى اللام".

(٧) قوله: "عينا موجودة، والحق أن الباء هنا اللام، ولهذا قال تعالى" ساقط من "ك".

(٨) "ك"، "ر": "المعبرة" ومعنى هذه الباء هي معنى عين اللام.

(٩) (الذاريات، الآية ٥٦).

(١٠) "ك": "إلا بالحق".

(١١) "ك"، "ر": "علمه تعالى".

[تَوْهَمُ خَلْقِ الْعَالَمِ عَلَى مِثَالِ سَابِقٍ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ كَوْنِ الْعَالَمِ ثَابِتًا^(١) فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ قِيلَ أَنَّ يَخْلُقُهُ الْحَقُّ جَلًّا وَعِلًّا، وَأَنَّهُ^(٢) خَلَقَهُ عَلَى مِثَالِ سَبْقٍ، فَكَانَ هَذَا يَقُولُ: لَا فَرْقَ بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَخَلْقِ عِبَادِهِ بِإِذْنِهِ، وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا الْمُتَوَهَّمُ إِنْ كَانَ قَدْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ -تَعَالَى- أَوْحَدَ الْعَالَمِ عَلَى حَدِّ مَا عَلَّمَهُ تَوْهَمُهُ حَقًّا، إِلَّا أَنَّ عِبَادَتَهُ فَاسِدَةٌ، وَإِنْ كَانَ تَوْهَمُهُ أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- لَمْ يَعْلَمْ صُورَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا عَلَى حَالٍ مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ، فَذَلِكَ كُفْرٌ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَبَدُغَ الْعَالَمَ كُلَّهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبْقٍ عَكْسَ مَا عَلَيْهِ عِبَادُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- إِذَا أَفْتَرَّ عِبْدًا مِنْ عِبَادِهِ عَلَى أَنَّ يَخْلُقُ شَيْئًا بِإِذْنِهِ لَا يَخْلُقُهُ إِلَّا إِذَا^(٣) أَتَشَاءَ فِي غَسْبِهِ أَوَّلًا عَنْ تَدْبِيرٍ وَرُوءِيَّةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُرْزَأُ الْقُوَّةُ الْعِلْمِيَّةُ^(٤) إِلَى الْوُجُودِ الْحَسِّيِّ عَلَى شَكْلِ مَا يُعْلَمُ لَهُ مِثْلٌ، وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّ الْحَقِّ تَعَالَى، فَلَمْ يَقُلِ الْحَقُّ -تَعَالَى- عَالَمًا يَخْلُقُهُ أَوَّلًا، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَعْلَمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَحُورُ^(٥) أَنَّ يُقَالَ: الْمَخْلُوقُ^(٦) كَانُوا عَلَى صُورَةٍ، ثُمَّ عَلَّمَهَا الْحَقُّ -جَلًّا وَعِلًّا- قَبْلَ خَلْقِهِمْ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّنُ بِسَبْقِي صُورَ الْعَالَمِ عَلَى الْعِلْمِ الْقَدِيمِ، وَأَنَّهُ -تَعَالَى- اخْتَرَعَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ^(٧)، وَذَلِكَ كُفْرٌ.

وَقَدْ ثَبَتَ^(٨) بِالْأَدَلَّةِ الْقَاطِعَةِ نَحْوَ قَوْلِهِ^(٩) -تَعَالَى-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾^(١٠)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ يَكُنِّي شَيْءًا غَلَبَ﴾^(١١) أَنَّهُ عَالَمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ عِلْمَهُ قَدِيمٌ، وَأَنَّهُ -تَعَالَى- اخْتَرَعْنَا بِالْفِعْلِ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبْقٍ، وَأَنَّا خَرَجْنَا لِلْوُجُودِ عَلَى حَدِّ مَا كُنَّا فِي عِلْمِهِ تَعَالَى، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَخَرَجْنَا لِلْوُجُودِ عَلَى حَدِّ مَا لَمْ^(١٢) يَعْلَمَهُ الْحَقُّ تَعَالَى، وَمَا لَا يَعْلَمُهُ لَا يَرِيدُهُ، وَمَا لَا يُرِيدُهُ وَلَا يَعْلَمُهُ لَا يَوْجِدُهُ، فَتَكُونُ نَحْنُ حَبِثًا مَوْجُودِينَ بِأَنْفُسِنَا أَوْ بِحَكْمِ

(١) "ك"، "ز": "كَانَ ثَابِتًا".

(٢) "د": "إِذَا" ساقطة.

(٣) "ك"، "ز": "إِنَّ الْخَلْقَ".

(٤) "ك": "وَقَدْ سَبَقَ".

(٥) "ك"، "ز": "عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى".

(٦) (الملك، الآية ١٤).

(٧) (الشورى، الآية ١٢).

(٨) لقوله: "فِي عِلْمِهِ تَعَالَى، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَخَرَجْنَا لِلْوُجُودِ عَلَى حَدِّ مَا لَمْ" ساقطة

من "ك" و "ز".

الاتفاقي، وإذا كنا كذلك فلا يصح وجودنا عن عدم، وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا^(١) عن عدم أي إضائي، فإيادك أن نقسم من قوله -تعالى- ﴿فَتَنَادَى اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)، إثبات الاستقلال بالخلق للمخلوق، حيث أثبت -تعالى- أن هناك خالقين^(٣)، ولكنه -تعالى- أحسنهم خلقاً، فإن الله -تعالى- قد خلق عيسى -عليه الصلاة والسلام-^(٤) للطير^(٥) بقوله ﴿بِإِذْنِي﴾^(٦)، وقال: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٧)، ولم يقل: طيراً.

وليضاح قوله ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ هو أن يعلم أن الحق -تعالى- لا يخلق شيئاً إلا عن شهود في عليه، فيكسو^(٨) ذلك المخلوق بالخلق له حلة الوجود بعد أن كان معدوماً في شهود الخلق بخلاف العبد إذا خلق الله -تعالى- على يده شيئاً لا يقدر العبد [على]^(٩) خلقه إلا بعد تصور شيء متقدم من أعيان موجودة، فيريد أن يخلق مثله، أو يتدغم مثله، والحق -تعالى- لم يزل عالماً بالأشياء أزلاً^(١٠)، ولا يحتاج إلى تقدم مثال آخر، لأنه لا افتتاج لعلمه ولا لمعلومه، كما تقدم إيضاحه في هذا الباب مراراً، وقد حصل الفرق بذلك بين خلق الله -تعالى- وبين ما خلقه العباد بإذنه^(١١).

وقد سئل أبو القاسم الجنيد -رحمه الله- عن هذا العالم هل هو قديم أو حادث، فقال هو وجود متردد بين وجود وعدم لا يختص لأحد الطرفين^(١٢)، فإيهما من حبرة، فإنه لو كان موجوداً لا يتصف بعدم لكان حقاً، ولو كان معدوماً لا يتصف بالوجود لكان محالاً، انتهى.

وقال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة من "الفتوحات"^(١٣):
مَنْ قَالَ إِنَّ الْعَالَمَ مُوجُودٌ عَنْ عَدَمٍ صَدَقَ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مُوجُودٌ عَنْ وَجُودٍ يَعْنِي فِي عِلْمِ

(١) "ب"، "و": "وجودنا" ساقطة. (٢) (المؤمن، الآية ١٤).

(٣) "ك": قوله: "حيث أثبت تعالى أن هناك خالقين" ساقطة.

(٤) "ك"، "ز": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيهما.

(٥) "د": "للتطير" ساقطة. (٦) (المائدة، الآية ١١٠).

(٧) (المائدة، الآية ١١٠). (٨) "ك": "فيكشف".

(٩) إضافة من المخطئ. (١٠) "د": "أزلاً" ساقطة.

(١١) "د": "إذنه" ساقطة. (١٢) "ك"، "ز": "لأحد الطرفين".

(١٣) عنوان هذا الباب "في معرفة النفس بفتح القاء". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٩/٤.

الْحَقُّ، صَدَقَ، وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَتْهُ^(١):

فَلَو رَأَيْتَ الَّذِي رَأَيْتُنَا
فَطَاهَرُ الْأَمْرِ كَانَ قَوْلُ
قَدْ أَتَيْتَ الشَّيْءَ قَوْلُ رَبِّي
فَالْقَدَمُ الْمُحْضَرُ لَيْسَ فِيهِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ لَمْ يَأْخِصِي
فَأَيُّ شَيْءٍ قَبِلْتَ مِنْهُ أَلَا

وَأَتَتْهُ أَيْضًا فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَثَلَاثِينَ^(٢):

عَجَبِي مِنْ قَاتِلٍ كُنْ لِعَدَمٍ
ثُمَّ إِنْ كَانَ فَلَمْ يَقْبَلْ لَهُ
فَلَقَدْ أَبْطَلَ كُنْ قُدْرَةً مَنْ
كَيْفَ لِلْعَقْلِ دَلِيلٌ وَالَّذِي
فَنَجَاةُ النَّفْسِ فِي الشَّرْعِ فَلَيْلًا
وَأَعْتَصَمَ بِالشَّرْعِ فِي الْكَشْفِ فَقَدْ
أَعْمَلَ الْفِكْرَ وَلَا تُحْفَلُ بِهِ

وَالَّذِي قِيلَ لَهُ لَمْ يَكُنْ لَمْ
لَيْتَكُنْ^(٣) وَالْكَوْنُ مَا لَا يَنْقَسِمُ
قَدْ بِالْعَقْلِ عَلَيْهَا وَحَكْمُ
قَدْ بَنَاهُ الْعَقْلُ بِالْكَشْفِ هُدًى
تَبَيَّنَ لِنَاسِكَ رَأَى ثَمَّ حُرْمَ^(٤)
فَنَازَ بِالْخَبَرِ عَنَيْدَ قَدْ عَصِمَ
وَأَتْرَكَهُ مِثْلَ لَحْمٍ فِي وَحْشٍ

(١) "ك"، "ز": "ثم قال"، والشعر من معلق البسيط نحيي الدين.

(٢) العجز في الفتوحات: "ما قلت إلا أنا هو أنا".

(٣) "د"، "ب": "كنت أنا" وما أتته من "أ" و "ك" والفتوحات المكية، ٤/٤٦.

(٤) في النسخ جميعها: "لو لم تكن ثم ما وجدنا"، وما أتته هو ما ورد في الفتوحات.

(٥) "د"، "ب": "لم" ساقطة، وما أتته من الفتوحات المكية، ٤/٤٦.

(٦) "ك"، "ز": "أكون أو كون أنت أنا". انظر الشعر: الفتوحات المكية، ٤/٤٦.

(٧) الشعر من السرميل نحيي الدين، ذكره في مستفتح حديثه عن الباب الثامن وثلاثمائة، وقد وسه
بـ"معرفة منزل اعتلاط العالم الكلي من الحضرة الحمادية". انظر: نحيي الدين، الفتوحات المكية،

٤/٥٤٦.

(٨) الفتوحات: "لكن".

(٩) في النسخ جميعها: "حُرْمٌ".

نَظَرًا يُعَيِّبُكَ عَنِّي^(١)، فَتَجِبُ مَا خَلَقْتُكَ لَهُ، فَكُنْ تَارَةً وَتَارَةً، وَمَا خَلَقْتُ^(٢) لَكَ عَيْنَيْنِ إِلَّا لِشَهِدَنِي بِالْوَحْدَةِ^(٣)، وَتَشْهَدُ ظُلْمَتُكَ بِالْأُخْرَى، انْتَهَى^(٤)، فَقَدْ بَانَ لَكَ بِمَا قَرَرْنَاهُ الْغُرْفُ بَيْنَ فِعْلِ اللَّهِ وَفِعْلِ عِبَادِهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ فِعْلٍ فِي الْوُجُودِ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى-^(٥) وَحْدَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ صِفَاتِ الْحَقِّ غَيْرُهُ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنْ صِفَاتِ الْحَقِّ -تَعَالَى-^(٦) غَيْرُهُ:

اعْلَمُوا يَا أَحِبِّي أَنَّ النَّاسَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، قَالَ إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْمَغْرِبِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُتَّابِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-^(٧): كُلُّ مَنْ تَكَلَّفَ دَلِيلًا^(٨) عَلَى كَوْنِ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ عَيْنًا أَوْ غَيْرًا فَهِيَ قَاصِرَةٌ، لَكِنْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا عَيْنٌ أَكْثَرُ أَدْبَارًا مَعَ اللَّهِ -تَعَالَى- مِمَّنْ يَقُولُ إِنَّهَا "غَيْرٌ"، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ بِسَبِّ وَإِضَافَاتٍ تُرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ هُنَاكَ كَثْرَةُ بُيُوتٍ أَعْيَانٍ أُخَرُ كَمَا زَعَمَهُ بَعْضُ السُّنَّاطِ^(٩)، وَلَوْ كَانَتْ الصِّفَاتُ الْإِلَهِيَّةُ أَعْيَانًا زَائِدَةً وَمَا هُوَ إِلَهٌ إِلَّا بِهَا لَكَانَتْ الْأُلُوْهِيَّةُ مَعْلُومَةً، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ الصِّفَاتُ عَيْنَ الْإِلَهِ، فَالْشَّيْءُ لَا يَكُونُ عِلَّةً لِنَفْسِهِ، أَوْ لَا تَكُونُ عَيْنُهُ، فَالْحَقُّ -تَعَالَى- لَا يَكُونُ مَعْلُولًا لِعِلَّةٍ لَيْسَتْ عَيْنُهُ، فَإِنَّ الْعِلَّةَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْمَعْلُولِ بِالزَّمَنِ، فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ انْتِفَاقُ الْإِلَهِ مِنْ كَوْنِهِ مَعْلُولًا لِهَذِهِ الْأَعْيَانِ الزَّائِدَةِ الَّتِي هِيَ

(١) قوله: "عَنْ شَيْءٍ ظَلَمْتُكَ، تَنْدُمِي إِنَّكَ أَنَا، تَنْفَعُ فِي الْغَلْطِ، وَلَا تَنْظُرُ إِلَى ظُلْمَتِكَ نَظَرًا بِعَيْنِكَ" ساقط.

(٢) "د": "وَمَا جَعَلُ".

(٣) "ك": "ب"، "ب": "بِوَحْدَةٍ".

(٤) انْتَهَى الْكَلَامُ الَّذِي نَسَبَهُ الشَّعْرَافِيُّ لِلشَّيْخِ عَلِيِّ الرِّصَنِيِّ، وَهُوَ هِيَ الدِّينِ كَمَا تَقْدِمُ آخِرًا.

(٥) "لا"، "ز": "تَعَالَى" لَيْسَتْ فِيهِمَا.

(٦) "ب": "الْبَيَانَةُ: صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى".

(٧) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، الشَّهِيرُ بِابْنِ الْكُتَّابِيِّ، مِنْ أَهْلِ فَارسٍ مَوْلَا وَوَفَاةٍ سَنَةِ (٥٧٧هـ)، عَرَفَ بِزُهْدِهِ وَإِعْرَاضِهِ عَنِ الدُّنْيَا، كَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ، زَاهِدًا مُتَعَبِّدًا شَاعِرًا، لَهُ

نُجُودٌ فِي جَنُودِ الْإِقْبَاسِ، ١٣٧، وَالْأَعْلَامُ، ٦/٢٨٠.

(٨) "ب": "دَلِيلًا" سَاقِطٌ.

(٩) "ك": "ز"، "الْطَّامُ".

عَلَمَةً لَهُ، وَهُوَ مُحَالٌ، فَيُظَلُّ أَنْ تَكُونَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَعْيَالًا زَادَةً عَلَى ذَاتِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ غُلُوبًا كَثِيرًا.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي الْبَابِ السَّادِسِ وَالْخَمْسِينَ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ"^(١): أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَادِرٌ حَبِيرٌ^(٢)، كُلُّ ذَلِكَ بِنُطْبِهِ لَا بِأَمْرِ زَائِدٍ عَلَى ذَاتِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ بِأَمْرِ زَائِدٍ عَلَى ذَاتِهِ، وَهِيَ صِفَاتُ كَمَالٍ، لَا يَكُونُ كَمَالُ الذَّاتِ إِلَّا بِهَا، لَكَانَ كَمَالُهُ -تَعَالَى- بِشَيْءٍ زَائِدٍ^(٣)، وَاتَّصَفَتْ ذَاتُهُ بِالنَّقْصِ وَالْفَقْرِ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهَا هَذَا الزَّائِدُ، قَالَ: وَهَذَا هُوَ الَّذِي^(٤) دَعَا بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي صِفَاتِ الْحَقِّ -تَعَالَى-^(٥) إِنَّهَا عَلَيْهِ، وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ إِنَّهَا غَيْرُهُ^(٦)، فَدَعَا إِلَى ذَلِكَ كَوَلِّهِ رَأْيَ صِفَاتِ الْمَعْنَى؛ كَالْعِلْمِ بِقَدْرِ رَفْعِهِ مَعَ كَمَالِ ذَاتِ الْعَالَمِ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَمَّا أُعْطِيَ الدَّلِيلُ ذَلِكَ طَرَدَهُ شَاهِدًا وَغَائِبًا، يَعْنِي فِي حَقِّ الْحَقِّ تَعَالَى^(٧)، كَمَا هُوَ فِي حَقِّ الْخَلْقِ، فَأَخْطَأَ كُلُّ الْخَطَأِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحُكْمَ عَلَى الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِأَمْرِ مَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ^(٨) ذَاتَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ وَحَقِيقَتَهُ جَهْلٌ عَظِيمٌ مِنَ الْحَاكِمِ عَلَيْهِ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ حَيْثُ لَمْ يَقْضِ عَلَى الْغَائِبِ بِشَيْءٍ^(٩).

(١) عنوان هذا الباب: "في معرفة الاستقراء وصحته من نفسه"، انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤٢٨/١.

(٢) "ك": "عالم قادر حبير"، "ب": "عالم حبير".

(٣) نسوله: "على ذاته؛ إذ لو كان ذلك بأمر زائد على ذاته، وهي صفات كمال، لا يكون كمال الذات إلا بها، لكان كماله تعالى بشيء زائد ساقط من "ب"، وهو مثبت في الفتوحات المكية، ٤٢٩/١.

(٤) "د": "وهو الذي"، "ز": "وهذا الذي"، وفي الفتوحات: "وهذا الذي".

(٥) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٦) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "وأما من قال إن صفات الحق تعالى غيره".

(٧) الفتوحات: "يعني في الحق والخلق". انظر: الفتوحات المكية، ٤٢٩/١.

(٨) "د"، "ك"، "ز": "يعلم".

(٩) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤٢٩/١، وقد قال في موضع آخر: "يرحم الله أبا حنيفة، ورحمته من كل حنيفة، حيث لم يحكم على الغائب، وهو عهدي من أسد المذاهب، وأحوط من جميع المذاهب". انظر: الفتوحات المكية، ١٢٥/٨. أما أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت، "الإمام البار، واليد الساطع، ولد سنة ثنتين من الهجرة بالكوفة، ونشأ بها، ثم نقله السصور إلى بغداد، فأقسامها حتى مات، كان يسمى الموتى، لكثرة هجده قائما، ولم يغلط منذ ثلاثين، وصلى حسبا وأربعين سنة الصلوات الخمس بوضوء واحد، أدرك أربعة من الصحابة، أكره على توليته القضاء، وضرب على رأسه ضربا شديدا أيام مروان فلم يلب، ولما أطلق قال: "كان غم والدي علي أشد

وَأَمَّا وَجْهُ قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ صِفَاتِ الْحَقِّ^(١) لَا هِيَ عَيْنُهُ، وَلَا هِيَ غَيْرُهُ، فَهُوَ أَنَّهُ رَأَى الْعِلْمَ صِفَةً لِلْعَالَمِ مِنَ الْخَلْقِ، وَهِيَ حِجَابٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ لَا يُمْكِنُ الْعَبْدُ أَنْ يَرْفَعَ ذَلِكَ^(٢) الْحِجَابَ أَبَدًا، بَلْ هُوَ خَلْفَ عِلْمِهِ دَائِمًا، وَلِذَلِكَ قَالُوا: الْعِلْمُ حِجَابٌ، أَيْ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فَمَا عَرَفَ الْحَقُّ -تَعَالَى- حَقِيقَةَ إِلَّا عِلْمَ الْعَبْدِ لَا الْعَبْدُ، فَلَمَّا عِلِمَ هَذَا الْقَائِلُ ذَلِكَ قَالَ فِي الصَّفَاتِ: مَا هِيَ غَيْرُهُ فَقَطْ، وَوَقَفَ، ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى الصِّفَةَ أَمْرًا مَعْقُولًا زَائِدًا عَلَى "هُوَ"، فَتَنَى هَذَا الْقَائِلُ أَنْ تَكُونَ الصَّفَاتُ "هُوَ"، وَمَا قَدَّرَ^(٣) عَلَى أَنْ يُثَبَّتَ "هُوَ" مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِصِفَتِهِ^(٤) بِهِ، فَقَالَ: وَمَا هُوَ غَيْرُهُ، فَحَارَ، فَتَنَطَّقَ بِمَا أَحْطَاهُ فَهْمُهُ، وَقَالَ: صِفَاتُ الْحَقِّ لَا هِيَ هُوَ، وَلَا هِيَ غَيْرُهُ^(٥).

وَقَالَ الشَّيْخُ مُجِيبِي الدِّينِ فِي الْبَابِ السَّبْعِينَ وَأَرْبَعِينَ^(٦): وَهُوَ كَلَامٌ عَلِيٌّ مِنْ الْقَائِلَةِ لَا رُوحَ فِيهِ، وَيَدُلُّ عَلَى قُصُورِ^(٧) صَاحِبِهِ فِي الْعِلْمِ، وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَلَكِنْ إِذَا قُلْنَا نَحْنُ مِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ لَا تَقُولُهُ عَلَى حَدِّ مَا يَقُولُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْقِلُونَ الرَّائِدَ،

عَلِيٌّ مِنَ الضَّرْبِ"، قِيلَ إِنَّهُ سَجَنَ حَتَّى تَوَفَّى فِي السَّجْنِ بَعْدَ سِتَّةِ (١٥٠هـ)، كَتَبَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْقَدَمَاءِ وَالْخُدَّائِ، وَأَمَرُوا لَهُ كِتَابًا، أَنْظَرَ تَرْجُمَتَهُ: ابْنُ حَلَكَانَ، وَبَيَاتُ الْأَعْيَانِ، ٥٢٦/٤، وَالْذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ السَّلَاةِ، ٢٢٢/٥، وَابْنُ كَثِيرٍ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ١٠/١١٠، وَالصَّفَدِيُّ، الْوَهْدِيُّ بِالْوَهْدِيَّاتِ، ٨٩/٢٧، وَالشَّعْرَانِيُّ، لِسَوَالِحِ الْأَنْسَوَارِ، ١٢٩/١، وَالْمَنَاوِيُّ، الْكَوَاكِبُ الدَّرِيَّةُ، ٤٦٩/١، وَابْنُ الْعِمَادِ، غُسْنُ الرُّسُودِ، ٢٢٧/١، وَالنَّبَهَائِيُّ، جَامِعُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، ٤٦١/٢، وَالزَّرْكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ، ٣٦/٨.

(١) "ك"، "ز": "صفات الحق تعالى".

(٢) "ك"، "ز": "أن يرفع الحجاب".

(٣) "د"، "ك"، "ز": "يدري"، وهذا لا يساوق مع ما بعده.

(٤) "د": "ينقله"، "ك"، "ز": "يصعد به"، وهو تصحيف.

(٥) العبارة هي التي الدين في الباب السادس والخمسين، انظر: الفتوحات المكية، ٤٢٩/١، وكذلك في الباب السبعين وأربعين، ١٥٠/٧، وفيها يقول: "وتنصف ذاته بالقص إذا لم يتم بها هذا الرائد، فهذا من الاستفراء، وهذا الذي دعا المتكلمين أن يقولوا في صفات الحق: لا هي هو، ولا هي غيره، وفيما ذكرناه ضرب من الاستفراء الذي يليق بالجناب العالي".

(٦) عنوان هذا الباب: "في حال قطب كان منزله ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِبْنَ وَالْإِنْسَ إِلَّا يَسْمُونَهُ﴾". انظر:

الفتوحات المكية، ١٤٨/٧.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "تضول".

ولا بدُّ، ونحن لا نقولُ بالزائد، انتهى^(١).

وقالَ في البابِ الثَّامِنِ والخمسينَ وخمسمائة^(٢): "إِنْ قُلْنَا: النَّسَبُ أُمُورٌ عَدَمِيَّةٌ جَعَلْنَا^(٣) لِلْعَدَمِ إِثْرًا فِي الْوُجُودِ، وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهَا أُمُورٌ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ، وَإِنَّهَا وَجُودِيَّةٌ وَلَا كَمَالٌ لَهُ -تعالى- إِلَّا بِهَا، جَعَلْنَا كَمَالَهُ -تعالى- بِغَيْرِهِ^(٤)، وَقَالَ فِي الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ وخمسمائة^(٥): مَنْ قَالَ إِنَّ الصَّغَاتِ هِيَ "هُوَ" صَدَقَ، وَمَنْ قَالَ مَا هِيَ "هُوَ" صَدَقَ، فَمِنْ هُنَا قَالَ الْأَشْعَرِيُّ: صَفَاتُ الْحَقِّ -تعالى- مِنْهَا مَا هِيَ هُوَ، وَمَا هُوَ^(٦) غَيْرُهُ، وَذَلِكَ الْاِخْتِلَافُ الَّذِي تَرَاهُ النَّاسُ فِيهَا^(٧).

أَمَّا مَنْ قَالَ: لَا هِيَ هُوَ، وَلَا هِيَ غَيْرُهُ، فَقَدْ تَقَدَّمَ كَلَامُ الشَّيْخِ عَلَيْهِ قَرِيبًا،

(١) نقل الشعراوي عبارة محيي الدين متصرفاً، وفي ذلك الباب يقول: "نقول: ما هو غيره، فحار، فنطلق بسا أعطناه فهمه، فقال: إن صلة الحق ما هي هو، ولا هي غيره، ولكن، إذا قلنا نحن مثل هذا القول، ما نقوله على حد ما يقوله المتكلم، فإنه لا يعقل الزائد، ولا بد ونحن لا نقول بالزائد، فما يزيد المتكلم عيسى من يقول: إن الله فقير إلا بحسن العبارة، ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، فهذا بعض نتائج هذا المجبر، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل". انظر: الفتوحات المكية، ١٥٠/٧.

(٢) عنوان هذا الباب: "في معرفة الأسماء الحسنى التي أربت العرف، وما يحور أن يطلق عليه منها لفظاً وما لا يجوز". انظر: الفتوحات المكية، ٢٨٨/٧.

(٣) "ي"، "د"، "ز"، "جعلت".

(٤) يوضح محيي الدين هذه المسألة بقوله: "إن تلك النسب أمور زائدة على ذاته، وإنها وجودية، ولا كمال له إلا بها، وإن لم تكن كان ناقصاً بالذات، كاملاً بالزائد الوجودي، وإن قلنا: ما هي هو، ولا هي غيره، كان خللاً من الكلام، وقولا لا روح فيه، يدل على نقص عقل قائله، وفصوره في نظره أكثر من دلالة على تنزيهه". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٩٠/٧.

(٥) عنوان هذا الباب "في معرفة حال قطب كان منزله ﴿إِنْ تَتْلُوا تِلْكَ هَاتِلَةً لَكُمْ فَرُفَاتٌ﴾، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تَتَّقُوا عَظِيمُ اللَّهِ". انظر: الفتوحات المكية، ٢٢١/٧.

(٦) "ك"، "ز"، "وما هي غيره".

(٧) شرح الشعراوي قول محيي الدين المتظوم، فقد ترقى شعره الذي قاله في الفتوحات:

منزه الحق لا يدري بذلك ولا مشبه الحق لا يدري وأدريه

فمن ينزهه عنه يشبهه به فيلهذا الذي قد قلته فيه

"وهذا الفرقان الذي أنتجته القوى لا يكون إلا بتعليم الله، ليس للنظر الفكري فيه طريق غيره،

فإن أعطاه الله الإصابة في النظر الفكري، فما هو هذا العلم الخاص، فإن الطريق شير المعلوم

المشبهة بالصورة المختلفة بالذات". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢٢/٧.

انتهى^(١)، فاعلم ذلك، واعتقد أن صفات الحق - تعالى - عنه إيجاب^(٢) صفات خلقه، وإن لم تصل إلى ذلك إلا بالسُّلوك على يد شيخ، وَجَبَ عَلَيْكَ السُّلُوكُ ليرفع عنك الحجاب، وذلك هو الكمال الذي فيه يُعْطَى^(٣) الحق - تعالى - الأدب على الكشف واليقين، دون الظَّنِّ والتَّحْمِينِ^(٤)، والحمد لله رب العالمين^(٥).

[تَوْهَمُ عَدَمِ إِيْلَامِ الْحَقِّ لِلذَّوَابِ وَالْأَطْفَالِ]

ومِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ تَوْهَمَ أَنَّهُ^(٦) لَيْسَ لَهُ^(٧) - تعالى - إِيْلَامُ الذَّوَابِ وَالْأَطْفَالِ، وَتَحَجَّرَ عَلَى الْحَقِّ - تعالى - فِي مُلْكِهِ كَمَا يُلْفِظُ عَنْ بَعْضِهِمْ^(٨)، وَالْجَوَابُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّوْهَمِ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ جَاهِلٍ بِاللَّهِ - تعالى - وَبِأَحْكَامِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ - تعالى - يَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ بِالْمُلْكِ، وَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ مَا يَشَاءُ، وَلَوْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ ذَنْبٌ كَمَا يَقَعُ بِهِ - تعالى - ذَلِكَ حِينَ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلُ بِنَفْحَةِ الصُّعْفِ، فَيَمُتُّهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَصِحُّ الاعتراضُ عَلَيْهِ^(٩) إِلَّا لَوْ كَانَ مُتَصَرِّفًا فِي مُلْكٍ غَيْرِهِ، وَقَدْ قَالَ - تعالى - : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ذَاتُ الرَّحْمَنِ عِندَ اللَّهِ ﴾^(١٠)، وَقَالَ - تعالى - : ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(١١)، مِنْ حَضْرَةِ إِطْلَاقِهِ تَعَالَى، كَمَا أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مِنْ حَضْرَةِ تَقْيِيدِهِ، فَالْكَامِلُ مَنْ آمَنَ بِهَاتَيْنِ الْحَضْرَتَيْنِ لَوْ فَرَضَ اللَّهُ - تعالى - أَرَادَ تَعْذِيبَ الْمُطِيعِ^(١٢)، أَوْ عَدَمَ الْمَغْفِرَةِ لِعَصَاةِ الْمُوحِدِينَ^(١٣)، أَوْ فَرَضَ إِيْلَامَهُمْ^(١٤)، وَيَقْرُبُ مِنْ هَذِهِ

(١) "ب": انتهى "ليست فيها. (٢) "ك"، "ز": "كسار".

(٣) "د": "الذي يعطي".

(٤) "ب": العبارة: "وجب عليك السُّلُوكُ لتعطي الحق تعالى الأدب على الكشف واليقين، دون الظَّنِّ والتَّحْمِينِ".

(٥) "ب": قوله: "والحمد لله رب العالمين" ليس فيها.

(٦) "ك"، "ز": "أن". (٧) "ب": "ليس للحق".

(٨) "د": قوله: "كما يُلْفِظُ عَنْ بَعْضِهِمْ" ساقط.

(٩) "ب": "عليه" ساقطة. (١٠) (مريم: الآية ٩٣).

(١١) الآية (فالنساء: ١٨، النحل: ١٤). (١٢) "ب": العبارة: "ولو فرض الله تعالى أراد...".

(١٣) "ب": "للعصاة".

(١٤) "د"، "ب"، "ز": قوله: "أو فرض إيْلَامَهُمْ" ساقط.

المَسْأَلَةُ اِخْتِلَافُ النَّاسِ فِي إِتْقَانِ الْوَعِيدِ بِالْعَذَابِ فِي حَقِّ عَصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ إِذَا مَاتُوا عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ مَقْبُولَةٍ^(١).

[كَلَامُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ]

وَقَدْ قَالَ فِي بَابِ الْأَسْرَارِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ" فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْأَنْحَرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾^(٢)؛ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- أَحَبَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ كُلَّ مَا حَصَلَ لِلْعَبْدِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُؤَلِّمَةِ فَهُوَ جَزَاءٌ مَا هُوَ ابْتِلَاءٌ^(٣)، فَمَا ابْتَلَيْتُ^(٤) بَرِيَّةً^(٥) وَهِيَ بَرِيَّةٌ^(٦)، قَالَ: وَهَذِهِ^(٧) مَسْأَلَةٌ صَعِبَةٌ الْمُرْتَقِي قَدْ اِخْتَلَفَ فِيهَا طَائِفَتَانِ كَثِيرَتَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَمَنَعَتْ أَحَدَاهُمَا مَا أَجَازَتْ الْأُخْرَى، وَلَكِنَّهُمَا كُلَّ وَاحِدَةٍ مَا مَرَّ فِي غَرَضِهَا^(٨)، وَذَلِكَ عَيْنُ مَرَضِهَا، قَالَ: وَأَمَّا الطَّيْفَةُ الْعُلْيَا مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ، فَعَلِمُوا الْأَمْرَ يَقِينًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الذَّالِيهِ أَمْرٌ مُؤَلِّمٌ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ جَزَاءٌ مَا هُوَ ابْتِلَاءٌ؛ كَقَوْلِ الطَّيِّبِ إِذَا تَأَلَّمَ الْمَرِيضُ مِنَ الشَّدَاوِي: وَاللَّهِ مَا قَصِدْتُ إِلَّا تَفْعَلَكَ بِمَا وَصَفْتَهُ لَكَ مِنَ الدَّوَاءِ الْكَرِيمِ الْمُؤَلِّمِ، فَإِذَا مَرَضَ الطَّيِّبُ وَلَمْ يَدْرِ مِنْ أَيِّ بَابٍ دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ، قَالَ لَهُ الْحَقُّ -جَلَّ وَغَلَا-: (لَمَّا أَصَابَكَ هَذَا الْأَلَمُ مُجَازَلَةٌ لَكَ عَلَى مَا أَدَخَلْتَهُ عَلَى الْمَرَضَى مِنَ الْأَلَامِ، نَخَذُ جَزَاءً مَا فَعَلْتَهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ^(٩) الْأَلَمُ مَا قَصِدْتَهُ أَمْتُ، انْتَهَى^(١٠))، فَلْيَتَأَمَّلْ.

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ^(١١): أَعْلَمُ أَنَّ إِتْقَانَ الْوَعِيدِ قَدْ نَقَّاهُ قَوْمٌ

(١) "ك"، "ب"، "ز": "مثلاً" سائلة.

(٢) (الروم، الآية ٤١).

(٣) "ك": "ابتلاء"، وهو تصحيف ظاهر.

(٤) "ك": "ابتليت" سائلة.

(٥) يعني بذلك "بريئة"، وانظر قول محيي الدين في الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٥٧/٨.

(٦) "د": "وابجواب أن هذه مسألة..."، وفي الفتوحات المكية كما هو في المتن.

(٧) "د"، "ك": "العبارة: "ونصرت واحدة ما قام في غرضها".

(٨) "د": "لك الألم".

(٩) انتهى كلام محيي الدين في باب الأسرار، ١٥٧/٨.

(١٠) ورد كلام محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين من الفتوحات، لا كما ذكره الشرحاني، وعنوان هذا الباب "في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرة المحمدية". انظر: الفتوحات المكية، ٤٧٦/٤.

مع أنه واقع في دار الدنيا، وأثبته قوم، والذي أثبتته هو المحقق^(١)، فإن من قال به لم يقينه بوقوعه في الآخرة، فيحمل الفرق بوقوع العقوبة في دار الدنيا بوجه من الوجوه، فينبغي حمل^(٢) من قال بإفناذه على الدنيا^(٣) بحصول الآلام النفسية والحسية^(٤) فيها، وذلك عين إفناذ الوعيد في حقهم؛ لأنه لا بد لكل إنسان^(٥) من وقوع ما يؤلمه، فصح قول المعتزلة في مسألة إيلام البريء والمظل، فإن الأشعري يجوز وقوع ذلك على الله تعالى، وما كل جائز واقع^(٦).

وكان الشيخ محيي الدين^(٧) يقول: وكل ما احتج به الأشعرية على المعتزلة ليس هو بملزم، فإن القائلين بإفناذ الوعيد مصيبون، ولكن حيث يعينه الحق - تعالى - في الدنيا أو في الآخرة^(٨)، فإذا أُلْغِيَ في الدنيا بمرضي، أو ألم نفسي، أو جسي، كان ذلك عقوبة، وكان مستراً له عن عذاب الآخرة، انتهى^(٩).

إذا علمت ذلك فاحمل كلام من قال بإفناذ الوعيد، ولا بد، على هذه الأمراض والآلام التي لا يسلم منها أحد، وأنها تكفي في إفناذ عقوبة الذنب، فإن الله - تعالى - قد عفو عن صاحبها ما عدا العصابة الذين يدخلون النار من حصاة الموحدين، والحمد لله رب العالمين.

(١) "د": "الحق".

(٢) "ك": العبارة: "فينبغي حمل كلام من...".

(٣) "ب": "على الدنيا" ساقطة.

(٤) "ب": "الحسية" ساقطة.

(٥) "ك"، "ز": "لكل خلق".

(٦) الكلام محيي الدين في الفتوحات المكية، ٤/٤٧٧.

(٧) "ك"، "ز": "رضي الله تعالى عنه".

(٨) "ب": "في الدنيا والآخرة".

(٩) عبارة محيي الدين في الفتوحات في قوله - تعالى - ﴿يُغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾:

"فقد قرر الذنب، وأوقع المغفرة، وأفهم من ذلك عباده أنه لا يعاقبهم في الآخرة، وما علق المغفرة بالدنيا لما فيها من الآلام والأمراض النفسية والحسية، وهو عين إفناذ الوعيد في حقهم، ويصح قول المعتزلي في هذه المسألة؛ مسألة إيلام البريء، فإن الأشعري يجوز ذلك على الله...".
انظر: الفتوحات المكية، ٤/٤٧٧.

[تَوْهَمُ أَنْ قُرْبَ الْحَقِّ أَوْ بَعْدَهُ مَسَافَةٌ]

وَمِمَّا أَجَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ فِي قُرْبِ الْحَقِّ -تعالى- مِنْ عِبْدِهِ، أَوْ بَعْدِهِ مِنْهُ ^(١) أَنَّهُ مَسَافَةٌ، كَمَا هُوَ وَصَفُ الْأَجْسَامِ:

اعْلَمْ يَا أَسْمَى أَنْ شَهُودَ ^(٢) الْبَعْدِ وَالْقُرْبِ إِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَى شَهُودِ الْعَبْدِ لَا إِلَى الْحَقِّ ^(٣)، تَعَالَى، فَإِنَّهُ عَلَى الشَّوَامِ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبْدِ ^(٤) مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَفِي هَوَاتِفِ مُحَمَّدٍ مِنْ عَبْدِ الْخَبَرِ الْفَرِيِّ ^(٥) -رَحِمَهُ اللَّهُ-: يَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: مَنْ شَهِدَ قُرْبِي تَارَةً، وَبُعْدِي عَنْهُ تَارَةً، فَمَا عَرَفَنِي، فَإِنَّ الْقُرْبَ الَّذِي عَرَفَهُ هَذَا مَسَافَةٌ، وَالْبَعْدَ الَّذِي عَرَفَهُ مَسَافَةٌ ^(٦)، وَذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ، وَأَنَا لَيْسَ بِجَسَمٍ، فَلَا بُعْدِي، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِي، عَرَفُوا، وَلَا قُرْبِي، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِي، عَرَفُوا، أَتَشَبَّهُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي بَابِ الْأَسْرَارِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ": مِنْ أَعْجَابِ مَا يَعْتَقِدُهُ ^(٧) أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَصَفَهُ -تعالى- بِالْقُرْبِ وَالْبَعْدِ، قَرِيبٌ مِمَّنْ؟ وَبَعِيدٌ عَنْ مَنْ؟ هُوَ ^(٨) أَقْرَبُ إِلَى جَمِيعِ الْعَبِيدِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(٩).

وَقَالَ فِي الْبَابِ السَّكِينِ وَمَاتَيْنِ ^(١٠): لَيْسَ لِلْبَعْدِ مِنَ اللَّهِ -تعالى- سَبِيلٌ، وَإِنَّمَا الْبَعْدُ

(١) "ك": "ب": قوله: "من عبده" ساقط.

(٢) "د": "أن شهود العبد البعد...".

(٣) "د"، "ك": "الحق"، "ز": "الله تعالى".

(٤) "ب"، "ز": "العبد".

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار بن الحسن الفري، نسبته إلى بلدة نقر بين الكوفة والبصرة، من مصنفاته "المواقف" و"المخاضيات"، وكلاماً في التصوف، توفي سنة (٣٥٤هـ)، من كلامه: إذا تعلق العارف بالمعرفة، وادعى أنه تعلق بي، هرب من المعرفة كما هرب من الذكرة، النظر ترجمته: الشعراني، لوائح الأنوار، ٤٢٩/٣، والسنائي، الكواكب الدرية، ١٥٢/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ٤٣٣/٥، والزركل، الأعلام، ١٨٤/٦، وعسر كحالة، معجم المؤلفين، ٣٨٤/٣.

(٦) "ب": قوله: "والبعد الذي عرفه مسافة" ساقط.

(٧) "ك": "يعتقد".

(٨) "ك"، "ب": "وهو".

(٩) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٢٩/٨.

(١٠) "أ"، "ب": وماتة، وليس بصحيح، وإنما هو كما ذكر في المتن والفتوحات، وهذا هو الباب في معرفة القرب، وهو التيام بالطاعات، وقد يطلقونه، ويريدون به "قرب قاب قوسين"، والقرب

منه - تعالى - أَمْرٌ إِضَافِيٌّ^(١) يَظْهَرُ فِي نِسْبَةِ أَمْرِ أَحْكَامِ^(٢) الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، فَرَمَانُ نِسْبَةِ أَمْرِ حَكَمِ الْأَسْمِ الْإِلَهِيِّ فِي شَخْصِيٍّ هُوَ^(٣) زَمَانُ اتِّصَافِهِ^(٤) بِالْقُرْبِ مِنَ الْعَبْدِ، وَقَرَبَ الْعَبْدِ مِنْهُ، وَأَمَّا الْأَسْمُ الَّذِي مَا لَهُ نِسْبٌ أَتَانِ فِي حَكَمِ الْعَبْدِ^(٥) فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ، فَإِذَا أَطَاعَ الْعَبْدُ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ نِسْبَةِ أَمْرِ^(٦) الْأَسْمِ "الْعَزِيزِ" مَثَلًا، وَإِذَا عَصَى فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ نِسْبَةِ أَمْرِ الْأَسْمِ "الْمُذَلِّ" كَذَلِكَ، وَلَا بُعْدَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ الْحَقِّ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى شَهَوَةِ الْعَبْدِ^(٧).

وكثيرًا ما يتوالت على العبد الطاعات، فيصير يحسُّ بشدةٍ قُرْبِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَسْأَلُهُ فِي حَوَائِجِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَتَارَةً يَعْصِيهِ، فَيَصِيرُ يَشْهَدُ^(٨) نَفْسَهُ بَعِيدًا، فَيَسْأَلُهُ^(٩) بِالْوَسَائِطِ حَتَّى إِذَا يَدُقُّ تَوَابِيتَ الْأَوَّلِيَاءِ الْأُمُوتِ^(١٠)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: إِذَا كَانَ الْحَقُّ - تَعَالَى - أَقْرَبَ إِلَى عَبْدِهِ مِنْ حِجْلِ الْوَرِيدِ، فَكَيْفَ أَمَرَ الْعَبْدُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ لَهُ عَمَلٌ يَدْخُلُ مِنْهُ^(١١) لِلْوَسُوسَةِ، وَإِنَّ الْإِشْكَالَ لَا يَبْقَى فِي جَانِبِ الْحَقِّ تَعَالَى، لِأَنَّ قُرْبَهُ لَيْسَ كَقُرْبِ الْأَجْسَامِ لِاسْتِحَالَةِ الْجِسْمِيَّةِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، فَعَلِمَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ نَفْسٌ، وَإِنَّكَ أَنْ تَنْظُرَ بِالْحَقِّ - تَعَالَى -^(١٢) التَّحْيِيزَ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ كَالْأَجْسَامِ،

عنده على ثلاثة أنحاء: قرب بالبطر في معرفة الله، وقرب بالعلم، وقرب بالعمل. انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٨١/٤.

(١) "د": "أمر" ساقطة.

(٢) "د"، "ز": العبارة: "يظهر في نسب أحكام الأسماء...".

(٣) "ب": العبارة: "فرمان نسبة العبد أمر حكم الاسم الإلهي في شخص".

(٤) "د"، "ز": "زمن اتصافه أي الاسم..."، وليس هذا الشرح في الفتوحات المكية.

(٥) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "وأما الاسم الذي ما له حكم العبد".

(٦) "د": قوله: "نسبة أمر" ساقطة.

(٧) "د"، "ز": قوله: "نسبة أمر" ساقطة.

(٨) انظر كلام محي الدين في الفتوحات المكية، ٢٨٢/٤.

(٩) "ب": "فيسير" ساقطة.

(١٠) "ب": قوله: "في حوائجه من غير واسطة، وتارة يعصيه فيشهد نفسه بعيدًا، فيسأله" ساقطة.

(١١) "ك"، "ز": "الأموات من الأولياء".

(١٢) "ك"، "ز": "منه" ساقطة.

(١٣) "ب": "تعالى" ليست فيها.

شُخْطِي، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ أَنْ كَلَامَ الْحَقِّ يَكُونُ عَنْ صَمْتٍ مُتَقَدِّمٍ]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ كَلَامَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَكُونُ عَنْ صَمْتٍ مُتَقَدِّمٍ، أَوْ سَكُوتٍ مُتَوَهِّجٍ:

اعْلَمْ يَا أَحْمِي أَنَّ كَلَامَ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ^(١) قَدِيمٌ يُبَايِنُ كَلَامَ عِبَادِهِ وَيُنْقَضُهُمْ؛ لِأَنَّهُ قَدِيمٌ أَرْزَلِي لَا يُكَيِّفُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ مِنْ عِلْمٍ وَإِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ، كَلَّمَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، سَاءَ الثَّوْرَةُ وَالتَّنْزِيلُ وَالزُّبُورُ وَالْإِنْجِيلُ ^(٢) مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَكْيِيفٍ حَتَّى لَوْ سَأَلَ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: كَيْفَ سَمِعْتَ كَلَامَ رَبِّكَ؟ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِصْصَالِ عِلْمِ كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا بِعِبَارَةٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ عُلُومِ الْأَذْوَابِ، كَمَا لَوْ قُلْتَ لِمَنْ ذَائِقُ طَعْمِ الْغُسْلِ ^(٣): دُونَكَ، صِفْ لِي طَعْمَهُ ^(٤)، لَا يَقْدِرُ عَلَى إِصْصَالِ صُورَةِ ذَوْقِهِ لَكَ فِي عِبَارَةٍ؛ وَلِيَضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ عُلُومَ الْأَذْوَابِ لَا تَضْبِطُهَا عِبَارَةٌ، كَمَا أَنَّ الْقَدِيمَ لَا تَضْبِطُهُ عِبَارَةٌ سِوَاهُ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ تَكْيِيفُهُ؛ إِذْ كَلَامُ اللَّهِ - تَعَالَى - ^(٥) مِنْ غَيْرِ لَهَاءٍ وَلَا لِسَانٍ، كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ مِنْ غَيْرِ أَصْمَحَةٍ وَلَا آذَانٍ، كَمَا أَنَّ بَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ حَدَقَةٍ وَلَا أَحْجَافٍ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي الْبَابِ السَّابِعِ وَالتَّسْعِينَ ^(٦) مِنْ "الْفَتْوحَاتِ" ^(٧): اعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ كَلَامٍ شَقَّ أَسْمَاعَ الْمُمَكِّنَاتِ كَلِمَةُ "كُنْ"، فَمَا ظَهَرَ الْعَالَمُ ^(٨) إِلَّا عَنْ صِفَةٍ

(١) "ك"، "ز"، "الحق تعالى".

(٢) "ب"، "الثورة والإنجيل والزبور".

(٣) "ك"، "ز"، "ذائق الغسل".

(٤) "د"، "دونك" ساقطة، و"العبارة": "صف لنا طعمه".

(٥) "ك"، "كلامه تعالى"، ب: "كلامه من..."، "ز"، "كلامه سبحانه وتعالى".

(٦) "ك"، "التاسع والتسعين". وليس ذلك كذلك، وإنما هو كما ورد في المتن والفتوحات.

(٧) عنوان هذا الباب: "في مقام الكلام وتفصيله"، واقتضاه بقوله فقال على مضمونه:

إن الكلام عبارات والفساط وقد توبه إشارات ولها

لولا الكلام لكنا اليوم في عدم ولم تكن ثم أحكام وأبناء

انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٧٢/٣.

(٨) "أ"، "ب"، "العالم" ساقطة.

الكلام^(١)، وهو توجه نفس الرحمن على عين من الأعيان، فيتكيف بذلك النفس شخصية ذلك المقصود، فيُعبّر عن ذلك الكون بالكلام، وعن ذلك الشيء المتكون عنه بالنفس، وعن الشيء المتكون (اسم فاعل) بالعالم^(٢)، فعلم أن نفس الحق - تعالى - لا يُكيف ولا يُعقل، انتهى^(٣). وقد وردت الإشارة في ذلك^(٤) في نحو حديث: "إن نفس الرحمن يأتي من قبل اليمن"^(٥)، انتهى، فكان مراده - صلى الله عليه وسلم - بنفس الرحمن تنفيسه عنه بالأَنْصار حين أتوه من اليمن.

وقال في الباب الثاني والثمانين ومائة^(٦) في قوله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٧)، إنما قدّم الاسم "السَّمِيع" على "البَصِير" لأن أول شيء عَلِمْنَاهُ^(٨) من الحق - تعالى -^(٩) القولُ منه، والسَّمَاعُ منّا، فكان عنه الوجود، انتهى^(١٠)، فلم تعلم الكلام إلا بالسَّمْع، فهو أول شيء عَلِمْنَاهُ من الصفات كما قاله الكمال بن أبي شريف^(١١).

(١) عبارة عبي الدين: "كما ظهر العالم إلا عن صفة الكلام". انظر: الفتوحات المكية، ٢٧٢/٣.

(٢) "ب": "اسم فاعل أي المتكون"، "ك": "ز"، "أسم" ساقطة.

(٣) نقل الشعراني عبارة الفتوحات بنصرف، انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٢٧٢/٣.

(٤) "ك"، "ب": "إلى ذلك".

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٥٤١/٢، ورواه: "ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن".

(٦) عنوان هذا الباب: "في معرفة مقام السماع". وفي مفتحه يقول ملخصاً ما ورد في هذا الباب:

خذها إليك نصيحة من مشفق	ليس السماع سوى سماع المطلق
واحذر من التقيّد فيه لأنّـه	قول يند عند كلّ عقّـس
إنّ السماع من الكتاب هو الذي	يدريه كلّ معلّم ومُطرّق

انظر: الفتوحات المكية، ٥٤٨/٣.

(٧) (الشورى، الآية ١١).

(٨) "ك": "علّمنا".

(٩) "ك"، "ز": "سبحانه تعالى"، "ب": "الحق تعالى".

(١٠) انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٥٤٩/٣، وفيها يقول: "وكذلك نقول في هذا الطريق: كلّ سماع لا يكون عنه وجد، وعن ذلك الوجد وجود، فليس بسماع، فهذه رتبة السماع التي يرجع إليها أهل الله".

(١١) "ك"، "ز": قوله: "كما قاله الكمال بن أبي شريف" ساقط. "د": "الأشرف"، وليس بصحيح.

[كَيْفِيَّةُ كَلَامِ اللَّهِ وَحُدُوثُهُ وَقَدَمُهُ]

واعلم يا أخي أَنَّ مَسْأَلَةَ كَيْفِيَّةِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، والكلام على حدوثه وقدمه من عُضَالِ الْمَسَائِلِ، وَقَدْ حَصَلَ بِسَبَبِهَا ضَرْبٌ وَقَتْلٌ لِلْإِثْمَةِ، فَلْنَذَكِّرْ لَكَ أَحْسَنَ مَا رَأَيْنَاهُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ، ثُمَّ مَا رَأَيْنَاهُ مِنْ كَلَامِ الْعَارِفِينَ، فنقول وبالله التوفيق:

اعلم أَنَّ الْقُرْآنَ يُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيْنِ كَمَا قَالَ الْكَمَالُ بْنُ أَبِي شَرِيفٍ -رحمه الله-^(١): أَحَدُهُمَا: الْكَلَامُ الْقَائِمُ بِالذَّاتِ الْمُقَشَّرِ، الثَّانِي: الْقَلْبُ الْمُنَزَّلُ عَلَى عَمَدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَلْ إِنْطَلَقَهُ عَلَيْهِمَا بِالِاشْتِرَاكِ، أَوْ هُوَ فِي الثَّانِي مَجَازٌ مشهور؟

الظَّاهِرُ الْإِشْتِرَاكِ، ثُمَّ إِنَّ الْقُرْآنَ بِالمعنى الأولِ مَحَلٌّ نَظَرِ عُلَمَاءِ أَصُولِ الدِّينِ، وبالمعنى الثاني محلُّ نَظَرِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفِقْهِ وَأَصُولِهِ، وَوَجْهُ الْإِضَافَةِ فِي تَسْمِيَةِ كَلَامِ اللَّهِ بِالمعنى الأولِ أَنَّهُ صِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى^(٢)، وبالمعنى الثاني أَنَّهُ -تعالى- أَتَشَاءُ بِرُفُوعِهِ^(٣) فِي الْوُجُوحِ الْمُخْفُوطِ لِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿يَلَا هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ فِي الْوُجُوحِ الْمُخْفُوطِ^(٤) ﴿١﴾، أَوْ بِمَحْرُوفِهِ فِي لِسَانِ الْمَلَكِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى^(٥): ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٢﴾، أَوْ لِسَانِ الشَّيْ لِقَوْلِهِ -تعالى-^(٦): ﴿كَرَنَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴿٣﴾، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُنَزَّلَ عَلَى الْقَلْبِ إِنَّمَا هُوَ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ لَا بِمَحْرُودِ كَوْنِهِ دَالًّا عَلَى كَلَامِهِ الْقَدِيمِ، ثُمَّ هَلْ يُعْتَبَرُ فِي التَّسْمِيَةِ بِالْقُرْآنِ بِالمعنى الثاني خصوصُ الْمَحَلِّ كَمَا قَبْلَ إِنَّهُ اسْمٌ لِهَذَا الْمُؤَلَّفِ الْقَائِمِ بِأَوَّلِ لِسَانِ احْتِرَاقِ اللَّهِ -تعالى- فِيهِ؛ إِذْ لَا يُعْتَبَرُ فِي التَّسْمِيَةِ إِلَّا خصوصُ الثَّالِيفِ الَّذِي لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمُتَلَفِّظِينَ.

(١) "لَا": "رحمة الله تعالى"، "ز": "رحمة الله تعالى ونفعنا به".

(٢) "د": "صفة كلام الله"، "ك": "صفة الله"، "ز": "صفة الله سبحانه وتعالى".

(٣) "ب": "رفويعه" ساقطة.

(٤) (البروج، الأجنان ٢١، ٢٢).

(٥) "د"، "ب": "تعالى" ليست فيها، "ز": "قوله سبحانه وتعالى".

(٦) (الحاقة، الآية ٤٠، التكويم، الآية ١٩).

(٧) "د"، "ب": "تعالى" ليست فيهما.

(٨) (الشعراء، الأجنان ١٩٣، ١٩٤).

قال الكمال بن أبي شريف^(١): الصحيح الثاني؛ لأننا نقطع أن ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى الأول يكون مثل القرآن لا نفسه، قال: وقد متع السلف الصالح من إطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثاني في اللسان^(٢)، أو في المصحف، ومن القول بكونه مخلوقاً أدباً واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى القرآن بالمعنى الأول الذي هو الكلام النفسي^(٣) القائم بذاته تعالى، انتهى.

وقال الشيخ أبو طاهر^(٤) القزويني - رحمه الله -^(٥): قد أجمع السلف كلهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحثٍ منهم، هل ذلك القراءة، أو المقروء، أو المكتوب؟ كما أجمعوا أنهم إذا زاروا قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن المزور والمصلى عليه^(٦)، والمسلم هو النبي - صلى الله عليه وسلم - من غير بحثٍ أنه شخصه أو روحه، وأطال في ذلك، ثم قال: وبالمجمل فالأئمة الكبار^(٧) من شيوخ السلف مثل الإمام أحمد^(٨)،

(١) أبو المعالي كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي شريف المقدسي الشافعي، فقيه أصولي مفسر متكلم ولد في القرن سنة (٨٢٢هـ)، وقرأ على علمائها القرآن بالمرويات والأصول والمنطق والعروض والحديث، ورحل إلى القاهرة، وأخذ عن بعض علمائها كابن حجر والشمس القاسبي، له رسالة في الطاهر، وحاشية على تفسير البيضاوي لم تكمل، وشرح على جمع المجموع. انظر ترجمته: السباعي، الضوء اللامع، ٥٧/٩، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٩/٨، والبغداد، هدية العارفين، ٢٢٢/٢، والأزركلي، الأعلام، ٥٣/٧، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٦٣٢/٣.

(٢) "ب": "باللسان".

(٣) "ك": "كلام الخلق"، وهو تحريف وسوء.

(٤) "ك": "أبو الطاهر"، "ز": "العلامة الشيخ أبو طاهر".

(٥) ورد كلام أبي طاهر في الباب الخامس من "سراج العقول" والموسوم "إشارات كلام الله تعالى، وأنه ليس بحرف ولا صوت". انظر: سراج العقول، ١٤ ب.

(٦) "د": "المزور المصلي". "ز": العبارة: "أن المزور والمسلم عليه والمصلي هو النبي...". وفي "سراج العقول": "أن المزور المصلي والمسلم عليه...".

(٧) "د": "الكبار".

(٨) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، القائل: "طوبى لمن أحفل الله ذكره"، وقد قال أيضاً: "رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب، ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك، فقال: يكلامي يا أحمد، فقلت: بهم أو بغير فهم، قال: بهم وبغير فهم". قيل إن أصله من مروء، ولقد سنة (١٦٤هـ) ببغداد، وتلقه على الشافعي، له أسفار كثيرة في طلب العلم، سجن شاة وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بحلق القرآن، توفي سنة (٢٤١هـ). أنرد له ابن الحوزي كتاباً

وسفيان الثوري^(١)، وأئمة الحديث فاطمة - رضي الله عنهم أجمعين - كانوا أكثر عقلاً، وأغزر علماً، ومن المحال أن يخفى عليهم مثل ذلك، وإنما زحروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه، كما ذموا كلام التوحيد^(٢) المطلق لعلهم بأن استخلاص الأمر الحق^(٣) منه من بين فرب التشبيه، ودم التعطيل عسر جداً إلا على^(٤) من رزقه الله - تعالى -^(٥) الفهم^(٦)، فإن غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن، فخاف السلف أن يترزل على أصحابهم عقائدهم، فأمرهم بمحافظته الأمر الظاهر، والإيمان به قطعاً من غير بحث عن المعنى؛ إذ قد صح إيمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله^(٧)، وهم لم يروا الله ولا ملائكته ورسله^(٨)، ورأوا لأصحابهم أن السكون عن ذلك أسلم، وقالوا: البحث عن ذلك بدعة، وقالوا لهم: أمروهم^(٩) كما حاء من غير كيف، وقولوا آمنا

في متابعه، انظر ترجمته: ابن أبي عمري، طبقات الخبابة، ١/ ١٠٢-٢٣، وابن حنبل، وفيات الأعيان، ١/ ٨٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٥، والصفدي، الوافي بالوفيات، ٦/ ٢٢٥، والشعراني، لوائح الأنوار، ١/ ١٣٢، والسنائي، الكواكب الدرية، ١/ ٥١٧، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢/ ٩٦، والزركلي، الأعلام، ١/ ٣٢٧.

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناف، من مضر، ولد بالكوفة سنة (٩٧هـ) اتفاقاً، وبها نشأ، طلب العلم وهو حدث ماضٍ والده أحدث سعيد بن مسروق، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد زمانه في علوم الدين والعلوم، خرج من الكوفة، فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتواري، فانتقل إلى البصرة، فمات مستحقها، وقبل أنه أقام في اعتقائه نحو سنة، وقد أخرج بجنازه على أهل البصرة بقعة سنة (١٦١هـ)، انظر ترجمته: ابن السديم، القهرست، ٣١٤، وابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢٥٧، والأصبهاني، حلية الأولياء، ٦/ ٣٥٦، وابن حنبل، وفيات الأعيان، ٢/ ٣٢٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٥٩، والصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٥/ ١٧٤، والشعراني، لوائح الأنوار، ١/ ١١٨، والسنائي، الكواكب الدرية، ١/ ٣٠٣، والنسباني، جامع كرامات الأولياء، ٢/ ٩٥، والزركلي، الأعلام، ٣/ ١٠٤، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ١/ ٧٧١.

(٢) "ك"، "ز": "الكلام على التوحيد". (٣) "ك"، "ز": "الأمر" ساقطة.

(٤) "ك"، "ز": "على" ساقطة. (٥) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٦) "د"، "ز": "الفهم عنه". (٧) "ب": "كتبه" ليست فيها.

(٨) "ك"، "ب"، "ز": قوله: "وهم لم يروا الله وملائكته ورسله" ساقطة.

(٩) "ك"، "ز": "أمرهم"، وفي "سراج المفلول": "أمرهم".

به وحذفنا. قال: وهذا نَعْمَرِي فيه مُصلحة عظيمة للعوام، انتهى^(١).

[عقيدة الشيخ ابن العربي في كلام الله]

وأما كلام الصوفية في هذا البحث فأحسنه كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله^(٢)،
وهو أنا ذاكر^(٣) لك من نقوله ما لا تجده عند غالب الأقران، فأقول وبالله التوفيق: قال الشيخ
في الباب الرابع والثلاثين من "الفتوحات"^(٤): إنما نزل القرآن كله ليلة القدر إشارة إلى أنه به
نُعرف مقادير الأشياء وموازنها، وكان نزوله^(٥) في الثلث الآخر منها^(٦).

وقال في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة^(٧): السراء بقوله - تعالى -: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ
مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾^(٨) أنه مُحدث^(٩) الإتيان لهم لا الوجود، فهو قديم في العين،
حادث في الإتيان، فحدث علمه عندهم حين سَمِعُوهُ، كما تقول: حدثت اليوم عندنا
ضيف، ومعلوم أنه كان موجوداً قبل أن يأتي إلينا، وقد جاء القرآن العظيم في مواد حادثة
تعلق السمع بها، وكذلك الفهم تعلق بما دلت عليه الكلمات، فله الحدوث من حيث
الإتيان، وله القديم من حيث العين، وأطال في ذلك^(١٠)، ثم قال: ومما يدلُّك على أن

(١) انتهى كلام أبي طاهر المتكسب من "سراج المَقُول" ١١٨-١١٨ ب.

(٢) "لَا"، "ز": "رضي الله عنه"، "ب": "رحمه الله" ليست فيها.

(٣) "لَا"، "أذكر".

(٤) عنوان هذا الباب: "في معرفة شخص تحقق في منزل النفس، فعاين منها أموراً أذكرها". النظر:
محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣٢٣/١.

(٥) "لَا"، "ز": "نزوله" ساقط.

(٦) "ب"، "ز": "الثالث الأخير"، وانظر قوله في الباب الرابع والثلاثين من فتوحات المكية، ٣٢٩/١.

(٧) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل مفتاح عزائن الجود". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية،
٩٨/٦.

(٨) (الأنبياء، الآية ٢)، (٩) "د": "آه" ساقطة.

(١٠) يعني بذلك محيي الدين، وقد قال في الفتوحات في تفسير ﴿ إِنَّمَا نَزَّلْنَا نَزْلًا عَرَبِيًّا ﴾، وتفسير
﴿ فَأَيُّزِيءُ حَتَّى يَنْسَخَ عَنْكَ آيَاتُ ﴾: "مُضاف الحدوث إلى كلامه، فمن فرق بين الكلام والمتكلم
به (اسم مفعول)، فقد عرف بعض المعرفة، وما أسمع الرحمن كلامه بارتقاء الوسائط إلا ليتمكن
الاشتياق في السامع إلى رؤية المتكلم لما سمعه من حسن الكلام، فتكون رؤية المتكلم أشد، ولا
سيما ورسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن الله جميل يحب الجمال"، والجمال محبوب
لذاته، وقد وصف الحق نفسه به، فشوق النفوس إلى رؤيته". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية،

الكلام لله عز وجل، والترجمة للمتكلم، قوله -تعالى- مُقْسِمًا أَنَّهُ يَعْنِي الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ^(١)؛ ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٢)، فإضاف الكلام إلى الواسطة والترجم، كما أضافه -تعالى- إلى نفسه بقوله -تعالى-: ﴿فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ آتِهِ﴾^(٣)، فإذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله، وموسى -عليه الصلاة والسلام- لما سمع كلمة ربه^(٤) سمع كلام الله، ولكن بين السامعين أبعاد من بعد المشرقين^(٥)، فإن الذي يتركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط^(٦)، انتهى^(٧).

وقال في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة^(٨) في الكلام على قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ الْفُتُورِ أَصْحَابُ الْمَقَامِ﴾^(٩) إلى آخره أي: وليس بما: اعلم أن حكم من يسمع كلام الله -تعالى- كذلك، فربما سمع العبد كلام ربه بصوت وحرف^(١٠) إذا رآه في المنام، وليس هو بصوت ولا حرف في نفس الأمر، وإن كان من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر إلا بمناسبة تكون بينهما، فهو مثله في النسبة، لا مثله في العين، وأطال في ذلك ثم قال: فكما أن الظمان إذا جاء السراب ثم

١٤٧/٦

(١) "ب": قوله: "أن الكلام لله عز وجل، والترجمة للمتكلم، قوله تعالى مقسمًا أنه يعني القرآن العظيم" ساقط، وقوله: "العظيم" ليست في "أ".

(٢) (التكوير، ١٩، الحاقة، ٤٠).

(٣) (النوبة، الآية ٦).

(٤) "ك"، "ز": العبارة: "لما كلمه ربه سمع...".

(٥) "د": العبارة: ولكن بين السامعين بعد المشرقين".

(٦) "د"، "ز": "بالواسطة".

(٧) انظر قول محي الدين في الفتوحات المكية، في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة، ١٤٧/٦، وقد نقله الشعراوي متصرفًا بالعبارة.

(٨) "د"، "ك"، "ز": "الثامن والسبعين وثلاثمائة"، وليس ذلك كذلك، وإنما كما ورد في "أ" و "ب" والفتوحات، وعنوان هذا الباب في الفتوحات "في معرفة منزل سر وسرين وثنايك عليك بما ليس لك، وإجابة الحق إليك في ذلك لمعنى شرفك به من حضرة همدية". انظر: الفتوحات المكية، ٦/٢٢٢.

(٩) (النور، الآية ٣٩).

(١٠) "ب": "بحرف وصوت".

يُجِدُهُ مَاءً كَمَا كَانَ رَأَاهُ مِنْ بَعْدِ، كَذَلِكَ مَنْ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ فِي الْمَنَامِ لَوْ كُشِفَ عَنْهُ الْغِطَاءُ لَمْ يَجِدْهُ يَصُوتٌ وَلَا حَرْفٌ كَمَا سَمِعَهُ، أَتَشْبِي^(١).

وَكَانَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- يَقُولُ: مِثَالُ ظَهْوَرِ الْوَحْيِ فِي الْأَلْفَاظِ مِثْلُ ظَهْوَرِ جَبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي صُورَةِ دَحْيَةٍ^(٢)، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حِينَ ظَهَرَ فِيهَا يَشْرِكُ مَحْضًا، وَلَا مَلَكًا مَحْضًا، وَلَا كَانَ يَشْرِكُ وَمَلَكًا^(٣) مَعًا فِي أَنْ وَاحِدٍ، فَكَمَا تَبَدَّلَتْ صُورَتُهُ فِي أَعْيُنِ الشَّاظِرِينَ، وَلَمْ تَبْدُلْ^(٤) حَقِيقَتُهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، فَكَذَلِكَ الْكَلَامُ الْأَزَلِيُّ، وَالْأَمْرُ الْأَحَدِيُّ، يَحْتَمِلُ بِلِسَانِ الْعَرَبِيِّ تَارَةً، وَبِلِسَانِ الْعَبْرِيِّ تَارَةً^(٥)، وَبِلِسَانِ السُّرْيَانِيِّ تَارَةً، وَهُوَ فِي ذَاتِهِ أَمْرٌ وَاحِدٌ أَزَلِيٌّ، فَالْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ، وَمُوسَى يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ^(٦)، وَلَكِنْ، بَيْنَ سَامِعَيْهِمَا ابْعَدُ مِنْ بَعْدِ الْمَشْرِقَيْنِ^(٧)، وَلَوْ كَانَ سَامِعُهُمَا وَاحِدًا لَيُطْلَ الْأَصْطِفَاءُ أَتَشْبِي.

وَقَالَ فِي الْبَابِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ^(٨): أَعْلِمُ أَنَّهُ مَا دَامَ الْقُرْآنُ فِي الْقَلْبِ

(١) أَتَشْبِي كَلَامٌ عَمَّا فِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالسِّمِينِ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَعِبَارَتُهُ: "وَمَنْ اِخْتَالَ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرٌ فِي صُورَةِ أَمْرٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ تَنَاسُبٍ، فَهُوَ مِثْلُهُ فِي النِّسْبَةِ لَا مِثْلُهُ فِي الْعَيْنِ،....، وَالْحَقُّ -تَعَالَى- يَظْهَرُ فِي عَيْنِ الرَّائِي السَّرَابَ مَاءً، وَلَيْسَ مَاءً، وَهُوَ عِنْدَهُ إِذَا جَاءَ إِلَيْهِ الظُّلْمَانُ، وَكَذَلِكَ الْعِطْشُ إِلَى الْعِلْمِ بِمَا فِي الْبَطْنِ يَأْخُذُ فِي الْبَطْنِ فِي الْعِلْمِ بِهِ، فَيَقْبِضُهُ تَقْبِيضَ تَنْزِيهِ أَوْ تَنْشِيءٍ، فَإِذَا كُشِفَ الْغِطَاءُ وَهُوَ حَالٌ وَصُولِ الظُّلْمَانِ إِلَى السَّرَابِ لَمْ يَجِدْهُ كَمَا قَبِضَهُ، فَأَنْكَرَهُ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ غَيْرَ مَقْبُوضٍ بِذَلِكَ التَّقْبِيضِ الْخَاصِّ". انظر: عَمِّي الدِّينِ، الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، ٦/٢٣١.

(٢) وَهَذَا حَدِيثٌ شَرِيفٌ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، ١٠٧/٢، وَفِيهِ: "كَانَ جَبْرِيلُ يَأْتِي شَيْئًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي صُورَةِ دَحْيَةٍ". أَمَّا دَحْيَةُ الْكَلْبِيِّ فَهُوَ دَحْيَةُ بِنِ خَلِيفَةَ بْنِ فَرُوهَ بْنِ فَضَالَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَمْرِئِ الثَّعْلَبِيِّ، بَعَثَ الرُّسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى قَبْرِهِ فِي الْهَدَنَةِ، نَزَلَ الشَّامَ، وَبَقِيَ إِلَى إِمَامٍ مُعَاوِيَةَ. انظر ترجمته: الذَّهَبِيُّ، سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، ٣/٢٧٦، وَنَهْذِيبُ الْكَمَالِ، ٣٩٢/١، وَابْنُ الْأَثِيرِ، أُسْدُ الْغَابَةِ، ٢/١٣٦.

(٣) "ك": "لَوْ مَلَكًا".

(٤) "د": "تَبَدَّلَ".

(٥) "ك"، "ز": "الْعِبْرَانِيَّ".

(٦) "ب": "قَوْلُهُ: "وَمُوسَى يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ" سَائِطٌ.

(٧) "د": "وَلَكِنْ بَيْنَ كَلَامَيْهِمَا بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ"، "ك": "بَيْنَ كَلَامَيْهِمَا".

(٨) صَدْرُهُ "فِي مَعْرِفَةِ مَزَلِ الْقُرْآنِ مِنَ الْخِصْرَةِ الْهَدَنِيَّةِ". انظر: عَمِّي الدِّينِ، الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، ٥/١٣٤.

فَلَا حَرْفَ وَلَا صَوْتًا، فَإِذَا تَطَلَّقَ بِهِ الْقَارِئُ تَطَلَّقَ بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ، انْشَبَّ^(١).
 وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ وَثَلَاثِينَ^(٢): اعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْوَحْيُ الدَّائِمُ^(٣)
 الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ مِنْ حَيْثُ مَعْنَاهُ، فَهُوَ الْجَدِيدُ الَّذِي لَا يَبْلَى، لَكِنَّهُ يَظْهَرُ فِي قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ
 عَلَى صُورَةٍ لَمْ يَظْهَرْ بِهَا فِي السَّنَنَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- جَعَلَ لِكُلِّ مَوْطِنٍ حُكْمًا لَا يَكُونُ
 لِغَيْرِهِ، فَهُوَ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ أَحَدِي الْعَيْنِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ الْخَيَالُ، فَيُجَسِّمُهُ وَيُقَسِّمُهُ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ
 مِنْهُ السَّلَاسُ، فَيُبَصِّرُهُ الْقَارِئُ بِشَاكِلَةِ ذَاتِ صَوْتٍ وَحَرْفٍ، وَيَقْدِرُ^(٤) بِهِ سَمْعَ الْأَذَانِ، وَقَدْ
 قَالَ -تَعَالَى-: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾^(٥)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ- بِلسَانِهِ أَصْوَاتًا وَحُرُوفًا، فَاسْمَعَهَا^(٦) الْأَعْرَابِيُّ بِسَمْعِ أَذْنِهِ^(٧) فِي حَالِ تَرْجُمَةٍ، فَالْكَلَامُ
 لَهُ بِلَا شَكٍّ، وَالتَّرْجُمَةُ بِهِ لِفُلْكَالِ الْمُتَكَلِّمِ كَمَا كَانَ، انْشَبَّ^(٨).
 وَقَالَ فِي بَابِ الْأَسْرَارِ: مَا الْعَجَبُ إِلَّا مِمَّا كَيْفَ تَكَلَّمُوا كَلَامَهُ وَهُوَ قَائِمٌ بِذَاتِهِ؟ وَاللَّهُ

(١) عبارة محيي الدين في ذلك: "لمن كونه حروفاً، والمفهوم من هذا الاسم أمران: الأمر الواحد المسمى قولاً وكلاماً ولفظاً، والأمر الآخر يسمى كتابةً ورقماً وحطاً، والقرآن بخط، فله حروف السرق، ويسنطق به، فله حروف اللفظ،... فإذا انتظمت الحروف سميت كلمة، وإذا انتظمت الكلمات سميت آية، وإذا انتظمت الآيات سميت سورة". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٣٩/٥.

(٢) عنوان الباب "في معرفة منزل علم الآلاء والفراغ إلى البلاء، وهو من الحضرة المحمدية". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٥٨/٥.

(٣) "د": "الحق الدائم".

(٤) "د": "يقدر"، ولعله تصحيف.

(٥) (التوبة، الآية ٦).

(٦) "د"، "ك"، "ز": "سمعها".

(٧) "آ": "أذنه"، وهو تصحيف يدرجته بمعنى وما ورد في الفتوحات المكية.

(٨) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٦٠/٥، وفيه يقول: "نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، نزل به أرواح الأميين، ثم لا يزال ينزل على قلوب أئمة إلى يوم القيامة، فنزوله في القلوب جديد لا يبلى، فهو الوحي الدائم، فليرسول -صلوات الله عليه وسلامه- الأولى في ذلك، وإشليغ إلى الأمساع من البشر، والإبداء من البشر...، وظهر في قلبه على صورة لم يظهر بها في لسانه، فسبأن الله جعل لكل موطن حكماً لا يكون لغيره...، فأخذه السلسان، فصوره ذا حرف وصوت، وقصيد به سمع الأذان، وأبان أنه مترجم عن الله...، فنلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلسانه أصواتاً وحروفاً بمعناه الأعجمي بسمع أذنه في حال ترجمته". انظر: الفتوحات المكية، ١٦٠/٥.

إنها أَسْتَوْرُ مُسْتَلْةً، وَأَبْوَابٌ مَقْفَلَةٌ، وَأُمُورٌ مَبْهَمَةٌ، وَعِبَارَاتٌ مُوْهِمَةٌ، هِيَ شُبُهَاتٌ مِنْ أَكْثَرِ الْجَلَبَاتِ، أَتَمَّتْ^(١).

وَقَالَ فِي بَابِ الْأَسْرَارِ أَيْضًا: ذَكَرُ الْقُرْآنِ أَمَانٌ، وَبِهِ يَجِبُ الْإِيمَانُ أَلَّهُ كَلَامُ الرَّحْمَنِ، مَعَ تَقْطِيعِ حُرُوفِهِ فِي اللِّسَانِ، وَتَنْظِيمِ حُرُوفِهِ فِيمَا رُقِمَ بِالْبُرَاقِ وَالْبَنَانِ، فَحَدَّثَتْ الْأَلْوَاخُ وَالْأَقْلَامُ، وَمَا حَدَّثَ الْكَلَامُ، وَحَكَمَتْ عَلَى الْعُقُولِ الْأَوْهَامُ، بِمَا^(٢) عَجَرَ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْأَفْهَامُ^(٣).

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: الذِّكْرُ الْقَدِيمُ ذَكَرُ الْحَقِّ، وَإِنْ حَكَمَى مَا نَطَقَ بِهِ الْخَلْقُ، كَمَا أَنَّ الذِّكْرَ الْحَادِثَ مَا نَطَقَ بِهِ الْخَلْقُ، وَإِنْ كَانَ كَلَامَ الْحَقِّ، إِذَا كَانَ الْحَقُّ -تَعَالَى- يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ، فَالذِّكْرُ قَدِيمٌ، وَمِزَاجُهُ بِالْعَبْدِ مِنْ تَسْوِيمٍ، لَا يَعْرِفُ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ الْحَقُّ -تَعَالَى- قُوَاهُ، وَلَا يَكُونُ قُوَاهُ إِلَّا إِنْ آتَاهُ وَقُوَاهُ^(٤).

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: لَا يُضَافُ الْخَدُوثُ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ إِلَّا إِذَا كُنَّ الْحَادِثُ أَوْ ثَلَاثُهُ، وَلَا يُضَافُ الْقِدَمُ إِلَى كَلَامِ الْحَادِثِ إِلَّا إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ اللَّهُ كَمُوسَى وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾^(٥)، ﴿وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾^(٦).

وَقَالَ فِي بَابِ الْأَسْرَارِ أَيْضًا^(٧): أَعْلَمُ أَنَّ أَصْدَقَ الْقَوْلِ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ، وَالصَّحْفِ الْمُطْمَئِنِّ، وَمَعَ تَرْبِيهِ الَّذِي لَا يَلْغُهُ تَنْزِيهِ، نَزَلَ إِلَى التَّشْبِيهِ الَّذِي لَا يُعَاثِلُهُ تَشْبِيهِ، فَذَلَّتْ آيَاتُهُ بِلِسَانِ رَسُولِهِ، وَبَلَغَ رَسُولُهُ بِلِسَانِ قَوْمِهِ، وَمَا ذُكِرَ صُورَةً مَا جَاءَ بِهِ الْمَلَكُ، هَلْ هُوَ أَمْرٌ ثَالِثٌ لَيْسَ هُوَ مِثْلَهُمَا؟ أَوْ مُشْتَرَكٌ؟ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَالْمَسْأَلَةُ فِيهَا

(١) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٤٦/٨، والعمارة تَمَّ: "ما العجب إلا كيف قيل: يرجع إليه من هو لديه، ولم يزل في يديه ستور مستلة، وأبواب مقفلة، وأمور مبهمة..."

(٢) "ك"، "ب"، "لما".

(٣) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٠٧/٨.

(٤) نقل الشعراني العبارة متصرفاً بها، بحدوثها منها، وفيها يقول: "لا يعرف الحق إلا من كان قواه، ولا يكون قواه إلا من قواه". انظر: الفتوحات المكية، باب الأسرار، ١٠٧/٨.

(٥) (يونس، الآية ٨٤).

(٦) (يونس، الآية ٧٩)، وانظر عبارة محيي الدين في باب الأسرار من الفتوحات المكية، ١٧٢/٨.

(٧) "ب": "أيسخا" ساقطة. وقد جاء هذا القول في باب الأسرار: "من بُلي بالأشد في تحري الأصد"، انظر: الفتوحات المكية، ١٥٨/٨.

إشكالاً؛ لأنَّ العبارات أبحاثاً، والكلام لله ليس هو لنا، فما هو المنزَّل^(١)؟ والمعاني لا تنزل، إنَّ كانَّ العبارات، فما هو القول الإلهي؟ وإنَّ كانَّ القول، فما هو اللفظ الكياني^(٢)؟ وهو اللفظ بلا ريب، فأين الشهادة والغيب؟ إنَّ كانَّ ذليلاً فكيف هو أقوم قبلاً، وما ثمَّ قبل (لا من هذا القبيل، وهو معلوم^(٣) عند علماء الرسوم، انتهى^(٤)، فتحقق به، ولا نطلق، انتهى.

فإنَّ قال قائل: فهل كانَّ يجوز لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنَّ يتصرف فيما أنزل عليه بعبارة أخرى؟ فإنَّنا ما عَلِمنا كلام الله^(٥) إلاَّ منه صلى الله عليه وسلم، كتنظير ما قاله العلماء إنه يجوز رواية الحديث بالمعنى للعارف.

والجواب: لا يجوز لأحد أنَّ يعتقد أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تصرف في المنزَّل^(٦) عليه، أو أنه رواه بالمعنى؛ لأنه لو صحَّ في حقه ذلك، لكان مُسَكِّناً لنا صورة فهمه -صلى الله عليه وسلم- لا صورة ما نُزِّل عليه، وقد قال -تعالى-: ﴿يُنَزِّلُ الْفُتُوحَاتِ﴾^(٧)، فمن المُحال أنَّ يكون -صلى الله عليه وسلم- غير شيئاً من أعيان تلك الأيات التي أنزلت عليه، بل لو فرض أنه عَلِمَ جميع معاني كلام الله -تعالى-^(٨) بحيث لا يشك عنه شيء من معناه، وعَدَّلَ عما أنزل، فأَيُّ فائدة للعدول^(٩)، وحاشاه من^(١٠) ذلك حاشاه، وأوَّ أنه صحَّ في حقه تصرف في صورة ما نُزِّل من الحروف اللفظية، لكان يصدَّق عليه أنه بلغ للناس ما أنزل عليهم^(١١)، وما لم يُنزل إليهم، ولا قائل بذلك، فافهم، فقد بان لك تنزيه كلام الله -تعالى- عن صفة كلام خلقه، والحمد لله رب العالمين.

(١) "ك"، "ب"، "ز": "النزل"، وفي الفتوحات كما في المتن.

(٢) "الكناني"، "د": "الكني"، "ك"، "ب"، "ز": "الكان"، وفي الفتوحات كما ورد في المتن.

(٣) "ك"، "ز": "معلوم" ساقطة.

(٤) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٥٨/٨.

(٥) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٦) "د"، "ز": "باللفظ المنزل"، "ك": "مصرف باللفظ".

(٧) (النحل، الآية ٤٤). (٨) "د"، "ك": "عز وجل".

(٩) "ب": "العدوله". (١٠) "ك"، "ب": "عن".

(١١) "ك"، "ز": "إليهم".

[تَوْهَمُ أَنْ سَمَاعَ جَبْرِيلَ أَوْ النَّبِيِّ كَلَامُ اللَّهِ كَسَمَاعِ الْخَلْقِ]

بَعْضُهُمْ بَعْضًا

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ سَاعَ جَبْرِيلَ أَوْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 كَلَامُ اللَّهِ - تَعَالَى - صَوْرَتُهُ صَوْرَةُ سَمَاعِ كَلَامِ الْخَلْقِ ^(١) لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَتَشْكُلُ الْحُرُوفُ
 اللَّفْظِيَّةُ الَّتِي يُنْطَلِقُ بِهَا الْعَبْدُ ^(٢) فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ تَنْصَلُّ بِمَجَالِ السَّمَاعِ عَلَى صَوْرَةٍ مَا تَنْطِقُ بِهِ
 الْمَتَكَلِّمُ، ثُمَّ إِذَا تَشَكَّلَتْ فِي الْهَوَاءِ، فَحِينَئِذٍ تُعَلِّقُ بِهَا أَرْوَاحُهَا، فَلَا يَزَالُ الْهَوَاءُ يُمَسِّكُ
 عَلَيْهَا شَكْلَهَا، وَإِنْ انْقَضَى عَمَلُهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَلْتَحِقُ بِسَائِرِ الْأَمْثِلِ، فَيَكُونُ شَغْلُهَا التَّسْيِيعَ
 لِرُبُّهَا ^(٣).

وَالْجَوَابُ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْكَشْفِ قَاطِبَةٌ أَنَّ سَاعَ مُحَمَّدٍ وَجَبْرِيلَ - عَلَيْهِمَا
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَلَامُ الرَّبِّ حَلٌّ وَعَلَا ^(٤) لَا يَصِحُّ تَكْيِيفُهُ، وَلَا يَقْدِرَانِ عَلَى إِصَالِ ذَلِكَ
 إِلَيْنَا بِعِبَارَةٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِصَوْتٍ، وَلَا حَرْفٍ، وَلَا هُوَ عَرَبِيٌّ، وَلَا هُوَ عَجَمِيٌّ، وَلَا يُشَبِّهُ ^(٥)
 كَلَامَ شَيْءٍ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادِ، وَلَكِنْ، يُخَلِّقُ اللَّهُ - تَعَالَى - لِمَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ عِلْمًا
 ضَرُورِيًّا لَا يُشْكُ فِيهِ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ يُقَدِّفُ فِي قَلْبِهِ قَدْفًا لَا يَدْرِي كَيْفَ وَصَلَ إِلَيْهِ، وَلَا
 يَتَحَيَّرُ بِحَقِّهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَتْ الْحُرُوفُ الْمَنْطُوقُ بِهَا فِي السَّنَةِ الْخَلْقِي تَنْطَوِّرُ مَلَائِكَةُ تُسَبِّحُ
 رَبُّهَا، وَيَكُونُ ثَوَابُهَا لِلْمَتَكَلِّمِ بِهَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكَشْفِ، فَمَا حُكْمُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَبَى اللَّهُ
 عَنْهَا؟ هَلْ تَنْطَوِّرُ كَذَلِكَ مَلَائِكَةُ تُسَبِّحُ اللَّهَ ^(٦)، وَتُسْتَغْفِرُ لِلنَّاطِقِ بِهَا، أَوْ تُسَبِّحُ؟ فَالْجَوَابُ
 الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْكَشْفِ أَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي ^(٧) إِنْ كَانَتْ تُرَضِّي اللَّهَ - تَعَالَى - فَهِيَ تُسْتَغْفَرُ
 لِصَاحِبِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تُسَخِّطُ اللَّهَ - تَعَالَى - فَهِيَ تُلْعَنُ صَاحِبِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ الْعَبْدَ
 لَيَتَكَلَّمُ ^(٨) بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يُقْلِي لَهَا بِالْأَلْفِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ

(١) "ك"، "ز"، "عليهما".

(٢) "ك"، "ز"، "ب": "سَاعِ الْخَلْقِ بَعْضُهُمْ".

(٣) "ب": الْعِبَارَةُ: 'يُنْطَلِقُ بِهَا فِي الْهَوَاءِ'.

(٤) "ك"، "ز"، "ب": "ز": 'تَسْبِيحُ رَبِّهَا'.

(٥) "ك"، "ز": "عَزَّ وَجَلَّ".

(٦) "ك"، "ز": "يُسَبِّحُهُ".

(٧) "ك"، "ز": "اللَّهُ تَعَالَى".

(٨) "ك"، "ز": "الَّتِي سَاقَطَتْ".

(٩) "ك"، "ب": 'يَتَكَلَّمُ'.

خريفاً^(١)، وذهب بعضهم إلى أن حروف الكلمة التي نهي الله عنها^(٢) تستغفر لصاحبها من عصاة المؤمنين من حيث إنه كان سبباً في ظهور نشأتها، ولا علم لها بما على صاحبها من الإثم، والحديث ربما يرد ذلك، فإنك والغلط.

وقد سمعت بعض أهل الكشف يقول^(٣): إن الأفعال والأقوال التي نهي الله عنها، أو أضر بها، هي التي تتولى عذاب أهلها، أو نعيمهم، فتطور له بصورة "ضوان"^(٤)، أو صورة^(٥) "مالك" حازن النار.

فإن قال قائل: قبل يدرك الحروف اللفظية الهوائية موت بعد وجودها؟ فالجواب: قد^(٦) أجمع أهل الكشف على أنه لا يلحقها موت بخلاف الحروف الرقمية، والفرق أن الحروف الرقمية تقبل التغيير والزوال، لأنها في محل يقبل ذلك، ولا هكذا الأشكال اللفظية، فإنها في محل لا يقبل التغيير^(٧)، فكان لها البقاء، انتهى.

[القول على الحروف المقطعة أوائل السور]

فإن قال قائل: فما المراد بهذه الحروف أوائل السور مثل "الم" "وحم" و"ق" و"ن"؟

فالجواب: قد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة^(٨) من

(١) يروى الحديث: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار"، أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٤٦٩/٢، ويروى فيه: "وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله حمز وحل - ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله - عز وحل - بها عليه سخطه إلى يوم القيامة"، والبيهقي في الصحيح، كتاب الرقاق (الباب ٨٠٤/١٣٥٨)، وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن (٣٩٧)، والترمذي في السنن، كتاب الزهد (٢٣٢١)، والإمام مالك في الموطأ، كتاب الكلام، ٧٧٢.

(٢) "ذ"، "ز"، "الله عنها تعالى". (٣) "ب"، "يقولون".

(٤) "ذ"، "ك"، "ز"، "صورة نحو".

(٥) "ك"، "ز"، "صورة نحو مالك"، "ب"، "صورة مالك".

(٦) "ب"، "قد ساقطة، "ز"، "قد". (٧) "ب"، "التغيير".

(٨) "أ" ومائتين، "د"، "ز"، "الثاني والتسعين ومائة"، "ك"، "ومائة"، "ب"، "الباب الثامن والتسعين". والحسنى أنه في الباب الثامن والتسعين ومائة، وعنوانه: "في معرفة النفس بفتح الفاء". انظر: الفتوحات المكية، ٢٩/٤.

"الفتوحات" أن جميع الحروف المقطعة أوائل السور ملائكة، قال: وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع، وما منهم أحد إلا وأقادني علماً لم يكن عندي، فهم من جملة أضياعي من الملائكة، فإذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل نداءهم، فيجيبونه، فإذا قال القارئ "الم" مثلاً، قال له هؤلاء الثلاثة من الملائكة^(١)؛ ما تقول؟، فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف، فيقولون له: صدقت، إن كان خيراً، ويقولون^(٢)؛ هذا مؤمن حقاً، نطق بحق وأخبر بحق، فيستغفرون له، وهكذا القول في "المص" ونحوها، قال: ومجموع ذلك أربعة عشر ملكاً آخرهم "ن". قال: وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة، فبعض المنازل ظهر فيها واحد^(٣)، نحو "ص" و"ق" و"ن"، ومنازل ظهر فيها اثنان؛ مثل "طس" و"يس" و"حم"، وهكذا، وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكاً، بيد كل ملك شعبة من شعب الإيمان، فمن تلا القرآن عاملاً به، فقد استمسك بشعب الإيمان كلها^(٤)، فإن الإيمان يضاعف وسبعون شعبة^(٥)، كما ورد^(٦)، والبضع من واحد إلى تسعة، فقد استوفى غاية البضع^(٧).

وأطال الشيخ^(٨) في ذلك، ثم قال: فمن نظر إلى هذه الحروف بالباب الذي فتحه له رأى عجائب^(٩)، منها أن هذه الأرواح الملكية^(١٠) التي هذه الحروف كاجسامها تكون

(١) "ب": "من الملائكة" ساقطة.

(٢) "ك"، "ز"، "وقالوا"، وهذا لا يستقيم.

(٣) "د"، "ب"، "ز": العبارة: "ظهر ملك واحد".

(٤) قوله: "من شعب الإيمان، فمن تلا القرآن عاملاً به، فقد استمسك بشعب الإيمان كلها" ساقط من "ب" و "ب".

(٥) "ك": قوله: "فإن الإيمان يضاعف وسبعون شعبة" ساقط، "ز": ثم سقط ظاهر في الجملة كلها.

(٦) هذا من الأحاديث المشهورة، وقد أخرجه مسلم في الصحيح، باب بيان عدد شعب الإيمان وتقسيمها (٣٥)، وأحمد في المسند، ١٤٨/٤، وأبو داود في السنن، باب في رد الإرجاء (٤٦٧٦)، والترمذي في السنن، باب ما جاء في استكمال الإيمان (٢٦١٤)، والنسائي في السنن، باب ذكر شعب الإيمان (١١٧٣٦)، وابن حبان في الصحيح، باب ذكر البيان بأن الإيمان أجزاء وشعب (١٦٦).

(٧) الكلام لحي الدين في الفتوحات، ١١٦/٤.

(٨) "ب": العبارة: "وأطال في ذلك".

(٩) "ك"، "ز": "عجائب عظيمة" و"عظيمة" ليست في الفتوحات.

(١٠) "ك"، "ز": "الأرواح الملائكة".

تحت تسخيرها إذا لُفّقَ بها، فتمتدّ بها يديها من شُعب الإيمان، وتُحفظ عليه إيمانه إلى الممات، انتهى^(١).

فإن قلت: فهل لمقام تلاوة^(٢) رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للقرآن بعده وارث أم لا؟

فالجواب: نعم، له وارث، وكذلك القول في كل^(٣) مقام ما لم يرد لنا شرع بخلافه^(٤)، والفرق بين تلاوة الوارث وغير الوارث أن الوارث يُلَوِّحُ القرآنَ عارقاً بمعاني ما يقرؤه، وغير الوارث يُلَوِّحُ حروفاً تركت من الخيال الذي هو في مقدّم الدماغ إلى اللسان، فترجمَ بها من غير أن يُجاوِزَ^(٥) حتّى جَرَّه إلى القلب الذي في صدره، فلم يصل إلى قلبه^(٦) منه شيء، ولا يضاح ذلك أن القارئ إذا لم يكن وارثاً لمقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في التلاوة إنما يُلَوِّحُ حروفاً مُثَلَّةً في خياله، حصّلت له من اللفاظ مُعلَّمة^(٧) إن كان أخذ القرآن عن تلقين، أو عن حروف كتابة إن كان أخذَه من كتاب، فإذا أحضر تلك الحروف في خياله، ونظر إليها بعين خياله، ترجم اللسان عنها، فتلاها من غير تدبّر ولا فهم، بل ليقاء^(٨) تلك الحروف في خياله.

فإن قيل: فهل لهذا القارئ أجر تلاوة القرآن أم لا؟

فالجواب الذي دلّ عليه الكشف الصحيح أن لهذا القارئ^(٩) من الأجر مثل أجر الترجمة لا مثل أجر القرآن^(١٠)؛ وذلك لأنه ما تلا المعاني، وإنما تلا الحروف، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الذين يقرءون القرآن لا يُجاوِزُ^(١١) حَاجِرَهُمْ إلهم

(١) "د": انتهى "ساقطة، وزاد محي الدين: "وتحفظ عليه إيمانه، وهذا كله من النفس الرحاني الذي نفس الله به عن خلقه". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١/١٦٦.

(٢) "د": العبارة: "فهل لمقام رسول الله...".

(٣) "ب"، "ج"، "كل" ساقطة.

(٤) "ب"، "ز": العبارة: "...شرع بخلافه".

(٥) "ب": العبارة: "من غير تجاوز"، "ز": "من غير أن يجاوز".

(٦) "د"، "ك": "القلب". (٧) "د": "من الألفاظ مسلمة".

(٨) "د": "كَيْفَ". (٩) "ب": "القارئ".

(١٠) "د": العبارة: "لا أجر القرآن". (١١) "ب": "لا يجاوز".

يَعْرِفُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَهْرَقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ^(١)، انتهى. أي: يُعْرِفُونَ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى قِرَاءَتِهِمْ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، يعني الجزاء الكامل الحاصل للوارث، فافهم، ونزرة سماع جبريل ومُحمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ- كَلَامَ اللهِ عَنْ صَوْرَةِ سَمَاعِ الْخَلْقِ كَلَامَ نَعْضِهِمْ نَعْضًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَعْيَارَهَا مُكَيِّفَةٌ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَعْيَارِهَا أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَا يَتَعَلَّقُهُ الْعَوَامُّ مِنْهَا، وَالْجَوَابُ أَنَّ أَهْلَ اللَّهِ -تَعَالَى-^(٢) قَاطِبَةً أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِآيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَعْيَارِهَا عَلَى^(٣) حَدِّ مَا يَعْلَمُهُ اللهُ تَعَالَى^(٤)، وَعَلَى حَدِّ مَا يَقْبَلُهُ ذَاكَ^(٥)، وَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ^(٦)، وَلَا يَحْوِزُ لَنَا رَدُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا تَكْيِيفٌ، وَلَا نِسْبَةٌ ذَلِكَ إِلَى الْخَلْقِ حَلًّا وَعَلَا- عَلَى حَدِّ مَا تَنَسَّبَ إِلَيْنَا، وَذَلِكَ لِأَنَّنَا جَاهِلُونَ بِفَاتِهِ -تَعَالَى- فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي الْآخِرَةِ^(٧) لَا تَدْرِي كَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ، وَكُلُّ مَنْ رَدَّ شَيْئًا أَبْتَهَ الْخَلْقَ -تَعَالَى- لِنَفْسِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضِ ذَلِكَ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَقَدْ

(١) لنص الحديث: "يخرج في آخر الزمان قوم أحدثت الأسنان، سفهاء الأحلام، يفرؤون القرآن لا يحاورون تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يعرفون من الدين كما يهرق السهم من الرمية..."، أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١/٨٨٨، ٩٢، ١٣١، والبخاري في الصحيح، كتاب التوحيد (الكتاب ١٢٥٢/٢٣٥٩)، ٨/٨٤١، ومسلم في الصحيح، كتاب الزكاة، الباب ٤٧، (١٤٣-١٤٤/١٠٦٤)، (شرح صحيح مسلم)، ٧/١٦٨، وابن ماجة في السنن، المقتطف، باب ذكر الخساراج، (٢/١٦٨)، ١/٠٨، وأبو داود في السنن، كتاب السنن، باب في قتال الجوارح، (٤٧٦٤)، ٥/٧٨، والترمذي في السنن، كتاب الفتن، (٢١٩٥)، ٤/٨٠، والسنائي في السنن، الزكاة، ٧٩، والحكيم الترمذي في توفيق الأصول، ١/٣٤٧.

(٢) "ك"، "ب"، "ز"، "تعالى" ليست فيها.

(٣) "ك"، "ز"، "ولكن على..."

(٤) "ب": قوله: "أن المراد بها ما يتعلقه العوام منها، والجواب أن أهل الله تعالى قاطبة أجمعوا على أنه يجب الإيمان بآيات الصفات وأعيارها على حد ما يعلمه الله تعالى" سألط.

(٥) "ك"، "ز"، "ذاته المقدسة".

(٦) "ك": "وما لا يليق بصفاته"، وهذا لا يستقيم.

(٧) "ب": "وفي الآخرة" سألط.

كَفَرَ كَذَلِكَ^(١)، وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِذَلِكَ^(٢)، وَلَكِنْ شَبَّهَ فِي نَسَبِ ذَلِكَ إِلَهَ مِثْلَ نَسَبِهِ إِلَيْنَا، أَوْ تَوَهَّمْ ذَلِكَ، أَوْ خَطِرْ عَلَى بَالِهِ^(٣)، أَوْ تَصَوَّرْهُ، أَوْ جَعَلَ ذَلِكَ مُمَكَّنًا بِوَجْهِ لَا يُخَالِفُ الإِجْمَاعَ، أَوْ مَا يَعْلَمُ لَهُ أَوْ لِمَثَلِهِ^(٤) مِنْ الَّذِينَ بِالضَّرُورَةِ^(٥)، فَقَدْ جَبَلَ، وَمَا كَفَرَ.

وَذَكَرَ فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ" مَا نَصَّهُ^(٦): اعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفَ الْحَقُّ -تعالى- بِهِ^(٧) نَفْسَهُ مِنْ خَلْقٍ، وَأَحْيَاءٍ، وَإِمَاتَةٍ، وَمَنَعٍ، وَإِعْطَاءٍ^(٨)، وَمَكْرٍ^(٩)، وَاسْتِهْزَاءٍ، وَكَيْدٍ، وَفَرَجٍ، وَتَعْجَبٍ^(١٠)، وَتَبَشِيرٍ، وَقَدَمٍ، وَيَدٍ، وَتَقْدِيرٍ، وَأَيْدٍ، وَأَعْيُنٍ، وَأَصْبَحٍ^(١١)، وَمَتْعَةٍ، وَضَحْكٍ، وَإِثْنَانٍ، وَمَجْبِيٍّ، وَسُخْرِيَةٍ، وَغُرُولَةٍ، وَاسْتِهْزَاءٍ، وَتُرُولٍ^(١٢)، وَتَصَرٍّ، وَعِلْمٍ، وَكَلَامٍ، وَصَوْتٍ، وَخَدٍّ، وَمِقْدَارٍ، وَرِضَا، وَغَضَبٍ، وَذِرَاعٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ كُلِّهِ، نَعَتْ لِرَبِّنَا صَحِيحٌ، فَإِنَّمَا مَا وَصَفَنَاهُ بِهِ مِنْ عِبَادِ أَنْفُسِنَا، وَإِنَّمَا هُوَ -تعالى- الَّذِي^(١٣) وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ قَبْلَ وَحُودِنَا، وَهُوَ -تعالى- الصَّادِقُ، وَهُمْ الصَّادِقُونَ بِالْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ، أَتَشْهَى.

(١) "ب": قوله: "وكل من آمن ببعض ذلك، وكفر ببعض فقد كفر كذلك" ساقطة.

(٢) "ك": "ب": قوله: "وكل من آمن بذلك" ساقطة.

(٣) "د"، "ز": "باله ذلك".

(٤) "ب": "ما يعلم لمثله".

(٥) "ك"، "ز": "بالضرورة".

(٦) عنوان هذا الباب "في تنزيه الحق -تعالى- عما في طي الكلمات التي أطلقها عليه سبحانه في كتابه، وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- من التشبيه والتجسيم، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا"، فقال في مقدمة هذا الباب دالا على مضمونه:

في نظر العبد إلى ربه	في قُدُس الأيد وتزيهه
علوه عن أدوات أنت	تلق بالكيف وتشبيهه

انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١/٤٤١، ولم يرد ما أورده الشيرازي بلغظه في الفتوحات، وإنما ورد بالمعنى، فعرج على الفرج والذراع والقدم والإصبع واليسبان والتبشيل والنفس والتعجب والضحك والفرح والغضب.

(٧) "ب": العبارة: "وصف الحق تعالى نفسه".

(٨) "ت"، "ب": "إعطاء" ساقطة، "ز": "وإعطاء".

(٩) "آ": "فكر"، وهو تصحيف. (١٠) "ب"، "ت": "تعجب" ساقطة.

(١١) "ب": "إصبح" ساقطة. (١٢) "ك": "وترول وسع".

(١٣) "ك": العبارة: "هو تعالى وصف...".

وَكَانَ سَيِّدِي عَلِيٌّ الْمَرْصُلِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(١) يَقُولُ: جَمِيعُ الصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ^(٢) وَالسُّنَّةِ مِمَّا يَقْرُبُ مِنَ التَّشْبِيهِ كُلُّهَا مَعْقُولَةٌ الْمَعْنَى لَنَا، مَجْبُولَةٌ النَّسَبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا؛ لِأَنَّهُ حُكْمٌ حَكَمَ بِهِ الْحَقُّ - تَعَالَى - عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ أَوْلَى مَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ.

لِإِنَّ قُلْتُمْ: فَمِنْ أَيْنَ دَخَلَ الضَّلَالُ عَلَى الْمُشَبِّهِ؟

فَأَجَابُوا: دَخَلَ الضَّلَالُ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّأْوِيلِ وَحَمَلِ مَا جَاءَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَعْيَارِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا مِنْ غَيْرِ رَدِّ حُكْمِ^(٣) ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْ أَنَّهُمْ بَحَلُّوا عَمَّا يَجِبُ لِلَّهِ - تَعَالَى -^(٤) مِنَ التَّنْزِيهِ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَعْيَارِهَا وَتَرَكُوا الْقَوْلَ بِمَا يَسْقُ مِنْهَا إِلَى الْأَفْهَامِ، وَوَكَّلُوا عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -^(٥) وَرَسُولِهِ لَأَقْلَحُوا، وَكَانَ يُكْفِيهِمْ هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^(٦)، فَمَنْتَى جَاءَهُمْ حَدِيثٌ فِيهِ تَشْبِيهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ^(٧) فَذَنْتَى التَّشْبِيهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْخَيْرَ لَهُ وَجْهٌ^(٨) مِنْ وَجْهِهِ التَّنْزِيهِ، وَجَاءَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ لِفَهْمِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي تُزَلُّ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِ أَنَّكَ لَا تَجِدُ قَطُّ لِقِطَّةً فِي آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ إِلَّا وَهِيَ تَحْتَمِلُ عِنْدَ الْعَرَبِ وَجْهًا، مِنْهَا مَا يُؤْذِي إِلَى التَّشْبِيهِ، وَمِنْهَا مَا يُؤْذِي إِلَى التَّنْزِيهِ، فَلَا يَوْجِدُ لَنَا آيَةً، وَلَا حَدِيثًا يَكُونُ نَصًّا فِي التَّشْبِيهِ أَبَدًا، فَحَمَلُ التَّأْوِيلِ ذَلِكَ اللَّفْظَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُؤْذِي إِلَى التَّشْبِيهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي تَأْوِيلِهِ جَوْرٌ^(٩) عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ إِذَا لَمْ يُوَفَّ حَقَّهُ بِمَا يُعْطِيهِ وَصْفُهُ^(١٠) فِي السُّنَنِ مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّعَدِّيِّ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِحَمَلِ صِفَاتِهِ عَلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ^(١١).

(١) "ك": "رضي الله تعالى عنه"، "ز": "رحمه الله تعالى".

(٢) "ب": "في الكتاب". (٣) "ك"، "ز": "علم".

(٤) "ب": "تعالى" ليست فيها. (٥) "ك"، "ز": "تعالى" ليست فيها.

(٦) (الشورى، الآية ١١). (٧) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٨) "س": "وجه" ساقطة. (٩) "ك"، "ز": "اجور"، وهو تحريف.

(١٠) "أ"، "ب": "وصفه" ساقطة، "ز": "يوصفه".

(١١) "د"، "ز": "بجلاله"، والكلام مأخوذ بنصرف من الباب الثالث في الفتوحات المكية، ١/ ٤٨٨.

[تأويل بعض آيات الصفات الواردة في جنب الحق]

وقد حُبَّ لي أن أذكر لك تأويل بعض الصفات^(١) يلقى عليها ما لم تذكره،
فمن ذلك حديث:

"قلب المؤمن بين أصبعين الرحمن"^(٢): نُظِرَ العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز، فوجد الإصبع لفظاً مشتركاً يُطلق على الجارحة، وعلى النعمة، تقول العرب: ما أحسن إصبع فلان؟ يعني ماله، فإذا كان الإصبع يحتمل الجارحة، والنعمة، والثناء الحسن، فبأي وجه يحتمل الإصبع على الجارحة في جانب الحق^(٣)، ويُترك وجه التنزيه^(٤)؟

ومن ذلك القبضة واليمين: نُظِرَ العقل بما يقتضيه الوضع، فُعرف من وضع اللسان العربي أن معنى ذلك أن الوجود كله في قبضته، وتحت حكمه، كما يقال: فلان في

(١) "د"، "ب"، "بعض صفات".

(٢) في سنن الترمذي: "يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله". انظر: الترمذي في السنن، كتاب الدعوات (٣٥٣٣)، ٣١٠/٥، وفي رواية أخرى: "إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله"، وفي رواية ثالثة: "إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن...". أخرجه أحمد في المسند، ١٦٨/٢، ١٧٣، ومسلم في الصحيح، كتاب القدر، الباب ٣، (٢٦٥٤/١٧)، شرح صحيح مسلم، ٤٤٣/١٦، وابن ماجة في السنن، المقدمة، ١٣، وقد عرّج عليه محيي الدين في الفتوحات في الباب الثالث، وروايته فيه: "قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله"، وفي ذلك يلوح منزهة الحق عن التشبيه والتجسيم: "وفي هذا الحديث أن إحدى أزواجه قالت له: أرتخاف يا رسول الله؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: "قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله"، يشير -صلى الله عليه وسلم- إلى سرعة التقلب من الإيمان إلى الكفر وما شعثهما...، وهذا الإلهام هو التقلب، والأصابع للسرعة واللائية لما حاطر الحسن، وحاطر الطبع، فإذا فهم من الأصابع ما ذكرته، وفهمت منه الجارحة، وفهمت منه النعمة، والأثر الحسن، نسبأي وجه تلحقه بالجارحة، وهذه الوجوه المنزهة تطله، فإذا نسلم ونكل علم ذلك إلى الله -تعالى- وإلى من عرفه الحق ذلك من رسول مرسل، أو ولي ملهم، بشرط نفي الجارحة ولا بد، وإما إن أدركنا فضول، وغلب علينا إلا أن نرد بذلك على يدعيٍّ يسم مشبه، فليس بفضول، بل بحسب عيسى العالم عند ذلك تبين ما في اللفظ من وجوه التنزيه حتى تدحض به حجة المسمحلول". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٤٩/١.

(٣) "ك"، "ر"، "الحق تعالى".

(٤) "ر"، "تنزيه"، وهو تصحيح، والكلام مأخوذ من الفتوحات المكية، ١٤٨/١ - ١٤٩.

قَبْضَةً يَدِي؛ يُرِيدُ أَنَّهُ تَحْتَ حُكْمِي، وَتَصْرِيفِي فِيهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ الْمَحْسُوسَةُ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَمَّا اسْتَحَالَتِ الْجَارِحَةُ عَلَى اللَّهِ -تعالى- عَذَلَ الْعَقْلَ إِلَى رُوحِ الْقَبْضَةِ وَمَعْنَاهَا وَفَائِدَتُهَا، قَالَ -تعالى- (١): ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقَبْضَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (٢)، فَمَا ذَكَرَ اليمينَ إِلَّا لِيُكَوِّنَهَا مَحَلَّ الْقُوَّةِ وَالتَّصْرِيفِ الْمَطْلُوقِ عِنْدَنَا (٣)، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى تَمَكُّنِ الْقُدْرَةِ مِنَ الْقَعْلِ، فَوَصَلَ الْمَعْنَى إِلَى أَهْلَامِ الْعَرَبِ فِي الْفَاطَةِ لَعَرَفُهَا، وَتَسَارُعِ بِالتَّلْقِي (إِلَيْهَا) (٤).

وَمِنْ ذَلِكَ التَّسْيَانُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- (٥) لَا يَحْجُزُ عَلَيْهِ التَّسْيَانُ، لَكِنْ لَمَّا عَذَّبَهُمُ الْحَقُّ -تعالى- عَذَابَ الْآبَادِ، وَلَمْ تَلْهُمُ رَحْمَتَهُ، فَتَدَفَّعَ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ (٦)، صَارُوا كَالْمَنْسِيِّينَ عِنْدَهُ (٧).

وَمِنْ ذَلِكَ الْغَضَبُ عَلَى الْعَبْدِ، وَبَغْضُ اللَّهِ لَهُ، يَجِبُ حُلُّهُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ إِذَا هُوَ لِمَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ، وَالْأَفْهَمُ -تعالى- الْخَالِقُ لِلذَّاتِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهَا، وَالْمَغْضُوبَةُ (٨) وَلِصِفَاتِهَا، فَلَا يَحْجُزُ حُلُّهُ عَلَى صِفَةِ غَضَبِ الْخَلْقِ (٩) وَيُغْضِيهِمْ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَإِنْ مِثْلُ

(١) "ك": قَالَ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) (الزمر، الآية ٦٧).

(٣) "ب": "عَمِلَ التَّصْرِيفَ وَالْقُوَّةَ".

(٤) الكلام لحيي الدين في الباب الثالث من الفتوحات في مضمار تنزيه الحق عن التشبيه والتجسيم، انظر: الفتوحات المكية، ٥٠/١، وقد ضرب مثلاً على الهماز الواقع في قول الحق -تعالى- "فليس اسمه": "بسمته"، فقال: "واليمين عندنا محل التصريف المطلق القوي، فإن اليسار لا يقوى قوة اليمين، فكسب باليمين عن التمكن من الطي، فهي إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل، فوصل إلى أَهْلَامِ الْعَرَبِ بِالْفَاطَةِ لَعَرَفُهَا، وَتَسْرَعُ بِالتَّلْقِي لَهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا مَا رَايَةَ رَفَعْتَ لَهَا
لَقَاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ"

انظر: حيي الدين، الفتوحات المكية، ١٥٠/١.

(٥) "ك"، "ز": "سَبَّحَانَهُ تَعَالَى".

(٦) "د": قوله: "تَدَفَّعَ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ" سَالِطٌ.

(٧) "ك": "كَانَهُمْ كَالْمَنْسِيِّينَ"، وَالْعِبَارَةُ لِحْيِي الدِّينِ، نَقَلَهَا الشُّعْرَائِي مُتَصَرِّقًا فِيهَا. انظر: الفتوحات المكية، ١٥٠/١.

(٨) "ق": "وَالْبَغْضُ فِيهِ".

(٩) "آ": "الْحَقُّ"، وَهُوَ تَصْحِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى.

ذلك لا يصدر إلا من الخلق لعجزهم عن رد ما يقضون لأجله، بخلاف الحق جل وعلا، فإنه خالق لجميع الأقوال والأفعال، ومعلوم أن الخالق لا يقضى من فعل نفسه، فافهم.

ومن ذلك النفس في نحو^(١) حديث "إن نفس الرحمن يأتي من قبل اليمن"^(٢)، ومعلوم أنه - تعالى - منزلة عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس^(٣)، والجواب كما قال الشيخ محيي الدين^(٤) في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات المكية^(٥): "إن المراد بنفس^(٦) الحق - تعالى - هو العماء، وليس المراد به الهواء، ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - في صفة العماء^(٧) الذي كان الحق - تعالى - فيه قبل خلق الخلق من غير خلول: "ليس تحته هواء، ولا فوقه هواء"^(٨)، يعني أن له صفة فوق والتحت، أما الفوق فبمن كون الحق - تعالى - نسب إلى نفسه أنه فيه^(٩)، وأما التحت فلما تقدمت الإشارة إليه في حديث "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"^(١٠)، وليس النفس

(١) "ك"، "في حديث".

(٢) تقدم تخريجه، وتأويله عند محيي الدين أن هذا كله من النفس، أي لنفيس الرحمن منه للكرب الذي كان فيه من تكذيب قومه إياه وردهم أمر الله من قبل اليمن، فكان الانتصار نفس الله بهم عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - ما كان أكثره من المكذبين، فإن الله - تعالى - منزعه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من المتنفس، تعالى الله عما نسب إليه الظالمون من ذلك علوا كبيرا. انظر: الفتوحات المكية، ١٥١/١.

(٣) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٥١/١.

(٤) "ب"، قوله: "والجواب كما قال الشيخ محيي الدين" ساقط.

(٥) عنوانه "في معرفة النفس بفتح الداء". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٩/٤.

(٦) "ك"، "ب"، "ز"، "نفس".

(٧) "ك"، "ز"، "في بعض طرق حديث صفة العماء".

(٨) نسخ الحديث بعد سؤال الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فقال: "كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على المساء". فبطل إن إسناده ضعيف، انظر: الإمام أحمد في المستند، ١١/٤، وابن ماجة في السنن، المقتضية، السبب ١٣ (نسبها أنكزت الجهمية)، والترمذي في السنن، كتاب التفسير، ٣١٢٠، ٢٥/٥، وابن حبان في الصحيح، باب بدء الخلق (٦١٤١)، ٩/١٤.

(٩) "ب"، "نسب إلى نفسه الفوقية".

(١٠) تقدم تخريجه.

الذي هو عندنا الماء كما تقدم مخلوقاً؛ إذ لو كان^(١) الماء مخلوقاً لما كان للجواب فائدة، انتهى. أي: فيجب الإيمان بهذا الماء، ويحمل على ما يليق بجلال الحق^(٢) على علم الله فيه^(٣).

وذكر^(٤) الشيخ محيي الدين في كتابه "لواحق الأنوار" ما نصه: اعلم أنه ليس عندنا في كلام العرب مجاز أصلاً؛ إنما هو حقيقة؛ وذلك لأنهم وضعوا الفاظهم حقيقة لما وضعوها له^(٥)، فوضعوا يد القدرة للقدرة، ويد الجارحة للجارحة^(٦)، ويد الحاجة للحاجة^(٧)، ويد المعروف للمعروف، وهكذا، ومن ادعى أنهم تجاوزوا في ذلك فعلية الدليل، ولا سبيل له إليه^(٨)، ولما قالوا: "فلان أسد" وضعوا هذا الإطلاق حقيقة لا مجازاً، قال: ومن هنا تعلم يا أخي أن كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر العين، واليد، والجنب، والمرولة، ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شيء؛ إذ التشبيه^(٩) إنما يكون بلفظ البتل، أو كاف الصفة، وما عدا هذين الأمرين إنما هو الفاظ اشتراك، فنسبها^(١٠) حينئذ متى جاءت إلى كل ذات بما يناسبها ولعطفه حقيقتها^(١١)، ولو أن تلك الصفات التي جاءت بها الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم -^(١٢) لا يصح إطلاقها على الله تعالى، لكان الصدق كذباً، وما بعث رسولاً^(١٣) إلا بلسان قومه ليبين لهم، فوجب علينا الإيمان

(١) "د": قوله: "فلما تقدمت الإشارة إليه في حديث "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، وليس النفس الذي هو عندنا الماء كما تقدم مخلوقاً؛ إذ لو كان" ساقط.

(٢) "ك"، "ز": "الحق تعالى".

(٣) "ك": لعسل شاسخ قد اُضيف: "فلينأكل مع ما تقدم في هذا الجواب لربما أن نفس الرحمن هو تقيسه - تعالى - عنه - صلى الله عليه وسلم - بالانصار حين أنوه من البس"؛ ذلك أن هذه الفقرة ليست في النسخ الأخرى، بل تكرر ما تقدم آنفاً.

(٤) "د": "وقال". (٥) "د": "ه" ساقطة.

(٦) "ك"، "ز": قوله "يد الجارحة للجارحة" ساقط.

(٧) قوله: "يد الحاجة للحاجة" زيادة من "ك".

(٨) "د"، "ز": "إليه" ساقطة. (٩) "د": قوله: "إذ التشبيه" ساقط.

(١٠) "ك"، "ز": "ننسبها". (١١) "ب": "يناسبها" ساقطة.

(١٢) "ب": قوله: "صلوات الله وسلامه عليه" ليس فيها.

(١٣) "ب": "رسول الله".

بجميع آيات الصفات وأخبارها على علم الله^(١) - تعالى - فيها، وجهنا بكيفية ذلك التشبيه^(٢) لا يقدح في إيماننا، انتهى.

خاتمة:

ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين وثلاثمائة من "الفتوحات" ما نصه^(٣): اعلم أن من عدم الإنصاف إيمان الناس بما جاءهم من أخبار الصفات على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وعدم إيمانهم بها إذا جاءت على يد أحد من العلماء الوارثين للرسل، مع أن البحر واحد، وكل ما جاءت الرسل بما تحب له العقول من الصفات، ووجب الإيمان به، كذلك يجب إيمان بما جاء الأولياء المحفوظون من القليبي، وكما سلمنا ما جاء به الأصل، كذلك سلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة، وبما لبث الناس إذا لم يؤمنوا بما جاء به الأولياء جعلوهم كأهل الكتاب لا يصدقونهم، ولا يكذبونهم، انتهى^(٤).

فاعلم ذلك، والنسب آيات الصفات وأخبارها إلى الله^(٥) أعلى علم الله فيها، أو بتأويل يقبله لسان العرب فيها، لكن لا يخفى نقص إيمان المؤول من حيث إن الله - تعالى - أمره أن يؤمن بما أنزل الله، لا بما أوله بعقله، فقد لا يكون ذلك الأمر الذي أوله برضاء الله تعالى، وما أول العلماء بالله - تعالى - إلا عند الضرورة؛ كحرفهم على

(١) "د"، "ك"، "ز": "حد علم الله..."

(٢) "ب"، "ز": "ذلك النسب"، وهو تصحيف.

(٣) "د": "ما نصه" ليس فيها، وعنوان هذا الباب: "في معرفة منزل إحالة العارف ما لم يعرفه على من هو دونه ليعلم ما ليس في وسعه أن يعلمه". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٣/٦.

(٤) العبارة في الفتوحات: "وأما غير المؤمنين فهم الذين يقتلون الشيعين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرسون بالقسط من الناس، وهم الورثة الذين دعوا إلى الله على بصيرة، كما دعوا الرسل،...، ومعنى البصيرة هنا ما ذكرناه، أي على الكشف مثل كشف الرسل، فكيف آمن هذا المؤمن من الرسول، وكفر به بعينه من التابع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخيه المؤمن إذا جاءه به، فلا أقبل ممن أن يأخذ منه حاكياً، وما رأينا ولا سمعنا عن صاحب كشف يفي من المؤمنين خالف كشفه ما جاءت به الرسل جلة واحدة، ولا تجده، فقد علمت الفرق بين المفلا في معرفة عينه، وبين الرسل والأولياء وما جاءت به الكتب المنزلة في ذلك، فالمؤمن عند ما أعطاه سيده، والمعلق عند ما أعطاه دليله". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٨/٦.

(٥) "د": "الله عز وجل".

العامة الذين لم يصلوا إلى فهم التنزيه من محظور كُتُيبَةٍ ومُثَبِّلٍ، ودليلهم في ذلك قول الحق -تعالى- (١) في حديث (٢) مُسَلِّمٍ وغيره: "جَعْتُ قَلَمَ لَطْعَمَتِي، وَمَرَضْتُ قَلَمَ تُعَذِّبِي" إلى آخر التنقيح (٣)، فإن الحق -تعالى- لَمَّا رَأَى عَبْدَهُ تَوَقَّفَ، وَقَالَ: كَيْفَ أَطْعَمُكَ، أَوْ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ أَوَّلَ لَهُ ذَلِكَ وَقَالَ (٤): أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا جَاعٌ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، وَقَالَ فِي الْمَرِيضِي: أَمَا إِنَّكَ لَوْ عَذَّبْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ لِلْحَقِّ تَعَالَى قَدَمَيْنِ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ حَدِيثِ الْقَدَمَيْنِ اللَّتَيْنِ تَدُلُّانِ (٥) مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكُرْسِيِّ كَمَا وَرَدَ أَنَّهُمَا كَقَدَمَيْ الْإِدْمِيِّ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَالْجَوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَدَمَيْنِ هُنَا بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْكَشْفِ كُلِّهِمَا (٦) قَدَمَا الْأَمْرِ وَالنَّبِيِّ، وَيُعْبَرُ عَنْهُمَا أَيْضًا بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَمْرِ وَالنَّبِيِّ (٧)، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ خِلَافَ مَا تَوَهَّمَهُ الْمُجَسِّمَةُ (٨)، وَإِبْضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ الْكُرْسِيَّ تَحْتَ الْعَرْشِ كَالسَّلَمِ تَحْتَ الْغُرْفَةِ فِي الْعَادَةِ، وَالْعَرْشُ مُحَلٌّ لِحَدِيثِ الْكَلِمَةِ لِغَلْبَةِ الرَّحْمَةِ فِيهِ عَلَى الرَّحْمَةِ الَّتِي فِي الْكُرْسِيِّ بِفَرِيقَةٍ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٩)، فَمَا ذَكَرَ الْإِسْتَوَاءَ إِلَّا بِاسْمِ

(١) "ك"، "ب": "الله تعالى".

(٢) "ب": "دليل".

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ٤٠٤/٢، وفيه: "مرضت قلم يعذبني ابن آدم، وعظمت قلم يسكنني ابن آدم"، ومسلم في الصحيح في كتاب غير الصلاة (٢٥٦٩/٤٣)، و٣٦٢/١٦، والطبراني في الأوسط (٨٧٢٢)، و٢٦٤/٦، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب الإنفاق والصنف (١٦١)، ١٨٦/١.

(٤) "أ"، "ك"، "ز": "وقال" ساقطة.

(٥) "ك"، "ب": "تدليان".

(٦) "ك": "لأنهما هما...، "ز": العبارة: "هما قدماء..".

(٧) "د": قوله: "ويبر عنهما أيضا بالخير والشر اللذين هما من أمر الأمر والنبي" ساقطة.

(٨) المجسمة والمشبّهة هم الذين صرحوا بالنشبه، فلم يتعرضوا للتأويل، وجعلوا معبودهم جسما له لحم وجوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان وعينين وأذنين، وهم فرق ضيع، ولهم مقالات أتت على بعضها الشهريستاني في الملل والنحل، ٩٢/١.

(٩) (طه، الآية ٥).

"الرحمن"^(١)، وأما الكرسي^(٢) فقد انقسمت الكلمة فيه إلى امرئين ليخلق - تعالى - من كل زوجين اثنين، فظهرت الشفعة في الكرسي بالفعل، وكانت في العرش بالقوة، فإن قدمي الأمر والشهي لَمَّا تَدَلَّتا إلى الكرسي انقسمت فيه الكلمة الرحمانية إلى قسمين: أهل الجنة وأهل النار، وقال - تعالى - فيهم: هؤلاء للجنة، ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي^(٣)، فاستقرت كل قدم في مكان غير مكان القدم الآخر، وهو منتهى استقرارها^(٤)، فسُئِلَ أحدهما الجنة، والآخر جهنم، وليس بعدنما مكان آخر يتغلَّ أهل القبضتين إليه.

فإن قال قائل: فهل يتجاوز الكرسي عمل، أم الأعمال كلها إذا صعدت صفه فيه، ولا تتجاوزه من حيث إن نهاية كل أمر يرجع إلى ما منه بدأ، وقد بدأ، وقد بدأت الأوامر والتواهي من الكرسي؟

فالجواب: إن أراد هذا القائل عالم الخلق والأمر فصحيح؛ لأن هؤلاء لا يتعدون الكرسي أبداً، وإن أراد التكليف فلا؛ وذلك لما قاله أهل الكشف من أن التكليف انقسم من السدرة، فقطعت أربع مراتب قبل السدرة؛ إذ السدرة^(٥) هي المرتبة الخامسة، فإن التكليف ينزل من قلم، إلى لوح، إلى عرش، إلى كرسي، إلى سِدْرَة، فإذا صعدت أعمال بني آدم كلهم، فلا تتجاوز سِدْرَة منتهى أبداً.

فإن قال قائل: هل نزلت الأحكام الخمسة من مكان^(٦) واحد، أو من أماكن مختلفة؟

فالجواب: نزلت من أماكن مختلفة، فظهر الواجب من القلم، والمندوب من اللوح، والمحظور من العرش، والمكروه من الكرسي، والمباح من السدرة^(٧)، لأن المباح قسمان: قسم النفس، وإلى هذا المكان^(٨) تنتهي نفوس عالم السعادة، وإلى أصولها، وهي

(١) "د"، "ز": بالاسم الرحمن.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٣) "ك"، "ب": قوله: "وهو منتهى استقرارها" ساقط.

(٤) "ب"، "ب": قوله: "إلا السدرة" ساقط.

(٥) "ك"، "ز": "عمل".

(٦) "ت"، "ك": قوله: "والمباح من السدرة" ساقط.

(٧) "ب": قوله: "من السدرة، لأن المباح" ساقط.

(٨) "د"، "ك"، "ز": "هذه السدرة".

الرُّقُومُ، تنتهي نفوسُ عالمِ الشَّقَاوَةِ^(١)، فإذا صعدتْ أحكامُ الذينَ الخمسةُ المذكورةُ كانَ غايَتُها إلى الموضعِ الذي مِنْهُ ظَهَرَتْ، ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالْخَمْسِينَ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ"^(٢).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا كَيْفِيَّةُ صُعُودِ الْأَعْمَالِ مَعَ أَنَّهَا أَغْرَاضٌ؟

فَالْجَوَابُ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ فِي الْبَابِ السَّابِعِ وَالتَّسْعِينَ وَثَلَاثِينَ^(٣) مِنْ "الْفَتْوحَاتِ" أَنَّهَا تَتَطَوَّرُ مَلَانِكَةً^(٤)، ثُمَّ تَصْعَدُ عَلَى شَاكِلَةٍ فَاعِلِيهَا وَعَمَلُهُ حَسَنًا وَقُبْحًا^(٥)، فَتَخْرُجُ مِنَ الْهَيْكَلِ إِلَى مُحَالِهَا عَلَى مُرَكَّبِهَا الَّذِي هُوَ رُوحُ الْخُضُورِ^(٦) فِيهَا، فَيَقَعُ طَرَفُ قَدَمِهِ عَلَى مُتْنَيْ بَصَرِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَحَلِّ نِهَاجِهِ^(٧).

قَالَ^(٨) فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالْخَمْسِينَ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ"^(٩): يَكُونُ مِنَ الْقَلَمِ نَظَرٌ إِلَى الْأَعْمَالِ الْوَاجِبَةِ، فَيَمْدُهَا بِحَسَبِ مَا يَرَى فِيهَا، وَيَكُونُ مِنَ اللَّوْحِ نَظَرٌ إِلَى الْأَعْمَالِ الْمَنْدُوبَةِ، فَيَمْدُهَا بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ فِيهَا، وَيَكُونُ مِنَ الْعَرْشِ نَظَرٌ إِلَى السَّخَطُورَاتِ^(١٠)، فَلَا يَمْدُهَا إِلَّا بِالرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَوَى الْأَسْمِ "الرَّحْمَنُ"، وَلِهَذَا يَكُونُ مَالُ عَصَاةِ الْمُؤَخِّدِينَ إِلَى الرَّحْمَةِ^(١١)، وَيَكُونُ مِنَ الْكُرْسِيِّ نَظَرٌ إِلَى الْأَعْمَالِ الْمَكْرُوهَةِ، فَيَمْدُهَا بِحَسَبِ مَا يَرَى

(١) "د"، "ز": "الشَّقَاوَةُ"، والعبارة هي في الدين في الفتحوات المكية، ٤٣٧/١.

(٢) عنوان هذا الباب: "في معرفة أسرار أهل الإلهام المتدلين، ومعرفة علم إلهي فاض على القلب، تفرق خواطره وشتتها". انظر: هي الدين، الفتحوات المكية، ٤٣٤/١.

(٣) "ك"، "ز": "وَالثَّلَاثِينَ".

(٤) عنوان هذا الباب "في معرفة منازل ﴿إِلَهُ يَضَعُ الْأَكْبَرُ الْعَلِيَّ وَالْقَمَلُ الْفَلَحُ يَرْفَعُهُ﴾". انظر: هي

الدين، الفتحوات المكية، ٣٨٥/٦.

(٥) "ب"، "ك"، "ز": "حَسَنًا وَقُبْحًا".

(٦) "ك": "الْخُضُورُ".

(٧) في الكلام سقط كبير، أما عبارة الفتحوات بتمامها فهي الفتحوات المكية، ٣٨٥/٦.

(٨) "ك"، "ز": "وَقَالَ".

(٩) تقدم فضل بيان عن هذا الباب آنفاً.

(١٠) "د": "السَّخَطُورُ".

(١١) انظر: عيسى الدين، الفتحوات المكية، ٤٣٨/١، والعبارة ثم: 'ولهذا يكون مال أصحابها إلى الرحمة'.

فيها^(١)، ولا يخفى أن رحمة الكرسي دون رحمة العرش؛ إذ الرحمة تعظم بحسب عظمة^(٢) الذنوب، وتضغر بصغره عادة، فالكرسي تحت حیطة العرش، كما أن المكروه تحت حیطة الحرم، والمستحب تحت حیطة الواجب كاندراج الوضوء في الغسل عندما يجتمع على المكلف الحدث الأصغر^(٣) مع الأكبر، فليس فوق رحمة العرش رحمة^(٤)؛ لأن رحمته عمّت العالم كله بإذن الله تعالى، إما رحمة دوام، وإما رحمة إقبال، وإما رحمة تخفيف وعذاب، أو عدم مؤاخضة بالكلية، واعلم أن الكرسي لما كان محل نزول الأمر والنهي كما قرأناه، وكان فيه رحمة، ما عفا الله -تعالى- عن أهل حضرته في جميع ما فعلوه من المكروه، وحصل الأجر في تركه^(٥)، فثبت تاركه، ولا يؤاخذ فاعله، انتهى^(٦)، فاعلم ذلك، ولأنك أن تعقد في الله -تعالى- شيئاً من صفات خلقه، فإن حقيقته -تعالى- مخالفة لسانك الحقايق، والحمد لله رب العالمين.

[توهم انتفاء تأييد الخلود في النار]

ومما أحببت به من توهم من قول الله -تعالى-^(٧) للقلوب في الحديث القدسي^(٨):
"اكتب علمي"^(٩) في خلقي إلى يوم القيامة^(١٠) أن الشقاء ينقضي؛ لأنه

(١) العبارة غيبي الدين في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات المكية، ومبها يقول: "ويكون من الكرسي نظراً إلى الأعمال المكروهة، فينظر إليها بحسب ما يرى فيها". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١/ ٤٣٨.

(٢) "ك"، "ب": "عظم".

(٣) "ق"، "ب": "الأصغر" ساقطة، "ز": العبارة: "كحدث الأصغر مع الأكبر".

(٤) "ب": "فوق" ساقطة، وهذا يستحيل المعنى كغرام.

(٥) "ق"، "ب": قوله: "وحصل الأجر" ساقطة.

(٦) انتهى كلام محي الدين في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات المكية، وقد نقل الشعراني النص متصرفاً بالعبارة.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "عر وجل". (٨) "ب": قوله: "في الحديث القدسي" ساقطة.

(٩) "د": "حكيم"، وإعالة تصحيحاً وسقرد "علمي" في "ق" مرتين.

(١٠) جاء في الحديث القدسي قوله: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟، قال: اكتب القدر، وما هو كائن إلى الأبد"، وفي رواية أخرى: "قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة". أخرجه أحمد في المسند، ٣١٧/٥، وأبو داود في السنن، كتاب السنة، ١٦، والترمذي في الصحيح، كتاب القدر، ١٧، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب التوحيد والإيمان

مِنْ^(١) جُمْلَةٍ مَا كَتَبَ الْقَلَمُ، وَقَالَ^(٢): جَمِيعُ مَا كَتَبَ الْقَلَمُ خَاصُّ بِالْأُمُورِ الْوَاقِعَةِ فِي الدُّنْيَا فَقَسَطُ لِنَاصِبِهَا، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَا يَكْتُبُ الْقَلَمُ عَلَيْهَا -تعالى- فِيهَا لِعَدَمِ نَاصِبِهَا، وَمَا لَا يَتَنَاهَى أَمْلَهُ، لَا يَحْوِيهِ الْوُجُودُ، وَالْكَتَابَةُ وَجُودٌ، أَتَمُّ^(٣).

وَالْجَوَابُ أَنَّهُ يَجِبُ قِطْعًا اعْتِقَادُ تَأْيِيدِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ لِأَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، وَهُمْ أَرْبَعُ طَوَائِفَ: الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَالتَّكْبِيرُونَ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّوَفَّاقُونَ، وَالْمُعْطَلُونَ، فَإِنَّ الْخُلُودَ فِي النَّارِ لَأَهْلِهَا قَدْ ثَبَتَ بِالتَّصَوُّصِ الْقَاطِعَةِ، وَذَلِكَ لَا يُنَاقِ دُخُولَهُ فِي الْكَتَابَةِ لِلْبَيِّنَةِ يَقُولُهُ -تعالى-^(٤): "اَكْتُبْ عَلَيَّ فِي خَلْقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ: اكْتُبْ عَلَيَّ فِي خَلْقِي الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ تَحْلِيلُ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ، أَوْ الْمُرَادَ: اكْتُبْ أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ الَّتِي يُجَازَوْنَ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا الْجَزَاءُ الْأَبَدِيُّ فَلَا تَدْخُلُهُ الْغَايَةُ إِلَّا لِكُونِهِ أَبَدِيًّا، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَتَكْتُبُ غَايَتَهُ، فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ الْإِنْسَانِ لِغُلَامِهِ: إِنْ فَعَلْتَ كُنَّا فِي الْيَوْمِ الْفُلَانِيِّ حَبِيشَتِكَ سَةً، أَوْ لَا أَطْلُقُكَ حَتَّى أَمُوتَ.

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْمَرْصُفِي -رَحِمَهُ اللَّهُ-^(٥) يَقُولُ: قَدْ غَلَطَ قَوْمٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفِ، فَقَالُوا: إِنَّ مَدَّةَ الشَّقَاءِ لِنَفْسِي، فَصَادَمُوا^(٦) بِذَلِكَ التَّصَوُّصِ الْقِطْعِيَّ، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَأَمَّلُوا الْوَجْهَ وَالتَّأْيِيدَ لِأَهْلِ النَّارِ فِيهَا مِنْ تَوَابِعِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ الَّتِي كَتَبَهَا الْقَلَمُ عَلَيْهِمْ لَنَجَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا نَوَتْ وَعَزَمَتْ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ النَّارِ عَازِمِينَ عَلَى الدَّوَامِ عَلَى كُفْرِهِمْ مَا دَامُوا أَحْيَاءَ وَلَوْ أَبَدًا، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ -تعالى- بِالتَّأْيِيدِ فِي الْعَذَابِ لِعَزِيمِهِمْ عَلَى التَّأْيِيدِ فِي الْكُفْرِ، وَمُتَعَالِفَةِ الرُّسُلِ.

وَأَعْلَمُ يَا أَمِي أَنْ اللَّهَ -تعالى- خَلَقَ الْقَلَمَ الْأَعْلَى وَاللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ^(٧)، ثُمَّ خَلَقَ نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ قَلَمًا^(٨) أُخْرَى، وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ لَوْحًا^(٩)، فَمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَا

(٧٥) ١٠٣/١.

(١) "مِنْ" ساقطة. (٢) "ب": "كَالَ" ساقطة.

(٣) "د": "أَتَمُّ" ساقطة. (٤) "ك": "بِزِيَادَةِ قَوْلِهِ: 'أَيُّ الْقَلَمِ'، 'ر': 'قَوْلُهُ تَعَالَى'.

(٥) "ك"، "ز": "رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى". (٦) "ك"، "ز": "فَضَابَعُوا".

(٧) "د": "الْمَحْفُوظُ" ساقطة. (٨) "د"، "ك"، "ز": "ثَانِيَةً وَسِتِّينَ قَلَمًا".

(٩) عَرِّجَ عَلَيَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّعْرَانِيُّ مِنْ قَبْلِ عَجَبِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنَ التَّفَرُّجَاتِ

الْمَكِّيَّةِ، ٢٢٧/١.

يُدخله محو، وما في هذه الألواح يَدخله محو، وما سُمي اللوح الأعلى إلا محفوظًا لحفظ ما فيه من المحو^(١)، وأما ألواح المحو والإثبات فهي المشار إليها بقوله -تعالى-: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) ٤^(٣)، أي: اللوح المحفوظ.

قال الشيخ مخفي المدين^(٤): ومن هذه الألواح نزلت الكتب الإلهية والصحف على الرسل عليهم الصلاة والسلام^(٥)، ولذلك دخلها النسخ، بل دخلها في الشرع الواحد، فإن النسخ^(٦) عبارة عن انشاء مدة الحكم لا على البدء، فإن ذلك يستحيل على الله تعالى، فكأنه -تعالى- يقول لعباده: افعلوا كذا شهرًا مثلاً، فإذا انقضى الشهر فأتوا ذلك واعملوا بكذا، فقال العباد السعداء: سَمْعًا وطاعة، وأطاع الشيخ^(٧) في ذلك، ثم قال: فعلم بأن القلم الأعلى أثبت في لوجه كل شيء مما تحويه ألواح المحو والإثبات، ففي اللوح المحفوظ إثبات المحو في هذه الألواح، وإثبات الإثبات، ومحو الإثبات عند وقوع^(٨) حكم، وإنشاء أمر آخر كالقلم^(٩)، أو زوال صفة، ودخول أخرى كالنسخ^(١٠)، فهو لوح مقدس عن المحو كما مرّت الإشارة إليه، انتهى^(١١).

وسمعت سيدي علياً المرصفي -رحمه الله-^(١٢) يقول: المحو خاص بالأعمال

(١) "د"، "ك"، "ز": العسارة: "فسان قيل: فلم سمي اللوح الأعلى محفوظاً؟ فالجواب: سمي بذلك لحفظه ما فيه من المحو...." عبارة الشعراني مأخوذة من كلام محيي الدين في الباب السادس عشر وثلاثمائة من الفتوحات المكية، ٨٩/٥.

(٢) (الرعد، الآية ٣٩).

(٣) انظر قول محيي الدين في الباب السادس عشر وثلاثمائة من الفتوحات، ٨٩/٥.

(٤) "د": "السلام" ليست فيها.

(٥) "ب": قوله: "بل دخلها في الشرع الواحد، فإن النسخ" ساقط.

(٦) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٧) "أ"، "ب": قوله: "ففي اللوح المحفوظ إثبات المحو في هذه الألواح، وإثبات الإثبات، وهو الإثبات عند وقوع" ساقط.

(٨) "ك"، "ز": "كالتقية".

(٩) "أ"، "ب": كالنسخ، وهو تصحيف يدرج ما ورد في "ك" والفتوحات المكية.

(١٠) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٨٩/٥-٩٠.

(١١) "ك"، "ز": "رحمه الله تعالى".

والأحوال دون القَوَاتِ؛ إِذِ الدَّوَاتُ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا مَحَوٌّ بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ^(١)،
كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ حَدِيثٌ: "إِنْ أَحَدَكُمْ لَعَمَلٌ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ... الْحَدِيثُ، انْتَهَى^(٢)."

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ أَحَاطَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ بِشَيْءٍ مِمَّا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ
كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: رَأَيْتَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَذَا وَكَذَا؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ كَمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالتَّسْعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ
"الْفَتْوحَاتِ"^(٣)، فَقَالَ: أَعْلَمَ بِأَمْرٍ أَنْ جَمِيعَ مَا سَطَرَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ
الْإِلَهِيَةِ مِثْلًا أَلْفَ آيَةٍ، وَتِسْعَةَ وَتِسْعُونَ أَلْفَ آيَةٍ وَمِائَةً آيَةٍ، قَالَ: وَهَذَا مَا أَطَّلَعَنَا اللَّهُ -
تَعَالَى-^(٤) عَلَيْهِ فِي اللَّوْحِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَلْقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّالِثِ عَشَرَ^(٥): أَعْلَمَ أَنَّ الْقَلَمَ الْأَعْلَى هُوَ رَأْسُ مَلَائِكَةِ التَّدْوِينِ
وَالنَّسْطِيرِ، وَأَمَّا اللَّوْحُ فَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْقَلَمِ، وَلَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنًا، كُلُّ^(٦) سَنٍ يَغْتَرِفُ
مِنْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِّينَ صِنْفًا مِنَ الْعُلُومِ الْإِجَالِيَّةِ^(٧)، فَيُفَصِّلُهَا فِي اللَّوْحِ^(٨)، فَإِذَا ضُرِبَتْ عِلْمُومُ
التَّفْصِيلِ الثَّلَاثُمِائَةِ وَسِتِّينَ صِنْفًا فِي مِثْلِهَا، فَالْخَارِجُ^(٩) هُوَ مِقْدَارُ أَمْنِيَّاتِ فُرُوعِ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَةِ
الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَلْقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَاصَّةً لَا تَزِيدُ عَلِيمًا وَاحِدًا مِنَ الْأَمْنِيَّاتِ وَلَا تَنْقُصُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا عَدَدُ عِلْمِومِ الْإِمَامِ الْمُيَّنِ الَّذِي أَحْصَى اللَّهُ -تَعَالَى-^(١٠) فِيهِ
كُلَّ شَيْءٍ؟ فَالْجَوَابُ: كَمَا قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ - أَنْ عَدَدَ عِلْمِومِهِ مِائَةُ أَلْفِ نَوْعٍ وَتِسْعَةٌ
وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَوْعٍ وَسِتْمِائَةِ نَوْعٍ لَا تَزِيدُ عَلِيمًا وَاحِدًا وَلَا تَنْقُصُ.

(١) "ب": قوله: "إِذِ الدَّوَاتُ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا مَحَوٌّ بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ" ساقط.

(٢) تقدم تخريج الحديث.

(٣) عنوان هذا الباب "في معرفة النفس". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٩/٤.

(٤) "ك"، "ز": "تعالى" ليس فيها.

(٥) "ك": "بسرادة منها". وعنوانه: "في معرفة حيلة العرض". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١/

٢٢٥.

(٦) "أ": "كل" ساقطة.

(٧) "د": "من العلم الإلهي"، "ك": "العلوم الإلهية".

(٨) هنا ينتهي كلام محيي الدين في الفتوحات المكية، ٢٢٧/١.

(٩) "ب": "كان هو...".

(١٠) "أ": "تعالى" ليست فيها، "ك"، "ز": "مر وجل".

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمِنْ أَيْنَ عَرَفَ^(١) الْأَوْلِيَاءُ هَذِهِ الْعُلُومَ وَلَيْسُوا بِالْأَنْبِيَاءِ^(٢)؟
فَاجْلِبُوا^(٣) أَتَهُم يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِالْكَشْفِ الصَّحِيحِ، فَيَكْشِفُ اللَّهُ -تَعَالَى- عَنْ قُلُوبِهِم^(٤) الْحِجَابَ، وَيُصَوِّفُ بِأَتَمِّهِمْ مِنَ الْكَدُورَاتِ، فَيَرْتَسِمُ فِي قَلْبِ أَحَدِهِمْ صَمْعٌ مَا يَقَابِلُهُ مِنَ الوجودِ العلويِّ والسُّفْلِيِّ، كَالرَّاءَةِ الْمُصْفُولَةِ الْكُرَّةَ إِذَا عُلِقَتْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَحْكِي كُلَّ مَا قَابِلُهَا مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ، وَيَصِيرُ صَحِيحُ الْبَصَرِ^(٥) يَحْكِي الوجودَ كُلَّهُ عَلَى التَّفْصِيلِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَرْسِيُّ^(٦) يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَيْكُمْ أَظَلَمَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى كُلِّ نَظْفَةٍ تَرَلَّتْ فِي رَجَمٍ، أَوْ وَرَقَةٍ، أَوْ ثَمَرَةٍ خَرَجَتْ مِنْ عَرْوَةٍ، أَوْ نَبَاتٍ خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: لَا تُدْرِي، فَيَقُولُ: أَيْكُمْ عَلَى قُلُوبٍ مَحْجُوبَةٍ عَنِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ^(٧).

وَقَدْ كَانَ سَيِّدِي إِسْمَاعِيلُ الْأَنْبَاءِيُّ يَقُولُ^(٨): رَأَيْتُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَذَا وَكَذَا،

(١) "ك"، "ز": "عرفوا" على لغة "أكلوني البراغيث".

(٢) "د"، "ك": "بالأنبياء"، "ز": "بأنبياء".

(٣) "ك"، "ز": "قلوبهم".

(٤) "ب": "ويصير البصر".

(٥) "ك"، "ز": "رضي الله عنه". وهو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عمر المرسي، فقيه متصوف، من أهل الإسكندرية، لم يسمع كتاباً قط ولا رسالة كشيخه الشاذلي، فقد كان يقول: هذه علوم لا يحمل لهما عموم الخلق، والكتاب يقع في أهله وغيرهم، فكتبنا أصحابنا. توفي سنة (٦٨٦هـ)، من كلامه: ربما دخل في طريق لرجل بعد وفاته أكثر مما دخل في حياته، فما بين أظهر الناس لا يلقون إليه بالآ، وكذلك: لو حجب عني رسول الله طرفه عين ما عدت نفسي من المسلمين، وكذلك: من أحب الظهور فهو عبد الظهور، أو الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن كان عبداً لله فسواء عليه أظهره أم أخفاه، وكذلك: رجال الليل هم الرجال، وكلمة أظلم الوقت قوي تور الولي ضرورة. انظر ترجمته: ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، والصفدي، الوالي بالوفيات، ١٧٣/٧، والشعراني، لوائح الأتسار، ٤٥٧/٢، والمصري، نفع الطيب، ١٩٠/٢، والمنلوي، الكواكب الفريدة، ٣٣٨/٢، والكوهن القاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ٦١، والبهاني، جامع كرامات الأولياء، ٤٦٥/١، والفرزكلي، الأعلام، ١٨٦/١، وعمر كحافة، معجم المؤلفين، ٢٤١/١.

(٦) "ب": "الملوكوت" ساقطة.

(٧) "آ": "الميتوني"، وهو تصحيف، "د"، "ب": "المتولي"، وليس ذلك كذلك، بل الصواب ما ورد في "ب" و"ز"، أما ترجمته فهو إسماعيل بن يوسف الأنبيي شاعرف الولي الشهير، كان والده من أعيان جماعة الشيخ أحمد البليوي، ولما دخل طريقه أمره أن يقيم بأنابنة، فأقام بها، فأقبل عليه

فَأَنْتَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمَالِكِيَّةِ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُهُ أَنْ هَذَا السُّفْنَى يَمُوتُ غَرِيقًا، فَفَرَّقَ فِي بَحْرِ الْفَرَاتِ، وَكَانَ أَحْيَى أَنْفَضَ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: أَنَا أَعْرِفُ مَا تَكْتَبُ الْمَالِكِيَّةُ فِي حَقِّي الْآنَ فِي الْأَلْوَحِ السَّمَاءِيَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ بَيْنَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ ارْتِبَاطًا بِرَفَائِقِ مُنْتَدَةٍ، وَأَقْلَامِ الْأَلْوَحِ تَكْتُبُ كُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ، أَوْ يَقُولُهُ، أَوْ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ، وَيَصِيرُ عَلَيْهِ^(١)، وَكَذَلِكَ يَعْلَمُونَ^(٢) كُلُّ مَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِ أَحَدِهِمْ^(٣)، فَكُلُّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ، أَوْ قَوْلٍ يَقُولُهُ، أَوْ خَاطِرٍ يَخْطُرُ لَهُ، ثُمَّ يَصِيرُ عَلَيْهِ، فَهُوَ الَّذِي تَكْتَبُهُ الْمَالِكِيَّةُ فِي حَقِّهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ، أَنْتَهَى.

وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى كَيْفِيَّةِ تَنْزِيلِ الْأَمْرِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ^(٤)، وَكَيْفِيَّةِ عُرُوجِ الْمَلَايِكَةِ، وَهُبُوبِهِمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي مَبْحَثِ "عَلْقُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ" فِي كِتَابِ "الْبَوَائِقِ وَالْجَوَاهِرِ" فِي بَيَانِ عَقَائِدِ الْأَكَابِرِ^(٥)، فَرَأَجَعَهُ^(٦)، وَاعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ يَكْشِفُ حُجُبَ غَيْبِهِ لِبَعْضِ أَوْلِيَائِهِ^(٧)، فَيَرَى مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّمَا مَتَّعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَقُوعَ ذَلِكَ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ سَدًّا لِمَا يُتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ تَصَدِيقِ الْأَوْلِيَاءِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ فِي حَالِ عَدَمِ عَصِيَّتِهِمْ^(٨)، فَرُبَّمَا كَسَسَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَحَدِهِمْ، وَمِثْلُ لَهُ لَوْحًا مَحْفُوظًا، وَسَطَّرَ لَهُ فِيهِ شَيْئًا يُعَالَفُ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ نَسَاؤٌ فِي الدِّينِ، وَلَكِنَّ الْمَرْجِعَ

الأمراء والكبراء بمصر، وقد ذكر هذه الحادثة التي هي في اليمن المنوي، وبعد وفاة أبيه صار شيخ الزاوية التي لولده، منقطعا بها، مشغلا بالعلم والتربية، توفي سنة (٧٩٠هـ)، انظر ترجمته: ابن حجر، السير النبوية، ٢٢٤/١، والسيوطي، حسن المحاضرة، ٥٢٧/١، والساوي، الكواكب الشريفة، ٢١/٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣١١/٦، والنهائي، جامع كرامات الأولياء، ١/٥٢٤.

- (١) قوله: "أو يخطر على باله، ويصير عليه" ساقط من "د"، "ك"، "ب"، "ز".
- (٢) "ك"، "ز": "يقولون".
- (٣) "ق": قوله: "وكذلك يعلمون كل ما يخطر على بال أحدهم" ساقط.
- (٤) "ك"، "ب": "من السماء والأرض".
- (٥) انظر: الشعراوي، البوائق والجواهر، المبحث التاسع عشر: في الكلام على الكرسي واللوح والقلم الأعلى، ١٩٦/١.
- (٦) "ك"، "ز": "قد يخرق العادة لبعض أوليائه".
- (٧) "ك"، "ز": "مع عدم عصيتهم".

لِإِيزَانَ الشَّرْعِ، فَكُلُّ مَا^(١) أُنِيَ بِهِ الْوَلِيُّ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ قَبْلَتَاهُ، وَكُلُّ مَا يَخَالَفُ ذَلِكَ رَدُّدَانَهُ، وَإِنْ جَوَزْنَا الْعَصَمَةَ لَغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ^(٢) فَنَعْمُ مَا فَعَلَ الْعُلَمَاءُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ كِتَابَةَ الْحَقِّ كِكِتَابَةِ الْخَلْقِ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ كِتَابَةِ اللَّهِ -تعالى- شَيْئًا فِي الْأَوَّلِ أَنَّ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ مَخْلُوقٍ سَابِقٍ عَلَى الْكِتَابَةِ كِكِتَابَةِ الْخَلْقِ^(٣)، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ يَجِبُ جَرْمًا اعْتِقَادًا^(٤) أَنَّ كِتَابَةَ الْحَقِّ -جَلَّ وَعَلَا- حَيْثُ أُطْلِقَتْ فَالْمُرَادُ بِهَا تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِذَلِكَ الْمَكْتُوبِ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي لَا انْتِخَافَ لَهُ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ -تعالى- الْكِتَابَةَ إِلَّا لِتَعَقُّلِهَا عِبَادَهُ مِنْ حَيْثُ وَجُودُهُ^(٥) لَا مِنْ حَيْثُ الْكِتَابَةُ، وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّهَنِيُّ^(٦) عَنِ الْأَوَّلِ مَا الْمُرَادُ بِهِ، فَقَالَ: الْمُرَادُ بِهِ الْقَدَمُ؛ إِذْ لَيْسَ بَيْنَ وَحْدَانِيَّتِهِ -تعالى-^(٧) وَبَيْنَ إِعْرَاجِهِ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ زَمَانٌ يُعْقَلُ^(٨)، وَأَمَّا الزَّمَانُ الْمَعْقُولُ فَهُوَ الْمَخْلُوقُ^(٩) الَّذِي اسْتَدَّ وَخَلَقَ اللَّهُ فِيهِ مَا سِوَاهُ^(١٠)، أُنِيَ أَمْرُزَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ الْإِضَاطِّيِّ، وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ -تعالى- فِيهِ الْعَهْدَ الْأَوَّلَ عَلَى بَنِي آدَمَ؛ إِذْ الزَّمَانُ لَا يُعْقَلُ إِلَّا بِوُجُودِ الْعَقْلِ، وَوُجُودُهُ مَشْرُوطٌ بِوُجُودِ آدَمَ^(١١)، وَقَبْلَ آدَمَ لَا عَقْلٌ لَنَا، فَانْفُسُهُمْ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ -تعالى- كَتَبَ الْقُرْآنَ بِيَدِهِ، وَكِتَابَتَهُ -تعالى- قَدِيمَةٌ، وَإِذَا كَانَتْ قَدِيمَةً فَكَيْفَ وَقَعَ فِيهَا التَّبْدِيلُ وَالتَّغْيِيرُ الَّذِي هُوَ

(١) "ك": "ز": "فكل شيء".

(٢) "ك": "قوله": "ولكن المرجع لميزان الشرع، فكل ما أني به الولي موافقا للشرع قبلناه، وكل ما يخالف ذلك ردّدناه، وإن جوزنا العصمة لغير الأنبياء" ساقط.

(٣) "ك": "ب": "الكتاب ككتاب الخلق".

(٤) "ب": "أن تعتقد".

(٥) "ك": "ز": "للتعلق عبادته من حيث وجودهم".

(٦) "ك": "ز": "وحسب الله عنه".

(٧) "ب": "وحدانية الله تعالى".

(٨) "ك": "ز": "وذلك زمان لا يعقل".

(٩) "ك": "ب": "ز": "فهو الزمان".

(١٠) "ك": "ز": "العبارة": "ما يربطه من الخلق".

(١١) "ب": "وجود الخلق".

مِنْ عِلَامَةِ الْمُحَدَّثَاتِ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ الثَّوْرَةَ فِي نَفْسِهَا مَا تَغَيَّرَتْ، فَإِنَّ فِيهَا إِعْلَامًا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَيْثُ كَانَ كَذَلِكَ، فَفِي ضَمَنِهِ الْإِعْلَامُ بِإِبْعَاطِ شِرْعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا كِتَابَتُهُمْ لَهَا، وَتَلْفُظُهُمْ بِهَا، هُوَ الَّذِي لَحَقَهُ التَّغْيِيرُ، فَنَسَبُهُ^(١) مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ -تَعَالَى- لَيْسَ عَلَى الْحَقِيقَةِ^(٢)، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَخَرَفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ^(٤) -تَعَالَى- مَعْقُولٌ عَنْدهُمْ، وَلَكِنْهُمْ ابْتَدَأُوا فِي التَّرْجِيحِ عَنْهُ خِلَافَ مَا فِي صُدُورِهِمْ، وَفِي مُصَحِّهِمِ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ مَا حَرَفُوا إِلَّا مَا عَنْدهُمْ، وَنَسَبَهُمْ مِنَ الْأَصْلِ^(٥)، وَابْتَدَأُوا الْأَصْلَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لِيُنْفَى لَهُمْ وَلِعِلْمَانِهِمْ بَعْدَهُم الْعِلْمُ.

فَإِنَّ قَالَ قَاتِلٌ: إِنَّ آدَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِيَدَيْهِ، وَمَا حَقَّقَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ حِينَ أَكَلَ نَاسِيًا مِنَ الشَّجَرَةِ، وَأَمِنَ رَقِيَّةَ الْيَدِ مِنَ الْيَدَيْنِ اللَّتَيْنِ^(٦) هُمَا كِتَابَةٌ عَنْ شِدَّةِ اعْتِنَائِهِ بِهِ؟^(٧)

فَالْجَوَابُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ -تَعَالَى- مَا غُصِمَ مِنَ التَّغْيِيرِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ كَوَّلَهُ حُكْمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَحْكَامَهُ -تَعَالَى- قَدِيمَةٌ، وَالْقَدِيمُ لَا يَلْحَقُهُ تَغْيِيرٌ، وَأَمَّا آدَمُ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى^(٨)، فَلِذَلِكَ لَمْ يَحْفَظْهُ مِنَ التَّغْيِيرِ الصُّورِيِّ بِحَرِيَابِ الْأَقْدَارِ فِيهِ، بَلْ هُوَ الْمَعْلُ الْأَعْظَمُ، فَظَهَرَ^(٩) مَا ظَهَرَ مِنْهُ كَذَلِكَ.

فَإِنْ قَالَ قَاتِلٌ: إِذَا قُلْتُمْ إِنَّ خَلْقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى شِدَّةِ الْاعْتِنَاءِ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا الْأَنْعَامُ أَشَدُّ اعْتِنَاءً مِنَ الْحَقِّ -تَعَالَى- بِهَا مِنْ آدَمَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللَّهَ

(١) "ك"، "ز"، "نسب".

(٢) "ك"، "ز"، العبارة: "...إلى كلام الله تعالى بحكم المجاز لا الحقيقة". والعبارة في "ب" فيها التواء.

(٣) (البقرة، الآية ٧٥).

(٤) "ب"، "كلام" سائل.

(٥) "ك"، "ز"، العبارة: "فإنهم ما حرفوا إلا عند نسحهم من الأصل".

(٦) "ك"، "ز"، "اللذين"، وهو لا يستقيم البتة.

(٧) "ك"، "ز"، "الاعتناء".

(٨) "ك"، "ز"، "عر وجل".

(٩) "أ"، "الظهور". ولعل ما ورد في "د" و"ك" و"ز" هو الأعلى.

- تعالى - (١) "جَمَعَ" (٢) في خلقها "الأيدي" بقوله -تعالى-: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيهَا أَتَعْمَلُ﴾ (٣).

فالجواب أن توجّه اليدين على آدم أقوى من توجّه الأيدي؛ لأنّ التنبّه برزخ بين المفرد والجميع، فلها القوة والتمكن من حيث إنه لا يصل إلى مرتبة الجمع إلا بها، ولا يتنقل عن المفرد إلا إليها، وعلم أيضاً أن كل من فسر اليد بالقدرة يتقضى ذلك عليه باليدن والأيدي، فإن قدرة الله لا تُشقى ولا تُجمع.

فإن قال قائل: فلم سَمِيَ الحق -تعالى- نفسه بالدهر، ومعلوم أن الدهر لا يتنقل إلا آله زمان؟

فالجواب أن المراد به هنا الأول والأبد اللذان هما الأول والآخر حقيقة (٤)، وهما من نعوت الله -تعالى- بلا شك، فإنه سَمِيَ نفسه بالأول (٥)، ولكن لا بأولية تحكم عليه كالأوليات المسبوقة بالقدم، فإن ذلك مُتَنَبِّ في حق الحق -تعالى- (٦) بلا شك، إذ لو كانت أوليته -تعالى- كأولية المخلوقات (٧) لم يُصَفْ نفسه بالآخر؛ إذ الآخر عبارة عن وجوده -تعالى- بعد انتهاء الموجودات المحدثة كلها، فهو -تعالى- آخر لا بأخرية تحكم عليه، نظير ما قلنا في اسمه "الأول"، فما كُفِر الدهرية (٨) إلا من ظنهم أن الدهر هو الزمان الفلكي الذي لا حقيقة له في زمان الله -تعالى- الذي لا يُعقل، ولو أنهم اعتقدوا في الدهر أنه الأول والآخر ما كفروا، ولا توجّهت عليهم مؤاخذه، على أن بعضهم حرب من ربط الزمان في حق الحق مُطلقاً، ولو لم يُعقل، فاعلم ذلك، فإنه نفيس، والحمد لله رب العالمين.

(١) "ك"، "ز": "من حيث إنه تعالى".

(٢) "ج": جمع "ساقطة".

(٣) (يس، الآية ٧١).

(٤) "ك": "حقيقة" ساقطة.

(٥) "ب": قوله: "والآخر حقيقة، وهما من نعوت الله -تعالى- بلا شك، فإنه سَمِيَ نفسه بالأول" ساقطة.

(٦) "ك"، "ز": "تعالى" ليست فيهما.

(٧) "ال": "المخلوقات" ساقطة.

(٨) رجل دهرى ودهرى ملحد لا يؤمن بالآخرة، بل يقول ببقاء الدهر. انظر: اللسان، مادة "دهر".

[تَوْهَمُ الْعَقْلِ فِي تَصَوُّرِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ]

ومِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ عَقْلَهُ فِي قَبُولِ شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ كإِدْعَالِ الْحَقِّ -تعالى- السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلًا فِي حُرْمِ لَبَرَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَوْسَعَ ذَلِكَ الْحُرْمَ: أَعْلَمُ يَا أَحْيَ أَنْ اللَّهَ -تعالى- عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَنْ شَكَّ فِي الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ كَفَرَ، وَلَمَّا اسْتَبَدَّتْ عَقُولُ الْمُعْتَزِّلَةِ وَقَوَّغَ أَحَدُ الْعَبِيدِ عَلَى بَنِي آدَمَ، وَهُمْ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْكَرُوا هَذَا الْعَبْدَ لِتَحْكِيمِهِمُ الْعَقْلَ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى الشَّرْعِ^(١)، وَزَعَمُوا أَنْ مَعْنَى أَحَدِ الْعَبِيدِ عَلَى بَنِي آدَمَ، وَهُمْ فِي ظَهْرِهِ أَنَّهُ أَحَدٌ بَعْضِهِمْ مِنْ ظُهُورِ بَعْضٍ بِالتَّنَاسُلِ فِي الذَّنْبِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ عَبْدٌ وَلَا مِثَالٌ حَقِيقَةٌ، وَإِنَّمَا الْعَبْدُ وَالْمِثَالُ إِرْسَالُ الرُّسُلِ، وَاسْتِكْمَالُ الْعَقْلِ وَالنَّظَرِ^(٢)، وَاسْتِدْلَالُ تَوْجِيهِ الْخَطِّابِ إِلَى الْعَبْدِ^(٣)، وَكَيْفَ يَصِحُّ لِلْمُعْتَزِّلَةِ ذَلِكَ وَمَعْظَمُ الْأَعْتِقَادِ فِي إثَابِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟ وَالَّذِي^(٤) يُظْهِرُ لِي^(٥) أَنَّهُمْ مَا أَنْكَرُوا ذَلِكَ إِلَّا فِرَارًا مِنْ غَمُوضِ مَسَائِلِ هَذَا التَّحْيِثِ وَدَقَّةِ تَعَانِيهِ، وَالرَّضَا بِالْجَهْلِ عِنْدَ غَالِبِ النَّاسِ أَمْرٌ سَهْلٌ عِنْدَهُمْ، وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٦)﴾ الْخَمْسَ عَشَرَ سَوَالًا، وَنَحْنُ نَوْرُدُّهَا عَلَيْكَ مَعَ الْجَوَابِ عَنْهَا بِمَا فَتَحَ اللَّهُ -تعالى- بِهِ^(٧):

الْأَوَّلُ: أَيْنَ مَوْضِعُ أَحَدِ اللَّهِ هَذَا الْعَبْدِ؟

وَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ -تعالى- أَخَذَ ذَلِكَ يَطْنِ نَعْمَانٍ، وَهُوَ وَادٍ نَحْتِ^(٨) عَرَفَةَ، قَالَهُ

(١) "ب": قوله: "على بني آدم، وهم في ظهر آدم أنكروا هذا العبد لتحكيمهم العقل، وتقديمه على الشرع" ساقطة.

(٢) "ب": "والفطنة".

(٣) "ب": "العبد"، وهو تصحيف.

(٤) "ك"، "ز": "فالذي".

(٥) "ك"، "ب": "لِي" ساقطة.

(٦) (الأعراف، الآية ١٧٢)، وفي "ك" و "ز": "ذرياتهم".

(٧) "ب": العبارة: "بما فتح الله تعالى"، ومن أنى على هذه الأسئلة جميعها أبو طاهر في كتابه "سراج العقول" في باب "أحد العبد"، وعبارة الشرح في حل ما تقدم تكاد تكون مقتضية منه.

(٨) "ك"، "ز": "جنب".

ابن عباس وغيره، وقال بعضهم: أخذ سُرْتَدِيب^(١) من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط فيه آدم^(٢) من الجنة، وقال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف، وقال الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: كان أخذ العهد في الجنة^(٣)، وكل هذه الأمور مُحْتَمَلَةٌ، ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد.

الثاني: كيف استخرجهم من ظهره؟

والجواب: ورد في الصحيح أنه - تعالى - مسح ظهر آدم، وأخرج ذرئته منه كلهم كهيئة الذر^(٤)، ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه، أو استخرجهم من بعض ثقب راسه؟ وكلا الوجهين بعيد، والأقرب - كما قيل - أنه استخرجهم من مسام شقرات ظهره^(٥)، إذ تحت كل شقرة ثقب دقيقة يقال لها سَمٌ مثل سَم الحياض أي في النفوذ لا في السعة^(٦)، فتخرج الذرة الصغيرة منها كما يخرج منها الفرق المتصب والصبيان^(٧)، وهذا غير بعيد في العقل، والواجب اعتقادنا إخراجهم من ظهر

(١) سُرْتَدِيب: "ديب" بلدة القود الجزيرة، وهي جزيرة عظيمة بالقصى بلاد الهند، وقيل إن آدم هبط فيها، على جبل يقال له "الرّهون" فلقب في النساء براه البحريون من سلفه أيام، ويقال إن أثر آدم عليه، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٦/٥.

(٢) "ك"، "ز": العبارة: "آدم فيه".

(٣) انظر هذه الأقوال: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠١/٧، وعلاصة القول فيها ما جاء في البحر المحيط: "واختلفوا في كيفية الإخراج، وهيئة المخرج، والمكان، والزمان". انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٤١٩/٤.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب القدر، ٧٠٤، والحكيم الترمذي في تواتر الأصول، ٢١٩/١، وفي رواية أخرى: "إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنساء، ويعمل أهل دينة يعملون...". انظر: الترمذي في السنن، كتاب التفسير، (٣٠٨٦)، ٥١/٥، وفي رواية أخرى: "لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو عالمها من ذريته إلى يوم القيامة...". وأبو داود في السنن، كتاب السنة (٤٧٠٣)، ٥٤/٥، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب التوحيد والإيمان، ٩٣/١.

(٥) سَمٌ: الجسد تَنَبَّه، ومسام الإنسان تملأ بالبشرته وجلده الذي يبرز عرقه ويحار ياطفه منها، سميت "مسام" لأن فيها خروجاً خفياً، وهي السُّوم. انظر: لسان العرب، مادة "سم".

(٦) "ك"، "أي" ساقط.

(٧) "ك"، "الصبيان"، وهو تصحيف، "ز": العبارة: "فتخرج الذرة الصغيرة كما يخرج من الفرق والمتصب...".

آدم^(١) كَمَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَحْزَنُ أَنَّهُ -تعالى- مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ عَلَى وَجْهِ الْمُسَامَاةِ؛ إِذْ لَا اتِّصَالَ بَيْنَ الْحَادِثِ^(٢) وَالْقَدِيمِ.

الثَّالِثُ: كَيْفَ أَجَابُوهُ -تعالى- بِبَلَى؟ هَلْ كَانُوا أَحْيَاءَ عَقْلَاءَ، أَمْ أَجَابُوهُ بِسَانَ الْحَالِ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ أَجَابُوهُ بِالنَّطْقِ وَهُمْ أَحْيَاءُ عَقْلَاءَ؛ إِذْ لَا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ اللَّهَ -تعالى- يُعْطِيَهُمُ الْحَيَاةَ وَالْعَقْلَ وَالنَّطْقَ^(٣) مَعَ صِفَتِهِمْ، فَإِنْ يَحَازُ قُدْرَتَهُ -تعالى- وَاسِعَةً، وَغَايَةً وَسْعًا فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ أَنْ تُبَيَّنَ الْجَوَازُ، وَتُكَلِّلَ عِلْمُهُ كَيْفِيًّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

الرَّابِعُ: فَإِذَا قَالَ الْجَمِيعُ: بَلَى، فَلِمَ قَبِلَ -تعالى- قَوْلًا، وَرَدَّ آخَرِينَ؟ وَالْجَوَابُ، كَمَا قَالَهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ، أَنَّ اللَّهَ -تعالى- تَجَلَّى لِلْكَافِرِ بِالْهَيْئَةِ^(٤)، فَقَالُوا: بَلَى، مَخَافَةً مِنْهُ، فَلَمْ يَكْ يَنْفَعِهِمْ لِيْمَانُهُمْ، فَكَانَ لِيْمَانُهُمْ كَلِمَاتٍ الْمُنَافِقِينَ^(٥)، وَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ، فَقَالُوا: بَلَى، مُطِيعِينَ مُخْتَارِينَ، فَتَقَبَّلَهُمْ لِيْمَانُهُمْ، وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو طَاهِرٍ الْقُرُونِيُّ^(٦): "الصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ قَوْلَ أَصْحَابِ الشَّمَالِ "بَلَى" كَانَ عَلَى وَفْقِ السُّؤَالِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ -تعالى-^(٧) سَأَلَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وَلَمْ يَسْأَلَهُمْ عَنْ إِلَهُهِمْ، وَلَمْ يَكُونُوا يَوْمَئِذٍ فِي زَمَانٍ تَكْلِيفٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا فِي حَالَةِ التَّحْلِيلِ وَالتَّرْيِيبِ، وَهِيَ الْفُطْرَةُ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿وَأَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾^(٨)، فَقَالُوا: بَلَى؛ لِأَنَّ تَرْيِيبَهُمْ إِذًاكَ كَانَتْ مَشْهُودَةً لَهُمْ، فَصَدَّقُوا فِي ذَلِكَ كُلِّهِمْ، ثُمَّ لَمَّا أَتَوْهُمُ إِلَى زَمَانِ التَّكْلِيفِ، وَظَهَرَ مَا قَضَى اللَّهُ -تعالى- فِي سَابِقِ عِلْمِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، كَانَ مِنْهُمْ مَنْ وَافَقَ اعْتِقَادَهُ فِي قَبُولِ^(٩) الْإِلَهِيَّةِ الْفَرَاغَةِ

(١) "ك"، "ز": "فليحب اعتقاد إخراجها...".

(٢) "د"، "ز": "الحديث".

(٣) "ب": "يعطيهم الحياة والنطق والعقل".

(٤) "ج": "بالهيئة"، وهو تصحيح.

(٥) "ك"، "ز": "العبارة: "كان ليمانهم" ساقطة.

(٦) انظر قول أبي طاهر في "سراج العقول" في الباب الحادي عشر "في أخذ الميثاق"، ج ٣٥.

(٧) "ك"، "ز": "سبحانه وتعالى".

(٨) (الأعراف، الآية ١٧٢).

(٩) "ك"، "ز": "قبوله". وفي "سراج العقول": "في قبول".

الأول، ومنهم من خالف^(١)، ولوائه تعالى - كَانَ قَالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِوَاحِدٍ، لَقَالُوا كُلُّهُمْ: نَعَمْ^(٢)، وَلَمْ يُشْرِكْ أَحَدٌ، فَلْيَتَأَمَّلْ. ولا يخفى ما فيه من قوّة صورة^(٣) الاحتجاج بالآية كما سبّاني قريباً.

الخامس: إذا سبق لنا عهدٌ وميثاقٌ مثل هذا، فلأي شيء لا نتذكره اليوم؟ والجواب: أننا لما لم نذكر هذا العهد لأن تلك البينة قد انقضت، وتغيرت أحوالها بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ثم استحالت بتصرفها في الأطوار الواردة عليها من العلقية، والمضغية، واللحم، والعظم، وهذا كله مما يوجب النسيان، وكان الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - يقول: إِنِّي لَا تَذْكُرُ الْعَهْدَ الَّذِي عَهَدَ إِلَيَّ رَبِّي، وَكَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٤)، وَزَادَ بَأَنَّهُ يَعْرِفُ تِلْكَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يُرْسِمُهُمْ فِي الْأَصْلَابِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ - تَعَالَى - بَأَنَّهُ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَّا الزَّامًا لِلْحَقِّهِ عَلَيْنَا، وَتَذَكِيرًا لَنَا^(٥)، فَبِذَا هُوَ^(٦) فَائِدَةُ ذِكْرِ الْعَهْدِ.

السادس: هل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الإنسان أم لا؟ والجواب: لم يبلغنا في ذلك دليل إلا أن الأقرب في^(٧) القول عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الإنسان؛ إذ السمع والتعلق لا يقتصران إلى الصورة، بل يقتضيان محلاً حياً لا غير، فإذا أعطاه الله - تعالى -^(٨) الحياة والفهم، جاز أن يتعلق بها السمع والتعلق، وإن كانت القدرة على ذلك لا تقتيد بصورة الإنسان؛ إذ البينة عندنا ليست بشرط، وإنما

(١) هنا ينتهي كلام أبي طاهر في "سراج العقول"، ١٣٧.

(٢) لعسل الأسحس القول "بلى" في موضع "نعم"؛ ذلك أن المعنى سميع: "نعم لست بواحد"، وهذا ليس المراد في هذا السياق البتة.

(٣) "ب"، "مورود"، "ز"؛ "سورة".

(٤) "أ"؛ قوله: "ابن عبد الله رحمه الله تعالى" ساقط. "ب": "رحمه الله تعالى" ساقطة، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) "ك"، "ز"؛ "تذكيرة".

(٦) "ب"؛ "فهذا هذا".

(٧) "ك"، "ز"؛ "من".

(٨) "ك"، "ز"؛ "تعالى" ساقطة.

اشترطها المعتزلة، ويحتمل أن يكونوا متصورين بصورة الإنسان؛ لقوله -تعالى-: ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾^(١)، ولم يقل: "ذراتهم"، ولفظ الذرية يقع على المصورين^(٢).

السابع: متى تعلقت الأرواح بالذرات التي هي^(٣) من الذرية؟ أقبل خروجها من ظهر آدم أم بعد خروجها؟

والجواب: قال بعضهم: إن الظاهر أنه -تعالى- استخرجهم أحياء؛ لأنه ساهم ذرية، والذرية هم الأحياء؛ لقوله -تعالى-: ﴿ وَنَاثِقَهُمْ أَنَّا خَلَقْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴾^(٤)، فيحتمل أن الله -تعالى- خلق الخلق والأرواح فيهم^(٥)، وهم في ظلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات ظهر أبيهم^(٦)، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم، ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنة الله، فسعى ذلك خلقاً، قال: ولا يرده قول: ﴿ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾^(٧)، لأن قصده أحياء، فليأمل.

الثامن: ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم؟

والجواب: أن الحكمة في ذلك إقامة الله الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما تقدمت الإشارة إليه قريباً^(٨)، وقد^(٩) وقع نظير ذلك آهام التكليف على السنة الرسل وسائر الدعاة إلى الله تعالى.

القاسم: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء، أم استرد أرواحهم، ثم أعادهم إليه أمواتاً؟

والجواب: إن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره^(١٠) قبض أرواحهم قبضاً على ما

(١) (الأعراف، الآية ١٧٢).

(٢) (٢) "٣"؛ "المصورين".

(٣) "ك"، "ز"، "هي" ساقطة.

(٤) (٤) "يس"، الآية ٤١).

(٥) "ك"، "ز"؛ العبارة: "خلق الأرواح فيهم".

(٦) "٣"، "ك"؛ قوله: "وهم في ظلمات ظهر أبيهم" ساقطة.

(٧) (آل عمران الآية ٣٨).

(٨) "ك"، "ز"؛ "قريباً" ساقطة.

(٩) "ك"، "ز"؛ "وكما".

(١٠) "ب"؛ "إلى ظهر آدم"، "ز"؛ "آدم" ساقطة.

يفعلهُ بهم إذ رَدَّهم إلى الأرض بعد الموت، فإنه يقبض^(١) أرواحهم، ثم يُعيدهم فيها.

العاشر: أين رجعت الأرواح بعد رَدِّ الذرات إلى ظهري؟

والجواب: هذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلي عندي بأكثر من أن يُقال: رجعت لما كانت عليه قبل^(٢) الذرات كما سيأتي في الجواب بعده، فمن رأى في ذلك شيئاً فليحققه بهذا الموضع.

الحادي عشر: قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣)

والناس يقولون إن الذرية أخذت من ظهر آدم، فما الجواب^(٤)؟

والجواب أنه - تعالى - أخرج من آدم^(٥) بنيه لصلبه، ثم أخرج من بني آدم^(٦) بنيه من ظهور بنيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم من آدم بقول بني آدم، إذ من المعلوم أن بنيه لا يخرجون إلا منه، ومثال ذلك مثال من أودع جوهرة في صندوق، ثم أودع الصندوق في حرق، ثم أودع الحرق مع الجوهرة في حقة، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق، ثم أدخل يده في الصندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا يختلف فيه.

الثاني عشر: في أي مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟

فالجواب: قد جاء في الحديث أنه أودع في باطن الحجر الأسود، وأن للحجر الأسود^(٧) عينين ولهما لسان^(٨).

(١) "ك"، "ز"، "قش"، وهو غير مستقيم.

(٢) "ك"، "ز"، "من مثل".

(٣) (الأعراف، الآية ١٧٢).

(٤) "ك"، "ز"، قوله: "فما الجواب" ساقط.

(٥) "ك"، "ز"، "من ظهر آدم".

(٦) "ب"، "الأسود" ساقطة.

(٨) حساء في نواذر الأصول للحكيم الرمذي: "وإذا قصدوا الكعبة لأدوا بها، وجدوا بعة الإسلام الذي دنسوه وأحلقوه باستلام الحجر الذي فيه يهتفون حين استخرجهم من الأضاليل للميثاق". انظر: ٥٨٧/٢-٥٨٨، وفي موضع آخر يقول: "عن أبي ولید القرشي قال: سمعت فاطمة بنت الحسين - رضي الله عنها - تقول: لما أخذ الله ميثاق العباد جعله في الحجر، فمن أوفاه الله بالعهد استلام الحجر، فكل ذلك ما زمر هو يهتف على ما في الجنة من صلاحته، ولذاته ولونه". انظر: نواذر الأصول، ٤١٣/٢، أما اللسان والشفعان فقد ورد: "يبحث الله الحجر الأسود والركن اليماني يوم القيامة ولهما عبادان وشفعان يشهدان لمن استلمهما بالوفاء". أخرجه الطبراني في الكبير

فإن قال قائل: هذا غير مُتصوّر في العقل.

فالجواب أن كل ما عسّر على العقل تصوّره يكفينا فيه الإيمان به، وردّ معناه إلى الله تعالى، وقد ذكر الشّيخ محيي الدين في الباب الخامس عشر وثلاثمائة ما يؤيّد الإيمان بمثل ذلك^(١)، وهو ما رواه الترمذي وغيره أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خرج يوماً على أصحابه، وفي يده كتابان مطويان، وهو قايض بكل يد على كتاب، فقال لأصحابه: أتدرون ما هذان الكتابان؟ فأخبرهم أن في الكتاب الذي في يده اليمنى أسماء أهل الجنة، وأسماء آباؤهم، وقبائلهم، وعشائرهم إلى يوم القيامة، وأن الذي في يده اليسرى فيه أسماء أهل النار، وأسماء آباؤهم، وقبائلهم، وعشائرهم إلى يوم القيامة، انتهى الحديث^(٢)، فلو أن الإنسان أراد أن يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين لما قام بذلك ورثى الدنيا، ومن هنا تُعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين^(٣).

قال الشّيخ محيي الدين^(٤): وهذا علم غريب عجيب، وقد ذُفناه وشاهدناه، وحكي أن فقيراً كان طامعاً بالبيت^(٥)، فقال له إنسان: هل نزلت لك ورقة من السماء بعثتك من النار؟ فقال: لا، وهل ينزل للناس أوراق؟ فقال له الحاضرون: نعم، وهم يمزحون معه، فما زال يطوف ويسأل الله^(٦) أن ينزل له براءة من النار، فنزلت

(١) (١١٤٣٢)، والقيصري في مجمع الزوائد، باب فضل الحجر الأسود (٥٤٨٩)، ٤/٤٠٧. وفي رواية

أخرى: "أشهدوا هذا الحجر خير، فإنه يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن

استلعه". انظر: المحيي، مجمع الزوائد، باب فضل الحجر الأسود (٥٤٨٧)، ٤/٤٠٧. وفي رواية

ثالثة: "بأي الركن يوم القيامة أعظم من أي قبس له لسان وشفتان". أخرجه أحمد في المسند، ٢/

٢١١، والقيصري في مجمع الزوائد، الباب نفسه (٥٤٨٦)، ٤/٤٠٧.

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل وجوب العذاب من الحضرة المحمدية". انظر: الفتوحات المكية،

٨٣/٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ٢/١٦٧، والترمذي في السنن، كتاب القدر (٢١٤٨)، ٤/٥٦، وجامع

الأحاديث القدسية، كتاب التوحيد والإيمان (٧٣)، ١/٩٨.

(٤) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٨٧/٥.

(٥) قول محيي الدين في الباب الخامس عشر وثلاثمائة في الفتوحات المكية، ٨٧/٥.

(٥) عبارة محيي الدين: "وقد حكي عن بعض إليه من أهل الحاج أنه لقي رجلاً وهو يطوف طواف

الوداع، فأخذ ذلك يمازح هذا الأبله...". انظر: الفتوحات المكية، ٨٧/٥.

(٦) "ب: الله تعالى".

ورقة^(١) من ناحية الميزاب فيها مكتوب عطف من النار، ففرح بها، وأطلع الناس عليها، وكان من شأن تلك الكتابة أنها تُقرأ من^(٢) كل ناحية على السواء لا تُغَيَّر، كلما انقلبت^(٣) الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها، فعلم الناس أن ذلك من عند الله بلا شك. قال الشيخ محيي الدين^(٤): وأتفق في زماننا أن امرأة رأت في المنام كأن القيامة قد قامت، وأعطاه الله ورقة من شجرة فيها مكتوب عطفها من النار، فمسكها في يدها، ثم استيقظت والورقة قد انقبضت يدها عليها، فلم يُقدِّروا على فتح يدها بحيلة، فأرسلوها إليه، فأنهمني الله -عز وجل-^(٥) أن قلت لها: انوي بقلبك مع الله -تعالى- أنك تبتلعين الورقة إذا فتح كفك، ففرحت يدها إلى قمها، وتوت ذلك، فابتلعها؛ وذلك لأن الله -تعالى- أراد منها أنها لا تُطْلَع عليها أحدًا، انتهى^(٦). فاعلم ذلك^(٧)، وأمن بأن الله على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ الْعَقْلِ أَنَّ النَّشَأَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَا تَكُونُ

إِلَّا عَنْ سَبَبٍ وَاحِدٍ]

ومِمَّا أُجِيبَ بِهِ ضَعْفُ الْعَقْلِ الَّذِي يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْقُوَّةَ الْإِلَهِيَّةَ أَوْ الْحَقَائِقَ تُعْطَى أَنَّ هَذِهِ النَّشَأَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ سَبَبٍ وَاحِدٍ يُعْطَى بِذَاتِهِ هَذِهِ النَّشَأَ، فَاجْلُوبِ أَنْ

(١) "د"، "ك"، "ز": "نزلت عليه ورقة".

(٢) "ك"، "ز": "نقرأ على كل...".

(٣) "د"، "ز": "قلبت"، وما أتت من النسخ الأخرى والفتوحات المكية.

(٤) انظر قول محيي الدين في الفتوحات المكية، ٨٨/٥، وقد تصرف الشعري بالمعبرة.

(٥) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٦) انظر حكاية هذه الحال التي رواها محيي الدين في الفتوحات المكية، ٨٧/٥، وعقب عليها بقصة مالك بن أنس إمام دار الهجرة لما اتفق في ذلك الزمان أن امرأة غسلت مينة، فلما وصلت إلى فسرجهما، قالت ما سوء متهمه لها بالزنا، فالتصفت يدها بالفرج، والتحمت به، فسئل فقهاء المدينة، فمن قاتل يقطع يدها، ومن قاتل يقطع جزء من بدن الميتة قدر ما مسكت عليه اليد، فسأل مالك: أرى أن تحللد العاسلة حد القرية، فإن كانت انثرت فإن يدها تنطلق، فجعلت فانتظمت يدها، فتعجب الفقهاء من ذلك. انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٨٨/٥.

(٧) "ك"، "ب"، "ز": "ها أحيى".

الله - تعالى - قد رَدَّ هذه التشبهة في وجه صاحبها بقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١).

وليضاح ذلك كما قال الشيخ محيي الدين^(٢) أن ابتداء الجسوم الإنسانية على أربعة أنواع: آدم، وحواء، وعيسى، وبنو آدم، وكل جسم من هذه الأربعة يُخالَفُ نشأة الآخر في السببية والاجتماع في الصورة لئلا يُتَوَحَّمُ ضعف العقل أن الجسوم كلها وجدت^(٣) بسبب واحد، فلذلك أظهر الله^(٤) هنا النشأة الإنسانية^(٥) في آدم - عليه السلام - بطريق لم يُظهر به جسم حواء، وأظهر جسم حواء بطريق لم يُظهر به جسم ولد آدم، وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يُظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد جمع الله - تعالى - هذه الأربعة أنواع^(٦) في آية من القرآن، وهي قوله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾^(٧) الآية، فقوله: "خلقناكم" يريد آدم وجميع الناس، وقوله^(٨) : "مِنْ ذَكَرٍ" يريد حواء، وقوله^(٩) : "وَأُنْثَى" : يريد عيسى^(١٠)، ومن المجموع "مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى" معاً بطريق التكاح، يريد بني آدم، فهذه الآية من جوامع الكلم، وفصل الخطاب، انتهى^(١١).

فإن قيل: فهل يوصف آدم بكونه لم يولد، أم ذلك من خصائص الحق، ويكون خلقه من تراب كتكوينه في بطن أمه، وظهور صورته كالولادة؟

(١) (آل عمران الآية ٥٩). (٢) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٣) "ب"، "ز": "توجدت". (٤) "ك": "الله تعالى".

(٥) "ب": "هذه النشأة الإنسانية". (٦) "ك"، "ب"، "ز": "عليه السلام" ليست فيها.

(٧) "د"، "ب"، "ز": "الأربعة" ساقطة.

(٨) (الحجرات، الآية ١٣).

(٩) "ب"، "ز": "وقوله" ساقط. (١٠) "ب"، "ز": "وقوله" ساقط.

(١١) "د"، "ك"، "ز": زاد: "خلق من مريم من غير أب".

(١٢) ذكر محيي الدين ذلك في الباب الثالث والستين وأربعمئة، وقد عقد له العنوان: "في معرفة الآتي عشر قطباً الذين يدور عليهم عالم زمانهم"، وقد قال في ذلك: "ومن هذا العلم تعلم أن الساء شقائق السرجال، ألا ترى حواء خلقت من آدم، فلها حكمان: حكم المذكورة بالأصل، وحكم الأنوثة العارض، فهي من التشابه، فإن الإنسانية تجمع الذكر والأنثى،...، وبالمجموع مثل بني آدم باقي الذرية، فهي الجامعة لخلق الناس". انظر: الفتوحات المكية، ١٢٤/٧.

فالجواب: نعم، يوصف بكونه لم يولد لأن الله - تعالى - ما نقي أنه ^(١) لم يولد إلا نزلًا للعقول التي تعلم بها إبليس كالعقول الضعيفة التي يقول لها: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ والآن فآدم - عليه الصلاة والسلام - لم يولد، فافهم.

فإن قال قائل: فلأي شيء كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم القصير؟ فالجواب: أنه - تعالى - إنما استخرج حواء من ضلع آدم القصير إشارة لقصورها عن درجة الرجل، فما تلتحق به ابنة، فإن قيل: فلم لم يكن ^(٢) - تعالى - خلق أولاد آدم كلهم من ضلعه كما فعل في حواء، ولم يحوج الناس إلى نكاح؟ فالجواب: إنما فعل ذلك لما سبق في علمه - تعالى - من عدم وجود شهوة في جسم آدم إلا بوجود زوجة يميل إليها، وأولا حواء ما كان في الوجود ثم أسئل.

فإن قيل: فما حكمة تخصيص خلق السيدة حواء من الضلع دون غيره؟ فالجواب: الحكمة في ذلك كونها تصير نحو على ولدها وزوجها لما في الضلع من الانحناء، ولذلك كان حو الرجل على المرأة إنما هو حو على نفسه، لأنها في الحقيقة جزء منه، وأما المرأة ^(٣) على الرجل فإنما هو لكونها خلقت من ضلعه، والضلع من شأنه الانحناء والانعطاف، ثم إن حواء لما خرجت من ضلع آدم عمر الله - تعالى - ذلك الموضع من آدم بالشهوة، وذلك حتى لا يبقى في الوجود خلل، فلما عمره الله تعالى ^(٤) بالهوى حو إليها حتى إلى نفسه كما مر، وكما حلت حواء الأخرى إليه لكونه موطنها الذي نشأت فيه، فكان حب حواء حب الموطن، وحب آدم حب نفسه، ولذلك كان حب الرجل للمرأة يظهر إذ كانت عنه، بخلاف حب المرأة لزوجها، فإنه يخفى لما أعطيت المرأة من القوة المعبر عنها بالحياة، فقويت بذلك على الإغواء إذ الموطن لا يتحد بها اتحاد آدم بها، وإن كان الحق - تعالى - قد صور ^(٥) في ذلك الضلع جميع ما صورته وخلق في جسم آدم على اختلاف الوضع، فإن نشأ آدم ^(٦) في صورته كشعر الفاحوري فيما ينشئه من الطين والطبخ، وأما نشأة جسم حواء فكان كشأة الشجر فيما

(١) "ك"، "ز": "أنه تعالى". (٢) "ي": "بين"، وهو تصحيف.

(٣) "ك"، "ز": "حو شراً". (٤) "د": "الله" ليست فيها.

(٥) "د": "جعل". (٦) "ك": "نشأة"، "ب": "فإنما آدم".

يُنْحَتُهُ مِنَ الصُّورِ فِي الْحَسَبِ، ثُمَّ إِنَّهُ -تعالى- لَمَّا نَحَتَهَا مِنَ الضَّلَمِ، وَأَقَامَ صَوْرَتَهَا وَسَوَّاهَا نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَقَامَتْ حَيَّةٌ نَاطِقَةٌ أَتْنَى لِجَعْلِهَا مَحَلًّا لِلزَّرَاعَةِ وَالْحَرْثِ وَالْإِنْبَاتِ الَّذِي هُوَ الشَّاسِلُ.

فَإِنْ قُلْتُ: فَمَا سَبَبُ تَسْمِيَةِ عَيْسَى^(١) رُوحًا مِنْ اللَّهِ -تعالى- دُونَ غَيْرِهِ مَعَ أَنَّ أَرْوَاحَ الْخَلْقِ كُلِّهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، أَيُّ مِنْ خَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ؟

فَالْجَوَابُ -كَمَا قَالَ^(٢) الشَّيْخُ أَبُو طَاهِرٍ الْقُرُونِيُّ^(٣)- أَنَّ اللَّهَ -تعالى- لَمَّا خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ^(٤) بِالْفَنَى عَامَ حَبَّأَهَا^(٥) فِي مَكُونٍ عَلَيْهِ^(٦)، ثُمَّ لَمَّا خَلَقَ الْأَجْسَادَ أَدْخَلَ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ الرُّوحَ الَّتِي كَانَ حَبَّأَهَا لَهَا فِي غَيْبِهِ^(٧) مُشَاكِلَةً لِسَعَادَتِهَا أَوْ شَقَاوَتِهَا، فَكَانَتْ تِلْكَ الذَّرَاتُ عَلَى وَفْقِ حُكْمِهِ وَعَلَيْهِ أَزْوَاجًا لِأَزْوَاجِهَا، كَمَا قَالَ -تعالى-^(٨): ﴿مُبْخَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ صَعَلَهَا﴾^(٩)، أَيُّ: خَلَقَهَا مَقْرُونَةً بِهَا^(١٠)، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ -تعالى- لَمَّا أَرَادَ اخْتِذَ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ أَخْبَطَ بِقُدْرَتِهِ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَمَاكِنِهَا عَلَى تِلْكَ الذَّرَاتِ عَلَى وَفْقِ عَلَيْهِ وَحِكْمَتِهِ^(١١)، ثُمَّ إِنَّهُ -تعالى-^(١٢) لَمَّا اخْتَذَ مِنْهُمْ الْمِيثَاقَ حَلَّ عَقَالِ الْأَرْوَاحِ، فَطَارَتْ إِلَى أَمَاكِنِهَا الَّتِي كَانَتْ كَامِنَةً فِيهَا فِي الْمَلَكُوتِ إِلَى وَقْتِ انْتِحَاقِ مَاءِ تَحْلِيهِ الطُّغْفِ لِقَبُولِهَا، فَبِهَذَا يَكُونُ اتِّصَالُهَا بِالْأَجْسَادِ فِي الْأَرْحَامِ، وَأَمَّا رُوحُ عَيْسَى فَلَمْ تَتَوَقَّفْ عَلَى حُصُولِ نَظْفَةِ^(١٣)، وَقِيلَ لِأَنَّ اللَّهَ -تعالى- قَالَ^(١٤) لِرُوحِهِ: ادْخُلِي فِيهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ مِثْلِكَ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ -تعالى- رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَكَانَ مُكْنًى فِيهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْ

(١) "ك"، "ز"، "عليه الصلاة والسلام". (٢) "ك"، "قال".

(٣) "د"، "الشيخ" سابقه. (٤) "د"، "ز"، "الأجسام".

(٥) "ب"، "حبَّأها" سابقه. (٦) "ك"، "ز"، "في علمه".

(٧) "ك"، "ب"، "قوله": "ثم لما خلق الأجسام أدخل في كل ذرة الروح التي كان حبَّأها لها في غيبه" سابقه.

(٨) "ك"، "ب"، "ز"، "سبحانه وتعالى".

(٩) (يس، الآية ٣٦).

(١٠) "د"، "ك"، "ز"، "بما يشاكلها".

(١١) "ك"، "ب"، "ز"، "وحكمته تعالى"، وفي "سراج العقول": "علمه وقدرته وحكمته".

(١٢) "ك"، "ب"، "ز"، "سبحانه وتعالى".

(١٣) "د"، "قوله": "وأما روح عيسى فلم تتوقف على حصول نظفة" سابقه.

(١٤) "ب"، "قال" ليست فيها.

الروحانية، وكان مكنته في الأرض قبل الرقيع بقدر ما فيه من حُزْء الطين من حيث أمه^(١).
 قال الشيخ أبو طاهر^(٢): وقول الله -تعالى- حكاية عنه^(٣) وهو في مهده:
 ﴿وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا لِّمَنْ مَا حَكَمْتُ﴾^(٤) إشارة منه إلى أن هذه الجملة تعني: أنما كنت من
 السماء والأرض، ويُؤيد ما قلناه قول أبي بن كعب -رضي الله عنه-: خلق الله -تعالى-
 أرواح بني آدم لما أخذ عليهم العيثاق، رَدَّها إلى صلب آدم عليه الصلاة والسلام^(٥)، ثم
 رَدَّها إلى المَلَكُوت وبني آدم إلى صلب آدم، وأُتسك عنه روح عيسى عليه الصلاة
 والسلام^(٦)، فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم، فكان منه عيسى عليه السلام^(٧)،
 فلها قال: ﴿وَرُوحٌ مِنِّي﴾^(٨) انتهى.

فإن قال قائل: فمن هؤلاء الملائكة الموكلون يفتح الأرواح في الجنة، وتصوير
 الأجسام؟

فالجواب: هم أعوان إسرائيل عليه الصلاة والسلام^(٩)، فإنه هو الموكل بالصُّور،
 فلم يزل ناظرًا إلى صور الخليفة المصورة^(١٠) تحت العرش، فإن في الحديث: "إن لكل ما
 خلق الله -تعالى- صورة مخصوصة في سائر العرش أظهرها الله -تعالى- لإسرائيل قبل
 تكوين الخلق"، انتهى^(١١)، ولكل صور^(١٢) بني آدم تشابه وتشاكل في الخلق، لأن أصلهم

(١) "د"، "ك"، "ز": قوله: "من حيث أمه" ساقط، وانظر قول أبي طاهر في "سراج العقول"، ١٣٩.

(٢) "ك": قال أبو طاهر القزويني، وقد ورد كلامه في كتابه "سراج العقول" في الباب الحادي عشر.

(٣) "ك"، "ز": "عنه حكاية".

(٤) (مريم، الآية ٣١).

(٥) "ك"، "ز": قوله: "رَدَّها إلى صلب آدم عليه الصلاة والسلام" ساقط.

(٦) "ب"، "ز": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها.

(٧) "ب": "عليه الصلاة والسلام"، "ك": قوله: "فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم، فكان
 منه عيسى عليه الصلاة والسلام" ساقط.

(٨) (النساء، الآية ١٧١)، وهنا ينتهي كلام أبي طاهر في "سراج العقول"، ٣٨.

(٩) "ك"، "ز": "عليه السلام".

(١٠) "ك"، "ب": "المصورة" سائطة.

(١١) تقدم بيان عن هذا الحديث قبلا.

(١٢) "صورة"، ولعله لا يستقيم.

صورة^(١) آدم، وإلى ذلك الإشارة بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لأن الله خلق آدم على صورته"^(٢)، أي التي نُقِشت في ساقِ العرش، أو اللوح المحفوظ^(٣) قبل خلق آدم، فإن الحق -تعالى- لا صورة له تُعْقَل لمخالفته -تعالى- لِسائرِ الحَقائِقِ^(٤)، فانهم:

قال وهب بن منبه^(٥): "فإسرائيل دائماً ناظر إلى الصُّورِ المنقوشة في ساقِ العرش، وإلى الأرحام عند تصوير الأجنّة، فإذا أراد الله -تعالى- نَقْشَ الرُّوحِ في جَنِينِ أَخَذَ إِسْرَافِيلُ تِلْكَ الصُّورَةَ الْمُخْتَصَّةَ بِتِلْكَ الْجَنِينِ، يُثْلِقُهَا إِلَى مَلَكِ الأَرْحَامِ، يُثْلِقُهَا مَلَكُ الأَرْحَامِ إِلَى الْجَنِينِ، فَيُصَوِّرُهُ فِي الرَّحِمِ عَلَى شَاكِلَةِ^(٦) تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُنْقُوشَةِ^(٧) فِي سَاقِ الْعَرْشِ الْمَعِينَةِ لَهَا"^(٨).

قال الشيخ أبو طاهر^(٩): "والقاء الصورة في الحقيقة إنما هو إلقاء لتسحينها التي

(١) "ك": "صورة" ساقطة.

(٢) تقدم شرحه.

(٣) "ك"، "ز": "المحفوظ" ساقطة.

(٤) الكلام منسوخ من "سراج العقول" ١: ٤٤٣-٤٤٤.

(٥) هو الخافض أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعائي، عالم أهل اليمن، ولد سنة أربع وثلاثين بمصعاع، أخذ عن ابن الحنفية، وغالب أخذه عن ابن عباس، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، ولاء حمير بن عبد العزيز قضاء صنعاء، وكان يقول: قرأت نيفا وسبعين كتاباً من الكتب الإلهية، فوجدت نسيها كلها: من وكل إلى نفسه شيئاً من المشقة فقد كفر، يا ابن آدم، ما قتلت لي بما يجيب عليك، أذكرك وتنساني، وأدعوك وتفر مني، حيرني إليك نازل، وشرك إلي صاعد، من لطيف أقواله: البلاء للمؤمن كالشكل للذئبة، وكذلك: إن الله يحفظ بالعد الصالح القليلة من الناس، وكذلك: ما يقع التدبير إذا خالف التقدير، قيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، توفي بمصعاع سنة (١١٤هـ). انظر ترجمته: الأصبهاني، حلية الأولياء، ٢٣/٤، وهاقوت، معجم الأدباء، ٥٧٦/٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٩٣/٤، والشعراني، لوائح الأنوار، ١/ ١٠٥، والسنائي، الكواكب الفريسة، ٤٧٧/١، وابن العماد، شذرات الذهب، ١/ ١٥٠، والمزركلي، الأعلام، ١٢٥/٨.

(٦) "ك"، "ز": "على تلك المنقوشة".

(٧) "د": "الصورة" ساقطة.

(٨) "٣": "المهابة"، "ك"، "ب"، "ز": "المعينة" ساقطة، وما أتته من "سراج العقول"، والكلام لأي طاهر، ٤٤ ب.

(٩) ورد كلام أبي طاهر في "سراج العقول" في الباب الرابع عشر في تصوير الجنين في قرار مكين، ١٤٣.

تليقُ بها^(١)، قال -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٢)، فاضافت التصوير إلى نفسه^(٣) دون غيره، فهو -تعالى- مُصَوِّرٌ للصُّورِ، ومُصَوِّرٌ لِصُورِهَا، لا خالق سواه، ولا مُصَوِّرٌ^(٤) إلّا هو، ولذلك شَدَّدَ في الوَعْدِ لِلْمُصَوِّرِينَ، ويُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ^(٥)، ثُمَّ يَكُونُ مَا لَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ بِالشَّفَاعَةِ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، أَمَّا الْكَافِرُ الْمُصَوِّرُ لِلْأَصْنَامِ^(٦) الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ^(٧) فَهُوَ فِي النَّارِ^(٨) كَمَا وَرَدَ اللَّهُ بِخُرُجِ عَنْقٍ مِنَ النَّارِ^(٩)، فَيُلْقِطُ الْمُصَوِّرِينَ، ثُمَّ يَدْخُلُ بِهِمُ النَّارَ، فاعْلَمْ ذَلِكَ، وَتَأَمَّلْ فِيهِ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُهُ فِي كِتَابٍ، وَاعْتَقِدْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ رُؤْيَا الْحَقِّ تَكُونُ بِحَقِيقَةِ الذَّاتِ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ -تعالى-^(١٠) لِلْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ الْآخِرَةِ تَكُونُ بِحَقِيقَةِ الذَّاتِ^(١١) مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ، أَوْ تَكُونُ مُتَحَيِّزَةً فِي جِهَةٍ، تَعَالَى اللَّهُ^(١٢) عَنْ

(١) "لَا": العبارة: "لتسببها الذي يليقُ بها".

(٢) (آل عمران الآية ٦).

(٣) "لَا"، "ز": "نفسه تعالى".

(٤) "د": "يصور".

(٥) جاء في الحديث الشريف: "المصورون يعذبون يوم القيامة، ويقال أحيوا ما خلقتم". أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الاستئذان، ٨، والإمام أحمد في المسند، ٤/٢، ٢٠، ٢٦، ٥٥، والبخاري في الصحيح، كتاب التوحيد(أباب) ١٢٥١/٢٣٥٤، ٨/٨٤٠، ومسلم في الصحيح، كتاب اللباس(٣٧/٦٩)، شرح صحيح مسلم، ١٤/٣٣٦، وابن ماجة في السنن، كتاب النجارات، ٥.

(٦) "د"، "ك"، "ز": "أما من يصور الأصنام التي..".

(٧) "د": "دون" ساقطة.

(٨) "ب": العبارة: "الكافر المصور للأصنام التي تعبد دون الله فهو في النار".

(٩) قوله: "من النار" ساقطة، وهنا ينتهي كلام أبي طاهر من "سراج العقول"، ٤٤ب.

(١٠) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(١١) "ك": العبارة: "أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ الْآخِرَةِ تَكُونُ بِحَقِيقَةِ الذَّاتِ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ".

(١٢) "ك"، "ز": "تعالى الله تعالى".

ذَلِكَ غُلُوًّا كَبِيرًا^(١)، فَالْجَوَابُ أَنْ تَعْلَمَ يَا أَحْيَى أَنْ رُؤْيَا اللَّهِ -جَلُّ وَعْلًا-^(٢) إِذَا وَقَعَتْ تَكُونُ مُتَزَعَةً عَنِ الْمُقَابَلَةِ، وَالْجِهَةِ، وَالْمَكَانِ؛ إِذَا الرُّؤْيَا لَوْعٌ مِنَ الْكَشْفِ يُدْرِكُ بِهَا الرَّائِي الْعِلْمَ بِالْمَرْمِيِّ، وَيَخْلُقُ اللَّهُ -تَعَالَى- ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ مُقَابَلَةِ الْخَاسَةِ لَهُ بِإِبْعَادِهِ، فَجَازَ أَنْ يَخْلُقَ هَذَا الْقَدْرَ بِعَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْهُ قَدْرٌ مِنَ الْإِدْرَاكِ مِنْ غَيْرِ مُقَابَلَةِ لِهَذِهِ الْخَاسَةِ أَصْلًا كَمَا كَانَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرَانَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ^(٣)، وَكَمَا أَنَّ الْحَقَّ -تَعَالَى-^(٤) يَرَانَا مِنْ غَيْرِ مُقَابَلَةٍ وَلَا جِهَةٍ بِأَشْفَافِنَا أَنْ الرُّؤْيَا نِسْبَةٌ خَاصَّةٌ بَيْنَ طَرَفَيْ رَأْيٍ وَمَرْمِيٍّ، فَإِنْ انْتَضَتْ عَقْلًا كَوْنٌ أَحَدُهُمَا فِي جِهَةٍ، انْتَضَتْ كَوْنُ الْآخَرِ كَذَلِكَ، فَإِذَا ثَبَتَ عَدَمُ لُزُومِ ذَلِكَ فِي أَحَدِهِمَا ثَبَتَ مِثْلُهُ فِي الْآخَرِ، هَذَا مَا عَلَيْهِ جَمُورُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْأَصُولِيِّينَ، قَالُوا: وَتَكُونُ رُؤْيَا اللَّهِ -تَعَالَى- لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا بِالْقُلُوبِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْأَبْصَارِ بِلَا كَيْفٍ فِي الرُّؤْيَا^(٥)، وَذَلِكَ يَخْتَصُّ^(٦) بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿لَا تَدْرِيكَهُ إِلَّا بُعْثَرُهُ﴾^(٧)، انْتَهَى.

وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو طَاهِرٍ الْقَزْوِينِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يَقُولُ: الْعَقْلُ مُعَزَّوْلٌ هُنَا عَنْ إِدْرَاكِ كَيْفِيَّةِ رُؤْيَا اللَّهِ -تَعَالَى- فِي الذَّاتِ الْآخِرَةِ، فَلَا يُدْرِكُ فِي هَذِهِ الذَّاتِ إِلَّا أَنْ أَمَدَ اللَّهُ^(٨) أَحَدًا مِنَ الْخَوَاصِّ بِقُوَّةٍ زَائِدَةٍ عَلَى الْعَقْلِ، فَمَهْمَا أَحَاطَ بِذَلِكَ عِلْمًا وَذَوْقًا نِعْمَةً مُعْجَلَةً مِنْ اللَّهِ -تَعَالَى- لِذَلِكَ الْعَبْدِ فِي هَذِهِ الذَّاتِ، انْتَهَى^(٩).

(١) "د"، "ك"، "ز": قوله: "غُلُوًّا كبيرًا" ساقط.

(٢) "ك"، "ز": "الله عز وجل".

(٣) رواية الحديث الشريف: "اقيموا الصلوة، فإني أراكم حلف ظهري"، وهي رواية أخرى: "فاعملوا صلوفاكم وقيموها وسنوا الفرج، فإني أراكم من وراء ظهري". أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب السفر، ٧٠، والإمام أحمد في المسند، ٣/٣، والبخاري في الصحيح، كتاب الأذان (الباب ٦٦٩/٦٨٢)، ٣٤٦/٢، والنسائي في السنن، كتاب التطبيق، ٦٠، والسيوطي في الجامع الصغير (١٣٧١، ١٣٧٢)، ٢٠٤/١.

(٤) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٥) "ك"، "ز": "اللاتين".

(٦) "ب": "يختص"، "د"، "ز": "يختص".

(٧) (الأنعام: الآية ١٠٣).

(٨) "ك"، "ز": "إلا أن يمد الله تعالى".

(٩) ورد كلامه ذلك في الباب الثاني والعشرين من "سراج العقول"، والموسوم بـ"أروبا"، ورؤْيَا اللَّهِ ورؤْيَاهُ فِي الْمَنَامِ، انظر: سراج العقول، ٢٥٩.

وكان - رضي الله تعالى عنه - يقول أيضًا^(١): إذا وقعت رؤية الله - تعالى - للمؤمنين في الآخرة، فتكون بواسطة شيء آخر^(٢) يُلْقِي به تعالى، مُنْزَهِ عن الشكل والصورة، ويكون تَجَلِيهِ - تعالى - في ذلك المثل لِغَيْبِهِ عِبَادَهُ كَلَامُهُ الْقَدِيمُ الْمُنْزَهِ عن الصَّوْتِ والحَرْفِ بواسطة الحروف والأصوات، فَكَمَا أَنَّ الْكَلَامَ الْأَزَلِيَّ مُنْزَهِ عن الحَرْفِ والصَّوْتِ الْخَادَتَيْنِ، وَيُغَيِّمُهُمَا بِوَسْطِهِمَا كَلَامُهُ الْقَدِيمُ^(٣)، كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ - تعالى -^(٤) الْأَزَلِيَّةُ الْمُنْزَهِةُ عن الصَّوْرَةِ وَالشَّكْلِ تُرَى بِوَسْطَةِ شَيْءٍ آخَرَ^(٥) يُنَاسِبُهَا بِأَدْنَى مَعْنَى، فَيَكُونُ كَالْمَثَلِ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ^(٦): ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نُورِهِ﴾^(٧) يَفْتَحَتَيْنِ، لَا كَالْمِثْلِ بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَسُكُونِ^(٨) الْمَثَلَةِ الَّتِي تَوْجِبُ الْمُتَابِلَةَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، أَمَّا إِذَا رَأَاهُ^(٩) فِي صُورَةٍ لَا تُنَاسِبُ جَلَالَ الصَّمَدِيَّةِ فِي مَعْنَى مَا، فَالْهِيَ مَنْ عَيْتَ بِهِ الشَّيْطَانُ^(١٠).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ رُؤْيَا اللَّهِ - تعالى - عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ غَيْرُ مُمَكِّنَةٍ لِعَدَمِ صَحَّةِ الْمَثَلِ وَالْمَثَلِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ^(١١)، فَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ - تعالى - إِذَا تَجَلَّى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَاتِهِ الْمَقْدَسَةِ، فَالزُّوْجُ تُعْرَفُ بِالْفِطْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ^(١٢) أَنَّهُ هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ، وَابْتِصَاحُ ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ بِأَلَانِيَا الْحَيَاةِ لَا تُسْتَطِيعُ رُؤْيَا مَا لَا صُورَةَ لَهُ، وَلَكِنْ تَصَوُّرُهُ بِوَسَائِلِ وَأَمْثَلَةٍ، ثُمَّ تَذْهَبُ الْأَمْثَلَةُ كَأَنَّهَا جُفَاءً، وَيَبْقَى مَعَهَا رُؤْيَا اللَّهِ حَقًّا، كَمَا أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ^(١٣) الْقَدِيمَ يُتَعَلَّمُ^(١٤) بِوَسْطَةِ الْحُرُوفِ الْمُمَثِّلَةِ فِي الْحُرُوفِ بِاللُّوْحِ^(١٥)، ثُمَّ يُعْنَى اللَّوْحُ، وَيَبْقَى الْقُرْآنُ فِي الذَّهْنِ.

(١) انظر قول أبي طاهر في "سراج المقول"، ١٦٤-١٦٥.

(٢) "د"، "ك"، "ز"، "بواسطة مثال". (٣) "ك"، "ب"، "الكلام القديم".

(٤) "د"، "ب"، "ز"، "تعالى" ليست فيها. (٥) "د"، "ك"، "ز"، "مثال".

(٦) "د"، "ز"، "قوله" ساقطة. (٧) (النور، الآية ٣٥).

(٨) "د"، "ب"، "ز"، "وُفِّحَ"، وهو لا يستقيم.

(٩) "ك": العبارة: "إِذَا رَأَاهُ أَحَدٌ فِي تَجَلِيهِ...".

(١٠) انظر كلام أبي طاهر في "سراج المقول"، ١٦٥.

(١١) "د": قوله: "فِي نَفْسِ الْأَمْرِ" ساقطة. (١٢) "ت": "الْأَزَلِيَّةُ".

(١٣) "ك"، "ز"، "الله تعالى". (١٤) "ب": "يُتَعَلَّمُ".

(١٥) "د": "الحروف" ساقطة، "ز": العبارة: "بواسطة الحروف المُمَثِّلَةِ فِي اللَّوْحِ".

[باب القول على رؤية الخلق للحق في المنام]

ومن هنا قالوا إن الحق - تعالى - يصح أن يرى في صورة في المنام في دار الدنيا، ولا يوجب ذلك الشخصية والتمثيل^(١) بدليل رؤية المعاني المجردة^(٢) في صورة كالإيمان، والقرآن، والكفر، والشرف، والهدى، والضلال، والحياة، مع أن الإيمان لا شكل له ولا صورة، وكذلك ما بعده، ولكن، فقد أول النبي - صلى الله عليه وسلم - قميص عمر لما رآه في المنام يحرقه عمر بالإيمان^(٣)، فقد رأى الإيمان يجعل القميص له مثلاً، وكذلك الكفر يمثل، فراه الناس ظلمة، وكذلك يرى العز^(٤) والشرف بواسطة ركوب الفرس، وكذلك يرى القرآن في صورة اللؤلؤ، ويرى الهدى^(٥) في صورة التوراة كالضلالة ترى برؤية العمى، وهكذا^(٦).

ولعل من منع رؤية الله - تعالى - في المنام في صورة ظن أن الشئ يشتمل على شئين هو الشئ - بكسر الميم وسكون الشاء المتثنية -^(٧) الذي هو العدل، وتأمل قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُرْسِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً ۖ مَعَ أَنِ الْحَيَاةِ لَا صَوْرَةَ لَهَا، وَلَا شَكْلَ، وَالْمَاءُ ذُو شَكْلٍ وَصُورَةٍ ۚ لَكِنَّهُ لَا لَوْنٌ لَهُ فِي نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا لَوْنُهُ ۖ ۝١٠٠﴾ يكون

(١) "ك"، "ز"، "تي" ساقطة.

(٢) "ك"، "ب"، "ز"، "ولا الشئ".

(٣) "د"، "ب"، "ز"، "المجردة".

(٤) "ك": العبارة: "يحرقه أي عمر بالإيمان يجعل القميص له مثلاً..."، وضم الحديث: "بينا أنا نائم رايت الناس يحرقون وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يحرقه، قالوا: وما أولت يا رسول الله؟ قال: الذي". أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي (باب ٣٦ - ٢١٠)، ٧٣/٥، ولحد في المستدرك، ١٨٦/٣، ٣٧٤/٥، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل عمر بن الخطاب (١٥/٣)، (٦١٣٩)، ١٥/١٥، والسائي في السنن، باب زيادة الإيمان (١٨)، ١١٤/٨.

(٥) "ك": "الكفر"، وهو تصحيف.

(٦) "ب": قوله: "يرى الهدى" ساقط، والعبارة في "ك": "وكذلك يرى المحدث"، وهو تصحيف.

(٧) الكلام كله لأبي طاهر في "سراج العقول"، ٦٤، وقد نقله الشرحي متصرفاً بالعبارة.

(٨) "د"، "ك"، "ز"، "شاء" ساقطة.

(٩) (يونس، الآية ٢٤).

(١٠) "ب": العبارة: "والماء لونه".

بحسب طرفه ليرى لا يذكر إلا مشاهدته لأجله، فليعلم أنه لا يشترط المساواة في التشبيه من كل وجه^(١)، فانهم، هذا أحسن ما وجدته من كلام المتكلمين في هذه المسألة^(٢).

[باب القول على كلام الصوفية في رؤية الحق]

وأما كلام الصوفية فقد قال الشيخ محيي الدين في علوم الباب التاسع والستين وثلاثمائة^(٣): اعلم أنه لا يصح لإنسان^(٤) أن يعبر عما طريقه الذوق بعبارة أبد، ولكن لما صح أن العقل يدرك الحق - تعالى -^(٥) مع أن العقل محدث، جاز أن يدركه بالبصر أيضا في الفكر الأخيرة من غير إحاطة؛ إذ لا فضل لمحدث على محدث إلا من حيث الصفات، ومن قال إن الحق - تعالى - يدرك عقلا، ولا يدرك بصرًا، فكالتلاعب لا علم له بما هو العقل، ولا بما هو البصر، ولا بالحقائق على ما هي عليه^(٦).

قال: وهذا شأن المعتزلة، فإنهم لا يفرقون بين الأمور العادية والأمور الطبيعية، فلا ينبغي لعالم الكلام مع من هذا شأنه، وأطال في ذلك، ثم قال: ولولا أن موسى - عليه الصلاة والسلام - فهم من الأمر أن كلمه ربه بارتقاء الوسائط ما أجره على طلب الرؤية ما فعل، فإن سماع كلام الله - تعالى - بارتقاء الوسائط هو عين الفهم عنه، فلا يفتقر إلى فكر ولا تأويل، فكما كان عين السمع في هذا المقام عين الفهم، لذلك سأل^(٧) - عليه الصلاة والسلام - ربه الرؤية ليعلم اتباعه، ومن ليس له هذه المرتبة من الله - تعالى - أن رؤية الله - تعالى - ليست بمحال، انتهى^(٨).

(١) هنا ينتهي كلام أبي طاهر في "سراج القول"، ٦٤.

(٢) يعني بذلك كلام أبي طاهر المذكور آنفا.

(٣) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل مفاتيح حرائر الجود". انظر: الفتوحات المكية، ٩٨/٦.

(٤) "ب": العبارة: "لا يصح أن...".

(٥) "ب": العبارة: "ولكن لما صح أن العقل يدرك الحق تعالى به".

(٦) انظر كلام محيي الدين في الفتوحات في الباب التاسع والستين وثلاثمائة، ١٤٨/٦، وقد نقلها الشعراوي متصرفا.

(٧) "ك": "سأل موسى".

(٨) انتهى كلام محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثمائة، في مبحث "الوصل السادس عشر: من حرائر الجود". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٤٨/٦.

وقال في الباب التسعين من "الفتوحات"^(١): اعلم أن رؤية الحق - جلّ وعلا -^(٢)
 أعظم نعيم يكون للمؤمنين^(٣)، لكن هنا دقيقة، وهي أن ما ورد في الحديث من أن رؤية
 الله^(٤) لا نعيم فوقها لأهل الجنة يقتضي شدة الالتئاذ بالرؤية، ومعلوم أن الالتئاذ بالرؤية
 إنما يكون من تجلّي الحق - تعالى - في المظاهر التي ينزل فيها للعقول^(٥)؛ إذ الالتئاذ
 بالرؤية لا يكون إلا برؤية من بيننا وبينه مناسبة، ولا مناسبة بيننا وبين الحق - تعالى - في علا
 ذاته^(٦) - عن ذلك المثال^(٧) بوجه من الوجوه، فلا يصح لأحد تعقل ذاته حتى يلتذ بها،
 ولكن إذا تفضل الله - تعالى - على عبد بالرؤية له تعالى، وإن يلدّه^(٨) بها؛ إذ لا التئاذ منه
 - تعالى - إلا به كما تقدم مراراً^(٩)، أقام له مثلاً بتحليله^(١٠) في عقله يحكم المطابقة
 لمعتقده^(١١)، فيقع له الالتئاذ بذلك المثال أو الأمر الضروري الملدّد^(١٢) فضلاً منه وتعمد،
 وتعالى الله في علا ذاته عن ذلك المثال وعن الالتئاذ به^(١٣)، ولعل مراد العلماء بقولهم:
 براء عباده المؤمنين من غير إحاطة ولا كيف انتهى^(١٤).

(١) عنوان هذا الباب "في معرفة الغراض والسنن". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٥٢/٣.

(٢) "ك"، "ز": "تعالى".

(٣) هنا ينتهي كلام محي الدين، وما تلاه تعقيب للشعراني، وعبارته في الفتوحات: "وأما اعتباره
 السريعة فليها غاية البصر، فاللذة البصرية لا تشبهها للذة، فليها عين البصير في المعبود". انظر: محي
 الدين، الفتوحات المكية، ٢٥٩/٣.

(٤) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٥) "د"، "ك"، "ز": قوله: "إنما يكون من تجلّي الحق - تعالى - في المظاهر التي ينزل فيها للعقول"
 ساقط.

(٦) "ب": قوله: "وفي علا ذاته" ساقط.

(٧) "د"، "ك"، "ز": قوله: "عن ذلك المثال" ساقط.

(٨) "ب": يلدّه.

(٩) "ب": "مراراً" ساقط. "د"، "ك"، "ز": قوله: "ولكن إذا تفضل الله - تعالى - على عبد بالرؤية
 له تعالى، وإن يلدّه بها؛ إذ لا التئاذ منه - تعالى - إلا به كما تقدم" ساقط.

(١٠) "ق"، "ك"، "ب": "تحليله".

(١١) "ك"، "ز": "يحكم بالمطابقة"، "ك"، "ب"، "ز": "معتقده" ساقط.

(١٢) "ك"، "ب"، "ز": "الملدّد" ساقط.

(١٣) "ك"، "ب"، "ز": "عن المثال والأمر الاعتباري وعن الالتئاذ...".

(١٤) انتهى تعقيب الشعراني على مقولة محي الدين.

وقال أيضاً في الباب الثامن والتسعين ومائة^(١): إذا أراد الحق -جل وعلا- أن يرى نفسه لعبد من عبيده أثناءه بالتجلى عن شهود نفسه وعن الأكوان، وجرد روحه عنها، فرأت الروح رُئيها كما تراه الملائكة، وإذا^(٢) أراد أن يُعَمَّ عبداً^(٣) بالتلذذ بروحه أرسل الحجب بينه وبين عبده^(٤)، فوقع تلذذ للعبد^(٥) برؤية ذلك المظهر الحجابي، قال: وهذه المسألة من علوم الأسرار، وما أظهرتها باختيار، وإنما حكمت بها الخير الإلهي على إشاراً لإظهار التنزيه لله، والعلم اليقيني في هذه الدار قبل كشف الحجاب^(٦)، انتهى.

ويؤيد قوله^(٧) -رحمه الله- في كتابه^(٨) "لواقع الأنوار": اعلم يا أخي أن المشاهد يفتي^(٩) عند رؤية الباري جل وعلا، فيغيب عن حسه وعن لفتته؛ إذ النفس أحدى الذات، فليس في قدرتها أن تشتغل بمشاهدة أمرين معاً^(١٠) في آن واحد إلا أن أمدتها الله -تعالى- بقوة^(١١) فوق طور البشر، فإذا لم يُمدّها الله -تعالى- بالقوة كانت متوجهة بكلّيتها لإدراك الرؤية أو قولها، فعلم أن الحق -تعالى- لا يُشهدك نفسه إلا إن أتكأ عتك، وحيتذ^(١٢) فلا يجد الخطاب محلاً يتوجه إليه^(١٣)، فإذا كلمك أو حدّك، ولم يُفكك؛ وذلك لأنه لا بدّ لقبول الخطاب منك، وإذا فئت فمن يتوجه الخطاب له؟ فانهم ما

(١) عنوان هذا الباب "في معرفة النفس"، ٢٩/٤.

(٢) "ك"، "ز"، "وإن".

(٣) "أ"، "حيداً" ساقطة، "ز"، "عده".

(٤) "أ"، "ب"، "ز"، "وبين ربه"، وهو سهو من الناسخين.

(٥) "د"، "التلذذ للعبد".

(٦) الطبر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١/٤٣، وفيه يقول: "فيفتي شاطر المتجلي له عن شهود

نفسه عند رؤية الله، فإذا أرسل الحجاب ظهر الظل ووقع التلذذ...، وهذا الفصل علم عظيم لا يمكن أن يقال ولا سره أن يداغ".

(٧) "ب"، "ويؤيد ذلك قوله".

(٨) "ك"، "ز"، "كتاب".

(٩) "ب"، "ز"، "يعني"، وهو تصحيف.

(١٠) "د"، "ك"، "ز"، "معاً" ساقطة، والمعبارة في "ز"، "أن تشتغل بمشاهدة هذه بأمرين...".

(١١) "د"، "ك"، "ز"، "بالقوة".

(١٢) "ب"، "حيتذ" ساقطة.

(١٣) "ك"، "ز"، "يتوجه عليه".

وجدته^(١).

وقد كان الإمام أبو العباس السبائي^(٢) أخذ رجال رسالة القشيري^(٣) - رحمه الله - يقول: ما ألتذ عاقل قط^(٤) بمشاهدة الحق؛ وذلك لأنها فتاء، والفتاء ليس فيه لذّة^(٥)، وفي هواتف محمد بن عبد الجبار الثوري^(٦) - رحمه الله -^(٧): إذا أقامك الحق - تعالى - في مشهد ما، وأشهدك نفسك معه، فاعلم أنك من أبعده الأبعدين منه؛ لأن نفسك تكون، وابن الشراب من رب الأرباب، لكن، لك حيث مع الحق - تعالى - المجاورة المعنوية، وهي أنه

(١) "د"، "ك"، "ب"، "ز": "ما وجدته" ساقطة.

(٢) هو أبو العباس القاسم بن القاسم بن مهدي بن أهل مرو، كان تقيها محدثا متعلما بالزهد والورع، صاحب الواسطي وغيره، وانتمى إليه في علوم هذه الطائفة، وكان عالما كما يقول القشيري، من كلامه: إنما يروى المرید نفسه بالصبر على الأثر، وتجنب التواهي، ومحبة الصالحين، وخدمة الفقراء، وكذلك: حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف، توفي سنة ٣٤٢هـ. - انظر ترجمته: الأصبهاني، حلية الأولياء، ٣٨٠/١٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٨٢/٩، والصفدي، الوافي بالوفيات، ١١/٢٤، والسنائي، الكواكب الدرية، ٥١/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣٦٤/٢، والبغداد، هدية العارفين، ٥٠/٥، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٢١٢/٢.

(٣) هو أبو القاسم زين الإسلام عبد الكريم بن هوازن القشيري البسابوري، ولد سنة ٣٧٦هـ، وقيل سنة ٣٧٧هـ - بلدة استوا، توفي أبوه وهو صغير، حلت به محنة لما حبل عليه بعض الخسدة، فاستصدروا فتوى بحرمانه الوعظ، ولمنه علما في المساجد، فنظر شل أصحابه، وانفض الناس من حوله، فخرج من نيسابور طريدا، ثم قدم بغداد، وتوفي سنة ٤٦٥هـ. - أما الرسالة القشيرية فقد وجهها القشيري إلى الذين عانوا التصوف، دون النظر أو التمهيص أو إعمال العقل، وهي كذلك موجهة إلى أهل التصوف لبيان لهم حقيقة هذه الطريقة وما شأنا من تحريف وأباطيل، وأن التصوف ليس شيئا زائدا عما في القرآن والسنة، ففيها حديث عن أصول التوحيد عند الصوفية، وعن مصطلحات التصوف، وعن شرح لمقامات أرباب السلوك، وعن الأحوال والكرامات، وأعلام التصوف. انظر ترجمته: ابن خلكان، وفیات الأعيان، ١٧٦/٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١١/١١، والصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٣/١٩، والسنائي، الكواكب الدرية، ١٨٦/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ٣١٩/٣، والبغداد، هدية العارفين، ٦٠٧/٥، والمزركلي، الأعلام، ٥٧/٤.

(٤) "ب"، "ز": "قط" ساقطة.

(٥) انظر فصول الدشغوطي في الكواكب الدرية، ٥٢/٢، وكذلك ١٤٦/٣، وانظر قول السبائي في الرسالة القشيرية كذلك، ٤١٩، وكذلك لورد قول السبائي عبي الدين في شرح ترجمان الأشواق، ١٧.

(٦) نقلت ترجمته قبل.

ليس يَنبُتُ وبينَ الله - تعالى - أمرٌ زائدٌ، كما أنه ليسَ بينَ الجوهرين المتجاورين حيزٌ ثالثٌ، والله المثل الأعلى، ثم إن هذه المجاورة مع قربها لا بد أن يكونَ بينها وبينَ صاحبها وبين الحق - تعالى -^(١) سبعون ألفَ حجابٍ من نورٍ وظلمةٍ، فما من نفسٍ تسمعُ شيئاً من حسِّ تلك الحجابِ إلّا ماتت^(٢) لو قُبِها، انتهى.

وقالَ في باب الأسرار من "الفتوحات": اعلمَ أن الحق - تعالى - إذا عوِينَ فلا يُعَايَنُ إلّا من حيث العلمُ لمِ المعتقِد، والله أجلُّ وأعظمُ من أن تُعَلَّمَ ذاته، انتهى. وقالَ في باب الوصايا من "الفتوحات": اعلمَ أن للأولياءِ في هذه الدارِ المُشاهدة للحق - تعالى -^(٣) يَقلوبهم لا الرُؤية بِبصرهم، فإذا ادَّعى إنسانٌ مقامَ المُشاهدة للحق - تعالى - يَقلبه امتحاناً، وذلك بأن نامره أن يعكسَ مِرآةً قلبه إلى الكونِ، ثم لنظره، فإن رأيتَه يعرفُ ما في ضمائره جميع الخلقِ من طريقِ الكشفِ، وصدقه الناسُ على ذلك الذي في ضمائره، فهو صادقٌ في الله يُشاهدُ الحق - تعالى - بقَظَّة^(٤)، وإن لم يعرف ذلك، فهو في حجابِ النفسِ، انتهى^(٥).

[الفرقُ بين الشهود والرؤية]

فإن قالَ قائلٌ: فما الفرقُ بين الشهود الذي تقولُ به الطائفةُ وبين الرؤية؟

فالجوابُ ما^(٦) قاله الشيخُ محيي الدين في البابِ السادسِ والسّتينِ ومائتينِ من "الفتوحات"^(٧) أن من الفرقِ^(٨) بينهما أن الرؤيةَ قد^(٩) لا يُقدِّمُها علمٌ بالمرئي، والشهودُ يُقدِّمُهُ عِلْمٌ بالمشهود، وهو المُسمَّى بالعقائد، ولهذا يقعُ الإقرارُ والإنكارُ في الرؤية يومَ

(١) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٢) "ك": "بانت"، وهو تصحيف، "ز": "بانت".

(٣) "ب": "تعالى" ليست فيها. (٤) "ب": "بقلبه".

(٥) لم أعر على قول محيي الدين في هذا الباب.

(٦) "ك"، "ب": "كما".

(٧) عنوان هذا الباب في الفتوحات "في معرفة الشاهد، وهو بقاء صورة المشاهد في نفس المشاهد"، انظر: الفتوحات المكية، ٢٩٥/٤.

(٨) "ب": "أن الفرق".

(٩) "د"، "ك"، "ز": "قد" ساقطة.

القيامه من قوم كما ورد، ولا يكون في الشهود إلا الإقرار فقط، وما سُمي الشاهد شاهداً لأن يكون ما رآه يشهد له بصحة ما اعتقده، فما كل مشاهدة رؤية^(١) ولا عكس. قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَوْ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ بَيْنَهُمْ﴾^(٢)، أي يشهد له بصحة ما اعتقده، ومن هنا سأل موسى -عليه الصلاة والسلام- الرؤية بقوله^(٣): ﴿أَرَأَيْتَ أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾^(٤)، ولم يقل: أشهدهني^(٥)، لأنه -تعالى- كان مشهوداً له ما غاب عنه، وكيف يغيب عن رسول كريم، ولا يغيب عن الأولياء كما في الدار الآخرة^(٦)، فما طلب موسى^(٧) إلا التجلي الخاص بالرؤية بالبصر كما في الدار الآخرة، وإن الله -تعالى- يعمله له في دار الدنيا^(٨)، انتهى.

فإن قال قائل: كيف يصح من معصوم طلب ما لا يمكن^(٩) وقوعه في دار الدنيا؟ وذلك لا يليق:

فالجواب إنما طلب ذلك؛ لأن مقامه الشريف أعطى ذلك؛ أي السؤال، كما سيأتي بسطه في هذا البحث إن شاء الله تعالى، وأما شهوده للحق -تعالى-^(١٠) كما يقع للأولياء فذلك خبره وديده من حيث ولايته، ومن الفرق أيضاً بين الرؤية والمشاهدة أن المشاهدة هي^(١١) ما يمسكه العبد في نفسه من شاهد الحق -تعالى-^(١٢) المشار إليه بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "اعبد الله كأنك تراه"^(١٣)، فقوله: "كأنك تراه"، هو شاهد الحق

(١) يسأل محيي الدين في هذا الباب: 'لكل مشاهدة رؤية، وما كل رؤية مشاهدة'، وهذا بخلاف ما ذكره الشعري. انظر: محيي الدين، الفتوحات السكية، ٢٩٤/٤، أما "أ" و"ب" و"ز" فقد جاء فيها: 'لما كل مشاهدة رؤية'، ولعله سبوا من الشاسعين.

(٢) (هود: الآية ١٧). (٣) "أ"، "ب": "بقليه"، وهو تصحيف.

(٤) (الأعراف: الآية ١٤٣).

(٥) "أ"، "ب": "أشهديني"، وهو تحريف.

(٦) "ك"، "ز": قوله: 'كما في الدار الآخرة' ساقط.

(٧) "د": 'موسى عليه الصلاة والسلام'.

(٨) "ك"، "ز": 'في الدنيا'، "ب": 'الدار الدنيا'.

(٩) "د"، "ز": 'يعلم'. (١٠) "ك"، "ز": 'للحق حل وعلا'.

(١١) "د"، "ز": 'هو'. (١٢) "د"، "ك"، "ز": 'تعالى' ليست فيها.

(١٣) تقدم تخريجه.

- تعالى -^(١) الذي أقمته في نفسك كائنك ثراء.

قال^(٢) الشيخ محيي الدين^(٣): وهذه درجة التعليم للعامة، ثم إنك ترتقي منها إلى درجة الخصوصي، وهي علمك بأن الله - تعالى - يراك، ولا ثراء، وذلك أبلغ في التنزيه، وإيضاح ذلك أنك إذا ضيّبت شهوده - تعالى - في قلبك عند صلاتك مثلاً في جهة القبلة، فقد أخلت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك^(٤)، فإذا تحققت بذلك علمت عجزك عن رؤيته - تعالى - على وجه الإدراك الحقيقي العلمي، وكيف يرى العقيد المطلق؟ فإذا شهدت يا أخي هذا المشهد بقيت مع نظره - تعالى - المحقق إليك، لا مع نظرك أنت العقيد المحدود، وهو - تعالى - المنزه عن القيود والحدود، فإذا الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام، فتعلم يا أخي الحقائق والفرق بينهما، والحمد لله رب العالمين، انتهى^(٥).

وكان سيدي علي بن وفا - رضي الله عنه - يقول: من إماره صحة الاعتقاد عدم الجبهة حال رؤيته لله^(٦) - تعالى - في الدار الآخرة إلا أن يعطي الله - تعالى - الشخص^(٧) في الدنيا نفوذ البصر^(٨)، حتى ينفذ^(٩) من أقطار السموات والأرض، ويصير^(١٠) يرى الوجود

(١) "ك"، "ز"، "تعالى" ليست فيهما. (٢) "ك"، "ب"، "ز"، "وقال".

(٣) "د"، "ز" رضي الله عنه. (٤) "ك"، "ز"، "يكن"، وهو تصحيف.

(٥) "د"، "ز": انتهى - ساقطة، وانظر حديث يحيى الدين عن هذا الحديث في غير موضع من الفتوحات، ٣١/٢، وفي موضع آخر فسر هذا الحديث بأن المراد منه: "أي تحيله في قلبك وأنت تسوجه لتسرقه وتستحجي منه، وتزعم الأدب معه في صلاتك، فإنك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب". انظر: الفتوحات المكية، ٤٦١/١، وفي موضع آخر يقول يحيى الدين: "أعبد الله كأنك تراه"، فيكون هذا العمل جزاءه عند الله رؤيته، وهي أرفع المنازل، فهي للحاضر بها في عمله جزاء، وهي لغير الحاضر زيادة ومنه، فهو عند هذا ليس عوضاً، وهو عند الآخر عوض، فيكون المستصور في الدنيا من المود المطلق من عين الله، وتكون الرؤية من المود العقيد جزاء بما لوجه على نفسه. انظر: الفتوحات المكية، ٤٣٧/٤، وكذلك ما قاله في موضع آخر، ٢٦٠/٤.

(٦) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "يقول: لا يخرج أحد عن القول بالجلية حال رؤيته لله".

(٧) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "إلا إن أعطاه في الدنيا".

(٨) "ك"، "ز": "تصور البصر".

(٩) "د"، "ك"، "ز": "نفذ".

(١٠) "د"، "ك"، "ز": "وصار".

العلوي والسفلي كآله قنديل صغير في جو لا سماء له^(١)، ولا أرض، فإن نزل أبد الأبد، أو صعد أبد الأبد لم يجد له مركزاً ولا رفعا ولا خفضاً^(٢)، فمن شهد ذلك فهو الذي صح له^(٣) اعتقاد أن يرى الحق - تعالى - في غير جهة مخصوصة كما كان في دار الدنيا، وأما من كان متفكراً في السموات والأرض في دار الدنيا، فلا يتعقل رؤية الله إلا في جهة، وغايته الإيمان بذلك^(٤)، وذلك لأن كل عبد لا يجني هناك إلا شره عليه وعياله، انتهى.

ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في 'الوافع الأنوار': ما رأى عبد ربه قط إلا بصورة استعداد قوة وضعف، وضيقاً وسعة، غير ذلك لا يكون، فإذا ما رأى العبد إلا وسعة من علم نفسه في مرآة معرفة الحق تعالى، وما رأى الحق تعالى، نظير ذلك المرآة إذا رأيت المصور فيها لا تراها، قال: وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والشحلي من هذا، واجهد في نفسك عندما ترى الصورة من المرآة أن ترى جرم المرآة، ولا تراها أبداً، البتة، فلا تطمع يا أخي أن ترفى إلى أعلى من هذا المرفى^(٥)، فما هو ثم أصلاً^(٦)، وما بعده إلا العدم المحض، انتهى^(٧).

فإن قال قائل: كيف صح تفاضل الناس في الرؤية مع أن الحق - تعالى - من حيث هو لا يقبل ذاته الزيادة^(٨) ولا التقصان؟
فالجواب أن الناس ما تفاوتوا في الرؤية إلا لكونهم إذا أرادوا أن يشهدوا الحق

(١) "ك"، "ز"، "له" ساطعة.

(٢) "ق"، "ب" قوله: "ولا رفعا ولا خفضاً" ساطعة.

(٣) "د"، "ز" العبارة: "فهو الذي له..."

(٤) "د"، "ك"، "ز" قوله: "وغايته الإيمان بذلك" ساطعة.

(٥) "ك" العبارة: "واجهد نفسك عند ذلك كما ترى الصورة في المرآة..."، "ز": ثم سقط ظاهر في هذه العبارة.

(٦) "د" "المرفى" ساطعة، "ز": "من هذه المرفى"، وهو غير مستقيم.

(٧) "ك"، "ز" العبارة: "كما لم أصلاً".

(٨) أتى محيي الدين على ما يقرب من دلالة هذا النص في الفتوحات المكية في الباب الثامن واخسعين وخمسمائة، ٢٩٨/٧، وكذلك في ٤٧/٨.

(٩) "ك": "الرؤية"، وهو تحريف، "ز": "لا" ساطعة.

-تعالى- في مِرَاة معرفته سَبَقَتْ صُورُ حَقَائِقِهِمْ^(١)، فارتسست في تلك المِرَاة، فلا يشهدون إلا حَقَائِقَهُمْ في مِرَاة مَعْرِفَةِ الْحَقِّ تَعَالَى^(٢)، فبين هنا تفاوتوا في حضرة التحلي، ولو أنهم كانوا يشهدون عين الذات التي هي حقيقة الحقائق عند القوم في الوجود كساووا كلهم في الرؤية، ولم يصح بينهم تفاضل، انتهى.

وقال في الباب الحادي والثلاثين وثلاثمائة^(٣): اعلم أن رؤية المؤمنين لرُبهم^(٤) إنما تفاضلت في الآخرة من حيث تفاضلهم في مشاهدته بقلوبهم في الدنيا، فكانت رؤيتهم لرُبهم على قدر علمهم بالله تعالى، وعلى قدر ما فهموه ممن قلده^(٥)، فكان تفاضلهم في نعم الرؤية تبعاً لتفاضلهم في المعرفة لا يخرجون عن ذلك، فمنهم من ألقى إليه عالمه^(٦) ما عنده من العلم بالله -تعالى- بحسب مقام ذلك العالم، ومنهم من ألقى إليه عالمه على قدر ما علم من قبول عقل ذلك المتعلم، وهكذا، ومنهم طائفة يزوّن ربهم في مِرَاة معرفتهم المُقتبسة من مِرَاة معرفة نبيهم مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي أكمل المراني، لأنها حاوية على جميع مراني الأنبياء والأولياء، فهذا سبب تفاوتهم في كمال الرؤية.

وأما تفاوتهم^(٧) في اللذة في النظر، فمنهم من حظّه في النظر إلى ربه لذة عقلية^(٨)، ومنهم من حظّه من ذلك لذة نفسية، ومنهم من حظّه من ذلك لذة حسية، ومنهم من حظّه من ذلك لذة خيالية، ومنهم من حظّه من ذلك لذة مُكيّفة^(٩)، ومنهم من حظّه من

(١) "ب"، "ك"، "ز": أضاف: "في مِرَاة معرفة الحق تعالى".

(٢) "ك"، "ز": قوله: "فارتسست في تلك المِرَاة، فلا يشهدون إلا حَقَائِقَهُمْ في مِرَاة معرفة الحق تعالى" ساقط.

(٣) "ك": "وثنائي مائة"، وهو سهو من الناسخ. وعنوان هذا الباب: "في معرفة منزل الرؤية والقوة عليها والثنائي والرفعي والسفي والثنائي". انظر: الفتوحات المكية، ١/٧١/٥، وفي مفتحه يقول:

عجبت لعين كيف تدرك عينها وتعجز عن إدراك من قال لها

ولم يك مشهود سواء وإنما شهود ورود الغيب عنها أحضا

(٤) "ك"، "ز": "رُبهم تعالى". (٥) "ب": العبارة: "ممن قلده من العلماء".

(٦) "د"، "ك": "عالمه إليه".

(٧) "د"، "ك"، "ز": "أما" ساقطة، وليس ذلك كذلك في "أ" و "ب" والفتوحات المكية، باب الأسرار، ٢١٧/٨.

(٨) "د": قوله: "فمنهم من حظّه في النظر إلى ربه لذة عقلية" ساقط.

(٩) "ز": "مُكيّفة".

ذلك لذة يقال تكيفها^(١)، ومنهم من حظه لذة لا يقال تكيفها، انتهى^(٢).
 فإن قيل^(٣): قبل حجاب الكفار عن رؤيته - تعالى - يوم القيامة وما بعده
 حجاب حقيقي، أو المراد أنهم يزعمون ولكن لا يعرفون أنه هو؟
 فالجواب أن المعتز عدم رؤيتهم له - سبحانه وتعالى - لقوله - تعالى -^(٤): ﴿كَلَّا
 إِنَّمَا عَنْ نَجْمٍ يَظْهَرُ لَتُخْجَوْنَ﴾^(٥)، وقيل لهم يزعمون ولا يعرفونه أنه هو المتجلي في
 تلك المظاهر، فثابتهم لذة النظر التي هي أعظم نعيم يكون في الجنة، فحجابهم هو حجبهم
 به^(٦)، صرح بذلك الشيخ محي الدين بن العربي وغيره^(٧).
 فإن قيل: قبل رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع أجسادهم، أو
 بجميع وجوههم كما قيل؛ لأنها دار تخرق العوائذ فيها^(٨)، أم يكون بإبصار العين كما
 هو الأمر في رؤية الأشياء في الدنيا؟
 فالجواب: قد صرح الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته بأن الرؤية تكون
 بجميع أجسادهم لإكمال النعيم، فكل أجسادهم أبصار في الآخرة.
 فإن قيل: قبل يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون المشهود^(٩) هو
 المطلوب أم لا؟^(١٠)
 فالجواب أنه لا يلزم أن يكون المطلوب هو ما تجلّى لقلبه إلا أن يكون ذلك

(١) "ب": قوله: "ومنهم من حظه من ذلك لذة يقال تكيفها" ساقط.

(٢) انظر مما ورد قريبا من هذا المعنى في الباب نفسه: محي الدين، الفتوحات المكية: ١٧٢/٥، وفيه يقول:
 "ونحن نعلم أن ذوق الرسل فوق ذوق الأنبياء بما لا يتقارب... فمن الراتبين من يراه ولا يفقه، ومنهم
 من يراه به، ومنهم من يراه بنفسه، ومنهم من لا يراه عنده وهو قد رآه ولا يعلم أنه رآه".

(٣) "ب": "قال قائل". (٤) "د"، "ز"، "تعالى" ساقطة.

(٥) (المطففين: الآية ١٥).

(٦) "د"، "ك"، "ز": "فحجابهم هو حجابهم".

(٧) انظر حديث محي الدين عن قول الحق - تعالى - ﴿كَلَّا إِنَّمَا عَنْ نَجْمٍ يَظْهَرُ لَتُخْجَوْنَ﴾^(٨) في
 الفتوحات المكية: ٢٣٩/٣، ٢٧٦، ٢٤٦/٤.

(٨) "د": "نمها" ساقطة.

(٩) "د": "المرئي"، "ك": قوله: "المشهود هو المطلوب أم لا؟ فالجواب أنه لا يلزم أن يكون" ساقط.

(١٠) ثم سقط أهل العبارة في السبعة "ك" و "ز"، وإصلاحه كان من النسخ الأخرى.

بإعلام من الله تعالى - له^(١) يخلقه العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجده الثائم في نومه، فيجد في نفسه علماً ضرورياً من غير سبب ظاهر، إن ذلك المرئي هو الحق تعالى، وذلك لوجدانه حقاً في نفسه مطابقاً لما هو الأمر عليه فيما رآه، هكذا يدرك العبد العلم بالله تعالى، أما بالنظر الفكري فلا يدرك، انتهى.

[باب القول على

﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾]

قال^(٢) في الباب الثاني والأربعين وأربعمائة من "الفتوحات"^(٣): اعلم أن رؤية المرئي تعطى العلم به، وتعلم الرائي أنه رأى أمراً ما^(٤)، وقد أحاط علماً بما رأى بوجه، ورأينا الذي يرى الحق - تعالى - لا تضبط له رؤية لمخالفة حقيقته - تعالى -^(٥) لسانه الحقائق ولسانه الصفات، ولعدم مكث التجلي ألين لأله كَلَمَحَة باري، ومعلوم أن ما لا^(٦) يضبط لا يقال فيه إن الذي رآه عَرَفَ أنه رآه؛ إذ لو رآه حَقِيقَةً لَعَلَّمَهُ، وقد عَلم تنوع صور التجليات على قلبه في حال رؤيته، فعلى هذا لم ير الحق - تعالى - حقيقة، وإنما يعلم بعلمه الذي عَلم أنه ما رآه^(٧). قال موسى - عليه الصلاة والسلام -: "أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ"، فَقَالَ لَهُ^(٨) ربه: "لَنْ تَرَانِي"^(٩).

(١) "ب": "له" ساقطة.

(٢) "ك"، "ب"، "ز"، "و" قال.

(٣) عنوان هذا الباب: "في معرفة منازل واجب الكشوف العرفاني". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٨١/٧.

(٤) "ك"، "ب"، "ز": قوله: "أنه رأى" ساقطة.

(٥) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٦) "ت": "لا" ساقطة.

(٧) "ب": "أنه رآه"، وهذا يثبت المعنى.

(٨) "د": "له" ساقطة، "ز": "فقال ربه له".

(٩) انظر عبارة محي الدين في الفتوحات المكية، ٨١/٧، وقد نقله الشعراوي متصرفاً، وفيه يقول: "أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ" يعني، فإن الرؤية بآداة إلى رؤية العين، قال له: "لَنْ تَرَانِي" يعنيك؛ لأن المقصود من الرؤية حصول العلم بالمرئي، ولا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما تراه في الرؤية التي تقدمت، فلا يحصل لك علم برؤية أصلاً في المرئي.

قال الشيخ محيي الدين^(٢): والثكنة في ذلك قوله: "إني أنظر إليك" بالهمزة في "أنظر"، ولو أنه كان^(٣) قالها بالثون، أو الياء^(٤)، فربما لم يكن الجواب: "لن تراني" مع أن السؤال مجمل في قوله: "أنظر"، والجواب مجمل في قوله "لن تراني"، وبإضاح ذلك أن الرؤية بأداة إلى رؤية العين، أي: "لن تراني" بعينك، والمقصود بالرؤية حصول العلم بالمرئي لا غير، ومعلوم أنك لا تزال ترى في كل رؤية خلافا ما تراه في المرئي التي تقدمت، فلا تحصل لك علم بالمرئي في رؤيتك له - تعالى - أبدا، فصيح قوله - تعالى -^(٥): "لن تراني"، أي: فكان لسان حال المقام يقول "لن تراني"^(٦)؛ لأنني لا أقبل من حيث ما أنا عليه في ذاتي^(٧) الشروع، وأنت أيها العبد المتطلب لرؤيتي من موسى وغيره لا ترى ربك إلا متوَعًّا^(٨) بالنظر إليك لا إليه، وأنت ما تَوَعَّت أبدا، فما رأيتي، ولا رأيت نفسك، وقد رأيت^(٩)، فلا بد أن تقول: رأيت الحق وأنت ما رأيته حقيقة، وإن قلت: رأيت نفسي، فما رأيت نفسك حقيقة، وما تم إلا الحق - تعالى - وأنت، ولا أحدا^(١٠) من الحق تعالى^(١١) والحق رأيت، وأنت تعلم أنك قد رأيت^(١٢)، فما هذا الذي رأيت، فلن تراني بعينك إلا إن قَوَّضْتَ على ذلك، انتهى^(١٣).

(١) "ب": "محمد يحيى".

(٢) "ب": "أيه قلها".

(٣) "ك"، "ب": "اللقاء"، عسيرة محبسي الدين: "لأنه قال 'أنظر' بالهمزة، فلو قال بالثون، أو الياء، والياء ربما لم يكن الجواب: 'لن تراني'. انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٨١/٧.

(٤) "د": "قوله" ساقط.

(٥) "د": قوله: "أي: فكان لسان حال المقام يقول 'لن تراني' ساقط.

(٦) "ك"، "ز": "قائه"، وهو غير مستقيم.

(٧) "د"، "ك"، "ز": "متوَعًّا".

(٨) "د": "ولا رأيت".

(٩) "ك"، "ز": "واحد".

(١٠) العسيرة في الفتوحات: "وما تم إلا أنت والحق، ولا واحدا من هذين رأيت". انظر: الفتوحات المكية، ٨١/٧.

(١١) "د"، "ز": "أنتك رأيت".

(١٢) استشهد عسيرة محي الدين في الباب الثاني والأربعين من الفتوحات، وقد تصرف بها الشعراي، انظر: الفتوحات المكية، ٨١/٧.

وهذا من مشاهد الحيرة في الله تعالى، وكان سيدي علي بن وفا -رضي الله عنه-^(١) يقول: من أعجب الأمور قوله -تعالى- لموسى^(٢) -عليه الصلاة والسلام- "لئن تراني" أي مع كونك تراني على الدوام، ولا تشعر^(٣)، انتهى.

ويؤيد ذلك قول الشيخ في الباب الثامن والأربعين وأربعمائة^(٤): اعلم أن الرؤية إذا وقعت للحق يوم القيامة فلا تكون إلا بقدر استعدادهم، والحق -تعالى- على ما هو عليه من وراء جميع^(٥) مفعولاتهم لا يقبل الزيادة ولا النقصان، ألا ترى إلى موسى -عليه الصلاة والسلام- ما أصغفه إلا ما كان عنده من العلم بالله تعالى، ولم يكن يعلم ذلك^(٦) حين طلب من ربه الرؤية، فلما علم عندئذ ذلك الجليل ما لم يكن يعلم من الحق -تعالى- قال: "يئت إليك أي: لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولاً، فإني قد عرفت ما لم أكن أعلمه منك، وأنا أول المؤمنين بقولك "لئن تراني"؛ لأنك ما قلت ذلك لأني، وهو خير، فلذلك أحق موسى -عليه الصلاة والسلام- بالإيمان^(٧) دون العلم، ولو أنه -عليه الصلاة والسلام- أراد مطلق الإيمان الذي هو أعم من الإيمان بقوله^(٨): "لئن تراني" ما صحت له الأوليّة، فإن المؤمنين كانوا قبله كثيراً يقين، ولكن هذا الخير الذي هو أول من سعه لم يكن سبقه إليه^(٩) مؤمن، فكل من آمن بعد الصعق فقد آمن على بصيرة، وهو صاحب علم^(١٠) في إيمان، وهو مشهود عزيز قليل من ذلّه؛ يعني الإيمان مع

(١) "ك"، "ب"، "ز"، "رحمه الله تعالى".

(٢) "ب": قوله: "وكان سيدي علي بن وفا -رضي الله عنه- يقول: من أعجب الأمور قوله تعالى لموسى ساقط.

(٣) عنوان هذا الباب في معرفة منازل "من كشفت له شيئا مما عندي هت، فكيف يطلب أن يراي فيها"، النظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٩٢/٧.

(٤) "د"، "ك": قوله: "وراء جميع" ساقط.

(٥) "د": "يلم" ساقط.

(٦) "ب": "بالإيمان" ساقط.

(٧) "ك"، "ب"، "ز": "يقوله".

(٨) "آ": قوله: "الذي هو أول من سعه لم يكن سبقه إليه" ساقط.

(٩) "ب": قوله: "الذي هو أول من سعه لم يكن سبقه إليه مؤمن، فكل من آمن بعد الصعق فقد آمن على بصيرة، وهو صاحب علم" ساقط.

العلم، فإنه لما انتقل إلى العلم الذي هو أوضح، فقد انتقل عن^(١) إيمانه إلى الشهود، فالكامل هو من يؤمن بما هو عالم، وذلك يجوز أجر الإيمان مع أسر العلم معاً^(٢)، كما يسط الشيع الكلام على ذلك في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة، فراحه^(٣).

وقال في الباب الأحد والأربعمئة^(٤): إنما قال الله -تعالى- لموسى -عليه الصلاة والسلام- "من ثماني"، لأن كل مرئي لا يصح للرائي^(٥) أن يرى منه إلا على قدم منزلته وركبته في العلم به لا غير، ولو كان الرائي للحق -تعالى- يحيط به ما احتلت الرؤية؛ وذلك أن الرائي لما شغل^(٦) برؤية نفسه في حال تجلي الحق -تعالى- له^(٧) حجب ذلك عن كمال رؤية الحق تعالى، فما حجبنا عنه -تعالى-^(٨) إلا بأنفسنا، ولو أننا رأينا أيضاً؛ لأنه لم يبق ثم من يراه إذا رأينا^(٩)، وإذا لم نزل نحن أيضاً^(١٠) فما رأينا في البرقة الصغانية^(١١) إلا أنفسنا، وقد توسع في العبارة، فيقول^(١٢): "إنا رأينا، انتهى".

فإن قال قائل: فلم أحال الله -تعالى- موسى على نظره للجبل حين سأل ربه

الرؤية؟

(١) "ك"، "ز"، "على".

(٢) انظر عبارة محيي الدين في الباب الثامن والأربعين وأربعمئة من الفتوحات المكية، ٩٢/٧.

(٣) عنوان هذا الباب "في معرفة الأسماء الحسنى التي لرب العزة وما يجوز أن يطلق عليه منها لفظاً وما لا يجوز". انظر حديثه عن حضرة البصر في الفتوحات المكية، ٢٨٨/٧.

(٤) عنوان هذا الباب "في معرفة منازل: الميت والمحيي ليس له إلى رؤيتي من سبيل"، وفي مقدمته يقول دالاً على مضمونه:

قد استوى الميت والمحيي	في كونهم ما عندهم شيء
مني فلا نور ولا ظلمة	فيهم ولا ظل ولا قسي
ورؤيتهم إلى معلومة	فشرهم في كونها طسي

انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣/٧.

(٥) "د"، "للرؤيا"، وهو تحريف. (٦) "ك"، "ب"، "اشتغل".

(٧) "ب"، "له" ساقطة. (٨) "ب": العبارة: "تعالى عنه".

(٩) "د": "إذا رأينا" ساقطة.

(١٠) "د"، "ك"، "ز"، "أيضاً" ساقطة.

(١١) "ز": "الصغانية"، "د": "الصغانية"، وهو تحريف بدخضه ما ورد في السبخ الأخرى.

(١٢) "ك"، "فيقال".

(١٣) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣/٧.

فالجواب: إنما أحاطه على ذلك لأن من صفات الجبل الثبوت؛ كأنه تعالى يقول له: إن ثبت الجبل عندما تجليت له، فسُتراني من حيث ما في ذلك من صفة ثبوت الجبل^(١)، يُقال: فلان جبل من الجبال إذا كان يثبت عند الشدائد والأمور العظام. فإن قال قائل: لم رجع موسى -عليه الصلاة والسلام-^(٢) إلى صورته بعد الصقي دون الجبل، فإنه لم يرجع بعد ذلك إلى صورته؟

فالجواب: إنما زالت عين الجبل بالكلية لخلوه عن الروح المُدبر له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام^(٣)، فإنه بقي بعد الصقي لكونه كان ذا روح، فروحه هي التي أمسكت بإذن الله -تعالى-^(٤) صورته على ما هي عليه بخلاف الجبل.

وقال في الباب الخمسين وأربعمائة^(٥): اعلم أنه لا طاقة للمحدث على رؤية القديم إلا إن كان الحق -تعالى- مؤيداً له في ذلك كما أشار إليه حديث "كنت سَمِعَهُ الذي يسمعه به... إلخ"^(٦)، ألا ترى إلى موسى -عليه الصلاة والسلام- كيف ثبت لسماع كلام الله^(٧) -تعالى- حين كان الحق -تعالى- -سمعه الذي يليق أن يسمع كلامه به^(٨) عند التجلي^(٩)، ثم لما وقع التجلي ثانياً، ولم يكن الحق -تعالى- -بصره الذي يليق أن يُبصر به تعالى^(١٠)، كما كان سمعه المذكور^(١١)، صَغِقَ ولم يثبت، ولو أنه -تعالى- كان آتية بالقوة المذكورة^(١٢) في بصره كما آتية في سمعه لثبت^(١٣).

(١) "د"، "ك"، "ز": "الجبال".

(٢) "ك"، "ب"، "ز": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها.

(٣) "ك"، "ز": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها.

(٤) "ك": "تعالى" ليست فيها.

(٥) صنوان هذا الباب هي معرفة متاركة: من ثبت لظهوري كان بي لأنه سبحانه كان له لا بي، وهو الحقيقة والأول ممتاز. انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٩٤/٧.

(٦) تقدم شرحه. وانظر ما قاله محي الدين، الفتوحات المكية، ٩٥/٧.

(٧) "د": "لكلام الله". (٨) "د"، "ك"، "ب": "ساقطة".

(٩) "د": قوله: "الذي يليق أن يسمع كلامه" ساقطة.

(١٠) "د"، "ك"، "ز": "تعالى" ساقطة. "ب": "بصره تعالى".

(١١) "د"، "ك": "المذكور" ساقطة.

(١٢) "د": "المذكورة" ساقطة.

(١٣) انظر عبارة محي الدين في الباب الخمسين وأربعمائة من الفتوحات المكية، ٩٥/٧.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ وَدَّ: «لَا يُزَالُ عَيْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَاتُلِ حَتَّى أَجِبَهُ، فَإِذَا أَجِبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»^(١)، وَلَا شَكَّ أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رُبَّمَا هُوَ أَحَبُّ بَعْضٍ مَنِ تَقَرَّبَ بِالتَّوَاتُلِ^(٢) حَتَّى أَجِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَمَا الْجَوَابُ عَنْ كَوْنِ الْحَقِّ لَمْ يَكُنْ بَصَرُ مُوسَى؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ - تَعَالَى - لَمْ يَقُلْ: كُنْتُ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُنِي بِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ: الَّذِي يُبْصِرُ^(٣) بِهِ، أَيْ الْمُبْصِرَاتِ الْعَادِيَّةِ^(٤) الْمُرَادَةُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَنَحْنُ مَا تَقَيَّنَا إِلَّا^(٥) الْقُوَّةَ الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا الْعَبْدُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلْيَتَأَمَّلْ.

فَإِنْ قُلْتَ: ائْتِدَاكَ الْجَبَلُ يُؤَدُّنَ بِحَيَاةِ الْجَبَلِ؛ لَأَنَّهُ لَوْ لَا حَيَاتُهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - مَا ائْتِدَاكَ، وَقَدْ لَقِيَ بَعْضُهُمْ حَيَاةَ الْجَمَادِ، فَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ قَالَ: «وَإِنْ مِنْ الْحَيَاةِ لَمَّا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْآتَنُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَشْلُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»^(٦)، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يوصَفُ بِالْخَشْيَةِ إِلَّا حَيٌّ دَرَاكَ، وَقَدْ أَحْذَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِأَبْصَارِ غَالِبِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ عَنْ إدْرَاكِ حَيَاةِ الْجَمَادِ^(٧) إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنَ الْأَوْلِيَاءِ؛ فَهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى ذَلِكَ سَمْعِي فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ كَشَفَ لَهُمْ عَنْ حَيَاةِ كَثِيرٍ مِنَ الْجَمَادِ^(٨)، وَأَسْمَعَهُمْ تَسْمِيحَهُ وَنُطْقَهُ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَوْ لَا مَعْرِفَةُ الْجَبَلِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -^(٩) مَا ائْتِدَاكَ، فَإِنَّ الذَّوَاتِ لَا تَوَثَّرُ فِي أَمْثَالِهَا، وَإِنَّمَا يُوَثِّرُ فِيهَا مَعْرِفَتُهَا بِعَظَمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَنْ تَجَلَّى لَهَا لَا غَيْرَ^(١٠)، فَالْعِلْمُ بِالْعَظَمَةِ^(١١) هُوَ الَّذِي أَثَّرَ لَا الذَّاتُ.

(١) تقدم شرحه.

(٢) «ز»: العبارة: «هو أحب لشيء بعض من تقرب»، وهي ركيزة، «ك»: «هو أنفصل من تقرب»، وقد أشار التاسع إلى عبارة الأصل، ولكنه غير فيها.

(٣) «د»، «ك»، «ز»: قوله: «وإنما قال: الذي يبصر» ساقط، وهذا لا يستقيم المعنى.

(٤) «د»، «ك»، «ز»: العبارة: «أي المبصرات العادية المنصرف إليها».

(٥) «ك»، «ز»: «إلا» ساقطة.

(٦) (البقرة، الآية ٧٤)، وليس القلب صحيحاً إطلاقاً.

(٧) «ك»، «ز»: «حياة كثير من الجماد».

(٨) «ك»، «ز»: «عن حياة الجماد».

(٩) «ك»: «سبحانه وتعالى»، «ز»: «تعالى».

(١٠) «د»، «ك»: «عظمة من تجلى لا غير».

(١١) «د»: «عظمة الله عز وجل».

فَإِنْ قَالَ قَاتِلٌ: فَلِمَ قَالَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-^(١) دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٢) مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ أَشْوَقَ إِلَى رُؤْيَا اللَّهِ^(٣) -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِمَا لَا يَنْتَقَرِبُ؟ فَاجْأَبُ أَنْ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَا قَالَ ذَلِكَ إِلَّا لِعَلِّهِ^(٤) بِجَوَازِهِ لِيُتِلَّ^(٥)، وَلَمَّا قَامَ عِنْدَهُ مِنْ شِدَّةِ التَّقَرُّبِ الْإِلَهِيِّ، وَسَاعَهُ^(٦) كَلَامُ الْبَارِئِ مِنْ غَيْرِ وَسَطَةٍ، فَاسْتَغْفَرَهُ اللَّذَّةُ، فَطَمِعَ فِي الرُّؤْيَا، وَسَأَلَ مَا يَجُوزُ لَهُ السُّؤَالُ فِيهِ ذَوْقًا وَقَلْبًا لَا عَقْلًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مُحَرِّمَاتِ الْعُقُولِ، وَلَوْ أَنَّهُ ضَرَّ وَلَمْ يُسَالِ الرُّؤْيَا لَمَّا تَمَيَّزَ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْهُ فِي مَقَامِ الْأَدَبِ؛ لِإِنَّهُ كَانَ أَشْوَقَ إِلَى رُؤْيَا رَبِّهِ مِنْ مُوسَى، وَلَكِنْ لَمَّا سَلَكَ الْأَدَبَ وَصَبَّرَ جَزَاهُ الْحَقُّ -تَعَالَى- بِأَنَّهُ دَعَاهُ الْحَقُّ -تَعَالَى-^(٧) إِلَى رُؤْيَا رَبِّهِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ.

وَقَدْ يَكُونُ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِثْمًا^(٨) قَصْدٌ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٩) بَعْدَ إِطْلَاعِهِ عَلَى مَا تَقَعُ بِهِ^(١٠) إِجَابَةُ لِلْحَقِّ -تَعَالَى- لَهُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ أَوْ الْكُشْفِ^(١١) يَقُولُهُ: "لَنْ تَرَانِي" بَيَانِ الْخَطَايَا مُقَامِهِ عَنْ مَقَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذِ الْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ مِنَ الْحَسَدِ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَهُمْ دَائِرُونَ مَعَ الْحَقِّ تَعَالَى^(١٢)، فَإِذَا قَرَّبَ -تَعَالَى- عَبْدًا، وَفَرَّغَهُ عَلَيْهِمْ، كَانُوا مِنْ أَوَّلِ مَنْ يَنْظَاهِرُ بِإِظْهَارِ عَظَمَةِ ذَلِكَ الْعَبْدِ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١٣)، وَمِمَّا يَجُوزُ فِيهِ السُّؤَالُ، وَمِمَّا لَا يَجُوزُ، انْتَهَى^(١٤).

(١) "د"، "ب": "عليه السلام" ليست فيهما. (٢) (الأعراف، الآية ١٤٣).

(٣) "د"، "ك"، "ز": "إلى ربه".

(٤) "د"، "ك"، "ز": "إلا لما علمه"، "ب": "إلا يعلمه".

(٥) "د": قوله: "علمه بجوازهِ لئله" ساقط.

(٦) "ك"، "ز": "وساع كلام".

(٧) "ك"، "ز": "سبحانه وتعالى"، "ب": "دعاه إلى رؤيته".

(٨) "د"، "ك": "إثما" ساقط. (٩) (الأعراف، الآية ١٤٣).

(١٠) "د": العبارة: "ما تقع به" ساقطة، والعبارة فيها: "بعد اطلاعه على إجابة الحق...".

(١١) "ب": "الكشف الإلهي". (١٢) "ك"، "ب"، "ز": "تعالى" ليست فيها.

(١٣) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(١٤) "آ"، "ب": قوله: "ومما يجوز فيه السؤال، ومما لا يجوز، انتهى" ساقط.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الرِّصْلِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: الرَّسُلُ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ تَجُوزُ لَهُ السَّوَالُ، وَمَا لَا تَجُوزُ، انْتَهَى^(١).
 قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّينِ^(٢): ثُمَّ إِنَّ الْحَقَّ - تَعَالَى - لَمَّا أَجَابَ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -^(٣) يَقُولُهُ: "لَنْ تَرَانِي" لِحِكْمَةِ إِهْيَاةٍ، اسْتَدْرَكَ - تَعَالَى - اسْتِدْرَاكًَا لَطِيفًا يَقُولُهُ: ﴿وَلْيَكُنْ أَنْظَرُ إِلَى أَلْجَبَلِ﴾^(٤)، فَاحَالَهُ عَلَى الْجَبَلِ فِي اسْتِقْرَارِهِ عِنْدَ التَّجَلِّي؛ إِذِ الْجَبَلُ مِنْ حُمَلَةِ السَّمَكَنَاتِ، فَلَمَّا تَجَلَّى لَهُ الْحَقُّ^(٥) وَتَذَكَّدَكَ، حَصَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْجَبَلَ رَأَى^(٦) رَبَّهُ، وَأَنَّ رُؤْيَاهُ هِيَ الَّتِي أَوْحَتْ لَهُ التَّذَكُّدُ، وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ مُحَدَّثٌ رَأَاهُ، فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يَكُونَ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رَأَى رَبَّهُ حَالًا تَذَكَّدَكَ الْجَبَلِ، وَوَقَعَ الثَّقِيُّ عَلَى الِاسْتِقْبَالِ، أَوْ عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ^(٧) عَلَى وَجْهِ الْإِحَاطَةِ بِالْكُنْهِ^(٨)، وَالْآيَةُ مُحْتَمِلَةٌ، وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى رُؤْيَا اللَّهِ - تَعَالَى - فِي الْأَحْرَفِ، وَمَا ثَبِتَ وَقُوعُهُ هُنَا^(٩) جَازَ تَعَجُّلُهُ هُنَا لِمَنْ^(١٠) شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَكَانَ الصَّعَقُ لِمُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -^(١١) كَأَن تَذَكَّدَكَ لِلْجَبَلِ، وَبِحَسَبِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٢) أَي: بِوُقُوعِ هَذَا الْجَانِزِ، كَمَا حُمِلَ قَوْلُهُ فِيمَا مَضَى قَبْلَ وَقُوعِ الرُّؤْيَةِ^(١٣) يَقُولُهُ^(١٤): "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" بِكَوْنِكَ لَا تُرَى أَي: مِنْ

(١) "د"، "ك"، "ز": هذه الفقرة ساقطة.

(٢) ورد نسو له في السباب الأحسد والثلاثين وثلاثانة، وعنوانه: "في معرفة منزل الرؤفة والقوة عليها والنداني والفرقي والنداني". انظر: الفتوحات المكية، ١٧١/٥.

(٣) "د"، "ب": "عليه الصلوة والسلام" ليست فيها.

(٤) (الأعراف، الآية ١٤٣).

(٥) "د"، "ك"، "ز": "فلما تجلى تعالى له"، "ب": "فلما تجلى له الحق تعالى".

(٦) "د": "برى".

(٧) "ك"، "ز": "رؤفة".

(٨) "د": قوله: "أو على نفي الرؤفة على وجه الإحاطة بالكه" ساقطة.

(٩) "ك"، "ز": "هنا"، وهو غير مستقيم.

(١٠) "د": "لما".

(١١) "ك"، "ب"، "ز": "عليه الصلوة والسلام" ليست فيها.

(١٢) (الأعراف، الآية ١٤٣).

(١٣) "د": "قبل الوقوع".

(١٤) "د"، "ك"، "ز": "على قوله".

حيثُ حَقِيقَتُكَ، انتهى^(١).

وقالَ في بابِ الأسرار: مِنْ أعْجَبِ الْأُمُورِ أَنَّ الْحَقَّ -تعالى- يُعَلِّمُ بِالْعَقْلِ، وَلَا يُبْرِى بِهِ، وَيُبْرِى بِالْكَشْفِ، وَلَا يُعَلِّمُ بِهِ، قَالَ: وَهَلْ تَمَّ لَنَا^(٢) مَقَامُ يَجْمَعُ بَيْنَ^(٣) الرُّؤْيَا وَالْعِلْمِ؟ لَا أَدْرِي، انتهى^(٤).

[بَابُ الْقَوْلِ عَلَى «لَا تُدْرِكُهُ إِلَّا بَصَرُهُ»]

فَإِنْ قُلْتُ: فَمَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ -تعالى-: «لَا تُدْرِكُهُ إِلَّا بَصَرُهُ»^(١)، وَهُوَ نَفْيٌ مُطْلَقٌ، وَلَقَدْ بُنِيتُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لِرُبُّهُمْ فِي الذَّكَرِ الْآخِرَةِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «لَا تُدْرِكُهُ إِلَّا بَصَرُهُ»: الْكَوْنِيَّةُ الْخَلْقِيَّةُ عَنِ التَّوَرِّ الْمُدْرِكُ لَهُ بِفَضْلِهِ^(٢)، لِكَثَرِ وَجَمْعِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: لَا يُدْرِكُهُ الْبَصَرُ^(٣)، إِذِ الْحَقُّ -تعالى- أَحَدِيُّ الْوَصْفِ، فَهُوَ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ ذَوَاتُ النَّاطِقِينَ، فَالْبَصَرُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ، وَهُوَ بِالْأَصَالَةِ نَوْرُ الْحَقِّ -تعالى- الَّذِي أَوْدَعَهُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَادِ لِيَرَاهُ بِهِ^(٤) لَا غَيْرَ^(٥).

وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْهَانِيُّ عَلَى مَنَعَ الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ الْعَالَمِ وَبَيْنَ هُوِيَّةِ الْحَقِّ جُلٌّ وَعَلَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا تُصَحُّ رُؤْيَا تَكْشِفُ الْحَقَائِقَ مِنْ رَأْيٍ إِلَّا بِعُنَاسِيَّةٍ تَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْتَبَةِ،

(١) انتهى كلام محيي الدين المنقول بتصرف من الفتوحات المكية، ١٧١/٥، وقد عقب محيي الدين بقوله: "وإنما أوحده ليكون مسبحاً له، فلذلك لم تحفظ عليه صورة الجليية، وأثر فيه التحلي، وحفظ روح موسى -عليه السلام- على موسى، وما رجع الجبل جبلاً، فعلم موسى أنه قد وقع منه ما كان ينبغي له ألا يقع (لا يأمر إلهي)".

(٢) "ب": "وهل لنا"، "ز": "وهل تم لنا".

(٣) "د"، "ك"، "ز": "بين" ساقطة.

(٤) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١٨٥/٨، (وتم تباین بین عباراتین) عبارة ششعراني ومحيي الدين.

(٥) (الأنعام، الآية ١٠٣).

(٦) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "أي أبصار الكون الخلقية...".

(٧) "ب": "الأبصار"، وفي الفتوحات كما ورد في المتن، انظر: الفتوحات المكية، ٥٥/٧.

(٨) "د": "لترأه" ساقطة، "ز": "لا ترأه"، وهو تحريف.

(٩) العبارة محيي الدين، فقد قال: "فكثرت وجع، فإنها أبصار الكون، ولم يقل: لا يدركه البصر، وإن كان جمع فلف، ولكن على كل حال هو أكثر من بصر". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٥٥/٥.

فصاحب هذا العلم في حال شهوده ورؤيته لربه يحكم بآله ما رآه، ورؤيته صحيحة؛ لأنه ما رأى الحق - تعالى - إلا بنور الحق، وهي أكمل البصائر، فصَحَّ قول أهل السَّنة والجماعة إن الحق - تعالى - يُدْرَكُ بالبصر المنسوب إلى العبد على هذا المشرط، وهو عدم الإحاطة بحقيقة الكُتُب^(١)، ففقطن يا أخي لهذه الشكبة، فإنها نافعة جداً، ذكره الشيخ في "الفتوحات" في الباب الخامس والعشرين وأربعمئة^(٢).

وقال في الباب الحادي عشر ومائتين^(٣): اعلم أن قوله - تعالى -: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»^(٤) يحمل معنيين: أحدهما أنه نفى أن تدركه الأبصار على طريق التشبيه على الحقائق؛ أي: على معنى أن المدرك له - تعالى - ليس هو الأبصار، وإنما الإدراك أن يكون^(٥)؛ للتمييز بين الأبصار. المعنى الثاني: أن يكون المعنى لا تدركه الأبصار المقيدة بالجارية لضيقها عن مقابلة النور الإلهي، فعلم أن الأبصار إذا لم تنفذ بالجارية أبصرته - تعالى - بنوره الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح لا بنورها المقيد الذي يقبل التشبيه، انتهى^(٦).

وقال في "شرح ترجمان الأشواق": إذا كان الحق - تعالى - قد تنزه عن إدراك الوهم له الذي هو اللطف من الإدراك الحسي، فكيف لا تنزه عن إدراك البصر الذي هو

(١) "د": قوله: "وهو عدم الإحاطة بحقيقة الكُتُب" ساقط.

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة منزلة من طلب العلم صرفت بصره عن". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٥٤/٧، وانظر قوله هذا هناك.

(٣) عنوان هذا الباب "في اللوائح"، وفي مقدمته يقول دالاً على مضمونه:

لوائح الحق ما تبدو لأسرار	من السمو ومن حال إلى حال
وقد تكون بما يبدو لناظره	من غير جارية بالعلم والحال
من الثبوت التي يعطيك شاعنها	دلها أنها في الآل كسالات

انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٩٠/٤.

(٤) (الأأنعام، الآية ١٠٣).

(٥) "لا"، "ب"، "ز": العبارة: "ولما الإدراك يكون...".

(٦) المسبارة في هذا الباب: "وخرج قوله "لا تدركه الأبصار" على وجهين: الوجه الواحد أنه نفى أن تدركه الأبصار على طريق التشبيه على الحقائق، ولما يدرك المصورون بالإبصار لا الأبصار، والوجه الثاني: لا تدركه الأبصار المقيدة بالجارية...". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٤/١٩١.

الأكشف؟ والله لقد أصاب من قال: كل ما خطر ببالك، فإنه بخلاف ذلك، انتهى^(١).
 فإن قال قائل: فما المانع من رؤية الله - تعالى -^(٢) مع شدة قرب المشاء إليها
 بقوله^(٣): ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(٤)، ويقول - تعالى -: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٥) ؟

فالجواب أن شدة القرب^(٦) هي المانعة من الرؤية؛ لأن شدة القرب حجاب،
 ولذلك كان الهواء لا يرى لاتصاله بياض^(٧) العين، وكذلك الماء إذا فتح الإنسان عينه فيه
 لا يراه، فقول - تعالى -: ﴿ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٨)، أي للحجب^(٩) السبعين ألفا التي بيننا
 وبينه^(١٠) مع شدة هذا القرب، فنحن ألبها المؤمنون حلف الحجب على الدوام الدنيوي،
 ويسمى ذلك حجاب الغضبة^(١١) الذي لا يصح رفعه في الدنيا والآخرة؛ لأنه لو رفع
 لأدرك الخلق الذات، وذلك لا يصح إجماع المحققين.

وقال في الباب العشرين وأربعمائة^(١٢) من "الفتوحات" في قوله - تعالى -: ﴿ لَا

(١) "ك"، "ز"، "كش" ساقطة، وعبارة محي الدين في "شرح ترجمان الأشواق": "هو ما تحيله الوهم في الجباب الأخر من التصور، فذلك حرج فيه، والوهم اللطف من الإدراك الحسي، فهي منزعة عن إدراك اللطف، فكيف بالبصر الذي هو أكشف، ولهذا يقال في العشائد في حجاب الحق: "كل ما عطر في مرك، أو تلطج في صدرك، أو حصره ومك، فإنه بخلاف ذلك". انظر: عبي الدين، شرح ترجمان الأشواق، ١٦٥.

(٢) "ك"، "ز": "الحق جل وعلا". (٣) "ك": "يقوله تعالى".

(٤) (الآية ١٦). (٥) (الواقعة، الآية ٨٥).

(٦) "ك"، "ز": "شدة هذا القرب". (٧) "ب"، "ب": "يا بصر العين"، وأحسبها تصحيفا.

(٨) "ك"، "ز": الآية ليست فيهما. (٩) "ب"، "ز"، "أي" ساقطة.

(١٠) "ك"، "ز": "بيننا وبينكم"، وهو خطأ لا يستقيم. وقد أشار الشافعي إلى أن المرحج: "بيننا وبينه"، ولعل ذلك كذلك، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن لله سبعين ألف حجاب"، وفي مجمع البحرين لأبيهم: "عن أنس بن مالك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: سألت جبريل: هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور، ولو رأيت أدناها لا أخترت". انظر: القلبي، مجمع البحرين، باب الرؤية (٦٢)، ٥٦/١، وانظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٥٦/٧.

(١١) "ب": "ذلك الحجاب حجاب".

(١٢) لم يسرد قول محي الدين في هذا الباب الذي ذكره الشيرازي، بل ورد في الباب الأحد والعشرين

تُدْرَجُهُ الْأَنْصَرُ^(١)؛ يعني من كل عين من أعين الوجوه، وأعين القلوب^(٢)، فإن القلوب لا ترى إلا بالبصر، والوجوه لا ترى أبداً إلا بالبصر، فإن البصر^(٣) حيث كان هو الذي يقع به الإدراك، لكن يُسمى البصر في القلب عين البصيرة، ويُسمى في الظاهر بصر العين، والعين في الظاهر محل البصر، والبصيرة في الباطن^(٤) محل العين الذي هو بصر في عين الوجوه، فاختلف الاسم عليه، وما اختلف هو في نفسه، فكما لا تدرجه العيون بأبصارها، كذلك لا^(٥) تدرجه البصائر بأعينها، انتهى^(٦).

وسمعت سيدي علياً الخواص - رحمه الله - يقول: إذا كانت الرسل والملائكة مؤمنين بالله - تعالى - من خلف حجاب كما أشار إليه قوله - تعالى -: ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ مَنٍّ بَأْسُهُ وَتَلَوُّهُ﴾^(٧)، فكيف بأحد المؤمنين، انتهى.

قلت: ولعل المراد بهذا الحجاب هو حجاب العظمة الذي يكون في جنة عدن كما ورد، والله أعلم، وقد بسطنا الكلام على هذا المبحث في كتاب "اليانصيب والجواهر"^(٨).

وأربعمائة من الفتوحات، وعنوان هذا الباب "في معرفة سائر: من طلب الوصول إلى الدليل والبرهان لم يصل إلى أبداً فإنه لا يشهني شيء". انظر: الفتوحات المكية، ٤٣/٧.

(١) (الأنعام، الآية ١٠٣). (٢) قوله: "وأعين القلوب" سابق.

(٣) "ك"، "ب"، "ز": "البصر".

(٤) "ك"، "ز": "الظاهر"، وأحب أن الصواب هو ما ورد في المتن، وهو الوارد في "د" و"ب" و"ز" والفتوحات المكية.

(٥) "ب": قوله: "العيون بأبصارها، كذلك لا" سابق.

(٦) "ك"، "ز": "انتهى" سابق. وعجاجة عبي الدين: "يعني من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب، فإن القلوب لا ترى إلا بالبصر، وأعين الوجوه لا ترى إلا بالبصر، فالبصر حيث كان به يقع الإدراك، فيسمى البصر في العقل عين البصيرة، ويسمى في الظاهر بصر العين، والعين في الظاهر محل للبصر، والبصيرة في الباطن محل للعين الذي هو بصر في عين الوجوه، فاختلف الاسم عليه، وما اختلف هو في نفسه، فكما لا تدرجه العيون بأبصارها، كذلك لا تدرجه البصائر بأعينها". انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٤٤/٧.

(٧) (البقرة، الآية ٢٨٥).

(٨) انظر: الشرح، اليانصيب والجواهر، في المبحث الثاني والعشرين: "في بيان أنه تعالى مرئي للمؤمنين في الدنيا بالقلوب، وفي الآخرة لهم بالأبصار بلا كيف في الدنيا والآخرة"، ٢١٢/١.

وحاصله^(١) أن الجامع بين من أنكر رؤية الحق تعالى، وبين من أثبتها أن يقال إن الرؤية تكون على قدر استعداد العبد لا غير، فلا يصح نفيها مطلقاً، ولا إثباتها على وجه الإحاطة ومعرفة الكتب، ووجه من أنكرها قوله: إن حجاب العظمة لا يصح رفعه، فلا يصح^(٢) لأحد إدراك حقيقة الذات، وإذا لم يدرك^(٣) حقيقة الذات فما أحاط به، وإذا لم يحيط به فكأنه ما رآه مع أنه رآه، فاعلم ذلك، ونزهة ربيك في اعتقادك صحة رؤيته عن صفات رؤيتك للحق^(٤)، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ نَفْيِ رُؤْيَا الْحَقِّ فِي الْمَنَامِ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ نَفَى وَقُوعَ رُؤْيَا الْحَقِّ - تَعَالَى - فِي الْمَنَامِ:
اعلم يا أخي أن جمهور العلماء ذكروا وقوعها في المنام لكثير من الأولياء والعلماء^(٥)، كالإمام أحمد بن حنبل^(٦)، وحزرة الزيات^(٧)، والإمام أبي حنيفة، وأبي نعيم البستاني^(٨)، وغيرهم، وقرأ حمزة على الحق - جل - وغلا - سورة - "يس"، فلما بلغ ﴿تَنَزَّلُ

(١) "د"، "ك"، "ز": "والحاصل".

(٢) "ب"، "قوله: رفعه، فلا يصح" سقط.

(٣) "ك"، "ز": "تدرك". (٤) "ك"، "ز": "الحق" ساقطة.

(٥) "د": قوله: "لكثير من الأولياء والعلماء" ساقطة.

(٦) نقلت ترجمته.

(٧) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، كان - كما قال المناوي - من أكابر الأولياء، وأعيان الصالحين، من موالي النبي، فنسب إليهم؛ ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسنن، فعمله رأى بعضهم، تصبر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كبير، وهو من القراء السبعة، قال الثوري عنه: "ما قرأ حمزة حرفاً إلا يأت"، كان إماماً حجة فيما يكتب الله، حافظاً للحديث، بصيراً بالفسراض والعريضة، سي بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، في آخر سواد العراق، توفي سنة (١٥٦هـ)، النظر ترجمته: ابن حليكان، وفيات الأعيان، ١٨٦/٢، وفيات السوف، معجم الأديان، ٢٦١/٣، والنهي، سير أعلام النبلاء، ٢٨٤/٥، والصفدي، نواهي بالوفيات، ١٠٥/١٣، والمناوي، الكواكب الدرية، ٢٧١/٤، وابن المصنف، شذرات الذهب، ١/٢٤٠، والأركلي، الأعلام، ٢٧٧/٢.

(٨) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البستاني، نسبة إلى بستان بين خراسان والعراق، أصله منها، كان مولده سنة (١٨٨هـ)، وكانت وفاته فيها سنة (٢٦١هـ)، سماه يحيى الدين أما يزيد الأكبر، وسمي أيضاً سلطان العارفين، وقد سئل يوماً: بأي شيء بلغت هذه المعرفة؟ قال: بطن جائع، وبدن

أَلْعَنِيهِ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ بِضَمِّ اللَّامِ، رَدَّ عَلَيْهِ الْحَقُّ - جَلَّ وَعَلَا - ﴿١٢﴾ تَنْزِيلًا ١٤ فَبُتِحَ اللَّامُ، وَقَالَ: أَيُّ ﴿١٣﴾ نَزَّلْتُهُ تَنْزِيلًا، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَيْضًا سُورَةَ "طه"، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿١٤﴾: ﴿وَأَنَا آخَرُكَ﴾ ﴿١٥﴾، قَالَ لَهُ: وَإِنَّا آخِرُنَاكَ ﴿١٦﴾، فَبَيَّنَ قِرَاءَةَ بَرْزَخِيَّةٍ ﴿١٧﴾، وَعَلَى ذَلِكَ عِلْمَاءُ التَّعْبِيرِ.

وبالغ شيخ الإسلام ابن الصلاح ﴿١٨﴾ في إنكارها، والحق ما عليه جمهور علماء

عمار، من كلامه: غلطت في بدايتي في أربعة: توهمت أني أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه، فلما نظرت رأيت ذكره لي، ومعرفته بي، وحيه لي، وطلبه إليّ أي كان أولًا حتى طلبته. وكذلك قوله: إني نالوا ما نالوا بتضييع ما هم، وشهود ما له تعالى. وكذلك: الجوع سحاب، فإذا جاع عبد أمطر القلب حكمة، وكذلك: طوبى لمن كان همه هذا واحدًا، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه، وسمعت أذناه. انظر ترجمته: الأصبهاني، حلية الأولياء، ٣٣/١٠، والقشيري، الرسالة القشيرية، ٣٩٥، وابن حلكان، وفيات الأعيان، ٤٣٦/٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٨٢/٨، والصفيدي، الوحي بالوفيات، ٢٩٥/١٦، وابن كثير، البداية والنهاية، ٣٨/١١، والشعراني، نوافع الأنوار، ١٧٤/١، والسنائي، الكواكب الدرية، ٦٥١/١، وابن العماد، شذرات الذهب، ١٤٣/٢، والسبغودي، هدية العارفين، ٤٣٤/٥، والبيهقي، جامع كرامات الأولياء، ١٢٨/٢، والزركلي، الأعلام، ٢٣٥/٣، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤٥٧/٤-٣.

(١) (يس، الآية ٥). (٢) "ب": "الحق تعالى".

(٣) "ك"، "ب"، "ز"، "آي". (٤) "ك"، "ز": "قوله تعالى".

(٥) (طه، الآية ١٣).

(٦) أورد هذا الحسير المناوي في الكواكب الدرية لما ترجم له. انظر: ٢٧١/٤، وأورده كذلك أبو طاهر في "سراج المقول"، ١٦٣.

(٧) انظر ما قاله يحيى الدين في هذه القراءة في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات فصيحة، ٤/٦٤.

(٨) "ك"، "ز": "بسن صلاح الدين"، وهو نفي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي، المعروف بابن الصلاح، وابن صلاح الدين، ولد في شَرْحَانَ من قرى أربل سنة (٥٧٧هـ-)، وهو نفسه شافعي من فضلاء عصره، له مشاركات في التفسير والحديث والفقه وأسماء السرجاء، قرأ الفقه على والده الصلاح، وكان من جلة مشايخ الأكراد، نقله أبوه إلى الموصل، واشتغل بها مدة، ثم إلى عراسان، ثم رجع إلى الشام، وتولى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس، توفي سنة (٦٤٣هـ) بدمشق، وحمل على الرؤوس، وتراحم الخلق على سريره، ودفن بمقابر الصوفية. انظر ترجمته: ابن حلكان، وفيات الأعيان، ٢١٢/٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٨٣/١٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٢١/٥، والزركلي، الأعلام، ٢٠٨/٤، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٣٦١/٢.

السَّلَفِ مِنْ أَنَّهُ تَجَوَّزَ رُؤْيَا اللَّهِ -تعالى- فِي الْمَنَامِ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "خَيْرُ الرُّؤْيَا أَنْ يَرَى الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي مَنَامِهِ، أَوْ يَرَى نَبِيَّهُ، أَوْ يَرَى أَبَوَيْهِ إِنَّ كَانَا مُسْلِمِينَ"^(١)، وَلِقَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ"^(٢).

[حُجَّةُ الْمَانِعِينَ لِلرُّؤْيَا]

وَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ الْمَانِعُونَ لِلرُّؤْيَا أَنَّ الرَّائِي لَا يَرَى إِلَّا صُورَةً، وَتَعَالَى الْحَقُّ تَعَالَى^(٣) عَنِ الصُّورَةِ، وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْعِقُ وَقُوعَ الرُّؤْيَا، فَإِنَّ الْخَيَالَ أَوْسَعُ الْأَكْوَانِ؛ كَأَنَّهُ يَحْكُمُ بِحَقِيقَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَى مَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَيُصَوِّرُ الْعَدَمَ الْمَحْضَ^(٤) وَالْمَحَالَّ وَالْوَاجِبَ^(٥)، وَيَجْعَلُ الْوُجُودَ عَدَمًا، وَالْعَدَمَ وَجُودًا، وَيُرَبِّكُ الْعِلْمَ لَيْثًا، وَالْإِسْلَامَ قَبْئًا، وَيُرَبِّكُ الْحَقَّ -تعالى- فِي صُورَةٍ مَعَ أَنَّهُ^(٦) لَا يَقْبَلُ -تعالى- الصُّورَةَ وَلَا التَّصْوِيرَ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، وَفِي حَدِيثِ الطَّبْرِيِّ مَرْفُوعًا: "رَأَيْتُ رَبِّي اللَّيْلَةَ فِي صُورَةٍ شَابُ أَمْرُدَ لَهُ وَفَرَّةٌ مِنْ شَعْرِ، وَعَلَى وَجْهِهِ فَرَأْسُ الْمُلُوكِ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ ذَهَبٍ"^(٧).

(١) تقدم بيان عن هذا الحديث مع تباين ظنييف بين الروايين.

(٢) رواية الحديث في سنن الترمذي: "أَنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَقَلْتُ نَوْمًا، فَارْتَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ...".
وفي رواية أخرى: "أَنَّنِي اللَّيْلَةَ رَأَيْتُ -تعالى- فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ". أخرجه الترمذي في السنن،
كتاب التفسير، (٣٢٤٤)، ١٦٠/٥، وأحمد في المسند، ٣٦٨/١، ١٨٨/٤، ٢٤٤٣/٥، ٣٧٨،
والمكسب الترمذي في سوانر الأصول، ٢٥٥/٢، والمهشمي في مجمع الرواة، كتاب التعبير
(١١٧٤٢)، ٢٦٣/٧، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب الصلاة (١٢٩)، ١٣٠، ١٥٦/١.

(٣) "ك"، "ز": "وَتَعَالَى الْحَقُّ".

(٤) "ك"، "ب"، "ز": "الْعَدَمُ مِنَ الْمَحْضِ".

(٥) "ك": "رَدَ الشَّامِخِ: "وَالْوَاجِبُ الَّذِي لَمْ يَنْصُغْ عِلْمُ اللَّهِ -تعالى- وَحُودَهُ فِي الْخَارِجِ بِالْقَعْلِ وَاعْثَالٍ".

(٦) "ك"، "ز": "أَنَّهُ تَعَالَى".

(٧) بروى الحديث: "رَأَيْتُ رَبِّي فِي الْمَنَامِ فِي صُورَةٍ شَابُ مَوْفَرٍ، فِي حَيْثُ عَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ ذَهَبٍ، وَعَلَى وَجْهِهِ فَرَأْسٌ مِنْ ذَهَبٍ"، أخرجه الطبري في "الكبير" (١٤٣/٢٥)، والمهشمي في مجمع الرواة،
كتاب التفسير (١١٧٤٥)، ٢٦٥/٧، وانظر ما قاله يحيى الدين في هذا الحديث في الفتوحات
المكسبة، ١٢/٤، وجعلناه من باب ما يراه المائم في نومه من المعاني في صور الغسوسات؛ لأن
الخيال هذه حقيقته أن يهجد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً.

وقد اختلفَ الناسُ في تأويله، ومنهم من نقاه، وقال الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ^(١): هذه الرُّؤْيَا وقعتْ في عالمِ الخَيَالِ، ومن شأنِ الخَيَالِ أَنْ يُجَسِّدَ ما ليسَ مِنْ شَيْءٍ التَّجَسُّدُ؛ لأنَّ حَضْرَتَهُ تُعْطِي ذلكَ، وتُعْطِي مُحَرَّرَةً السَّعَاتِي فِي الصُّورِ الْمَحْسُوسَةِ، فَمَا تَمَّ أَقْوَى مِنَ الخَيَالِ وَلَا أَوْسَعُ، قال: وَمِنْ حَضْرَتِهِ أَيْضًا ظَهَرَ^(٢) الْمَحَالُ، فَبُرِكَ الْحَقُّ -تَعَالَى- فِي صُورَةٍ مَعَ أَنَّهُ -تَعَالَى- لَا يَقْبَلُ الصُّورَةَ، فَقَدْ قَبِلَ الْمَحَالُ الْوُجُودَ الْوُجُودَ^(٣) فِي هَذِهِ الْحَضْرَةِ، وَكَذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ الخَيَالِ أَنَّهُ بُرِكَ الْجِسْمُ الْوَاحِدَ فِي مَكَائِينَ كَمَا رَأَى آدَمُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-^(٤) نَفْسَهُ^(٥) فِي حَدِيثِ الْقَبْضَةِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ قَوْلِهِ: "فَلَمَّا بَسَطَ الْحَقُّ -تَعَالَى- يَدَهُ"^(٦)، أَيْ كَمَا يَلْقَى بِجَلَالِهِ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَأَدَمُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْقَبْضَةِ، وَهُوَ عَيْنُهُ خَارِجُهَا، فَيَا مَنْ تَخَيَّلَ^(٧) كَوْنَ الْجِسْمِ فِي مَكَانٍ^(٨)، مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؟

وَنظِيرُ ذَلِكَ صَلَاتُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي السَّمَاءِ مَعَ كَوَلِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَيْضًا رُؤْيَا الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ فِي السَّمَاءِ فِي بِلَدٍ أُخْرَى^(٩) تُخَالِفُ حَالَهُ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي نَامَ^(١٠) فِيهِ، وَهُوَ عَيْنُهُ لَا غَيْرُهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَبِرَ الْعَقْلَاءُ عَلَى فِرَاسِ الْمَحَالِ، فَإِنَّهُ لَوْلَا صُورُهُ فِي نَفْسِهِ مَا قَدَّرَ عَلَى تَعَقُّلِهِ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَيْضًا الشَّهِيدُ الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -تَعَالَى-^(١١) يُرَى مَقْتُولًا فِي الْمَعْرَكَةِ وَفِي الْقَبْرِ، وَهُوَ حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ يُرْزَقُ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ^(١٢) حَضَرَ تُسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ كَمَا وَرَدَ^(١٣).

(١) انظر قول محيي الدين في الباب الثامن والثمانين ومائة من الفتوحات، ١٢/٤.

(٢) "ب"، "د": "ظهور". (٣) "ب": العبارة: "فقد قبل المحال للوجود".

(٤) "د": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها. (٥) "د": "نفسه" ساقطة.

(٦) انظر: المحكم الترمذي، تروادر الأصول، ٤٤٦/١، وقد تقدم بيان عن حديث القبضة قبل.

(٧) "ت": "تخيل"، وهو تصحيف.

(٨) "ت"، "د": "في مكانين"، وليس ذلك كذلك، فهو يراد على من يحضر الجسم في مكان واحد.

(٩) ما ورد في النسخ جميعها: "من بلد أخرى".

(١٠) "ك": "قام". (١١) "د"، "ك"، "ز": "تعالى" ساقطة.

(١٢) "د"، "ك"، "ز": "حواصل طيور".

(١٣) جاء في الحديث الشريف: "أرواحهم في جوف طير حضر لما فتاديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك الفتاديل...". أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٨٦/٦ (مع تبان قسبل في السرواية)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإمامة، (١٢١/١٨٨٧)، شرح صحيح

وإيضاح ذلك - كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وأربعمئة من "الفتوحات"^(١) - أن المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها، فكل من مر على موطنه انصغ به، قال: والدليل على ذلك رؤية العبد للحق^(٢) في المنام الذي هو موطن الخيال، فإنك لا ترى الحق - تعالى - فيه إلا في صورة مع كونه - تعالى - منزها عن الصورة، فإذا كان حكم المواطن قد حكم عليك في الحق - تعالى - بما هو منزّه عنه، ولا تراه إلا كذلك، فكيف يغيره؟ ثم إنك إذا عرجت من حضرة الخيال إلى موطن النظم العقلي لم تر الحق - تعالى - إلا منزها عن الصورة التي كنت أدركها في موطن الخيال، وإذا كان الحكم للمواطن، فانت تعرف إذا رأيت الحق تعالى ما رأيت^(٣)، وأثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق - تعالى - لك^(٤) مجهولاً أبداً، فلا يحصل لك به علم^(٥) أبداً؛ إذ لا يخلو من موطن تكون فيه تحكم عليك بحاله، وما عندك من معرفته في موطن ينفذ منك في موطن آخر، فما عندك من العلم به - تعالى - ينفذ، وما عنده - تعالى - من عليه^(٦) بنفسه لا يتغير، ولا يتبدل، ولا يتوغل.

فإن قال قائل: فما محل النوم من الأماكن؟

فالجواب: محله ما تحت مقعر فلك القمر خاصة، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة، فمحله^(٧) ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة^(٨)، وما^(٩) دون فلك القمر لا نوم، وقد

مسلم، ٣٤/١٣، وابن ماجه في السنن، كتاب الختان، ٤، والترمذي في السنن، تفسير سورة ٣، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب الجهاد (٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤)، ٢٦٧/١.

(١) عنوان هذا الباب في حال قطب هجره "لا إله إلا الله". انظر: بحبي الدين، الفتوحات المكية، ٧/ ١٣٠.

(٢) "د": رؤية الحق للعبد، "ب": الله، "ز": الحق تعالى.

(٣) "أ"، "ب": "ما رأيت" ساقطة.

(٤) "ب"، "د": "لك" ساقطة. "ك": "تعالى" ليست فيها.

(٥) "ك"، "ب": "علم به". (٦) "ك"، "ب": "من علم".

(٧) "ك"، "ب": "لمحله عنده".

(٨) الكلام مأخوذ من الباب الثامن والثمانين ومائة من الفتوحات المكية، ١٤/٤.

(٩) "ب": "وما" ساقطة، والعبارة في الفتوحات: "وما فوق فلك الكواكب فلا نوم، وأعي به هذا النوم الكائن المعروف في العرف". انظر: الفتوحات المكية، ١٤/٤.

بَسْطًا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي مَبْحَثِ الرَّؤْيَا فِي كِتَابِ "الْيَوَائِثِ وَالْجَوَاهِرِ"، فَرَاغَهُ^(١)،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ مَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الْقَعْلَ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ^(٢) وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِضَافَتُهُ
إِلَى الْعَبْدِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُودِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجَبَرِيَّةِ^(٣)، فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ بَاطِلٌ
بِالْإِجْمَاعِ^(٤) لِهَيْدَمِهِ جَمِيعَ أَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ، وَجَمِيعِ أَحْكَامِهَا، وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ:
مَنْ قَالَ: لَا نَعْمَلُ لِي مَعَ اللَّهِ -تَعَالَى- فَكَأَنَّهُ^(٥) كَذَبَ الْقُرْآنَ لِمَا فِي آيَاتِهِ مِنْ لَفْظِ^(٦)
"فَعْمَلُونَ"، "فَعْمَلُونَ"، "يَكْسِبُونَ"، "يَقُولُونَ"، "يَصْنَعُونَ"، "يَفْقَهُونَ"، "يَقْنُونَ"، وَكَذَلِكَ
يَكْذِبُ جَمِيعَ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ؛ لِأَنَّهَا كُلُّهَا نَزَلَتْ بِإِضَافَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْعِبَادِ.

وَقَالَ فِي بَابِ الْأَسْرَارِ مِنَ "الْفَتْوحَاتِ": مَا فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ -تَعَالَى- وَأَفْعَالُهُ مَعَ
أَنَّهُ حَرَمٌ الْفَوَاحِشُ، فَسَلَّمَ وَلَا تُنَاقَشُ^(٧)، وَقَالَ فِي بَابِ الشَّامِ وَالشَّعْرَيْنِ وَمِائَةٍ فِي قَوْلِهِ -
تَعَالَى-: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَكَ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٨)، أَثَبَّتَ^(٩) -تَعَالَى- الْفِعْلَ لِلْعَبْدِ بِالضَّمِيرِ،
وَنَقَاهُ بِالْفِعْلِ الَّذِي هُوَ خَلَقَ، كَمَا انْتَفَى أَبُو بَكْرٍ^(١٠)، فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ اسْمٌ فِي "الْعُمَرَانِ"،
وَأَثَبَتْ ضَمِيرَ التَّنْبِيهِ فِي "الْعُمَرَانِ"، انْتَهَى^(١١).

(١) انظر: الشعرائي، اليوائت والجواهر، في المبحث الثاني والعشرين: في بيان أنه -تعالى- مرئي
لمؤمنين في الدنيا بالقلوب، وفي الآخرة لهم بالأبصار بلا كيف في الدنيا والآخرة، ٢٣٢/١.

(٢) "ك"، "ز": "لله تعالى"، "ب": "لله في الوجود".

(٣) الجبر هو نفي الفعل حقيقة من العبد، وإضافته إلى الحق تعالى، والجبرية أصناف، فمن الخالصة التي
لا تثبت للعبد فصلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والمتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة
أصلاً. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ٧٢/١، والجرحاني، التعريفات، ٧٧، والتهانوي،
كشف اصطلاحات الفنون، ٢٠٠.

(٤) "ك": "إجماع". (٥) "د"، "ز": "لقد كذب...".

(٦) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "لأنه من أوله إلى آخره من لفظ...".

(٧) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ١٣٢/٨.

(٨) (المصافات، الآية ٩٦). (٩) "ك"، "ز": "أثبت".

(١٠) "د": "رضي الله عنه".

(١١) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٣٨/٤.

وقال في "لوائح الأنوار": أعلم أنه لا يجوزُ تعرية العبد من الفعل لأن الله^(١) -تعالى- قد أضاف الفعلَ إليه، والحق -تعالى- لا يُخبرُ إلا بالواقع، ولولا صحة نسبة الفعل للعبد لكان ذلك قدحاً في الخطاب والتكليف، ومباهةً للحس، وكان لا يؤقُّ بالحس في شيء، وكأته -تعالى- حينئذ يقول للعبد الزم: امش يا مُقعد^(٢)، وافعل يا مَنْ لا يفعل^(٣)، وتعالى الله^(٤) عن مثل ذلك، كما بسط الشيخ الكلام عليه في الباب السادس والثمانين ومائتين، فراجعهُ^(٥).

وسمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله -يقول: لا ينبغي أن يقال إن العبد مجبور في عين اختياره لما لا يخفى في ذلك من سوء الأدب وسلب الأفعال عن العباد، وذلك مخالفٌ لسانن الكتب الإلهية، وكان الشيخ أبو القاسم الجنيد رحمه الله -^(٦) يقول: إناك أن تقف في حضرة شهود الفعل لله وحده دون خلقه، فتقع في مهواة من الشلف، ولا نصير نرى لك ذنباً توب منه، وفي ذلك هدم للشرائع كلها، انتهى^(٧).

وسمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله -^(٨) يقول أيضاً: ما طلب الحق -تعالى- من عباده الاستعانة في نحو قوله: ﴿إِنِّي لَنَعْبُدُ وَإِنَّا لَفَنَشْتَعِثُ﴾^(٩)، وفي قوله: ﴿أَسْتَعِينُوا بِأَنفِهِ﴾^(١٠) إلا لينة^(١١) العباد على أنهم لا يجوزُ لهم أن يُغروا نفوسهم من الأفعال جملة.

(١) "ك"، "ز": "لأن الحق".

(٢) قوله: "امش يا مقعد" ساقط.

(٣) "ب": العبارة على التقيض، وهي: "افعل يا من يفعل".

(٤) "ك"، "ب": "وتعالى الله تعالى".

(٥) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل من قيل له 'كن' فأبى، فلم يكن من الحضرة المحمدية". انظر: الفتوحات المكية، ٤/٣٩١.

(٦) "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٧) "ك"، "ز": "انتهى" ليست فيهما، وحل هذه الفقرة ساقط من "ب".

(٨) "ب": قوله: "إياك أن تقف في حضرة شهود الفعل لله وحده دون خلقه، فتقع في مهواة من الشلف، ولا نصير نرى لك ذنباً توب منه، وفي ذلك هدم للشرائع كلها، انتهى، وسمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله" ساقط.

(٩) (الفتحة، الآية ٥). (١٠) (الأعراف، الآية ١٢٨).

(١١) "ب": "لينة".

[مذهب الشيخ محيي الدين في مسألة خلق الأفعال]

وتعقل وجه الكسب فيها]

وقال في الباب الثامن والستين في الكلام على الموضوع^(١): اعلم أن منشأ الخلاف بين أهل النظر في مسألة الكسب كونهم لم يذكروا^(٢) لماذا يرجع ذلك التمكن^(٣) الذي أعطاه الله - تعالى - للعبد ووجده في نفسه حال الفعل، هل يرجع إلى أن يكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن صفتنا، أو عن الإرادة المخلوقة فينا، فيكون التمكن أثر الإرادة لا أثر القدرة الحادثة، فعلى ذلك ينبغي كون الإنسان مكلفاً لعين التمكن^(٤) الذي يجده في نفسه، ولا يحقق تعقله، لماذا يرجع ذلك التمكن؟ هل لكونه قادراً، أو لكونه مختاراً؟ فبذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه صح أن يكون مكلفاً، ولهذا قال - تعالى -: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا مَا يَشَاءُ﴾^(٥)، فقد أعطاه أمراً وجودياً، ولا يقال أعطاه لا شيء، انتهى^(٦).

(١) عنوان هذا الباب من الفتوحات "في أسرار الطهارة"، وقد افتتحه محيي الدين بقوله:

يسيرا على أهل التيقظ والذكا	تيمر ترى سر الطهارة واضحا
إذا جانب البحر اللذي واحتنى	فكم طاهر لم يتصف بظهوره
ولم يكن عن بحر الحيلة ما زكا	ولو غاص في البحر الأجاج حياته

انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤٩٧/١.

(٢) "د": قوله: "لم يذكروا" ساقط.

(٣) "ك": "التمكن"، "ر": "التمكن".

(٤) قوله: "أثر الإرادة لا أثر القدرة الحادثة، فعلى ذلك ينبغي كون الإنسان مكلفاً لعين التمكن" ساقط من "د".

(٥) (الطلاق، الآية ٧).

(٦) انظر فصول محيي الدين هنا في الباب الثامن والستين من الفتوحات المكية، ٥١٤/١، وقد نقل الشرحي العبارة بتصرف طاهر، والمعنى واحد، وفيها يقول محيي الدين: "وعليه ينبغي كون الإنسان مكلفاً لعين التمكن الذي يجده من نفسه، ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكن، هل لكونه قادراً أو لكونه مختاراً؟ وإن كان يجوز في اختياره...، فقد أعطاه أمراً وجودياً، ولا يقال أعطاه لا شيء، وما رأينا شيئاً أعطاه بلا خلاف إلا التمكن الذي هو وسعها".

وقال في الباب الخمسين من "الفتوحات"^(١): "إِنْ قَالَ قَاتِلْ: إِنَّ اللَّهَ^(٢) هُوَ الْخَائِضُ وَالْمَوْجِدُ لِأَعْمَالِنَا وَحَدِّهِ^(٣)، لِمِنْ أَيْنَ جَاءَنَا التَّكْلِيفُ؟ وَلَيْسَ لَنَا فِعْلٌ مَعَهُ^(٤) وَلَا اخْتِيَارٌ؟ فَاجْطَوِبْ إِلَهُ -تعالى- مَا كَلَّفْنَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَعَلَ لَنَا قُدْرَةً تَعِجُزُ الْعُلَمَاءُ بِإِثْبَاطِهَا عَنِ الْإِفْصَاحِ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ مَعَ كَوْنِ الْعَبْدِ يَشْهَدُهَا مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يُنْكِرُهَا^(٥)، فَلَمْ يَكَلَّفْنَا إِلَّا بَعْدَ وَجُودِ هَذِهِ الْقُدْرَةِ، وَإِذَا فُقِدَتْ لَمْ يَكَلَّفْنَا، وَتَأَمَّلِ الزَّمَنُ كَيْفَ لَمْ يَكَلِّفْهُ الْحَقُّ -تعالى-^(٦) بِالصَّلَاةِ قَائِمًا، وَلَا بِالْجِهَادِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي كَلَّفَ اللَّهُ -تعالى- بِهَا السَّلِيمَ.

قال^(٧): وهذه القدرة التي أظهرها^(٨) التَّفَعُّعُ الْإِلَهِيُّ فِي الْإِنْسَانِ بِوَسْطَةِ الْمَلَكِ، فَلَوْلَا هَذِهِ الْقُدْرَةُ مَا تَوَجَّهَ عَلَيْنَا^(٩) التَّكْلِيفُ، وَلَا قَبِلَ أَحَدُنَا: قُلْ: 'وَلَيْلَا نَسْتَعِينُ'^(١٠)، فَإِنَّ فِي الْإِسْتَعَانَةِ إِثْبَاتَ جَرَى مِنَ الْفِعْلِ لِلْعَبْدِ، فَصَدَقَتْ الْمُعْتَزَلَةُ فِي إِضَافَتِهَا الْفِعْلَ لِلْعَبْدِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ^(١١)، وَصَدَقَتْ الْجَبَرِيَّةُ فِي إِضَافَتِهَا الْفِعْلَ لِلَّهِ -تعالى- بِحُكْمِ الْأَصْلِ، وَأَخْطَأَتِ الْمُعْتَزَلَةُ^(١٢) أَيْضًا فِي إِضَافَتِهَا^(١٣) الْفِعْلَ لِلْعَبْدِ بِحُكْمِ الْإِسْتِقْلَالِ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَخْطَأَتِ الْجَبَرِيَّةُ أَيْضًا فِي عَدَمِ إِضَافَتِهَا الْفِعْلَ لِلْعَبْدِ جَمْلَةً^(١٤)، وَصَدَقَتْ الْأَشْعَرِيَّةُ الَّذِينَ هُمُ الْفَرْقَةُ النَّاجِيَةُ فِي إِضَافَتِهِمُ الْأَفْعَالَ إِلَى اللَّهِ -تعالى- خَلْقًا، وَإِلَى الْعَبْدِ

(١) عسْتَوَانٌ هَذَا الْبَابُ هُوَ فِي مَعْرِفَةِ رَحَالِ الْحَيَرَةِ وَالْعَجْزِ، انْظُرْ: عَمِّي السَّيْنِ، الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ١/

٤٠٨، وَلَمْ يَرِدْ كَلَامٌ عَمِّي الدِّينِ فِي الْبَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّعْرَانِيُّ الْبَيْتَ.

(٢) "د"، "ك"، "ز": "اللَّهُ تَعَالَى".

(٣) "أ"، "ب": "وَحَدِّهِ" ساقطة.

(٤) "ب": "تَعَلَّى" ساقطة.

(٥) "ب"، "ك": "وَلَمْ يَنْكُرْهَا".

(٦) "ب": "اللَّهُ تَعَالَى".

(٧) يَحْسَنِي بِذَلِكَ عَمِّي السَّيْنِ، وَقَدْ وَرَدَ كَلَامُهُ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْخَمْسِينَ مِنَ الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٤١٦/١، وَقَدْ نَقَلَهُ الشَّعْرَانِيُّ مُتَعَرِّفًا بِالْعِبَارَةِ تَصَرُّفًا وَاضِحًا.

(٨) "ب": "وَجْهَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي أَظْهَرَ..."

(٩) "ب": الْعِبَارَةُ: "مَا تَوَجَّهَ التَّكْلِيفُ..."، وَفِي الْفَتْوحَاتِ: "عَلَيْهِ".

(١٠) "ب": "تَعَبَدُ وَنَسْتَعِينُ"، وَهُوَ تَعْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ.

(١١) "ك"، "ز": قَوْلُهُ: "وَاحِدٌ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ" ساقطة.

(١٢) "ب": "الْجَبَرِيَّةُ".

(١٣) "ب": "عَدَمَ إِضَافَتِهَا"، وَهُوَ غَيْرُ لَا يَسْتَقِيمُ.

(١٤) "د": "حُكْمًا".

كسباً من الجانبين بدليل شرعي^(١)، انتهى.

وقال في الباب الثاني والسبعين^(٢) من "الفتوحات": اتفق المتأمنون كلهم على أن خلق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده، وإنما ليست من كسب العبد، ولا من خلقه بالأصالة، وإنما الكسب إسناد الفعل إليه لا غيره، فمن نفى إسناد الفعل إليه أخطأ؛ لأنه لا دليل في العقل يُخرج الفعل عن العبد، ومن أثبت^(٣) فهو موافق للشارع^(٤) في صحة إضافة الفعل إليه، وجميع النصوص التي جاءت تُخرج العبد عن إضافة الفعل إليه تحتل التأويل^(٥)؛ نحو قوله^(٦) -تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٧)، فإن أفعال المخلوقين مقدرة من الله تعالى، ووجود أسبابها بالأصالة أيضاً من الله تعالى^(٨)، وليس للعبد فيها مدخل إلا من حيث إنه مظهر لها على يديه؛ إذ الأفعال أغراض، والأغراض لا تظهر إلا في جسم.

وأطال في ذلك الشيخ^(٩)، ثم قال: فالحق -تعالى- يقول لك: اعمل^(١٠)، وهو العامل بك لا أنت، ثم ينسب العمل إليك من حيث كوكلك مستخلفاً في الأرض، أو امتحاناً لك^(١١)، لينظر -وهو أعلم- أدبتك معه في الفعل هل تدعي ما أضافه إليك لنفسك، أو ترد الأمر إليه أدباً معه، ولو لا أن العمل ليس بحل للجزاء من نعيم، أو ألم^(١٢)، لكان الحقيق بالجزاء العمل لا العبد، فلما لم يكن العمل أملاً للنعيم والتألم، ولا بذ للجزاء من قائم يقوم به، جعل الله -تعالى-^(١٣) محله من نسب الفعل إليه حياً، وهو المكلف لأنه كالألة للفعل، انتهى^(١٤).

(١) "د"، "ك"، "ز": "عقلي شرعي".

(٢) "ك"، "ز": "والسبعين"، وهو تصحيح، وعدواته في المحج وأسراره. انظر: الفتوحات المكية، ٤١٩/٢.

(٣) "د"، "ز": قوله "ومن أثبت" ساقطة.

(٤) "د": "للشارع صلى الله عليه وسلم". (٥) "ب": زيادة: "فهو موافق للشارع".

(٦) "ك": "في نحو قول الله تعالى...". (٧) (الزمر، الآية ٦٢).

(٨) "ب": "تعالى" ليست فيها. (٩) "ك": "الشيخ في ذلك".

(١٠) "ب": "أعمل" ساقطة. (١١) "ب": "وامتحاناً لك".

(١٢) "ك": "من نعيم وألم"، وقد أشار التاسع في "ك" إلى أن الصواب قد يكون بإسقاط "أو".

(١٣) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(١٤) انتهى كلام محيي الدين المأخوذ من الباب الثاني والسبعين من الفتوحات المكية، ٤١٩/٢.

وقال في باب الأسرار: ما أجمل مَنْ يقولُ إِنَّ اللَّهَ - تعالى - لا يَمْلِكُ بِأَلَةٍ، وهو يقرأ^(١) قوله - تعالى -: ﴿ قَتَلُوهُمْ يَقْتُلْهُمْ اللَّهُ يَأْذِيبُكُمْ ﴾^(٢)، كما أَنَّ مَنْ يَجْعَلُ الْفِعْلَ للعبدِ جاهلاً أيضاً لقوله - تعالى -: ﴿ لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾^(٣)، ﴿ وَمَا زَمَنْتَ إِذْ زَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ زَمَى ﴾^(٤)، فَتَرَى هذا يكفرُ بما هو به مؤمن^(٥)، هذا هو العجبُ العجائبُ، فالسيفُ أَلَّةٌ لَكَ، وأنتَ والسيفُ أَلَّةٌ لَهُ، اضْهِبِ^(٦)، وأطالَ الشَّيْخُ في تفسير هذه الآية في البابين الأحد والتسعين وثلاثمائة^(٧)، والثامن والخمسين وحسمائة^(٨) في الكلام على الاسم "الحالقي"^(٩) من "الفتوحات"، فراجعها فَرَّ العجب^(١٠).

وقال في باب الأسرار منها: ما أَمَرَ اللَّهُ - تعالى -^(١١) عبادهَ بنصره إلا وأعْظاهم من الاشتراك^(١٢) في أمره، فَمَنْ قَالَ: لا قدرةَ لي، ويعني الاقتدار، فقد رَدَّ الآياتِ والأخبارَ، وكَسَبَ مَسْنَنَ يَكْبُ على وجهه في الشَّارِ، فإِنَّهُ مَسْنَنٌ لَكَتَ، وألحق تكليف

(١) "ك"، "ز"، "يمل"، وهو تصحيف.

(٢) (ثوبه، الآية ١٤). (٣) (الأفعال: الآية ١٧).

(٤) (الأفعال، الآية ١٧). (٥) "مب"، "مؤمن" ساقطة.

(٦) انظر: عيسى الدين، الفتوحات المكية، ١٩٠/٨، وعنوان هذا البحث في باب الأسرار "عموم الخطاب لمن طالب".

(٧) عنوان هذا الباب في الفتوحات "في معرفة منارلة السلك السبيل الذي لا يشت عليه تقدم الرجال السؤال"، وفي تفسيرها يقول: "لفظي إِذْ رَمَيْتَ"، فأنبت الرمي لمن تقاه عنه، ثم لم يلبث على الإنسيات، بل أعقب الإنسيات نلماً كما أعقب النفي إثباتاً، فقال: "ولكن الله ومي"، فما أسرع ما نلّ، وما أسرع ما أثبت لعين واحدة، فلهذا سبت هذه المنزلة "السلك السبيل" تشبيهاً بعبان النساء السدي لا يثبت على شيء من مسلكه إلا قدام مروره عليه". انظر: عيسى الدين، الفتوحات المكية، ٣٦٩/٦.

(٨) "د"، "ك"، "ز"، "والخمس والخمسين وحسمائة"، "ب": "الحامس وخسمائة"، ولم أحله في الموضوعين، والصواب كما ورد في الفتوحات في الباب الثامن والخمسين وحسمائة في حضرة الخلق والأمر، وهي للاسم "الحالقي". انظر: الفتوحات المكية، ٣٠٩/٧.

(٩) "ا"، "ب"، "الحالقي"، وهو تصحيف.

(١٠) عنوان هذا الباب هو "في معرفة حال قطب كان منزله "وأمر لحكم ربك فإنك يا عيننا". انظر: الفتوحات المكية، ٢١٠/٧.

(١١) "ب"، "ز"، "تعالى" ليست فيهما.

(١٢) "ك"، "ب": "وأعظاهم الاشتراك".

الشارع^(١) بالعبث، انتهى^(٢).

وسعت سيدي علي الخواص^(٣) يقول: ليس العجز من صفة العبد وحقيقته، وإنما هو كناية عن عدم إرادة الحق خلق ذلك الفعل، فإطلاق العجز على العبد مجاز، انتهى، فليأمل^(٤).

وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة^(٥): إذا نزهت الحق - تعالى - عن الشريك فبقية بالشركة في الملك دون الفعل لأجل صحة التكليف، فإنه لو لا أن للعبد شركة في الفعل ما صح تكليفه، لكن تلك الشركة من خلف حجاب الأسباب، فمن نزه ربه عن شركة الفعل أخطأ الشرائع^(٦)، انتهى.

وقال في "لوائح الأنوار": محال من الحكيم العليم أن يقول: امش يا مُفْعِدُ، أو افعل يا مَنْ لا يفعل، فإن الحكمة لا تقتضي ذلك، فنفى^(٧) نسبة الفعل إلى الفاعل ينبغي أن يُعرف، انتهى^(٨)، وقال في باب الوصايا من "الفتوحات": اعلم أن الحق - تعالى - جعلك محلاً لظهور العمل ووجوده، ولولا أن لما ظهر للعمل^(٩) صورة، فلذلك حكم في الإيجاد^(١٠) لكل عمل برز على يديك، ولا أثر لك فيه.

وراد^(١١) في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة^(١٢)، فقال: أكثر الناس لا يعرفون بين الأثر والحكم، بل يظنون أن الأثر هو الحكم، وليس كذلك، وإن الله - تعالى - إذا أَرَادَ

(١) "د": "الشارع صلى الله عليه وسلم"، وهي ليست في الفتوحات المكية.

(٢) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١١٤/٨.

(٣) "ك": "رحمه الله تعالى".

(٤) "أ": "ب": قول علي الخواص ليس وارداً فيهما، وهو مثبت في "د" و"ك" و"ز".

(٥) عنوان هذا الباب "في معرفة النفس بفتح الفاء". انظر: الفتوحات المكية، ٢٩/٤.

(٦) "ب": "حفظه الشارع".

(٧) "أ": "فيبقى"، "ك": "يُفنى"، وأحسبه تصحيحاً.

(٨) ورد نحو هذا القول في الفتوحات المكية، ٣٩٦/٤.

(٩) "أ": "للعلم"، "ب": "في العمل"، وهو تصحيح.

(١٠) "ب": "حكم الإيجاد".

(١١) "ك"، "ب"، "ز": "وأورد في...".

(١٢) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل بشرى مبشر لمبشر به، وهو من المحصرة المحمدية". انظر:

الفتوحات المكية، ١٢٣/٥.

وما غفلوه إلا عندها، فمن الناس من قال: وجدت الآثار بها ولا بد، ومن الناس من قال: عندها ولا بد، وأما نحن وأمثالنا من أهل الكشف والتحقيق فنقول: وجدت الآثار بها وعندها^(١) أي عندها عقلاً، وبها شهوداً، وحسناً، فما طلب الحق - تعالى - من عباده إلا ما لهم فيه تعمل، فلا بد من حقيقة تكون هنا تُعطي الإضافة في العمل إليك مع كونه خلقاً لله^(٢) - تعالى - لا لك، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، فالعمل للعبد، والخلق لله^(٤)، وبين العمل والخلق فرقان في المعنى واللفظ، وقد يكون للأمر الواحد وجوه كثيرة، فمن حيث ما هو عمل هو لك، وتجازى به، ومن حيث ما هو خلق هو^(٥) لله تعالى، فلا تغفل عن معرفة هذا، فإنه معنى لطيف عتيق^(٦)، انتهى.

وهذا قريب مما قررناه مراراً في معنى "أرحم الراحمين"، وهو أن جميع ما ظهر من الرحمة في الدنيا والآخرة إنما ظهر على يد الأسباب، وبقيت^(٧) رحمة أرحم الراحمين القائمة بذاته، لم يبد لنا منها شيء، فمن تأمل وجد ما ظهر من الرحمة بالنسبة لما لم يظهر^(٨) كذرة في أرض فلاة، والله أعلم^(٩)، ومن تحقق بذلك صح له جعل "العمل" التفضيل على بابه^(١٠).

وقال في الباب التاسع والسبعين ومائتين^(١١): "لولا الرابطة بين الرب والعروب ما

(١) الفتوحات: "...بالمؤمنين معاً: عندها عقلاً، وبها شهوداً وحساً". انظر: الفتوحات المكية، ٧/

(٢) "ك"، "ب": "مع كونها خلق الله".

(٣) (السنن، الآية ٩٦).

(٤) "ك"، "ز": "له تعالى".

(٥) "ب": "هو" سالطة، أما "د": "لهو خلق هو لله"، وما أتته من "ا" و "ك" و "ز" والفتوحات المكية.

(٦) "ك"، "ز": "عني" سالطة. وانظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٧/٣٢٣.

(٧) "ك"، "ز": "وبقية".

(٨) "ك": "لم" سالطة، "ز": العبارة: "بالنسبة إلى ما بطن".

(٩) "ك": "والله سبحانه وتعالى".

(١٠) "ك": "على به".

(١١) عنوان هذا الباب "في معرفة منزل الاختيار وأسراره من الشقام المحمدي". انظر: الفتوحات المكية،

كَانَ - تعالى - مُكَلَّفًا عِبَادَةَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا جَازَاهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَا كَانَ الْمَرْبُوبُ قَبْلَ^(١) الشَّخْلِ بِأَخْلَاقِهِ، وَلَا كَانَ مَعْنَى^(٢) يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٣)، وَيُعَرَّفُ عِبَادَهُ بِالْأَدَبِ مَعَهُ، فَتَقَطَّنَ يَا أَحْمِي لِمَا نَبِهْنَاكَ عَلَيْهِ، فَمَا أَظُنُّ أَنَّهُ مَا طَرَّقَ سَمْعَكَ قَطُّ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ فَاتَّهَ عِلْمٌ كَثِيرٌ^(٤).

وَذَكَرَ نَحْوَهُ أَيْضًا فِي الْبَابِ الْحَادِي وَالسَّتِينَ^(٥)، وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّانِي^(٦) وَالْعِشْرِينَ مِنْ "الْفَتْوحَاتِ"^(٧): "صُورَةُ مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْأَنْعَالِ^(٨) وَكَسْبِهَا صُورَةٌ لَا فِي حُرُوفِ الْمَجَاءِ؛ لِأَنَّ الرَّائِي لَا يَدْرِي بِإِدْعَى الرَّائِي أَيْ الْفُحْذَيْنِ هُوَ اللَّامُ، حَتَّى يَكُونَ الْأَخْرُ هُوَ الْأَلْفُ، وَيُسَمَّى هَذَا الْحَرْفُ الَّذِي هُوَ لَامُ أَلْفِ حَرْفِ التَّيَامِي^(٩) فِي الْأَنْعَالِ، فَلَمْ يَحْتَلِصْ الْفَعْلُ الظَّاهِرُ عَلَى يَدِ الْمَخْلُوقِ لِمَنْ هُوَ، فَإِنْ قُلْتُ: هُوَ اللَّهُ^(١٠)؛ صَدَقْتُ، وَإِنْ قُلْتُ: هُوَ لِلْمَخْلُوقِ صَدَقْتُ، قَالَ: وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا صَبَحَ خَطَابُ الْعَبْدِ بِالتَّكْلِيفِ، وَلَا أَضَافَ الْحَقُّ

(١) "ب": "يقبل".

(٢) "ك": "ب"، "ز": "مما".

(٣) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٤) "ك": العبارة: "ولم تصرف ذلك، فإنه علم كبير"، وما أتته من "أ" و "د" و "ز" والفتوحات المكسية، وعبارة محيي الدين في الفتوحات: "فلولا النسبة الموجودة بين الرب والمربوب ما دل عليه، ولا قبل الاتصاف بصفته لا هذا ولا هذا، وبتلك النسبة كان الحق مكلفا عباده وأمرنا وناهينا، وبها يعينها كان الخلق مكلفا مأمورا متبها، فحقق ما نبهناك عليه إن كنت ذا قلب، وألقيت السمع وأنت شهيد لما ذكرناه، فإن لم تكن كذلك، فأتك خير كثير، وعلم نافع حليل القدر، لكنه عظيم الخطر إلا أن يعصم الله". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكسية، ٣٥٧/٤.

(٥) "ز": قوله: "وذكر نحوه أيضا في الباب الحادي والستين" ساقط من "ز". وعنوان هذا الباب هو "في معرفة جهنم وأعظم المخلوقات فيها عذابا ومعرفة بعض العالم العلوي"، وقد ورد ما أشتر إليه الشرعائي ثم؛ انظر: الفتوحات المكسية، ٤٥٢/١.

(٦) "٣"، "ك"، "د"، "ز": "الحادي"، والصواب ما ورد في المتن من "ب" والفتوحات المكسية، ١/٦٦٢.

(٧) وقد وسسه محيي الدين بأنه "في معرفة علم منزل المنازل، وترتيب جميع العلوم الكونية". انظر: الفتوحات المكسية، ٢٦٢/١.

(٨) "د": "خلق الأنعام وكسبها".

(٩) "د"، "ز": "الائتامي".

(١٠) "ب": "الله تعالى".

- تعالى الفعل إليه في نحو قوله^(١): ﴿أَخْتَلَوْا مَا يَبْتَغُمُ﴾^(٢)، انتهى^(٣).

وقال في الباب الثاني والعشرين وأربعمئة^(٤): "إنما أضاف -تعالى-^(٥) إلينا الأفعال، لكوننا محلًا للتوابع والعقاب، وهي لله -تعالى- خلقًا، ولنا كسبًا، فهو -تعالى- الفاعل فينا بنا، وأطال في ذلك^(٦)."

وقال في الباب الأحدي وعشرين ومائة^(٧): "اعلم أن مسألة خلق الأفعال وتعقل وجه الكسب فيها من أصعب المسائل، قال: وقد مكثت عُمري الماضي كله أستشكّلها، ولم يفتح لي الحق^(٨) فيها، وبالعلم^(٩) بما هو الأمر عليه إلا ليلة تقيدي لهذا الباب في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة، قلت: وذلك قبل موت الشيخ بخمسي سنين، والله أعلم. قال

(١) "ب": "في قوله".

(٢) (فصلت، الآية ٤٠).

(٣) انتهى كلام محيي الدين الذي نقله عنه الشعراني متصرفاً فيه، وعبارته ثم: "إن العقد اللام بالألف كما قلنا، وصار عبثاً واحدة، فإن فحذه بدلان على أنهما ثان، ثم العبارة باسمه تدل على أنه إنسان، فهو اسم مركب من اسمين لعبين: العين الواحدة اللام، والأخرى الألف، ولكن، لما ظهر في الشكل على صورة واحدة، لم يفرق الناظر بينهما، ولم يتميز له أي المخذوع هو اللام حتى يكون الآخر الألف، فاختلف الكتاب فيه، فمنهم من راعى اللفظ، ومنهم من راعى ما يتدعى به مختلطه، فيجعله أولاً، فاجتمعا في تقديم اللام على الألف، لأن الألف هنا تولد عن اللام بلا شك، وكذلك القسرة تلو اللام في مثل قوله: "لأتم أشد رهبة" وأمثاله، وهذا الحرف، أعني لام ألف، هو حرف الإتيان في الأفعال، فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو؟ إن قلت: هو قد صدقت، وإن قلت هو للمخلوق صدقت، ولولا ذلك ما صبح التكليف وإضافة العمل من الله للعبد". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٧٠/١.

(٤) عنوان هذا الباب "في معرفة منزلة: من رد إلى فعله فقد أعطاني حقي وأعصني بما لي عليه". انظر: الفتوحات المكية، ٤٨/٧.

(٥) "ك": "أضاف الحق تعالى".

(٦) انظر عبارة محيي الدين في الباب الثاني والعشرين وأربعمئة من الفتوحات، ٤٩/٧، وقد نقلها الشعراني متصرفاً فيها، وفيها يقول محيي الدين: "فرد الفعل الذي أصابه إلى نفسه،...، فتعلم أن المكلفين هم المقصودون بالخطاب والتكليف، فإنهم محل العقاب والتوابع بخلاف سائر المخلوقين". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤٩/٧.

(٧) عنوان هذا الباب "في مقام ترك الشكر". انظر: الفتوحات المكية، ٣٠٥/٣.

(٨) "ك"، "ز": العبارة: "لم يفتح لي الحق تعالى فيها".

(٩) "ب": العبارة: "يفتح لي الحق وبالعلم بما"، والعبارة في "ز" مضطربة وركيكة.

الشيخ: وكنت قبل أن يُفتح لي^(١) بعلمها يعسرُ عليّ تصوُّرُ الفعلِ بين الكسبِ الذي يقولُ به قومٌ وبين الخلقِ الذي يقولُ به آخرون^(٢)، والآن فقد عرفتُ تحقيقَ هذه المسألةِ على القطعِ الذي لا شكَّ فيه^(٣)، وقد قال الإمامُ أبو حامد الغزالي^(٤): هذه المسألةُ من مسائلِ سرِّ القدرِ، لا يصحُّ كشفُ علمها لأحدٍ في هذه الدُّنيا، وهو معذورٌ في ذلك^(٥).

قال الشيخُ محيي الدين^(٦): "وصورةُ هذا الفتح^(٧) أن الحقَّ - تعالى - أوقفني بينَ يديهِ في المنامِ بكشفِ بصري^(٨) على المخلوقِ الأوَّلِ الذي لم يتقدَّمهُ مخلوقٌ؛ إذ لم يكنْ ثمَّ إلاَّ وحده^(٩)، وقال لي: انظر، هل ههنا أمرٌ يورثُ اللُّبسَ والحيرةَ؟ قلتُ: لا يا ربِّ، قال لي: وهكذا جميعُ ما تراه من المُخلَّقاتِ، ما لأحدٍ فيه أمرٌ^(١٠) ولا شيءٌ من الخلقِ، فإنا الذي أخلقُ الأشياءَ عندَ الأسبابِ لا بالأسبابِ، فيكونُ عن أمرٍ، خلقتُ النِّفخَ وعيسى، وخلقتُ التكوُّينَ في الطَّائِفِ، فقلتُ له: يا ربِّ، فنفْسُك إذا خاطبتُ بقولك: افعلْ، ولا تفعلْ، فقال لي: إذا أطلعْكَ بشيءٍ من علمي فالزمِ الأدبَ، ولا تُحافِقْ، فإنَّ الحُضرةَ لا تُحْمِلُ المُحافَقةَ، فقلتُ له: يا ربِّ، وهذا عينُ ما نحنُ فيه، ومن يُحافِقُ ومن يتأدَّبُ وأنتَ حائِثُ المُحافَقةِ والأدبِ؟ فإنَّ خلقتُ المُحافَقةَ فلا بدَّ من حُكْمِها، وإنَّ خلقتُ الأدبَ فلا بدَّ من حُكْمِها، فقال: هو ذاك، فاسمعْ وأنصتْ. فقلتُ له: يا ربِّ، ذلكَ لك، أخلقُ السَّمْعَ حتَّى اسمعَ، والإنصَاتَ حتَّى أنصتَ، وما يُخاطِبُك الآنَ سوى ما خلقتُ،

(١) "ب": "لي" ساقطة.

(٢) "ب": "يقول به قوم"، "ر": العبارة: "بين الكسب الذي يقول به وبين الخلق الذي يقول بها قوم...".

(٣) "ب": "أشك فيه".

(٤) "د"، "ب": "رحمه الله".

(٥) الكلام بحسب الدين في الفتوحات المكية، ٣٠٧/٣.

(٦) "د": "رضي الله عنه". وانظر قول محيي الدين في الباب الأحد والعشرين ومائة من الفتوحات المكية، ٣٠٧/٣.

(٧) "ب": "الفتح"، وهو تصحيح لا يستقيم به المعنى.

(٨) "د"، "ك"، "ز": "بصري"، وفي الفتوحات كما ورد في المتن.

(٩) "د"، "ك"، "ز": "إلا الله تعالى وحده".

(١٠) "ك"، "ز": "أمر" ساقطة.

فقال لي: ما أخلق إلا ما علمت، وما علمت^(١) إلا ما هو معلوم عليه في الأزل حين تعلق علمي به في الأزمان^(٢)، ولي الحجة البالغة انتهى^(٣).

قلت: ومع هذا الكشف العظيم فلا بد من نسبة الفعل إلى العبد لتحري عليه الأحكام، وتقام عليه الحدود، والله أعلم، فإن قلت: قد أضاف الله - تعالى - الخلق^(٤) إلى الخلق في قوله - تعالى - في عيسى^(٥): ﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّعْمِ بِرِذْنِي﴾^(٦)، فالجواب أن قوله ﴿بِرِذْنِي﴾ رد إلى التكليف والعبودية^(٧)، وغايته أنه خرج عن الإثم الذي يلحق المصورين، فكأنه تجار أو فاعوري لا غير، وقد ذكر الشيخ في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة^(٨) من "الفنوحات" في معنى قوله - تعالى - ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٩): ﴿أعلم أن خلق عيسى للطير^(١٠) إنما كان بإذن من الله، فكان خلقه للطير عبادة تقرب بها إلى الله تعالى، فإن الله - تعالى - ما أضاف الخلق حقيقة إلا لإذن الله، فإن عيسى بالإجماع عبد، والعبد لا يكون خالقاً^(١١)﴾.

قال^(١٢): وإنما جئنا بهذه المسألة لعموم كلمة "ما"، فلها لفظة تطلق على كل

(١) "ب: قوله: "وما علمت" ساقط، وما أثبت من "د" و"ك" و"ز".

(٢) "ك"، "ز": العبارة: "حين تعلق علمي به في الأزمان".

(٣) انتهى كلام محي الدين الذي نقله الشعراوي بتصرف.

(٤) "ب: الخلق"، وهو تصحيف يحل بالمعنى.

(٥) "د": أضاف قوله: "عليه وعلى نينا أفضل الصلاة والسلام".

(٦) (المائدة، الآية ١١٠).

(٧) "١٣": "العبودية" ساقط.

(٨) ما ورد في كل النسخ التي بين يدي: "السابع والثلاثين وثلاثمائة"، وليس ذلك كذلك، وإنما ورد

ذلك في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة من الفتوحات المكية، ٢٢١/٥.

(٩) "ك": العبارة: "في قوله تعالى".

(١٠) (الأحقاف، الآية ٤).

(١١) "د": "عليه الصلاة والسلام".

(١٢) انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢١/٥.

(١٣) يعني بذلك محي الدين، وقد ورد كلامه ذلك في الباب نفسه، أعني الثامن والثلاثين وثلاثمائة من

الفتوحات المكية، ٢٢١/٥.

شيء مِمَّنْ يَعْقِلُ، وَمِمَّنْ لَا يَعْقِلُ^(١)، هَكَذَا قَالَ سَيُوبُ^(٢)، وَهُوَ الْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي عِلْمِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ بَعْضَ الْمُتَحَلِّينَ لِهَذَا الْفِعْلِ يَقُولُونَ: إِنَّ لَفْظَةَ "مَا" تَحْتَصُّ بِمَا لَا يَعْقِلُ، وَ"مَنْ" تَحْتَصُّ^(٣) بِمَنْ يَعْقِلُ، وَهُوَ قَوْلٌ غَيْرُ مُحَرَّرٍ إِلَّا أَنْ يُرَادَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ أَغْلِيَّةٌ^(٤)، فَقَدْ رَأَيْنَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ جَمَعَ مَا لَا يَعْقِلُ^(٥) جَمَعَ مَنْ يَعْقِلُ، وَإِطْلَاقَ "مَا" عَلَى مَا يَعْقِلُ، وَأُطْلِغَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: فَتَعْلَمُ اللَّهُ لَا يُقَالُ فِي لَفْظَةِ "مَا" مِنْ قَوْلِهِ^(٦): "مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ"^(٧)، إِنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَنْ لَا يَعْقِلُ، فَإِنَّ عِيسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -^(٨) يَعْقِلُ مَعَ اللَّهِ^(٩) لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْخَطَابِ جَزْمًا، فَمَا قَالَهُ سَيُوبُ لَوْكِي، أَيْ بِالاجْتِهَادِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْقَاعِدَةَ أَغْلِيَّةٌ، انْتَهَى^(١٠).

[الكلامُ على سِرِّ "كُنْ" وتعلُّقه بِكَسْبِ الْأَفْعَالِ]

فَإِنَّ قَالِ قَاتِلَ^(١١): فَإِذَا أُعْطِيَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَبْدًا حَرْفَ "كُنْ" وَتَصَرَّفَ بِهَا، فَهَلْ يُؤَاخِذُ بِالْمُعَاصِي الَّتِي كَوَّنَهَا؟ فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، قَالَ -تَعَالَى-: فِي لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

(١) "أ"، "ب": قوله: "وممن لا يعقل" ساقط.

(٢) انظر مذهب سيوبه في هذه المسألة في الكتاب، ٢٢٨/٤، وقد جاء فيه: "(ش)، وهي للمسألة عن الأناسي، ويكون بها الجزاء للأناسي، ويكون بمنزلة "الذي" للأناسي، ...، و(ما) مثلها، إلا أن (ما) مبهمة تقع على كل شيء".

(٣) "ب": "يحتص".

(٤) "ك"، "ز": قوله: "إلا أن يراد أن القاعدة أغلبية" ساقط، ولم ترد هذه الجملة في عبارة محيي الدين في الفتوحات المكية.

(٥) "أ"، "ب": قوله: "جمع ما لا يعقل" ساقط.

(٦) "ك"، "ز": قوله تعالى:

(٧) في الشرح: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الأنبياء، ٢٢)، وكذلك: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (يوسف، ٤٠).

(٨) "ك"، "ب"، "ز": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها.

(٩) "ب": قوله: "مع أنه" ساقط.

(١٠) انظر كلام محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٢٢/٥.

(١١) "ك"، "ب"، "ز": "فإن قيل".

اكتسبت^(١)، وهذا الخلق من جملة كسبها^(٢) كما تقدم بسطه في بحث في فائدة الحاجة إلى البقرة^(٣) مع أن تصرف العبد بـ "كُنْ"^(٤) سوء أدب مع الله تعالى؛ لأنها^(٥) قد تكون استدراجاً له، واعتباراً له حين ادعى الأدب مع ربه^(٦).

وكان^(٧) الشيخ محيي الدين^(٨) يقول: الأدب لمن أعطاه الله -تعالى-^(٩) حرف "كُنْ" ألا يتصرف بها، كما بسط الكلام على ذلك في الباب السابع والسبعين ومائة من "الفتوحات"^(١٠)، ثم لما تركوا التصرف بها أدباً ليكون الحق جعلها بالأصالة خاصة به أعطاهم بدلها لفظة "بسم الله الرحمن الرحيم"، فيكونون بها ما شاء، وأمن مشى على الماء والهواء ونحو ذلك، فكان التكوين بيسم الله راجعاً إلى الله تعالى، ظاهراً كما هو له باطن عند تصرفهم بها، وإنما استعملها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك نيابة للجواز، فقال: "كُنْ أبا ذر"^(١١)، فكان، وقال لعيسب من التحل: كُنْ سيقاً، فكان سيقاً، وفي ذلك إعلامٌ لحواص أصحابه^(١٢) ببعض أسرار الله تعالى. فإن قلت: لماذا خلق عبدٌ بإذن الله -تعالى- إنساناً لو فرض^(١٣)، فهل هو إنسانٌ

(١) (البقرة، الآية ٢٨٦).

(٢) قوله: "وهذا الخلق من جملة كسبها" ساقط من "٣".

(٣) (الأحكام، الآية ١٤٩).

(٤) "كُنْ"، "رُ"، "يكون"، وهو غير مستقيم؛ إذ الحديث عن سر "كُنْ".

(٥) "كُنْ"، "رُ"، "لأنه". (٦) "كُنْ"، "رَبِّه تعالى"، "رُ": مع الله تعالى.

(٧) "كُنْ"، "وقال"، وهذا لا يستقيم. (٨) "د"، "ز"، "رضي الله عنه".

(٩) "ب": تعالى" ليست فيها.

(١٠) عنوان هذا الباب: "في معرفة مقام المعرفة". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٤٤٧/٣.

(١١) العبارة هي الدين، وقد نقلها الشرحاني متصرفاً بها، ولها يقول محيي الدين: "وما كان" فهو من فعل الكلمة الواحدة لا من فعل الحروف، وخاصيته في الإيجاد، وله شروط، مع هذا تأدب لعسل الله مع الله، فجعلوا بذكره في الفعل "بسم الله"، وقد استعمله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك، وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده، وإنما أراد إعلام الناس من علماء الصحابة بمثل هذه الأسرار بذلك". انظر: الفتوحات المكية، ٤٥٢/٣. أما تخريج الحديث "كن أباً ذر" فهو في مستدرک الحاكم، ٥٠/٣، وابن حجر، الكافي الثاني في شريح الكشف، ٦٤٤، والبيهقي، دلائل النبوة، ٢٢٢/٥.

(١٢) "د"، "ز": "بعض حواص".

(١٣) "ب": "لو فرض" ساقطة.

أَوْ حَيَوَانٌ فِي صُورَةِ ظَاهِرِ جِسْمِ إِنْسَانٍ؟^(١) فإلجواب: الظاهر الثاني؛ لأننا لم نسمع إطلاق الإنسان إلا على بني آدم، وهذا ليس من بني آدم، ولا شك أن الله - تعالى -^(٢) قد أعجز الخلق كلهم أن يخلقوا ذباباً فضلاً عن صورة الإنسان التي هي أكمل الصور، ولكن، ذكر الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة^(٣) أنه رأى في كتاب "الفلاحة النبوية"^(٤) أن بعض العلماء يعلم الطبيعة كون من المني الإنساني يتعفن خاص على وزن مخصوص، واعتبار مقدّر من الزمان والمكان، إنساناً بالصورة الأدمية، وأقام سنة يفتح عينيّه ويُغلقهما^(٥)، ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيئاً، فمات بعد سنة أخرى^(٦)، قال الشيخ محيي الدين - رضي الله عنه -^(٧): فلا أدري^(٨) أكان إنساناً حكمه حكم أهرس، أو كان حيواناً آخر في صورة إنسان، انتهى^(٩)، وسبب الشك كونه من المني.

[وَجْهٌ إِضَافَةُ الْفِعْلِ إِلَى الْحَقِّ وَوَجْهٌ إِضَافَتُهُ إِلَى الْخَلْقِ]

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ - تعالى - قد أضافَ فعلَ السَّيِّئَةِ إِلَى الْعَبْدِ دُونَ الْحَسَنَةِ فِي قَوْلِهِ

(١) "د": قوله: "فهل هو إنسان أو حيوان في صورة ظاهري جسم إنسان" ساقط.

(٢) "ب"، "ز": "ولا بد أنه تعالى".

(٣) عنوان هذا الباب هو "في معرفة منزل الأخوة، وهو من الحضرة المحمدية والموسوية". انظر: هي الدين، الفتوحات المكية، ٢٠١/٥.

(٤) علم الفلاحة يعرف منه كيفية تدبير النبات من أول نشوئه إلى منتهى كماله، بإصلاح الأرض إما بالماء أو ببا يخلعها ويحببها من المغفات، وتختلف قوانين الفلاحة باختلاف الأقاليم، وهو ضروري للإنسان في معاشه، ومن لطائفه إيجاد بعض نتائج في غير لوانه، واستخراج بعض مسابله من غير أصله. أما كتاب الفلاحة النبوية فهو لأبي بكر بن وحشية، وهو أبو بكر أحمد بن علي الكليني، كان شعوبياً يهاجر بانتسابه إلى الأبياط أو إلى قدماء الأراميين، وهو عالم بالفلاحة والسحر والسموم، وله "السر والطلسمات"، و"السحر الكبير"، و"نزهة الأحاديث في ترتيب الأوقاف". انظر: ابن الدم، القهرست، ٤٣٣، وطائفي كبير، زاده، مفتاح السعادة، ٣٣٢/١، ٣٧٧، وعمر كحلقة، معجم المؤلفين، ٢١٢/١.

(٥) "د": "ويغلقهما".

(٦) "د"، "ك"، "ز": "أخرى" ساقطة.

(٧) "ك"، "ب"، "ز": "رضي الله عنه" ليست فيها.

(٨) "ك"، "ز": "يُدري".

(٩) الكلام هي الدين في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة، انظر: الفتوحات المكية، ٢٠١/٥.

- تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴿^(١)، فالجواب: إنما قال - تعالى -: ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾، لِتَعْلَمَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الأدب، يُضَيِّفُ الْفِعْلَ الْقَيِّحَ إِلَى نَفْسِهِ إِسْنَادًا لَا لِإِجَادَا، وَالْفِعْلَ الْحَسَنَ إِلَى سَيِّئِهِ، وَالْأَقْدَقُ قَالَ - تعالى-^(٢) قَبْلَ ذَلِكَ^(٣): ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾^(٤)، وَلَمْ يَزَلِ الْأَكْبَرُ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ يُضَيِّفُونَ الْفِعْلَ الْمَوْفُورَ^(٥) إِلَى أَنْفُسِهِمْ إِسْنَادًا لَا لِإِجَادَا^(٦)، قَالَ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -^(٧): ﴿ وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتْتُ فَهُوَ يُشْفِينِي ﴾^(٨) ﴿ إِسْنَادًا^(٩)، وَلَمْ يَقُلْ: "وَإِذَا مَرَضَنِي"، بَلْ أَضَافَ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ^(١٠)، حَيْثُ كَانَ مَكْرُوهًا لِلْقُورِ، وَأَضَافَ الشِّقَاءَ إِلَى رَبِّهِ لِكُونِهِ^(١١) مَحْبُوبًا لَهَا.

وكَذَلِكَ قَالَ السَّيِّدُ أَيُّوبُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -^(١٢): رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ^(١٣)، وَلَمْ يَقُلْ: رَبِّ مَسَّنِي بِالضُّرِّ^(١٤)، فَارْحَنِي^(١٥)، بَلْ حَفِظَ أَدَبَ الْخِطَابِ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُ الْخَضِرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾، فَأَضَافَ الْعَيْبَ إِلَى نَفْسِهِ لَمَّا كَانَ الْعَيْبُ لِكُرْهِ الْقُورِ إِضَافَةً إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ

(١) (النساء، الآية ٧٩).

(٢) "ك": "الله تعالى".

(٣) "ز": "قبل ذلك" ساقطة.

(٤) (النساء، الآية ٧٨).

(٥) "ز": "الموت"، وهو تصحيف، "ك": كتب السامع على هامش الورقة: "أي القبيح"، وما ورد في "ب": "المكسوة"، و"المسورف" الذي أصابته آفة، وقيل: إيف الطعام، فهو عفيف ومؤوف مثل عفيف، وقد إيف الزرع إذا أصابته آفة، فهو مؤوف. انظر: (اللسان، مادة "ؤوف".

(٦) "ب": قوله: "إسنادا لا إجادا" ساقطة.

(٧) "ك"، "ب"، "ز": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها.

(٨) "د"، "ك"، "ز": "إسنادا" ساقطة، (الشعراء، الآية ٨٠).

(٩) "د": "المرض" ساقطة.

(١٠) "د"، "ك": "حيث كان".

(١١) "ك"، "ب"، "ز": "عليه الصلاة والسلام" ليست فيها.

(١٢) ما ورد في التنزيل الحكيم: "وأيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر....".

(١٣) "ب": "مَسَّنِي الضَّرَّ".

(١٤) "د": قوله: "وَلَمْ يَقُلْ: رَبِّ مَسَّنِي بِالضَّرِّ، فَارْحَنِي" ساقطة.

أَنْ يَتَلَقَّا أَشَدَّ هُمًّا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً ۖ^(١)، حيثُ كَانَ ذَلِكَ مَحْبُوبًا إِلَى النَّفُوسِ.
 وإطالَ الشَّيْخُ مُحْسِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ^(٢) مِنْ "الفتوحات" فِي مَعْنَى
 قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "بَشَرُ الْخَطِيبِ أَنْتَ"^(٣)، لِيَسَمَّ جَمَعَ بَيْنَ اللَّهِ -تَعَالَى-
 وَرَسُولِهِ فِي ضَمِيرٍ وَاحِدٍ وَهَذَا بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَمَعَ نَفْسَهُ مَعَ رَبِّهِ
 فِي ضَمِيرٍ^(٤) فِي قَوْلِهِ: "مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَضِيَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى"^(٥). وَفِي
 قَوْلِ الْخَضِرِ^(٦) ۖ فَلَا زَوْتَ أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رُبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۖ^(٧)، فَرَاغَهُ^(٨)،
 فَادْبُ الْأَثْيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-^(٩) لَا يُقَاوِمُهُ أَدَبٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ أَطْلَعَ اللَّهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى مَا يُجْرِيهِ اللَّهُ -تَعَالَى-^(١٠) عَلَى يَدَيْهِ
 مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُسْتَقْبَلَةِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ، فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، أَطْلَعَ اللَّهُ -تَعَالَى-^(١١) عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةً
 مِنَ الْأَوْلِيَاءِ؛ كَأَبِي يُزَيْدَ الْبُسْطَامِيِّ، وَسَهْلٍ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ وَغَيْرَهُمَا^(١٢).

(١) (الكهف، الآية ٨٢).

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة أصول الركنان". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣٠٦/١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٤/٢٥٦، ٣٧٩، ومسلم في الصحيح، كتاب الجمعة (٤٨/٨٧٠)،

شرح صحيح مسلم، ٤٠٧/٦، وانظر حديث محيي الدين عن هذا الحديث في الفتوحات المكية،

٣١١/١.

(٤) "ك"، "ضمير" ساقطة، ولم سقط في "ك".

(٥) تقدم نظريته.

(٦) "ك"، "ر"، "الخصر" ساقطة.

(٧) (الكهف، الآية ٨١).

(٨) العبارة هي الدين، وفي ذلك يقول: "فإن قلت: فلم جمع بين الله وبين نفسه في ضمير التوكل، أعني

نَسَوْنَ "مَارَدًا"، وقال -صلى الله عليه وسلم- لما سمع بعض الخطباء، وقد جمع بين الله -تعالى- و

ورَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- في ضمير واحد في قوله: "وَمَنْ يَعْصِيهِمَا"، "بَشَرُ الْخَطِيبِ

أَنْتَ"، فاعلم أنه من الباب الذي قرناه، وهو أنه لا يضاف إلى الحق إلا ما أصافه الحق إلى نفسه،

أو أمر به رسوله، أو من أتاه علما من لدنه، كالخضر". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ١/

٣١١.

(٩) "ك"، "ب"، "ر"، "عليهم الصلاة والسلام" ليست فيها.

(١٠) "ب"، "تعالى" ليست فيها.

(١١) "ر"، "ك"، "الله تعالى" ليست فيها.

(١٢) تقدمت ترجمتهما.

وقال الشيخ محيي الدين^(١) في الباب الحادي والثلاثين وخمسمائة في مسألة خلق الأفعال أو كسبها^(٢): قد عملتُ على قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعَثُونَ فِيهِ﴾^(٣)، فصرتُ رقيباً على نفسي نيابةً عن الحق تعالى، ولم أزل أراقبُ آثارَ ربي التي يوردها على^(٤) قلبي في جميع حركاتي وسكناتي، وأقيمُ الوزنَ بين أمره ونهيهِ، وبينَ إرادتي لأرى مواقعَ الخلافِ والوفاءِ، وما جعلني كذلك إلا قوله^(٥) لمحمد -صلى الله عليه وسلم-: ﴿فَأَنْتَقِمَ كَمَا أَمَرْتُ﴾^(٦)، فكانَ يَجْهَدُ أَنْ تَكُونَ أفعاله تحتَ الأمرِ الإلهي، لا يُخالِفُه في شيءٍ حتى إنه قال: "شيتني هود وأحواتها"^(٧).

قال^(٨): ولم أزل أراقبُ آثارَ ربي حتى عرفتُ الأمرَ الإلهي الذي لا يُعصى، ومن هو المُخاطَبُ بذلك، وما هو الأمرُ الإلهي الذي يُعصى في وقتٍ ما، وذلك في الأوامر التي تكونُ بالواسطة^(٩)، فإنها هي التي تصحُّ أَنْ تُعصى لِغَلَبَةِ الْإِرَادَةِ عَلَى الْأَمْرِ، وهو على

(١) "د"، "ر" رضي الله عنه.

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة حال فطرب كان منزله ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأٍ وَمَا تَكُونُ مِنْهُ مِنْ قُرْبٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعَثُونَ فِيهِ﴾". انظر: محي الدين، الفتوحات لمكيه، ٢٥٦/٧.

(٣) (يونس، الآية ٦١).

(٤) "ك"، "ر": "يوردها على".

(٥) "د"، "ر": "تعالى".

(٦) (هود، الآية ١١٢).

(٧) للحديث روايات، منها: "شيتني هود وأحواتها"، و"شيتني هود والواقعة"، و"شيتني هود وأحواتها: الواقعة، والخافعة، وإذا الشمس كورت"، و"شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يسابلون وإذا الشمس كورت". كما نص الحديث الذي هو في المتن فقد أخرجه الترمذي في السنن، كتاب التفسير، (٣٣٠٨)، ١٩٣/٥، والحاكم الترمذي في نوارد الأصول، ٩٧/٢، والطبراني في الكبير، ٢٨٦/١٧، والمجلسي في مجمع الزوائد (١١٠٧٣)، ٨٢/٧، والسيوطي في الجامع الصغير (٤١٩١، ٤٩١٢)، ٨١/٢، والكلام في غيبي الدين في الباب الأحد والثلاثين وخمسمائة، ٢٥٧/٧.

(٨) "د"، "ك"، "ر": "قال الشيخ"، أي قال الشيخ محي الدين في الباب الأحد والثلاثين وخمسمائة من الفتوحات، ٢٥٦/٧.

(٩) "ب": "في الوساطة".

الحقيقة أمرٌ لفظيٌّ صوريٌّ، وهو صيغةُ أمرٍ لا حقيقةُ الأمر، وعلمتُ أيضًا بذلك المراقبةُ أنَّ المأمورَ بالأمر الإلهي الذي لا يُعصى إنما هو المُخاطَبُ من عينِ المُمكن الذي قالَ له الحقُّ: "كن"، فكان، وذلك هو الأمر الذي لا يعصيه المُخاطَبُ أبدًا، وغايةُ المكلفِ إليه محلُّ ظهورِ هذا المُكوِّن، كما أنَّ المُكوِّن هو محلُّ التكوُّن^(١).

قال^(٢): "وقَدْ أَطَّلَعَنِي اللهُ -تعالى- على مُشاهدةِ تكوينِ الأشياءِ في ذاتي وفي ذاتِ غيري^(٣) أعيانًا قائمةً ذاكرةً مُسَبَّحةً يحمِدُ ربُّها معَ كونِها يُطْلَقُ عليها اسمُ مُعصيةٍ وطاعةٍ، ولا علم^(٤) لها بما على المُكَلَّفِ بِسببِها، فَطَلَبْتُ مِنَ اللهِ -تعالى- أَنْ يُطَّلَعَني هلْ لِمُسَمًّى الْمُعْصِيَةِ عَيْنٌ وَجُودِيَّةٌ، أَوْ لَا عَيْنَ لِلذَّكَاءِ، وَهَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُسَمًّى الطَّاعَةِ فُرْقَانٌ، أَمْ الْحُكْمُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ؟ فَإِنَّ اللَّهَ"^(٥) لا يأمرُ بالفحشاءِ، ومعَ ذلك فلا يتكوَّنُ شيءٌ إلَّا بإرادتهِ وأمرِهِ، فهلْ لِلْمُعْصِيَةِ تَكْوِينٌ أَمْ لَا؟ فَأَطَّلَعَنِي -تعالى-^(٦) على أَنَّ مُسَمًّى السَّعْصِيةِ إِنَّمَا هُوَ تَرْكٌ، وَالتَّركُ لَا شيءَ وَلَا عَيْنَ لَهُ، فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَ مُسَمًّى الْعَدَمِ؛ إِذِ الْعَدَمُ اسْمٌ لَيْسَ تَحْتَهُ شيءٌ، وَلَا عَيْنٌ وَجُودِيَّةٌ، وَالشَّأْنُ مُنْصَوِّرٌ فِي أَمْرٍ"^(٧) "افْعَلْ"، وَهِيَ "لَا تَفْعَلْ"^(٨)، وَأَمَّا "اعْصُوا" فَلَمْ يَأْتِ بِهِ"^(٩) كِتَابٌ، فَغَيْرُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مَا هُوَ تَمَّ.

فإذا قيلَ لنا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١٠)، وَلَمْ تَفْعَلْ غَضَبْنَا، وَعَاقَبْنَا أَمْرٌ رَبُّنَا، فَلَيْسَ تَحْتَ قَوْلِنَا إِذَا غَضَبْنَا وَعَاقَبْنَا وَلَمْ تَفْعَلْ إِلَّا أَمْرٌ عَدَمِيٌّ لَا وَجُودَ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي

(١) "ك": قوله: "وكما أنَّ المكون" ماقطع. وانظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٥٧/٧.

(٢) القول محيي الدين من الباب نفسه، ٢٥٧/٧.

(٣) "ب"، "و" في غيري.

(٤) "ك"، "ز": "ولا على علم".

(٥) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٦) "ك"، "ب": "الله تعالى"، "ز": "فأطَّلَعَنِي اللهُ عَلَى...".

(٧) "ك": "في أمرين: فعل، وهي "لا تفعل".

(٨) "د"، "ب"، "ز": لا تفعل. وفي الفتوحات: "في أمر لا يعمل، وهي لا يتعل". انظر: الفتوحات المكية، ٢٥٧/٧.

(٩) "ك"، "ز": "ها".

(١٠) (البقرة، ٤٣، ٨٣، ١١٠، يونس، ٨٧، الروم، ٣١، المزمل، ٢٠).

الشَّيْءِ إِذَا قِيلَ لَنَا: "لَا تَفْعَلُوا كَذَا" مثل قوله: ﴿وَلَا تَغْتَبِ بِغَضُوكُمْ بَعْضًا﴾ ^(١)، فَلَمْ يَسْتَلْ بِهِ، فَإِنْ مَدْلُولُ "لَمْ" مَثِيلُ عَدَمٍ لَا وَجُودَ لَهُ ^(٢).

وَنَظِيرُ ذَلِكَ: احْفَظُوا فِرَاجَكُمْ، وَغَضُوا أَبْصَارَكُمْ ^(٣)، فَإِذَا لَمْ تُحْفَظْ، وَلَمْ تُغَضْ، فَلَيْسَ لِلذَّكَاءِ عَيْنٌ وَجُودِيَّةٌ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَغْتَبِ بِغَضُوكُمْ بَعْضًا﴾ ^(٤)، هُوَ لَا عَيْنَ لَهُ ^(٥) لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، فَإِذَا اغْتَبْنَا ظَهَرَ فِي مَحَلِّهَا عَيْنٌ مَوْجُودَةٌ أَوْجَدَهَا الْحَقُّ -تَعَالَى- ^(٦) بِالْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ وَالْقَوْلِ الْمَوْجُودِ فِي لِسَانِنَا عَلَى طَرِيقِ حَاصَّةٍ هِيَ ^(٧) الْغَيْبَةُ، فَمَثَلُ ذَلِكَ الْقَوْلُ فِي لِسَانِنَا ^(٨) أَمْرُ الْحَقِّ الْمَوْجُودَ لَهُ ^(٩)، وَلَمْ يُضَفْ إِلَيْهَا مِنْهُ إِلَّا كَوْنًا لَمْ تَمَثَّلْ لِنَبِيِّ، فَانْتَفَى عَنْ مَحَلِّهَا الْإِمْتِثَالُ، فَلَمْ يُوَاحِدْنَا الْحَقُّ -تَعَالَى- فِي الْوَحْيَيْنِ إِلَّا بِأَمْرٍ عَدَمِيٍّ، وَهُوَ تَرْكُ الْأَمْرِ وَالنَّبِيِّ، وَلَا يَدُلُّ لَنَا فِي كُلِّ نَفْسٍ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ، وَذَلِكَ الشَّانُ لَيْسَ لَنَا؛ إِذِ الشَّانُ الظَّاهِرُ فِي وَجُودِنَا ^(١٠) إِنَّمَا هُوَ لَهُ تَعَالَى ^(١١)، لَا لَنَا.

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَاصَّ ^(١٢) يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ الْحَقُّ -تَعَالَى- لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ خَالِقٌ لِأَنْعَالِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يُوَاحِدُهُمْ بِظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

وَقَالَ فِي الْبَابِ السَّادِسِ وَالسَّبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ^(١٣) مِنْ "الْفَتْوحَاتِ": كَيْتُ لَا أَزَالُ

(١) (الحجرات، الآية ١٢).

(٢) هنا ينسحب كلام محيي الدين في هذا الباب المذكور آنفاً، ٢٥٧/٧.

(٣) يأتي ذلك الأمر مصداقاً لقول الحق -تقدس اسمه-: ﴿قُلْ لِلَّهِ يُشْفَعُ مَنْ أَنْصَرَهُمْ وَتَقْتُلُوا فِرَاجَهُمْ﴾، (التور، الآية ٣٠).

(٤) (الحجرات، الآية ١٢).

(٥) "ب": قوله: "وكذلك القول في قوله: "ولا يغتب بعضكم بعضاً" ساقطة.

(٦) "ك"، "ز": "سبحانه وتعالى". (٧) "ز": "هو".

(٨) "ز": "لساننا" ساقطة. (٩) "د": "الموجد له".

(١٠) "د": "الوجود".

(١١) "ك"، "ز": "له تعالى". وانظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٥٧/٧.

(١٢) "د"، "ز": "رضي الله عنه"، "ك": "رحمه الله تعالى"، "ب": "رحمه الله تعالى" ساقطة.

(١٣) "ب": "الكتاب السادس والسبعين ومائتين"، وهو تصحيح صوابه ما ورد في المتن والفتوحات المكية، وعنوان هذا الباب "في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة". انظر: الفتوحات المكية، ٤/٤٦٠.

أنفي التجلّي في الفعل تارةً، وأنبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبُ الشكّيف؛ إذ^(١) كان الشكّيفُ بالعمل من حكيمٍ عليهم، ولا يصحُّ من الحكيم أن يقول لسنّ يعلم أنه لا يفعل؛ الفعل؛ إذ لا قدرة له على الفعل، وقد ثبت الأمر الإلهي بالعمل للعبد مثل "أقيموا الصلاة"، فلا بد أن يكون له في المتفعل عنه تعلقٌ من حيث الفعل به^(٢) يُسمى فاعلاً^(٣)، وإذا كان هذا واقعاً صحَّ وقوعُ التجلّي في الفعل بهذا القدر من النسبة، وبهذا الطريق كنتُ أنبته، وهو طريق^(٤) في غاية الوضوح يدلُّ على أن القدرة الحادثة^(٥) لها نسبةٌ صحيحةٌ تعلقُ بها ما كُلِّفتُ به، لا بدُّ من ذلك^(٦).

وأطال في ذلك^(٧)، ثم قال: وحاصله أن العبد ما صحَّت له نسبةُ الفعل إلا من كونِ الحقِّ - تعالى - جعله خليفةً في الأرض، ولو أنه - تعالى - جرَّد عنه الفعل لما صحَّ أن يكون خليفةً، ولما قبلَ التخلُّق بالأسماء. قال: وهذه القائدة مِمَّا تَهَيَّي عليها تلميذي بدر الحشني^(٨)، وفي نسخةٍ أخرى بتلميذي إسماعيل^(٩). قال: فلمَّا أفادها لي

(١) "ك"، "ز"، "إنا". (٢) "د" "هـ" "ب" "ساقطة".

(٣) العبارة في الفتوحات السكية: 'يسمى فاعلاً وعاملاً'.

(٤) "د"، "وهي طريق".

(٥) "ت"، "ك"، "ب"، "القدرة الاتحادية"، وإحالة تصحيحاً صوابه ما ورد في الفتوحات السكية و "ز".

(٦) انظر: محيي الدين، الفتوحات السكية، ٤/٤٦٤.

(٧) انظر: محيي الدين، الفتوحات السكية، ٤/٤٦٤.

(٨) هو بدر الحشني الخراساني البستي، قال عنه المناوي: "أحد أتباع الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، كان عبداً حبشياً وبه ابن عربي، وتبناه، وهذه واصطفاة، حتى صار من أكابر العارفين، ورؤوس الأولياء الراسمين، والعظماء الزاهدين". ومن وصايا محيي الدين له ما ذكره في الذبابة التي قال فيها:

يا بدر نادِ إلى المنادي	كُفَيْتَ فاشكر ضُرَّ الأعادي
قد جاءك النور فاعقله	ولا تخرج على السَّوادي
نظم بوصف الإله وانظر	إليه فرداً على انفساد
وحسن السمع لو تنادى	وحلص القول إذ تنادي

فيل إنه توفي في أواخر القرن السادس، وقبل حوالي سنة (٦٢٥هـ). انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ٤/٢٣٢.

(٩) "ز": العبارة: "وفي نسخة إسماعيل"، وفي نسخة الفتوحات التي بين يدي: "إسماعيل"، وعبارة محيي الدين: "ولقد نهى الولد العزيز العارف شمس الدين إسماعيل بن سوككين الثوري على أمر كان

وقد قال في الباب الثامن والستين وثلاثمائة^(١) من "الفتوحات" في قوله -تعالى-:
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٢)؛ الباء في قوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ بمعنى
اللام، أي للحق، نظير قوله -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)؛^(٤)
فإن الله -تعالى- لا يخلق شيئاً بشيء، وإنما يخلق شيئاً عند شيء طلباً لسر القدرة
الإلهية، ولذلك كان -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد نبع الماء من بين أصابعه^(٥) وضع كله
في ماء قليل سراً، وأدباً مع الله تعالى^(٦)، واقتداء به -تعالى- في السر، وإلا فالمخلوق
الأول الذي لم يتقدمه مادة مخلوق بلا شيء يتعين، ولم يزل الحق -تعالى- يخلق على
هذه الصفة، ولكن لما كثرت مشاهدة الأسباب المولدة ظن الناس أن الله -تعالى- يخلق
شيئاً بشيء، ومن هنا قالوا: إن الله^(٧) الفعل بلا آله، والفعل بالآلة مشياً على ما تواطأ
الناس عليه^(٨)، وإلا فاللائق بقدرة الله -تعالى- أن يخلق الأشياء بلا آله، ولو أنشأ الآلة
فهي مخلوقة لا تتحرك إلا إن حركها محرك، وهو الله^(٩) كسفاً ولعناً، والمخلوق
شهوداً^(١٠)، قال الله -تعالى-: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١١)، ففيها نفي أولية^(١٢)

(١) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل الأفعال مثل "أني" و"لم يأت" وحضرة الأمر وحده". انظر:
الفتوحات المكية، ٩٠/٦.

(٢) (الحجر، الآية ٨٥). (٣) (الذاريات، الآية ٥٦).

(٤) "أ"، "ب"، قوله: "من بين أصابعه" ساقط.

(٥) هذا من الأحاديث المشتهرة في مظان الحديث، ولقطة: "رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس وضوحاً فلم يجدوا، فأوتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
بوضوء، فوضع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك الإماء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا،
قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس...". وفي رواية أخرى: "كنت أرى شعبون
تسبع من بين أصابع رسول الله". أخرجه أحمد في المسند، ١٣٢/٣، ٣٤٣، ومالك في الموطأ،
كتاب الطهارة (٣٢)، ٦٠، ومسلم في كتاب الفضائل (٤، ٥)، (٥٩٠٠)، ٤٠/١٥، والسنائي في
السنن، كتاب الطهارة، ٦٠.

(٦) "ك"، "ب"، "ز": "إن لله تعالى".

(٧) "ك"، "ز": "على اعتباره"، "ب": "اعتباره".

(٨) "ك"، "ز": "الله تعالى". (٩) "د": "والمخلوق مشهود".

(١٠) (البقرة، الآية ٢١).

(١١) "ك"، "ز": "الوهمية".

الأسباب.

قَالَ الشَّيْخُ مُحِبِّي الدِّينِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-^(١): وَكُلُّ بَاءٍ^(٢) تَقْتَضِي الْإِسْتِعَانَةَ أَوْ السَّيِّئَةَ فِيهِ "لَامٌ"، فَإِذَا اخْتَرْنَا الْحَقَّ -تَعَالَى- بِأَنَّهُ خَلَقَ شَيْئًا بِشَيْءٍ فَتِلْكَ الْبَاءُ "لَامٌ"^(٣)، فَعَيْنُ خَلْقِهِ هُوَ عَيْنُ الْحِكْمَةِ، وَلَا يَتَّبِعِي أَنْ يُعْلَلَ بِالْحِكْمَةِ كَمَا مَرَّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ مُعْلُولًا عَنْهَا، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ نَقِيسٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ الْحَقَّ خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدْ تَرَكَهُمْ لَا يُبَالِي]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى- فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ: "هُوَ لَا لِلْجَنَّةِ وَلَا أُولَاهِ، وَهُوَ لَا لِلنَّارِ وَلَا أُولَاهِ"^(٤) عِلَافَ الْمُرَادِ، وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- مِنْ حِينِ خَلَقَ الْخَلْقَ^(٥) تَرَكَهُمْ وَلَمْ يُبَالِ^(٦) بِهِمْ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا فِيهِمْ هَذَا الْمَحْجُوبُ لَمَا وَقَعَتِ الْمُواخَذَةُ بِالْجَرَائِمِ، وَلَا وَصَفَ الْحَقُّ -تَعَالَى- نَفْسَهُ بِالْقُضْبِ^(٧) عَلَى قَوْمٍ، وَلَا^(٨) قَالَ -تَعَالَى-: ﴿إِنْ تَبْشُرْ رَبِّكَ لِشِدْدَتِهِ﴾^(٩) ٤^(١٠)، وَلَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ مُحَرَّمَةً عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمُبَالَاهِ بِهِمْ، وَالتَّهَمُّ بِأَمْرِ الْمُواخَذَةِ، فَلَوْلَا الْمُبَالَاهُ مَا كَانَ هَذَا الْحُكْمُ، فَلِلْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ مَوَاطِنُ إِذَا عَرَفْنَا أَهْلَهَا لَمْ نَتَعَدَّ بِكُلِّ حُكْمٍ مَوْظِعَهُ، فَلَمْ

(١) "ك"، "ب"، "ز": "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" ليست فيها.

(٢) "ب"، "ز": "م"، وهو تصحيف.

(٣) العبارة في الفتوحات: "وَالسَّاءُ هُنَا بِمَعْنَى اللَّامِ، وَلِهَذَا قَالَ -تَعَالَى- فِي شَامِ الْأَيَةِ: "تَعَالَى عَمَّا يَشْرَكُونَ"، مِنْ أَجْلِ شِبَاءٍ....، وَكَذَلِكَ: مَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا بِالْحَقِّ، أَيْ بِالْحَقِّ، فَالْإِلَاحُ الَّتِي نَابَسَتْ إِلَاحًا هُنَا مَعَهَا عَيْنُ اللَّامِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ "يَعْبُدُونَ"، فَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِلْحَقِّ، وَالْحَقُّ أَنْ يَعْصِيَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: "وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرَكُونَ"، وَالشَّرْكَ هُوَ الظُّلْمُ الْعَظِيمُ. انْظُرْ: عَمِي الدِّينِ، الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ٩٠/٦.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) "أ"، "ب": "مِنْ حَيْثُ"، "ك"، "ز": "مِنْ حِينِ الْخَلْقِ...".

(٦) "ب": "لَا يُبَالِي".

(٧) "ب": "قَوْلُهُ: "كَانَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا فِيهِمْ هَذَا الْمَحْجُوبُ لَمَا وَقَعَتِ الْمُواخَذَةُ بِالْجَرَائِمِ، وَلَا وَصَفَ الْحَقُّ -تَعَالَى- نَفْسَهُ بِالْقُضْبِ" سَائِطٌ.

(٨) "ك"، "ب": "وَلَا" سَائِطَةٌ.

(٩) (البروج، الآية ١٢).

تَنَاقَضَ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ، وَأَمَّا عَدَمُ مِبالَاةِ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ فَهُوَ لِكَوْنِ رَحْمَتِهِ سَبَقَتْ غَضَبُهُ.

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْمَرْصُفِيَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-^(١) يَقُولُ: الْجَنَّةُ دَارُ جَمَالٍ وَأَمِنْ^(٢) وَسِرٍّ^(٣) إِلَهِي لَطِيفٌ، وَأَمَّا النَّارُ فَهِيَ دَارُ جَلَالٍ وَجَبْرُوتٍ وَقَهَرٍ^(٤)، وَلِذَلِكَ خَلَقَهَا اللَّهُ -تَعَالَى-^(٥) بِطَالِعِ الْأَسَدِ الَّذِي يَقْهَرُ الْحَيَوَانَ وَيَقْتَرِسُهُ، فَالْأَسْمُ "الرَّبُّ" مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْمُ "الْجَبَّارُ" مَعَ أَهْلِ النَّارِ أَبَدَ الْأَبَدِينَ، وَذَهَرُ الظَّاهِرِينَ، فَهُوَ -تَعَالَى- يَنْجَلِي لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِالْجَمَالِ الصَّرْفِ، وَلِأَهْلِ الدُّنْيَا^(٦) بِالْجَلَالِ الْمَزْجُوجِ بِالْجَمَالِ^(٧)، فَإِنَّهُ^(٨) -تَعَالَى- نَوَّجَلَى لِأَهْلِ الدُّنْيَا بِالْجَلَالِ الصَّرْفِ لَنَدَبُوا كَأَهْلِ النَّارِ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ نَفْسِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ أَنْ حُكْمَ الْإِلَهَامِ فِي التَّقْوَى وَالْفَجْرِ وَاحِدٌ]

وَمِمَّا أَحْبَبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿ فَالْتَمَسْنَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾^(١) ﴿ أَنْ حُكْمَ الْإِلَهَامِ^(٢) فِي التَّقْوَى وَالْفَجْرِ وَاحِدٌ عَلَى حَدِّ سِوَايَ، فَالْجَوَابُ^(٣) : قَدْ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾^(٤)، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: فَالْتَمَسْنَا فَجُورَهَا لِنَعْلَمَ فَتَحْتَبِيهِ، وَلَا نَعْمَلْ بِهِ، وَاهْتَمَسْنَا تَقْوَاهَا لِنَعْلَمَهُ فَتَلَازِمَهُ، وَلَا تَتَرَكَ الْعَمَلُ بِهِ، أَشْبَهَى.

وَهُنَا دَقِيقَةُ لَطِيفَةٍ^(٥)، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- كَمَا لَمْ يَأْمُرْ بِالْفَحْشَاءِ، كَذَلِكَ لَا يُرِيدُهَا، بَيَانُ كَوْنِهِ لَا يُرِيدُهَا أَنْ كَوْنَهَا فَاحِشَةٌ مَا هُوَ عَيْنُهَا، وَإِنَّمَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ^(٦) فِيهَا،

(١) "ك": "ز": "رحمه الله تعالى".

(٢) "د": "ك": "ز": "وتنزل إلهي لطيف".

(٣) "ك": "تعالى" ليست فيها.

(٤) "ت": "بالكسالة"، "ز": "بالجلال المزوج بالجمال".

(٥) "ز": "فإنه تعالى".

(٦) "ب": "إن الإلهام".

(٧) (الأعراف، الآية ٢٨).

(٨) "د": "الله تعالى".

(٢) "ب": "ك": "ز": "أسمى".

(٤) "د": "دار جلال وقهر".

(٦) "ب": "ز": "ولأهل النار".

(٩) (الشمس، الآية ٨).

(١١) "ك": "ز": "والجواب".

(١٣) "ك": "اللطيفة خفية".

وحكم الله في الأشياء غير مخلوق، وما لم يجر^(١) عليه الخلق لا يكون مُراداً للحق تعالى؛ لأن تلك الإرادة لا تتوجه على القديم، ومن هنا كان القرآن^(٢) قديماً؛ لأنه كله حكم^(٣) الله^(٤)، فيقال: إن الله - تعالى - يريد إدخال الذكر في فرج الزانية، ولا يقال: أراد ذلك من حيث كونه^(٥) فاحشةً وحراماً؛ لأنهما حكمان لله تعالى، فانهما، وقد قلب مني الشيخ ناصر الدين النقي المالك^(٦) - رضي الله عنه - كتابة هذا الكلام، وقال: هذا كلام يُكتب بنور الأحقاد، انتهى، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمٌ فِي مَعْنَى "إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"]

ومِمَّا أُجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ - تعالى - في الحديث القدسي: "إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"^(٧)، وفي رواية "غَلَبَتْ غَضَبِي" أَنَّ مَعْنَى السَّبَقِ وَالْغَلَبَةِ انْتِهَاءُ مَدَّةِ الْغَضَبِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، وَدَعْوَتُهُمْ فِي الرَّحْمَةِ^(٨) وَالْجَنَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَجُوزُ

(١) "ب": "يجر".

(٢) "ك"، "ب"، "ز": "القرآن العظيم".

(٣) "د"، "ك"، "ز": "أحكام الله".

(٤) "ك": "الله تعالى".

(٥) "و": قوله: "فيقال إن الله تعالى" ساقط.

(٦) "أ": قوله: "من حيث كونه" ساقط.

(٧) هو أبو عبد الله ناصر الدين محمد النقي المصري المالكي المتوفى سنة (٩٥٧هـ)، وقيل سنة (٩٥٨هـ)، صنف حاشية على "شرح جمع الجوامع" للمصنف في الأصول، وحاشية على "شرح التصريف" للزنجاني. انظر ترجمته: البغدادي، هدية العارفين، ٢٤٤/٦، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٢-١٣/١٧٤، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٦١١/٣.

(٨) "ك"، "ز": "سبق غَضَبِي"، والحديث بنصه: "إن الله عز وجل لما خلق الخلق كتب يده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي". أخرجه البحاري في الصحيح، كتاب التوحيد (الباب ٢٥٠/١٢٥١)، ٨٣٨/٨، وبند الخلق (الكتاب ١٣٥٨/٨٧٨)، ٥٤٤/٤، والإمام أحمد في المسند، ٢٤٢/٢، ٢٥٨، ومسلم في الصحيح، كتاب التوبة، الباب ٤، (١٦-١٧/٢٧٥١)، شرح صحيح مسلم، ٧٤/١٧، وابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، (٤٢٩٦)، ٥١٤/٤، والترمذي في السنن، كتاب الدعوات، (٣٥٥٤)، ٣٢٠/٥، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٦٠٠/١، ٤٣/٢، وجامع الأحاديث القدسية، كتاب رحمة الله (٦٧٥)، ٣١٢/٢.

(٩) "ك"، "ز": "الرحمة" ساقطة.

اعتقاده بإجماع المسلمين في حق أهل الخلود في النار^(١)، وقد قال الشيخ محيي الدين -رحمه الله-^(٢) في "الفتوحات": "إِنَّكَ أَنْ تَقْبَلَهُمْ بِأَخِي مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا بُدَّ أَنْ تَنَالَهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ، فَمَ يُخْرِجُونَ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ أَنْ مُرَادَهُمْ بِأَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُمْ بِذَلِكَ عُصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ، فَإِنَّكَ وَالْعَلْفُ".

[الدسُّ على الشيخ محيي الدين والشعراني]

وكذلك قال الشيخ عبد الكريم الجبلي^(٣) في شرحه لباب الأسرار من "الفتوحات المكية"، فقال: "إِنَّكَ أَنْ تَطْعُنَ بِالشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ أَوْ غَيْرِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِإِخْرَاجِ الْكَافِرِ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّ ذَلِكَ ظَنٌّ فَاسِدٌ، وَقَدْ قَالَ فِي عَقِيدَتِهِ الصُّغْرَى أَوَّلُ "الفتوحات"^(٤): "وَيَحْتَقِدُ تَخْلِيدَ الْكَافِرِينَ فِي الْعَذَابِ الْمُهَيَّنِ أَبَدَ الْأَيَّامِ، وَذَهَرَ الْتَاهَرِينَ، كَمَا صَرَّحَ بِتَخْلِيدِ فِرْعَوْنَ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يُخْرَجُ مِنْهَا أَبَدًا خِلَافَ مَا أَشَاعُوهُ عَنْهُ، وَإِنْ وَجِدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ "الْقُصُوصِ" أَوْ غَيْرِهِ فَهُوَ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِ"^(٥)، دسُّه بعضُ السَّالِحَةِ لِتَرْوِجِ أَمْرِهِ بِإِضَافَتِهِ إِلَى

(١) "٣": قوله: "في حق أهل الخلود" ساقط. "ك": العبارة: "في حق أهل النار"، "ب": "حق أهل" ساقط.

(٢) "ك"، "ز": "الله تعالى".

(٣) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الصوفي الجبلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجبلي، ولد سنة (٧٦٧هـ)، وتوفي سنة (٨٣٢هـ)، وقبل سنة (٨٢٠هـ)، من علماء التصوفة المتكسرين في التصنيف، له "شرح مشكلات الفتوحات المكية"، و"حقيقة اليقين وزلفة الشكوك وعمارة الدين"، انظر ترجمته: البغدادي، هدية العارفين، ٦١٠/٥، وثرؤكلي، الأعلام، ٥٠/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٤٨/١٢، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٢٠٤/٢.

(٤) لسان ألوفا وهو يترجم عن عقيدته: "والشَّائِدُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي الْعِيمِ الْعَقِيمِ فِي الْجَنَّةِ حَقٌّ، وَالشَّائِدُ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ حَقٌّ". انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٦٥/١.

(٥) "ك": "في القصص".

(٦) جاء في كتاب "القصص" ما نصه: "وكان قرعة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند القرع، فقبضه مطعرا مطعرا ليس شيء من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يتكسب شيئا من الآثام، والإسلام يجب ما قبله، وجعله آية على عنايته سبحانه لمن شاء حتى لا يياس أحد من رحمة الله ﴿وَإِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رُوحِ إِلَهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف، ٨٧)، ولو كان فرعون ممن يياس ما يبادر إلى الإيمان". انظر: فصوص الحكيم، (القصص الموسوي: نص حكمة علوية في كلمة موسوية)، ١٨٧-١٨٨. وأحسب أن القول مدسوس عليه لما جاء به في عقيدته أول الفتوحات وما في أبوابها.

الشيخ، واعتقاد الناس فيه، وفي غزارة عليه، أو لينفّر الناس عن مطالعة كلامه كما هو الغالب من الحسنة، فإذا رأوا مؤلفاً لبعض أقرانهم مدحه الناس، وتلقّوه بالقبول، ربما غلبهم الحسد، ودسّوا فيه أموراً تخالف ظاهر الشريعة كما فعلوا ذلك في كتابي المسنى بس البحر المورود في المواليق والعهود، ووقع بذلك فتنة عظيمة في جامع الأزهر وغيره، ولولا أنني أرسلت لهم النسخة الصحيحة السالمة من النسخ التي عليها خطوط مشايخ الإسلام ما سكنت الفتنة، ولكن جزاهم الله - تعالى -^(١) عني خيراً في إنكارهم عليّ بتقدير صحة نسبة ذلك إليّ، فلم ثواب قصدهم وثبتهم.

هذا أمر وقع لي، وقد رأيت كتاباً كاملاً صنّعه بعض الملاحدة، ونسبه إلى أبي حامد الغزالي (يرجى بذلك بدعته، فظفر به الشيخ عز الدين بن جماعة^(٢))، وكسب على ظهير الكتاب: كذب والله والفري من أضاف هذا الكتاب إلى حجة الإسلام رضي الله تعالى عنه، فيحتمل أن تكون هذه المواضع التي انتقدت على الشيخ محي الدين في كتاب "الفتوحات" و"القصص" دسها عليه بعض الحسنة، لما لا أن تضيف إلى الشيخ محي الدين^(٣) ما يخالف ظاهر الشريعة، فإنه إمام المحققين.

وقد قال في "الفتوحات": أعلم أن أهل الجنة وأهل النار مخلّدون^(٤) فيهما أبداً الأبدين^(٥)، لا يخرج أحد منهم من داره أبداً، وأما عصاة الموحدين فيخرجون من النار

(١) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٢) هو عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنتاني، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ولد سنة (٦٩٤هـ)، ولي قضاء الديار المصرية، وقد بلغ عدد شيوخه ألفاً وثلاثمائة، تلمذ على والده، والحمال الوهيزي، وأخذ عن أبي حيان، وحدث وصنف وحاور بالحجاز، فمات سنة (٧٦٧هـ)، ودفن بالمجون، انظر ترجمته: أبي حجر، الدرر الكامنة، ٢٣٠/٢، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١٩٤٠، وابن الصناد، شذرات الذهب، ٢٠٨/٦، والسبكي، هدية العارفين، ٥٨٢/٥، والزركلي، الأعلام، ٢٦/٤، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٠-٢٧٦/١١، وعمر كحلقة، معجم المؤلفين، ١٦٦/٢.

(٣) "د": "رضي الله عنه".

(٤) "ز": "يخلّدون"، "ب": "مخلّقون"، وصوابه ما ورد في المتن.

(٥) "ك": "ز"، "و"دهر الناهرين".

بالخصوص المتواترة^(١)؛ إذ النار يطعها لا تقبلُ حلودٌ مُوحَّدٌ أبدًا^(٢)، كما أنها يطعها لا تقبلُ^(٣) خروجَ أحدٍ من أهلها منها أبدًا لأنها خلقت من غضبِ السَّرمدي، هذا اعتقادُ الجماعةِ إلى قيام الساعة، انتهى. فاعلم ذلك.

وقد ذَكَرَ الشَّيْخُ في البابِ الرَّابِعِ والأربعينِ وثلاثمائة^(٤) في حديث: "وَرَحِمَتِي سَقَتْ غَضِي"^(٥)، وفي حديثِ الترمذي وغيره: "أمتي أمةٌ مرحومةٌ ليسَ عليها في الآخرةِ عذابٌ"، وإنَّ عذابها في الدُّنيا الزَّلَازِلُ والفتن^(٦)، وفي رواية: "عذابُ أمتي في دُنياها الزَّلَازِلُ والفتن"^(٧)، وفي حديثِ الطبراني مرفوعًا: "الحُمَى حَطُّ كُلِّ مُوحَّدٍ"^(٨) من النَّارِ^(٩)، وقال ما نصه^(١٠): اعلم أن مُرادَ الشارعِ^(١١) بهذه الرَّحمةِ الخاصَّةِ بالمُوحَّدين، ومعنى ليسَ

(١) يستند ذلك قوله أول كتاب الفتوحات: "وأحراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق، وجماعة من أهل الكيثار المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق". انظر: محي الدين، الفتوحات المكية، ٦٥/١.

(٢) "ك": "أبدًا" ساقطة.

(٣) "د": قوله: "حلودٌ مُوحَّدٌ أبدًا، كما أنها يطعها لا تقبلُ" ساقطة.

(٤) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل سريين من أسرار البعقعة، وهو من الحضرة المحمدية". انظر: الفتوحات المكية، ٢٥٩/٥.

(٥) تقدم تحرير الحديث قبلًا، وانظر حديث محي الدين عنه في الفتوحات المكية، ٢٥٩/٥ - ٢٦٠.

(٦) للحديث روايات مختلفة، وقد أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط في موضعين (٩٤٧)، (٤٠٥٥)، ١٢/٣، ونصه: "إن أمتي أمةٌ مرحومةٌ لا عذابَ عليها، وإنما عذابها في الدنيا الزَّلَازِلُ والفتن والقتل"، ومن روايات الحديث: "أمتي أمةٌ مرحومةٌ قد رفع عنهم عذابُ إلا عذابهم أنفسهم بأيديهم". أخرجه أحمد في المستدرك، ٤١٨/٤، وأبو داود في السنن، كتاب الفتن، ٧، والطبراني في المعجم الأوسط (٩٧٤)، والمحيشي في مجمع الزوائد، كتاب الفتن (١١٩٨٥)، ٣٢٥/٧، والسيوطي في الجامع الصغير (١٦٢٢)، ٢٤٨/١.

(٧) "ب": الرواية الثانية للحديث ليست فيها.

(٨) "ك"، "ز": "مؤمن".

(٩) الحديث عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عنه شرف الدين الديلمي: "رواه الزائر بإسناد حسن". انظر: المحيشي في مجمع الزوائد، ٣٠٦/٦، والمجلوني في كشف الحقائق، ٣٦٦/١، والديلماسي في المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، باب الحمى (١٨٠٧)، والسيوطي في الجامع الصغير (٣٨٤٨)، ٥٩٣/١.

(١٠) "ك": "ما نصه" ساقطة، "ز": "وقال" ساقطة.

(١١) "ك"، "ب": "أشارع صلى الله عليه وسلم".

عليها في الآخرة عذاب": أي: مُسرَّمٌ عليهم، بدليل الآيات والأخبار الواردة في دخول طائفة من عصاة الموحدين النار^(١).

قال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة^(٢) في حديث "ينادي السَّادِي حين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: يا أهل الجنة، خلّوْا بِلَا مَوْتٍ، ويا أهل النار، خلّوْا بِلَا مَوْتٍ" ما نصّه^(٣): اعلم أنه إذا وَقَعَ هنا النداء ارتفع الإمكان من قلوب أهل الجنة من وقوع الخروج منها، وكذلك يرتفع الإمكان من قلوب أهل النار من توقع خروجهم منها، فبأنها من حسرة ما أعظمها، قال: وتُغلق أبواب النار حينئذٍ غَلَقًا لَا تَنْفَعُ بِهِذِهِ الْيَدَيْنِ، وَتَصِيرُ الْخَلْقُ فِي النَّارِ كَقَطْعِ اللَّحْمِ^(٤) التي جعلت في السماء^(٥) في قَفْرِ، ثُمَّ أَجْبَتَتْ نَحْبَهَا نَارٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى صَارَتْ صَاعِدَةً هَابِطَةً^(٦)، والحمد لله رب العالمين.

وقد بسطنا الكلام على أهل الجنة والنار^(٧) وعلى أحوالهم في الدارين أوامر

(١) عبارة يحيى الدين في هذا الباب الذي نقل منه الشعراني: "كنت جالسا عند ابن زياد وعنده عبد الله بن يزيد، فجعل يأتني برؤوس الخوارج، قال: وكانوا إذا مروا برأس قلت: إلى النار، قال: فقال لي: لا تفعل يا ابن أخي، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: يكون عذاب هذه الأمة في دنياها....، فإن الملائكة تطفح يوم القيامة، يقول الله: شلعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين، فيشفع عند شديد العقاب والمستقيم، وهذا من باب شفاعة الأسماء الإلهية، فيخرج من النار كل موحد ووحيد الله من حيث علمه لا من حيث إيمانه، وما له عمل خير غير ذلك، لكنه عن غير إيمان، فلذلك اختص الله به، وهذا الصنف من الموحدين هم الذين شغلوا مع شهادة الله سبحانه والملائكة أنه لا إله إلا هو". انظر: يحيى الدين، الفتوحات المكية، ٢٦٠/٥.

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة سر وثلاثة أسرار لوحية أمية محمدية"، انظر: الفتوحات المكية، ٦/١٧٨.

(٣) ليس نقل الشعراني نصبا البتة، فقد تصرف بالمعارضة، وقد ورد قول يحيى الدين في الفتوحات، ٦/٢١١. والحديث طويل لنقله، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، ٨٢٢، (١٤١٣)، ٤٩٧/٨، وأحمد في المستدرك، ١١٨/٢، ٩/٣، ٣٣٠، ومسلم في الصحيح، كتاب الجنة وتبصيرها، ١٠/٤٠، (٧١١٠)، ١٧/١٨٣، والترمذي في الصحيح، كتاب الجنة، (٢٠)، (٢٥٢٦)، ٢٥١/٤.

(٤) "ك"، "ز"، "اللحم".

(٥) "ب"، "النار"، ولعل ما أتيت في المتن هو الأعلى.

(٦) انظر: يحيى الدين، الفتوحات المكية، ٦/٢١١.

(٧) "د": "أهل الجنة"، وما أتته من النسخ الأخرى واليوافق والطواهر.

كتاب "اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر" (١)، والحمد لله رب العالمين.

[توهم في معنى "بادرني عبدي"]

ومِمَّا أُجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ حَدِيثِ "بَادِرْنِي عَبْدِي" (٢) فِيمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ أَنْ الْعُرَادُ أَنْ اللَّهَ -تعالى- أَرَادَ حَيَاتَهُ، وَأَرَادَ هُوَ مَوْتَ نَفْسِهِ، فَقَلَّبَ قَاتِلُ نَفْسِهِ الْإِرَادَةَ الْإِلَهِيَّةَ، وَالْجَوَابُ أَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ مِثْلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَجْهَلُ الْجَاهِلِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا بَادَرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ إِلَّا بِإِرَادَةِ (٣) اللَّهِ السَّابِقَةِ فِي الْأَزَلِّ بِأَنْ يَقْتُلَ هُنَا نَفْسَهُ، ثُمَّ يُذْخِلَهُ اللَّهُ (٤) النَّارَ إِنَّ شَاءَ (٥)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَضُمَّ أَحَدٌ أَنَّهُ بَادَرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ مُسْتَقِلًّا بِذَلِكَ دُونَ إِرَادَةِ اللَّهِ -تعالى- لَهُ ذَلِكَ، فَانْهَمِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ غَالِبَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ دَائِرَةٌ مَعَ حُكْمِ الْأَمْرِ، وَأَمَّا الْإِرَادَةُ فَهِيَ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ؛ إِذْ لَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ فِي الْوُجُودِ، وَلَا تَسْكُنُ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ هُنَا قَالُوا: لَوْ أَنَّ الْقَدَرَ وَلَا نَحْتَجُّ بِهِ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ لَهَا الْقُدْرَةُ عَلَى التَّوَلُّدِ بِمَا يَخَالِفُ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ، أَوْ بِمَا يُوَافِقُهُ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا بِأَجَلِهِ حِينَ انْتِهَائِهِ، لِقَوْلِهِ -تعالى-: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (٦).

لِإِنْ قَالَ قَاتِلٌ: فَإِذَا كَانَ أَحَدٌ لَا يَمُوتُ إِلَّا بِأَجَلِهِ (٧) سِوَاهُ قَتْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَتَقَبُّهُ (٨) بِمَرْضَى، أَوْ فُجَاءَةً، فَكَيْفَ تَقْتُلُونَ مَنْ قَتَلَهُ؟

(١) انظر: الشعرائي، اليواقيت والجواهر، في السبعث الحادي والسبعين: "في بيان أن الجنة وأشار حق، وأنها مخلوقة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام"، ٦١٦/٢.

(٢) قصة الحديث أن رجلاً كان به جراح، فقتل نفسه، فقال الله -عز وجل-: "بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة"، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس ٥٨١/٢، (١٢٧١/٨٦٨).

(٣) "د": "يُذِلُّ اللَّهَ".

(٤) "ك": "اللَّهُ تَعَالَى".

(٥) "أ": "إِنْ شَاءَ" ساقطة. "ك": "إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى"، وجل العبارة ساقطة من "ز".

(٦) (الأعراف، الآية ٣٤).

(٧) "ب": "قوله: "حين انتهائه، لقوله تعالى: "فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"، فإن قال قاتل: فإذا كان أحد لا يموت إلا بأجله" ساقط.

(٨) "د": "نفسه".

فالجوابُ أن ذلكَ من حُكْمِ اللَّهِ أَيْضًا لَا مِنْ حُكْمِنَا، فكَانَ -تعالى- قَالَ لَنَا: مَنْ قَتَلَ أَحَدًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ شَرْعِيٍّ فَنَقَلُوهُ، فَقُلْنَا: سَمِعْنَا وَطَاعَ، فَكَمَا انْتَهَى ^(١) أَجَلَ ذَلِكَ الْمَقْتُولِ بِقَتْلِ الْقَاتِلِ، كَذَلِكَ انْتَهَى أَجَلَ هَذَا الْقَاتِلِ بِقَتْلِهِ لَهُ، وَلَا لَوْمْ عَلَى مَنْ امْتَنَلْ أَمْرُ رَبِّهِ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ نَفْسٌ كَمَا بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهِ أَوَّاهُ كِتَابِ "الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ"^(٢)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[تَوْهَمُ حَقِيقَةِ الرُّوحِ]

وَمِمَّا أَجِبْتُ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ^(٣) أَنَّ الرُّوحَ قَدِيمَةً، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا مِنْ أَمْرِ رَبِّنَا أَنْ تَكُونَ قَدِيمَةً^(٤)، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْكَشْفِ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِكَوْنِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ -تعالى- أَنَّهَا وَجَدَتْ عَنْ عِطَابِ الْحَقِّ -تعالى- بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، كَمَا قِيلَ فِي عِيسَى -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ -تعالى-، فَإِنَّهُ وَجِدَ عَنْ تَفْعِ اللَّهِ -تعالى-^(٥) كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ بِلا وَاسِطَةٍ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ. وَذَهَبَ الْإِمَامُ إِلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ^(٦)، أَيُّ: مِنْ عَالَمِ غَيْبِهِ، فَإِنَّ عَالَمَ الْأَمْرِ عِنْدَهُ هُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ، وَعَالَمُ الْخَلْقِ عِنْدَهُ هُوَ عَالَمُ الشَّهَادَةِ، حَكَى ذَلِكَ عَنْهُ الشَّيْخُ مُحَبِّبُ الدِّينِ فِي "الْفَتْوحَاتِ"، ثُمَّ قَالَ: وَالْأَمْرُ عِنْدَنَا هُوَ بِخِلَافِ مَا قَالَ الْغُرَّالِيُّ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَوْجَدَهُ الْحَقُّ -تعالى- بِلا وَاسِطَةٍ فَهُوَ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ، قَالَ لَهُ الْحَقُّ -تعالى-: "كُنْ"، فَكَانَ، وَكُلُّ مَا أَوْجَدَهُ الْحَقُّ -تعالى- بِوَاسِطَةٍ، فَهُوَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ^(٧).

(١) "ك"، "ز"، "لِكَمَا أَنْ انْتَهَى..."

(٢) مَا حَاصَ فِي السِّمْعِ بِمِيسِجَا "الْجَوَاهِرِ وَالْيَوَاقِيتِ"، وَذَلِكَ وَهْمٌ وَتَحْرِيفٌ لِانْتِفَاءِ سَجْمَةِ عَنَوَانِ الْكِتَابِ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَبِثُّ فِي كِتَابِ الشَّعْرَانِي، "الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ"، فِي الْمَبِثِّ الْخَادِي وَالسَّنِينِ، "لِي يَسِيانَ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ أَهْلِهِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ فِي الْأَزَلِ انْتِهَاءَ حَيَاتِهِ فِيهِ بِقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ"، ٥٤١/٢.

(٣) (الْإِسْرَاءُ: آيَةُ ٨٥).

(٤) "ب": قَوْلُهُ: "وَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا مِنْ أَمْرِ رَبِّنَا أَنْ تَكُونَ قَدِيمَةً" سَاقِطٌ.

(٥) "ك"، "ز"، "تَفْعِ الْحَقِّ تَعَالَى".

(٦) (الْإِسْرَاءُ: آيَةُ ٨٥).

(٧) "ب": قَوْلُهُ: "بِلا وَاسِطَةٍ فَهُوَ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ، قَالَ لَهُ الْحَقُّ تَعَالَى "كُنْ"، فَكَانَ، وَكُلُّ مَا أَوْجَدَهُ الْحَقُّ -تعالى- بِوَاسِطَةٍ، فَهُوَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ" سَاقِطٌ.

سواء كان من عالم الشهادة، أو من عالم الغيب، انتهى.

وذكر الشيخ في الباب الرابع والستين ومائتين ما نصه^(١): اعلم أن اليهود ما سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الروح إلا ليغفروا من أين ظهر^(٢)، ولم يسألوه عن الماهية، كما فهمه كثير من الناس، فإنهم لو سألوه عن الماهية لكانوا قالوا له: ما الروح؟ فإن "ما" هي التي يسأل بها عن الماهية، كما قال برعون لموسى^(٣): ﴿وَمَا رُبُّكَ أَتَعْلَمُ﴾^(٤)، وإن كان السؤال بـ "ما" أيضًا مُحتملًا، لكن قوي الوجه الذي^(٥) ذهنا إليه ما جاء في الجواب من قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٦)، ولم يقل هو كذا^(٧)، وقد سُمي الله -تعالى- الوحي روحًا، فيحتمل أن يكون مرادهم بالروح الوحي، انتهى.

وقد صرح الحديث الصحيح بخلق الأرواح بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله -تعالى- خلق الأرواح قبل الأجساد بالثاني عام"^(٨)، انتهى. والمراد بالخلق هنا ظهور التقديم بعد خلقه^(٩)، وقال في الباب الثاني والستين من "الفتوحات"^(١٠): لا يصح لأحد

(١) الصواب أنه في الباب ثمان والستين ومائتين لا كما ذكره الناسخ، وعنوانه: "في معرفة الروح"، انظر: الفتوحات، ٢٩٦/٤، وليس ما أورده الشعري نصًا، بل غير في العبارة.

(٢) قصة هذا الحديث أن رويه قال: "كنت أسكن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في حرت بالمدينة وهو يتوكل على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقال بعضهم: لا تسألوه، فإنه يسمحكم ما تكرهون، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن الروح، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- ساعة، ثم رفع إلى السماء، فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: "قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا". أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير (الباب ٣٩٦/١)، ٤٣٩/٦، وكتاب العلم، الباب ٤٧ (تفسير ﴿وَمَا أُنِيرُ مِنْ أَتِيلَةٍ﴾ إِلَّا قَلِيلًا) (١)، والترمذي، كتاب التفسير، ٣١٥٢، ٩٥/٥.

(٣) "د": "عليه الصلاة والسلام". (٤) (الشعراء، الآية ٢٣).

(٥) "ب": "أنتي"، وهو تصحيف لا تستقيم به العبارة. (٦) (الإنشاء، الآية ٨٥).

(٧) انظر: عبي الدين، الفتوحات المكية، ٢٩٦/٤، وهنا ينتهي كلام عبي الدين.

(٨) أخرجه الحكييم الترمذي في نواتر الأصول، وانظر ما قلناه في الأصل الثامن والعشرين والمائة في تلاقس الأرواح في الدنيا والأصل الثالث والثمانين والمائتين في ملين الأذن، وفيه: "إن الأرواح لتتلاقس في الحوى، وأحدعها من صاحبه على مسيرة يوم وليلة، وإن الأرواح خلقت قبل الأحصاء بالثاني عام، فتشامت كما تشام الحبل". انظر: نواتر الأصول، ٦٣٩/١، ٦١١/٢.

(٩) "ب": "مع خفائه".

(١٠) "ك": "من الفتوحات" ساقطة، "و": "الستين والستين". وعنوان هذا الباب "في الحج

أَنْ يُطْلَعَ عَلَى كُنْهِ الرُّوحِ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ -تعالى- حَمَلَ مَعْرِفَتَهَا مَرَّةً تَعَجُّبًا لِلخَلْقِ عَنْ مَعْرِفَةِ كُنْهِ^(١) ذَاتِهِ تَعَالَى.

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالسَّيِّئِ وَمَائِثِينَ^(٢): إِنَّمَا قَالَ -تعالى- فِي آدَمَ^(٣): «وَنَسَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»^(٤) بَيَّاءَ الْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ -تعالى- لِبَيِّنَةِ عَلَى مَقَامِ التَّشْرِيفِ لِآدَمَ^(٥)، كَأَنَّهُ -تعالى- يَقُولُ: مَنْ كَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَالَفَ فَعَلَ أَهْلَ الْفَضَائِلِ^(٦)، وَيَفْعَلُ فَعَلَ الْأَوَاذِلِ الشَّهِي^(٧).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَنْ أَيْنَ جَاءَ تَفَاضُلُ الْأَرْوَاحِ^(٨) مَعَ أَنَّهَا مِنْ حَيْثُ التَّلَفُّعِ الْإِلَهِيِّ مُتَسَاوِيَةٌ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّمَا تَفَاضَلَتْ الْأَرْوَاحُ مِنْ حَيْثُ الْقَوَائِلُ، فَإِنَّ لَهَا وَجْهًا إِلَى الطَّبِيعَةِ، وَوَجْهًا إِلَى الرُّوحِيَّةِ الْمَحْضَةِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِإِلَهٍ مِنْ عَالَمِ^(٩) التَّبَازُخِ؛ كَالْأَعْمَالِ الْمَذْمُومَةِ سِوَاهَا؛ فَإِنَّهَا -أَيِ الْأَعْمَالِ الْمَذْمُومَةِ-^(١٠) مِنْ حَيْثُ كَسَبُ الْعِبَادِ لَهَا نَاقِصَةً، وَمِنْ حَيْثُ كَوْنُ الْحَقِّ -تعالى- خَالِقًا لَهَا كَامِلَةً.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَبَلِّغْ تَشْهَدُ الْأَرْوَاحُ فِي نَفْسِهَا رِئَاسَةً عَلَى الْعَالَمِ؟

فَالْجَوَابُ: كَمَا قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالسَّيِّئِ وَمَائِثِينَ مِنْ "الْفَتْوحَاتِ"^(١١) أَنَّهُ لَا رِئَاسَةَ عِنْدَ الْأَرْوَاحِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ^(١٢)، وَلَا تَدَوَّقْ لَهَا طَعْمًا، بَلْ

وَأَسْرَارُهُ، ٤١٩/٢.

(١) "ب": "كنه" ساقطة.

(٢) عنوان هذا الباب "في معرفة الروح". انظر: الفتوحات المكية، ٢٩٦/٤.

(٣) "ك": "ز"، "لآدم". (٤) (الحجر، الآية ٢٩، ص، الآية ٧٢).

(٥) "ك"، "ز": "عليه الصلاة والسلام".

(٦) "ب"، "فعل أهل" ساقطة.

(٧) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٢٩٦/٤ مع اختلاف طفيف بين العبارتين.

(٨) "د": العبارة: "لمن أين تفاضل...". (٩) "ك": "علم".

(١٠) "د"، "ك"، "ز"، قوله: "لها أي الأعمال المذمومة" زيادة منهما.

(١١) عنوان هذا الباب: "في معرفة منزل الألفة وأسراره من المقام الموسوي والحمد لله". ٣٤٧/٤.

(١٢) انظر: محيي الدين، الفتوحات المكية، ٣٥٢/٤، وعبارته: "ولماذا يتعجب أنه يراه أعظم عند من نفسه، وأن سعادته في عيودته وذلك بين يديه مع أنه يحب الرئاسة بالطبع؟ فإن الروح لا رئاسة

دليلاً حاسماً لإثباتها على الشواهد، انتهى.

فإن قيل: فهل للروح كمية^(١) حتى إنها تقبل الزيادة من حيث جوهر ذاتها؟
فالجواب: ليس للروح كمية كما صرح به الشيخ في الباب قبله، فلا يقبل الزيادة في جوهر ذاته^(٢)، وإنما هو فرد لا يجوز عليه التركيب؛ إذ لو قبل التركيب لجاز أن يقوم بجزء منه علم بأمر ما، وبأجزاء الآخر جهل بذلك الأمر عينه، فيكون الإنسان عالماً بما هو به جاهل^(٣)، وذلك محال، فتركيبه في جوهر ذاته محال، وإذا كان هكذا فلا يقبل الزيادة ولا نقصان، كما هو شأن المركبات، فإنها تقبل ذلك، ولولا ما هو عاقل بذاته ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق، ولا يحاطب الحق - تعالى^(٤) إلا من يعقل عند خطايه، وهذا هو حقيقة الإنسان في نفسه.

وأطال في ذلك، ثم قال^(٥): نعلم^(٦) أن الله - تعالى - خلق الروح كاملاً، بالغا، عاقلاً، عارفاً، بتوحيد الله تعالى، مقرأ بربوبيته، وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، المشارة إليها بحبر "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"، انتهى^(٧)، فاعلم ذلك، وتأمل فيه^(٨)، فإنه نفس، ولا تنس قوله - تعالى -:

عنده في نفسه، ولا يقبل الوصف بها....، ويعلم من هذا المنزل ما أردناه بقولنا:

الحق ما بين مجهول ومعلوم فالناس ما بين متروك ومألوف

والشأن ما بين وصف وموصوف فالحال ما بين مقبول ومصروف

(١) "ك"، "ب"، "كته"، وهو تصحيف.

(٢) "ك": "الجوهر ذاته". (٣) "د"، "ز"، "به" ساقطة.

(٤) "ب": "تعالى" ليست فيها.

(٥) يعني بذلك محي الدين في الفتوحات المكية، ٤/٤٧٧.

(٦) "ب": "واعلم"، "ز": "نعلم".

(٧) الكلام للشيخ محيي الدين، أورده في الباب التاسع والستين ومائتين. انظر: الفتوحات المكية، ٤/٤٧٧.

أسما الحديث فقد أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجنازات، ٥٢، ٢١٣، والبحاري في

الصحيح، كتاب الجنائز (الباب ٨٧٧/١٢٩٣)، ٥٨٧/٢، وأبو داود في السنن، كتاب السنة،

(٤٧١٤)، ٥٨٨/٥، والترمذي في السنن، كتاب القدر (٢١٤٥)، ٥٤/٤، والمكيم الترمذي في

نوافر الأصول، ٤٢٢/١، وفيه روايتان "يولد على الفطرة"، و"على الفطرة"، والسيوطي، الجامع

الصغير (٦٣٥٥)، ٢٨٧/٢.

(٨) "د": قوله: "وتأمل فيه" ساقطة.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١)، وقوله -تعالى-: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٢)، فإنَّ في الحكم الأول^(٣): كُلُّ مَا لَهُ ابْتِدَاءٌ فَلَهُ انْتِهَاءٌ، والحمد لله رب العالمين.

[تَوْهَمُ أَنْ لِلْحَقِّ وَجْهًا كَوَجْهِ الْخَلْقِ]

وَمِمَّا اجْتَبَتْ بِهِ مَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٥) أَنَّ ذَلِكَ الْوَجْهَ كَوَجْهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَذَوَاتِهَا^(٦)، تعالى الله عن ذَلِكَ غَلُوبًا كَثِيرًا، والجواب: قَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْكَشْفِ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٧) رَاجِعٌ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ لَا إِلَى الْحَقِّ^(٨) جَلٌّ وَعَلا^(٩)، وَالْمُرَادُ أَنَّ حَقِيقَةَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَصِحُّ فَنَائِضًا؛ لِأَنَّهَا مَعْلُومٌ عِلْمُ اللَّهِ، فَإِنَّ الْحَقَائِقَ الثَّابِتَةَ فِي الْعِلْمِ لَا يَصِحُّ فَنَائِضًا وَهَلَاكُهَا، وَإِنَّمَا تُثْقَلُ مِنْ طَوْرِ إِلَى طَوْرِ مِنْ غَيْرِ هَلَاكِهَا وَلَا فَنَاءِ^(١٠).

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ^(١١) مِنَ "الْفَتْوحَاتِ" فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١٢)؛ الْمُرَادُ بِوَجْهِ الرَّبِّ هُنَا مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ -تعالى- بِحُكْمِ الْاِخْتِصَاصِ؛ كَالْفِعْلِ الصَّالِحِ الَّذِي أُرِيدَ^(١٣) بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى^(١٤)، فَإِنَّهُ بَاقٍ لَا

(١) (القصص، الآية ٨٨). (٢) (الرحمن، الآية ٢٦).

(٣) "د"، "ك"، "ز": العبارة فيها: وفي كلام الحكماء الأول.

(٤) (القصص، الآية ٨٨). (٥) (الرحمن، الآية ٢٧).

(٦) "د": "وذواتها"، "ز": "وذواتها" ساقطة. (٧) تقدم تخريجها.

(٨) "أ": "راجع إلى وجه الحق"، وهذا لا يستقيم والمعنى: "ك"، "ز": "راجع إلى وجه ذلك الشيء لا إلى وجهه...".

(٩) ورد هذا السراي في باب الأسرار في الفتوحات المكية، وقد جاء فيه: "وجه الشيء حقيقته...، فالضمير الذي في وجهه يعود على الشيء، ويعود على الحق". انظر: الفتوحات المكية، ١٩٥/٨.

(١٠) "ب": "شطب الناصح الجملة: "وهلاكها، وإنما ثقُل من طور إلى طور من غير هلاك ولا فناء".

(١١) عنوان هذا الباب "في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة والانعكاس، وعلى كم ينحرف من المقابلة". انظر: الفتوحات المكية، ٥/٣.

(١٢) (الرحمن، الآية ٢٧). (١٣) "أ": "أريد" ساقطة.

(١٤) "ب": "تعالى" ليست فيها.

يَقْنَى^(١)، بِخِلَافِ مَا دَخَلَهُ الرِّبَاؤُ وَحُبُّ السَّمْعَةِ، أَتَشْبِي^(٢).

وَكَانَ الْأُسْتَاذُ سَيِّدِي عَلِيٌّ بْنُ وَفَا - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(٣) يَقُولُ^(٤): حَيْثُمَا جَاءَ ذِكْرُ الْوَجْهِ فِي الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ كَانَ وَاسِطَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْحَقِّ - تَعَالَى - فِي الْاسْتِمْدَادِ مِنَ الْحَقِّ - تَعَالَى - مِنْ شَيْخٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ مِنْهُ تُحْصَلُ الْإِنْفَاضَةُ^(٥) مِنَ الْحَقِّ - تَعَالَى - عَلَيْكَ، وَيَقْفَرُ الْإِمْدَادُ، فَكُلُّ مَنْ يَلْفُكُ عَنْ الْحَقِّ - تَعَالَى -^(٦) حُكْمًا أَوْ أَدْبًا فَهُوَ وَجْهٌ لِلَّهِ - تَعَالَى -^(٧) الَّذِي تُعَرِّفُ بِهِ (إِلَيْكَ)^(٨)، قَالَ: وَوَجْهُ الْحَقِّ الْأَعْظَمُ هُوَ^(٩) شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِكُونِهَا حَاطِيَةً لِجَمِيعِ شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ^(١٠). أَتَشْبِي.

فَاعْلَمْ ذَلِكَ، وَتَرَى رُبُّكَ عَنْ صِفَةِ الْأَجْسَامِ، فَإِنَّ الْمُجَسِّمَةَ كَفَّارٌ عَلَى^(١١) أَحَدِ الْأَقْوَالِ الْمَبْنِيِّ عَلَى^(١٢) أَنْ لَازِمَ الْمَذْهَبِ مَذْهَبٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُجَسِّمَةَ عَبَدُوا جِسْمًا تَحْمِلُوهُ فِي نَفْسِهِمْ^(١٣)، وَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ يَقِينٌ، وَمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ كَفَرَ، كَمَا هُوَ مَقْرَرٌ فِي كِتَابِ^(١٤) الرُّودَةِ مِنْ أَبْوَابِ الْفَقْهِ، وَمِنْ هُنَا أَيْضًا كَفَرُوا الْمُعْتَزِلَةَ حَيْثُ أَنْكَرُوا الصِّفَاتِ،

(١) "د"، "ك"، "ز": "بأى عند الله لا يقنى".

(٢) وقد جاء في موضع آخر من الفتوحات في باب الأسرار ما يرادف هذا المتقدم، وهو قوله: "فإن الوجه له البقاء، والذات التي لها الاعتلاء". انظر: الفتوحات المكية، ٨٢/٨.

(٣) "د"، "ك"، "ز": "رضي الله عنه".

(٤) "د": "يقول" ساقطة.

(٥) "د"، "ب": "الإضافة"، ولعل في ذلك تحريفاً وتصحيحاً.

(٦) "ك"، "ب": "تعالى" ليست فيهما.

(٧) "ب": "الحق تعالى".

(٨) "ك"، "ز": "تعرف إليك".

(٩) "د"، "ك"، "ز": العبارة: "هو وجه شريعة...".

(١٠) "د": "عليه وعليهم الصلاة والسلام"، "ز": "المرسلين" ساقطة.

(١١) "ب": العبارة: "لا على أحد القولين"، وجهاً ينقلب ليعني.

(١٢) "ك"، "ب"، "ز": "القولين المبني على".

(١٣) "ب": قوله: "تحملوه في نفوسهم" ساقطة.

(١٤) "ك"، "ب": "كتب".

فإنه يلزم من إنكار الصفات إنكار أحكامها، وذلك كفر.

[لا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ]

وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف^(١): والصحيح أن لازم المذهب ليس بمذهب ولا كفر بمجرد اللزوم، فإن اللزوم^(٢) غير الالتزام، ووقع في "المواقف" ما يقتضي تقييده، بما إذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم، أو أن اللازم كفر، فإنه قال: من يلزمه الكفر ولا يعلم^(٣)، فليس بكافر، انتهى^(٤). قال: ومفهومه أنه إن علم ذلك، أي أنه كفر^(٥)، ثم تدبته^(٦) كفرًا للترامية إياه، والله أعلم.

وقد سقطت الكلام على تكفير أهل الأهواء والبدع في مبحث^(٧): "ولا تكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب" في كتابنا "اليواقيت والجواهر"، وذكرنا أن الإمام أبا الحسن الأشعري - رحمه الله -^(٨) رجع^(٩) عن تكفير أهل البدع والأهواء، وقال عند موته: اشهدوا عليّ أي لم أكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب؛ وذلك لأني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد، والإسلام يشملهم ويعلمهم، وفي رواية أنه قال: لا أكفر أحدًا من أهل القبلة؛ لأن الجهل بالصفات ليس جهلاً^(١٠) بالموصوف، انتهى^(١١).

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) "د": قوله: "فإن اللزوم" ساقط.

(٣) "ك"، "ز": "به" ساقطة.

(٤) انظر: الشعراوي، اليواقيت والجواهر، ٥٢٩/٢.

(٥) "ب": ثم سقط أصله من النسخ الأخرى.

(٦) "د"، "ك"، "ز": "دام عليه"، "ب": "دام".

(٧) "ك"، "ز": في مبحث قولنا.

(٨) "د"، "ب"، "ز": "رحمه الله" ليست فيها. وقد تقدمت ترجمته.

(٩) "ب"، "ز": "رجع" ساقطة.

(١٠) "ب": "لا".

(١١) "أ": "جحدًا"، وإحالة تصحيحًا.

(١٢) انظر: الشعراوي، اليواقيت والجواهر، في السحت الثامن والخمسين: "في بيان عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه أو بدعته وبيان أن ما ورد في تكفيرهم منسوخ أو مؤول أو تعليق وتشديد".

وَبِعَمَّةٍ أَكْثَرِ الْأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّ الْكُفْرَ أَمْرٌ هَائِلٌ عَظِيمٌ الْخَطِرُ، وَمَنْ كَفَرَ
إِنْسَانًا فَكَأَنَّهُ أَخْبِرَ عَنْهُ بِأَنْ عَاقِبَتُهُ فِي الْأَعْرَةِ الْعُقُوبَةُ الدَّائِمَةُ أَبَدَ الْأَبَدِينَ، وَأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا
مُبَاحُ الدَّمِ وَالْمَالِ، لَا يُمَكِّنُ مِنْ نِكَاحِ مُسْلِمَةٍ، وَلَا تُجْرِي عَلَيْهِ^(١) أَحْكَامُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي
حَيَاتِهِ^(٢)، وَلَا بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَقَالُوا: الْخَطَأُ فِي تَرْكِ قَتْلِ الْفَرِ كَافِرٍ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ
قَدْرِ يَحْتَجِمَةُ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ^(٣).

وَسُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ السَّبْكِ^(٤) -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-^(٥) عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ
وَالْبِدْعِ، فَقَالَ: إِنَّ تَكْفِيرَ هَؤُلَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى أَمْرَيْنِ عَزِيزَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: تَحْرِيرُ الْمُعْتَقَدِ، وَهُوَ صَعِبٌ مِنْ جِهَةِ صَعُوبَةِ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَوَاطِنُ^(٦)
الامْتِنَابِ، وَتَمَيُّزِ الْحَقِّ فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ.

الثَّانِي^(٧): عَسْرُ مَعْرِفَةِ مَا فِي الْقَلْبِ، وَتَخْلِيصُهُ مِمَّا يَشُوهُ، وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَعْجُرُ
عَنْ تَحْرِيرِ مُعْتَقَدِهِ فِي عِبَادَةٍ، فَكَيْفَ يَتَحَرَّرُهُ اعْتِقَادُ غَيْرِهِ فِي عِبَادَةٍ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ هَذَا:

كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمَنْ أَلْزَمَكُمْ بِمَا لَمْ يَأْتِ اللَّهُ بِآيَاتِهِ فُلُوكُمْ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ ، ٥٢٦/٢.

(١) "د": "عليه" ساقطة.

(٢) "ب": "في حياته" ليست فيها.

(٣) "ب": "من مسلم".

(٤) هو الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الفخر الأصبولي القفوي المقرئ البيهقي
الحسني النظار شيخ الإسلام، ومن أبنائه العلماء المصنفين إيهاء السبكي، والشاح، ولد الثاني سنة
(٦٨٣هـ) في "سبك" من أعمال المنوفية ببصرى، وانتقل إلى القاهرة والشام، وقد كان شافعي
المذهب، أشهره المقسبة، وقد قبل إنه صنف نحو مائة وخمسين كتاباً مطولاً، توفي سنة
(٧٥٦هـ)، انظر ترجمته: ابن حجر، الدرر الكامنة، ٣/٣٨، وابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/١٩٦
والمسعودي، بغية الوعاة، ٣٤٢، وحسن المحاضرة، ١/٢٧٧، وابن العماد، شذرات الذهب،
٦/١٨٠، والبغفندي، هدية العارفين، ٥/٧٢٠، والزركللي، الأعلام، ٤/٣٠٢، وعصر كحالة،
معجم المؤلفين، ٢/٤٦٦.

(٥) "ب": "رحمه الله تعالى" ليست فيها.

(٦) "ك"، "ز": "موطن".

(٧) "ث"، "ك"، "ب": "الثاني عشر"، وهو وهم لا يستقيم سببه تبادل رسم كلمة "الثاني" مع "كلمة
"عسر"، فظن السامع أنها "الثاني عشر".

الشرطان لرحل جمع صحة الثمن، ورياضة النفس، وخرج عن الميل عن^(١) أقوى،
والتعصب بعد امتلائه^(٢) من علوم الشريعة، فإن المسائل التي يكفر بها المبتدع في غاية
الدقة والموضي لكثرة تشعبها^(٣)، ودقة مداركها، واختلاف قرائنها وذوايعها، ومعرفة
الأنفاظ المحتملة للقاويل وغير المحتملة، وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللسان من
سائر قبائل العرب في مجازاتها واستعاراتها، وهذا غير جدًّا على العلماء فضلًا عن أحاد
الناس.

فأنتل يا أخي في جميع ما ذكرته لك في هذه الأجوبة، وإن نجد عيبًا فسدت
الحلل^(٤)، فإن كل عيب إنما يجيب في الأحكام المسكوت في الشرع عن الإفصاح بها
بقدر وسعه، ودائرة علمه، وقد يكون ما أجاب به عن أحد من الأكابر قريبًا من مقام
المجتبى له لبعده عن ذوي مقامه، فكيف يرب الأرباب جل وعلا، وما ختمني على
التورط^(٥) أي مثل ذلك إلا الميرة الإيمانية على جناب^(٦) الحق - تعالى - على أن يعتقد^(٧)
أحد من الملحدين في أسائه وصفاته على ما قاله فيها فضلًا عن كلامه في الذات المقدسة،
فاعلم ذلك يا أخي، وإن فتح الله - تعالى - عليك بجواب أوضح من جوابي في هذا
الكتاب فالحق به تصححه لله ورسوله، والله يتولى هدايا هدايا، وهو يتولى الصالحين،
والحمد لله رب العالمين، وتلك آخر كتاب القواعد الكشفية الموضحة لمعاني
الصفات الإلهية^(٨)، وكان الفراغ منها يوم الخميس المبارك [من شهر]^(٩) جمادى الأولى

(١) "ك"، "ب"، "ز"، "لى".

(٢) "ك"، "ب"، "لى امتلائه"، "ز"، "وامتلاء من علوم...".

(٣) "ب"، "تشعب".

(٤) هذا بعض بيت، وصاحبه:

(٥) إن نجد عيبًا فسدت الحلل

جل من لا عيب فيه وعلا

(٦) "د"، "التوريط".

(٧) "د"، "ك"، "ز"، "جناب".

(٨) "ت"، "يتحد"، والمبارة في "د" و "ب" و "ز"، "من أن يقر...".

(٩) "ك"، "الإلهية المرضية".

(٩) ما بين القوسين المعقولين زيادة من الحق مكان كلمة مطموسة غير مفروضة.

سنة تسع وسبعين وتسعمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) كتب الناسخ في نهاية المخطوطة بعد ذكر السنة حروفا: سنة ٩٧٩. وقد حتم الناسخ السبعة "د" بقوله: "ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، وفق الفراغ من كتابة هذه السبعة المباركة في أواخر شهر محرم الحرام سنة اثنين وعشرين وألف على يد أضعف خلق الله، وأحوجهم إلى مغفرته، شرف بن الطوحي الشتراوي، غفر الله له، ولوالديه، وللمسلمين، ولحسن دعا لهما بالمغفرة، ولكل المسلمين، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله تعالى". وقد حتم الناسخ السبعة "ك" بقوله: "وصلى الله على سيدنا محمد خير البرية، وعلى آله وأصحابه الصعبة المرضية، تسليما كثيرا إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان الفراغ من نقل هذه السبعة المباركة يوم الخميس من شهر ذي الحجة، تسعة وعشرون يوما حلت منه احتتام ١١٤٩، غفر الله لكتابها ولوالديه، ومن طالعها آمين". أما نهاية النسخة "ب" فقد جاء فيها: "وكان الفراغ من كتابتها في سلخ رجب الفرد من شهر سنة سبع وعشرين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من رب البرية، على يد أحقر المساكين، عمر باب الدين، غفر له ولوالديه والمسلمين، آمين"، أما النسخة "ز" فقد قلبها الناسخ بقوله: "ولیکن ذلك أمر كتاب القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية"، وصلى الله على سيدنا محمد خير البرية، وعلى أصحابه الصعبة المرضية تسليما كثيرا إلى يوم الدين، وكان الفراغ من نقلها ١٧ شهر شوال ١٢٣٤ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، آمين".

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
 - ٢ - فهرس الأحاديث النبوية
 - ٣ - فهرس الأعلام
 - ٤ - فهرس الأماكن
 - ٥ - فهرس الأشعار
 - ٦ - فهرس الأمثال
 - ٧ - فهرس الألفاظ الاصطلاحية
 - ٨ - فهرس الكتب والمؤلفات
-



الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾	[٦]	٢٧٤
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾	[١٨]	١٣٢، ١٣١
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾	[٣٠، ٢٨]	١٠٥، ١٠٠ ١١٢
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	[٢٩]	٩٣
﴿ وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾	[٣٨]	٢٦٥
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾	[٥٩]	٢٦٩
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	[١٦٥]	٢١١
﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾	[١٧٣]	٣
﴿ إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾	[١٨١]	١٥١
سورة النساء		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾	[٤٨]	١٨٥
﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾	[٧٨]	٣٢١
﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾	[٧٩]	٣٢١
﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾	[٧٩]	٣٢٧
﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾	[٧٩]	٣٢٧
﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾	[٨٠]	٨٩
﴿ وَكَاتَبَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحْكِمًا ﴾	[١٢٦]	٩٣
﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾	[١٦٤]	٩٤

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧٢	[١٧١]	﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾
		سورة المائدة
٩٢	[١٧]	﴿ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
٣١٧، ١٨٥	[١٨]	﴿ يُغَيِّرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾
١٥١	[٦٤]	﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾
١١٨	[١١٠]	﴿ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّعْمِ بِلَازٍ فَتَنُفَخُ فِيهَا لَتَكُونُ طَيْرًا بِلَازٍ وَتَتَرَى الْأَكْصَى ﴾
٢٢١	[١١٠]	﴿ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّعْمِ بِلَازٍ ﴾
٢١٤	[١١٠]	﴿ كَهَيْئَةِ الطَّعْمِ ﴾
٢١٤	[١١٠]	﴿ بِلَازٍ ﴾
١١٨	[١١٠]	﴿ وَالْأَرْضَ بِلَازٍ وَإِذْ نَخْرُجُ لَمَوْنٍ بِلَازٍ ﴾
٣٤٤	[١٤٤]	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾
		سورة الأنعام
١٤٠	[٢]	﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾
١٨٥	[١٢]	﴿ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾
١٧٢	[١٨]	﴿ الْحَقِيرُ ﴾
٩٥	[٣٧]	﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
٢٧٥، ٩٣، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٩	[١٠٣]	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾
٨٨	[١٤٩]	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَاطِلَةُ قُلْ شَاءَ لَهْدَنكُمْ أَحْيَيْنَ ﴿١﴾ ﴾
١٥٦، ٨٠	[١٤٩]	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَاطِلَةُ قُلْ شَاءَ لَهْدَنكُمْ أَحْيَيْنَ ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ قَلِيلٌ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ۖ ﴾	[١٤٩]	١٥٣، ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧
سورة الأعراف		
﴿ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ ۖ ﴾	[١٥٢]	١٦٢
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ ﴾	[٢٣]	١٧٢، ١٥٥
﴿ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ ﴾	[٢٨]	٢٣٠
﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ۖ ﴾	[٣٤]	٢٣٦
﴿ أَتَسْتَعِينُونَ ۖ ﴾	[١٢٨]	٢٠٦
﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۖ ﴾	[١٤٣]	٢٩٤، ٢٩٣
﴿ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَنَّةِ ۖ ﴾	[١٤٣]	٢٩٥
﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾	[١٤٣]	٢٩٥
﴿ وَرَحِمَنِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ۖ ﴾	[١٥٦]	١٨٧
﴿ فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَفْقَهُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ۖ ﴾	[١٥٦]	١٨٧
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ۖ ﴾	[١٧٢]	٢٦٦، ٢٦١
﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ۖ ﴾	[١٧٢]	٢٦٥
﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ ﴾	[١٧٢]	٢٦٩، ٢٦٣
﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۖ ﴾	[١٩٠]	٢١٢
سورة الأنفال		
﴿ فَلَمْ تَفْظَلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۖ ﴾	[١٧]	٣١٠
﴿ وَمَا زَمَيْتُ إِذْ زَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ زَمَىٰ ۖ ﴾	[١٧]	٣١٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا اللَّهَ تَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾	[٢٩]	٢٢٠
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	[٤١]	٩٣
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	[١٥٣]	٢٠١
سورة التوبة		
﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾	[٦]	٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٤
﴿ فَيُلْهِمُهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾	[١٤]	٢١٠
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	[٢٩]	٩٣
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾	[٤٠]	٢٠٥
سورة يونس		
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	[٢٤]	٢٧٧
﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾	[٦١]	٢٢٢
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾	[٧٩]	٢٣٥
﴿ وَقَالَ مُوسَى ﴾	[٨٤]	٢٣٥
﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْتَمِعُونَ ﴾	[٨٥]	١٩٩
﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾	[٨٧]	٢٢٤
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِيعًا أَفَافَتْ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾	[٩٩]	١٥٦
سورة هود		
﴿ وَمَكَارَتِ غَرَضَهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾	[٧]	١٤٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَقْسَنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِن رَّبِّهِمْ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾	[١٧]	٢٨٣
﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾	[١١٢]	٣٢٣
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ عَنِتُّهُمْ ۖ ﴾ [١١٨، ١١٩]	[١١٨، ١١٩]	١٥٦
﴿ وَإِنَّمَا كَيْدُكَ لَافْتَانٌ ۖ خَلَقْتَهُم مِّنَ الْجِنِّ وَالنَّاسِ أَتَعْتَبِينَ ﴾	[١١٩]	١٥٦
سورة يوسف		
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِي ﴾	[٤٠]	٣١٨
﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بَ إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ الْبَيْتِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَيْدِ ﴾	[١٠٠]	١١
سورة الرعد		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	[١١]	١٥٥
﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَيَعِدُّهُ أُمَّ الْعَصَائِفِ ۖ ﴾	[٣٩]	٢٥٤
سورة الحجر		
﴿ وَتَفَعَّلْتُ بِيَوْمِي ﴾	[٢٩]	٣٣٩
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	[٨٥]	٣٢٨
سورة النحل		
﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَسَدٌ أُشْهِبَ ﴾	[٩]	١٨٦
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ ﴾	[٤٠]	٢١٦
﴿ لَنُثَبِّتَنَّ لِلنَّاسِ مَا يُؤْتَلَّ ۖ لَنُثَبِّتَنَّ لَهُمْ ﴾	[٤٤]	٢٣٦
﴿ وَنُحَافُونَ لَهُمْ مِّنْ قُوَّتِهِمْ ﴾	[٥٠]	١٤٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾	[١٠٩]	٩٤
﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	[١١٨]	١٥٧، ١٥٥ ١٦٤، ١٦٣ ١٧١، ١٦٥
﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	[١١٨]	١٦٣
سورة الإسراء		
﴿ لِلَّهِ، مِنْ دُونِنَا لَيْسَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	[١]	١٤١
﴿ مَنْ أَعْتَدَىٰ لِلْإِنْسَانِ لِقَاءَ يَوْمٍ لَا يُنْفِقُ عَنْهُ ﴾	[١٥]	١٠٥
﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَمَلِكُمْ وَمَا كَانَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ حَتْمًا وَلَا عِلْمٌ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	[٢٠]	١٤٩
﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾	[٨٥]	١٩٧، ١٣٣٧
﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾	[٨٥]	٣٣٨
﴿ وَمَا أَوْثَقُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	[٨٥]	٣٣٨
سورة الكهف		
﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾	[٢٨]	٣٥
﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾	[٧٩]	٣٢١
﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ يُبَدِّلَهُمَا فِي نَفْسِي خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴾	[٨١]	٣٢٢
﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَهَنَهُمَا رَحْمَةً ﴾	[٨٢]	٣٢٢
سورة مريم		
﴿ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴾	[٩]	١٠٣
﴿ وَجَعَلِي مُبَارَكًا لِمَنْ آمَنَ مَا كُنْتَ ﴾	[٣١]	٢٧٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنْ سَأَلْتُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا نَقَى إِلَهُ الرِّجْسَ عَنْكَ ۖ﴾	[١٢]	٢٢١
سورة طه		
﴿يَعْلَمُ الْغَيْبُ وَآخَىٰ﴾	[٧]	٨٤
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۚ﴾	[٥]	١٣٢، ١٣٤ ١٤٣، ١٣٦ ٢٤٩
﴿وَأَن آخَرْتَنكَ﴾	[١٢]	٣٠١
﴿وَلَا تُبْطِلُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	[١١٠]	١٠٤، ١٠٥
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	[١١٤]	١٧٩
سورة الأنبياء		
﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾	[٢]	٢٣١، ١٩٤
﴿لَا يُسْأَلُ عَنْهَا وَفَعَلُوا وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۚ﴾	[٢٢]	١٨٨، ١٨٠ ١١٥٩، ١١٥٦ ١٦٢
﴿وَحَقَّقْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	[٢٠]	١٤٦
﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا تُبْحَثُكَ إِلَىٰ كُنُوتٍ مِنَ الْقُبُورِ ۚ﴾	[٨٧]	١٥٥
﴿إِنْعَمْنَا وَمَا تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	[٩٨]	٣١٨
سورة المؤمنون		
﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	[١٤]	٢١٤
سورة النور		
﴿قُلْ لِلَّهِ مِيرَاتُ الْعَالَمِينَ يُغْضُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَيَخْفَلُوا دُرُجَهُمْ﴾	[٣٠]	٢٢٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ مَثَلُ ثَوْرٍ كَمَثَلِ نُوحٍ ﴾	[٣٥]	٢٧٦
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ كِبْرَابٍ يَجْعَلُونَ حَسْبَهُ الْطُّغْيَانُ مَاءً ﴾	[٣٩]	٢٢٢
سورة الشعراء		
﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	[٢٣]	٢٣٨
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾	[٨٠]	٢٢١
﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾	[١٩٤، ١٩٣]	٢٢٨
سورة القصص		
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾	[١٤]	١٤٥
﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾	[١٦]	١٥٥
﴿ كُلُّ شَيْءٍ عَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾	[٨٨]	٣٤١، ٣٤٤
سورة العنكبوت		
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُخْلَصِينَ ﴾	[٦٩]	٢٠١
سورة الروم		
﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾	[٢١]	٢٢٤
﴿ طَهَّرَ الْفَسَادَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كُنتُمْ أَتَدْرِي أَكَلَّاسٍ يُذِيقُهُمْ يَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا ﴾	[٤١]	٢٢٢
﴿ وَكَانَتْ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	[٤٧]	١٨٦، ١٨٥
سورة السجدة		
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾	[٤]	١٤٣
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًى ﴾	[١٢]	١٤٧

الصفحة	رقم الآية	الآية
٦٧	[١٧]	﴿ حِرَازًا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾
		سورة الأحزاب
٩٤	[٤٠]	﴿ وَخَلَقْنَا النَّفْسَ الْبَرَّةَ ﴾
١٤٥	[٤٠]	﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾
		سورة فاطر
٢٥١	[١٠]	﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الْعَلِيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾
١٧٥	[٤٥]	﴿ وَلَوْ يَوَاجِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَهُ عَنْ ظَهْرٍهَا مِنْ ذَابِقٍ ﴾
		سورة يس
٣٠١	[٥]	﴿ تَنَزَّلُ الْقُرْآنُ بِالرَّحْمَنِ ﴾
٢٧١	[٢٩]	﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾
٢٦٥	[٤١]	﴿ وَذَابِقٌ لَهُمْ أَنَا خَلَقْنَا دُرِّيْهِمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ ﴾
٢٦٠، ٣٥	[٧١]	﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾
		سورة الصافات
١٨٨، ١٨٠، ١٥٦، ٩٤ ٣١٣، ٣٠٥	[٩٦]	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾
٩٣	[١٨٠]	﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾
		سورة ص
٣٣٩	[٧٢]	﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾
٣٥	[٧٥]	﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بَرْدَى ﴾
		سورة الزمر
١٩٨	[٣]	﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُعْزِبُنَا إِلَى اللَّهِ وَنَلْفَ ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾	[١٦]	١٠٣
﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾	[١٦]	٣٠٩
﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾	[١٦]	٢٤٥
﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِئَاتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾	[٧٥]	١٤٤
سورة طه		
﴿ زُلْفَى الَّذِينَ جِئْتُ دُونَ الْعَرْشِ ﴾	[١٥]	١٧٠، ١٠٢
﴿ يَعْلَمُ حَاقِبَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفَى الْمُدُورِ ﴾	[١٩]	٨٤
﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾	[٣١]	١٦٧
سورة فصلت		
﴿ حَزَانًا مِمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَخَذُلُونَ ﴾	[٢٨]	٦٧
﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾	[٤٠]	٣١٥
﴿ وَمَا رَأَيْتُكُمْ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	[٤٦]	١٥٧، ١٥٥
سورة الشورى		
﴿ لَيْسَ عَمَلُهُمْ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	[١١]	١٨٣، ٧، ١٦، ١٠٣، ٩٣، ١١٢، ١٠٨، ٢٠١، ١٩٤، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٤٣، ٢٢٧
﴿ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴾	[١٢]	٢١٣
سورة الزمر		
﴿ غَنٍّ قَسَمْنَا نِعْمَتَهُمْ مُعَيْدَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَعَمْنَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُخَيِّدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا شَرًّا لَّهِمْ ﴾	[٣٢]	١٤٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴾	[٧٦]	١٥٥
سورة الجاثية		
﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	[٢٢]	٦٦
سورة الأحقاف		
﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	[٣]	٢١٢
﴿ أَزَعَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادُوا خُلُقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾	[٤]	٣١٧
سورة محمد		
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	[١٩]	١٠٨ ، ١٠٠
﴿ وَلَنَتَلَوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ ﴾	[٢١]	١٦٨ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٣
سورة الفتح		
﴿ لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	[٢]	٢١٣
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾	[١٠]	٨٩
﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾	[١٠]	٣٥
﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾	[١٤]	٢٢٦ ، ١٨٥
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾	[٢٦]	١٤٥
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾	[٢٩]	٩٤
﴿ نَزَّاعٍ أَهْرَاجَ شَطْنَهُ فَكَارَهُهُ فَاسْتَعْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْبِهِ ﴾	[٢٩]	١٤٥
سورة الحجرات		
﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾	[١٢]	٣٢٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَتْلُوا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ دُخَانٍ وَأَنَّهُ﴾	[١٢]	٢٦٩
سورة ق		
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	[١٦]	٢٩٨
﴿مَا يُبْدِلُ الْفَوَلُ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	[٢٩]	٨٨
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	[٥٦]	١٠٤، ١٩٤، ٢١٢، ٢٣٧، ٢٢٨، ٢٦٩
سورة الرحمن		
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْنَا فَإِنَّ﴾	[٢٦]	٣٤١
﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	[٢٧]	٣٤١، ٣٤
﴿لَعَنَ الْمُشْرِكِينَ إِنْسَ قَتَلْتَهُمْ وَلَا جُنَّ﴾	[٧٤، ٥٦]	٩٤
سورة الواقعة		
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَيْكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾	[٨٥]	٢٩٨
سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	[٣]	١٤٠، ٨٤، ٢٠٩
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾	[٤]	٢٠٠، ٢٠٣٠
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾	[٤]	٢٠٥، ٢٠١
﴿وَأَنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	[٤]	٩٤
سورة القيامة		
﴿بَلْ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُنْزِلَ بَنَاتُهُ﴾	[٤]	١٤٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾	[١]	٩٣
سورة الممتحنة		
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	[١]	٩٤
سورة التغابن		
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	[٢]	٩٤
سورة الطلاق		
﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَيْنَاهَا ﴾	[٧]	٣٠٧
﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾	[١٢]	٩٣ ، ٨٤
سورة الطه		
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾	[١٤]	١٥٨ ، ٨٤
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾	[١٤]	٢١٣ ، ١٦٣
سورة الحاقة		
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ ﴾	[٤٠]	٢٣١ ، ٢٢٨
سورة الجن		
﴿ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾	[٢٨]	٨٤
سورة المزمل		
﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾	[٢٠]	٢٢٤
سورة القيامة		
﴿ وَخُودُهُ يُوقَعُ نَارِيطَةً ﴿١﴾ إِلَى رَبِّهَا نَارِيطَةٌ ﴿٢﴾ ﴾	[٢٣ ، ٢٢]	٩٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الإنسان		
﴿ إِنَّمَا نَطَعُنْكَ لَوْ جَعَلَ اللَّهُ ﴾	[٩]	٣٥
﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾	[٢٠]	٨٦ ، ٨٠
سورة التكاوير		
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾	[٤٠]	٢٢٨
سورة المطففين		
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾	[١٥]	٢٨٧ ، ٩٣
سورة البروج		
﴿ إِنْ يَطْشَنَّ رَبُّكَ لَشَيْدٍ ﴾	[١٢]	٢٢٩
﴿ فَعَالٍ لِمَا يُرِيدُ ﴾	[١٦]	٩٣
﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾	[٢٢ ، ٢١]	٢٢٨
سورة الشمس		
﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾	[٨]	٢٣٠
سورة الليل		
﴿ إِلَّا آتِئَاءًا وَهُوَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾	[٢٠]	٣٥
سورة العلق		
﴿ وَأَشْجِدُّ وَأَقْرَبُ ﴾	[١٩]	٢٠٠
﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾	[٢٠]	٩٤
سورة العاديات		
﴿ • أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾	[٩]	٩٥

الصفحة	رقم الآية	الآية
		سورة الإخلاص
٩٥	[١]	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾
٩٥	[٢]	﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾
٩٥	[٣]	﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾
٩٥	[٤]	﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

باب الألف

أتلرون ما هذان الكتابان؟	٢٦٧
أحب الكلام إلى الله أربع	٩٨
أحب الكلام إلى الله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر	٩٨
احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال له موسى	٧١
إذا ذكر أصحابي فأسكوا	٧٣
إذا ذكر القدر فأسكوا	٧٣
إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله	١٢٤
إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته	١١٦
إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها	٧٠
أرواحهم في جوف طير حضر لها قناديل معلقة بالعرش	٣٠٣
اعبد الله كأنك تراه	٢٨٣، ١٨٢
اعملوا صفوفكم وأتيوها وسدوا الفرج، فإني أراكم من وراء ظهري	٢٧٥
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٢٤٦، ٢٠٠، ١٤٠
أقبلوا الصفوف فإني أراكم خلف ظهري	٢٧٥
اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة	٢٥٣، ٢٥٢
ألا إن ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما ليس آت، ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه	٦٨
ألا هل بلغت؟	٨٩
اللهم اشهد	٨٩
اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل	٢٠٥
أما الركوع فعظموا فيه الرب	١٠٢
أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب	٢٣٤
أن تحشى الله كأنك تراه	١٨٢
أنا سيد ولد آدم ولا فخر	١١٥
إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة	٢٥٥
إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع	١٦٦
إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله	٢٢٧ - ٢٢٨

..... ١٣٥، ١٣٦	إن الله تعالى احتجب عن المخلوق كما احتجب عن الأبصار.....
..... ١١٦، ١١٧	إن الله تعالى خلق آدم على صورته.....
..... ٣٣٨	إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بالثاني عام.....
..... ٢٠٣	إن الله تعالى ليضحكك يوم القيامة.....
..... ٢٦٢	إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمنه.....
..... ٢٧٣	إن الله خلق آدم على صورته.....
..... ٧٩	إن الله خلق آدم، فمسح ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية.....
..... ٧٩	إن الله خلق آدم، وأخذ الخلق من ظهره.....
..... ٣٣١	إن الله عز وجل لما خلق الخلق كتب يده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي.....
..... ١٩٣	إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.....
..... ٣٣٤	إن أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها.....
..... ٢٣١	إن رحمتي سبقت غضبي.....
..... ٣٣١	إن رحمتي غلبت غضبي.....
..... ٢٤٤	إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله.....
..... ٢٤٤	إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن.....
..... ٢٧٢	إن لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة في العرش.....
..... ١٤٧	إن من عبادي من لا يصلح له إلا الدنيا، ولو أفقرته لفسد حاله.....
..... ٧٤	إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر.....
..... ٢٤٦، ٢٢٧	إن غنى الرحمن يأتي من قبل اليمن.....
..... ٦٧	إنما هي أعمالكم أرذلت عليكم.....
..... ٢٤١ - ٢٤٠	إنهم يهرقون من الدين كما يهرق السهم من الرمية.....
..... ٣٠٢	إنني نعمت فاستغفلت يوماً فراكبت ري في أحسن صورة.....
..... ٢٣٩	الإيمان يضع وسيعون شعبة.....
..... ١٠٢	أيها الناس إنه لم يبق من مبررات النبوة إلا الرؤيا الصالحة.....

باب الباء

..... ٣٣٦	بأذني عهدي بنفسه، حرمت عليه الجنة.....
..... ٣٢٢	بئس الخطيب أنت.....

٢٧٧ بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص...

باب الناء

١٠٦ - ١٠٥ تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في فاته

باب الجيم

٢٤٩ جئت فلم تطعمني، وعرضت فلم تعدني

٦٨ حفّت الأعلام، وطويت الصحف

باب الحاء

٣٣٤ الحس حظ كل موحد من النار

باب الخاء

١١٦ خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً

١٤٦ خلق من الماء

٣٠٢ غير الرؤية أن يرى العباد ربه في منامه

١٢٣ غير ما يرى أحدكم في النوم أن يرى ربه أو إبيه أو عرى أبويه المسلمين

باب الراء

٣٠٢ رأيت ربي في أحسن صورة

٣٠٢ رأيت ربي في المنام في صورة شاب موغر

٣٠٢ رأيت ربي الثيلة في صورة شاب أمرد له ورقة من شعر

٣٢٨ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر

باب الشين

٣٢٣ شيتني هود وأحوالها

٣٢٣ شيتني هود وأحوالها: الواقعة والحاقة، وإذا الشمس كورت

٣٢٣ شيتني هود والواقعة

٣٢٣ شيتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون

باب الطاء

١٢٣ طوبى لمن رآني وآمن بي

باب العين

٣٣٤ عذاب أمي في دنياها الزلازل والفتن

باب الفاء

١٩٣	فإذا أحبته كنت سعه الذي يسمع به
٢٧٥	فاعذلوا صفوتكم وألبسوها
٧٢ (٧١)	فخرج آدم موسى
٣٠٣	فلما بسط الحق تعالى يده
٧٠	فليقضى الله ما شاء

باب القاف

٧٤	قدّرت المقادير، ودبرت التدبير وأحكمت الصنيع
٢٤٤	قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن

باب الكاف

٨٣	كان الله ولم يكن شيء قبله - أو غيره
٢٤٦	كان في عساء ما تحته هواء، وما فوقه هواء
٣٤٠	كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه
١٠٦	كلكم حصى في ذات الله
٣١٩	كُنْ أيا ذر
٣١٩	كن سيقاً
٣٢٨	كنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٩٢	كنت سعه الذي يسمع به
١٣٠	كنت كنزاً لا أعرف، فأجبت أن أعرف، فخلقت الخلق، فلي عرفوني

باب اللام

١١٧	لا تفعل فإن الله علق آدم على صورته
٢٩٣	لا يزال عبيدي يتقرب إليّ بالنواقل حتى أحبه
٩٨	لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
١٤٠	لو دليتكم أحلكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لمبط
١٤٠	لو دليتكم بحبل لمبط على الله
٢٤٦	ليس تحته هواء ولا فوقه هواء

باب الميم

١٩٣	ما يزال عبيدي يتقرب إليّ بالنواقل حتى أحبه
١٧٦	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد
٢٤٩	مردت فلم يعلمي ابن آدم، وظننت فلم يسقني ابن آدم

- ٢٢٤ المصورون يمدون يوم القيامة، ويثال لهم: أحبوا ما خلقتم
- ٧٤ من أمان لي ولياً فقد بارزني بالحاربة.
- ١٢٤ من رأي فقد رأى الحق.
- ١٢٤ من رأى ربه في المنام دخل الجنة.
- ١٩٣ من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحربة.
- ١٧٧ من عرف نفسه فقد عرف ربه.
- ١٧٦ من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم
- ١٧٦ من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم
- ١٤٦ من الماء.
- ٣٢٢ من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصها فقد ضل
- باب النون
- ١١٩ نوراً إلى آراه
- باب الهاء
- ٧٧ هذه أمة مرحومة عذبا بأيديها.
- ٧٩ هذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي.
- ٣٢٩، ٢٥٠ هؤلاء للجنة ولا أبالي، هؤلاء للنار ولا أبالي.
- ٨٨، ٧٩ هي خسر وهنّ خسون، ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد.
- باب الواو
- ٩٨ والذي نفسي بيده لخلاف فم الصائم.
- ٦٨ والشقي من شقي في بطن أمه.
- باب الياء
- ٢٤٤ يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا ولله بين أصبعين من أصابع الله.
- ٦٨ يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك.
- ٢٤١ يخرج في آخر الزمان قوم أحدثات الأسماء، سقياء الأحلام.
- ٣٣٥ يتادي المتادي حين يدخل أهل الجنة الجنة.
- ١٣٧ ينزل ربنا إلى ساء الدنيا كل ليلة.
- ١٢٣ ينزل ربنا كل ليلة إلى ساء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه سؤله.

فهرس الأعلام

باب الألف	
آدم عليه السلام:	٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٢٩، ٣٢٠
إبراهيم الخليل (عليه السلام):	٣٢١
إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتولي الأحدي (برهان الدين) = إبراهيم المتولي إبراهيم المتولي:	٦٤، ٦٩، ١٦٥
إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (أبو إسحاق الإسفرايني) = الإسفرايني (أبو إسحاق)	
إلياس:	١٨٧، ٢٠٥، ٢٧٠
إلي بن كعب:	٢٧٢
أحمد البدوي (الشيخ):	٢٥٦
أحمد بن حنبل (الإمام):	٢٢٩، ٣٠٠
أحمد بن الرقاعي (أبو العباس):	١٢٣، ١٢٤
أحمد بن علي الكتلاني = ابن وحشية	
أحمد بن علي بن يحيى الرقاعي (أبو العباس) = أحمد بن الرقاعي	
أحمد بن عمر المرسى (أبو العباس شهاب الدين) = المرسى (أبو العباس)	
أحمد بن يحيى بن إسحاق الروندي (أبو الحسين) = ابن الروندي	
إسرافيل (عليه السلام):	١١٧، ٢٢١، ٢٧٢
الإسفرايني (أبو إسحاق):	١٧٨
إسماعيل الأنباري:	٢٥٦

٣٢٦	إسماعيل بن سوككين الثوري (شس الدين):
١٦٩	إسماعيل بن محمد الحضرمي:
	إسماعيل بن يوسف الألباني = إسماعيل الألباني
٢٤٣، ٩١	الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل):
١٧٩، ٦٦	أفضل الدين (أبو الإمام الشعرائي):
١٧٨	إمام الحرمين الجويني:
	الألباني = إسماعيل الألباني
٣٢١	أيوب (عليه السلام):
	باب الباء
١٧٨	الباقلاني (أبو بكر):
٣٢٦	بكر الخبشي الحراني:
٣٢٢، ٣٠٠	البيضاوي (أبو يزيد):
١٠٠	أبو بكر الصديق:
١٥١	بهرس (الأمير):
	باب الباء
٢٦٧	البرمكي (صاحب السنن):
١٧٨	البرقاني (سعد الدين):
٢٨٧، ٢٠٣	تقي الدين بن أبي المنصور:
	باب الباء
٢٤٨، ٢٣٨، ٢٣٧	جبريل (عليه السلام):
	الجندي بن محمد البغدادي (أبو القاسم) = الجنيد
٢١٤، ١٢١، ١٠٠	الجنيد (أبو القاسم):
١١٧	ابن الجوزي:
١٧٨	الجويني (أبو محمد):
	الجيلي (عبد القادر) = عبد القادر الجيلي
	باب الحاء
١٢١	الحارث المحاسبي:
٧٥	أبو الحسن الشاذلي:

الحكيم الرمزي:	٢٦٣، ١٣٥
الحلاج:	١٩٥، ١٥٤
حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات (أبو عمارة):	٣٠٠
ابن حمزة الحسيني:	١١٧
أبو حنيفة (الإمام):	٣٠٠
حواء (عليها السلام):	٢٧٠، ٢٦٩
باب الحياء	
ابن الخطيب:	١٦٩
باب الدال	
الدشغوطي = عبد القادر الدشغوطي	
دلف بن جحدر الشيلي أبو بكر - الشيلي	
باب الرأء	
ابن الراوندي:	١٧٥
رسول الله صلى الله عليه وسلم:	١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١١٧، ١٢١، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٥٠، ١٧٦، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٢٨
ابن الرفاعي = محمد بن الرفاعي	
باب الزواي	
زروق (الشيخ):	٧٨
زكريا الأنصاري الشعراوي:	٧٢، ٦٧
زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري المصري، الشافعي (شيخ الإسلام):	٩٦، ٦٥

باب السج	
٣٤٤	السبكي (تقي الدين):
١٢٤	ست المعجم بنت القيس بن أبي القاسم البغدادية:
١٢١	السري السقطي:
٢٠٩	أبو سعيد الباجي:
٢٣٠	سعيد بن مسروق:
٢٣٠	سفبان الثوري:
	سفبان بن سعيد بن مسروق الثوري = سفبان الثوري
	سهيل السري = سهل بن عبد الله السري
٢٦٤	سهيل بن عبد الله:
٣٢٢، ١٩١، ١٨٨، ١٨٧	سهيل بن عبد الله السري (أبو محمد):
٢٨١	السبائي (أبو العباس):
٣١٨	سيوبه:
١١٧	ابن السيد:
١٩٣، ١٢٤	سيدة المعجم:
١١٧	السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد):
	باب الشيخ
٣٢٧، ٢٠٩	الشاذلي (أبو الحسن):
١٠٠	الشبلي (أبو بكر دلف بن جعفر):
	ابن أبي شريف = الكمال بن أبي شريف
	باب الصاد
٣٠١	ابن الصلاح (تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن):
١٧٣	ابن أبي الصنف البجلي:

باب الطاء	
١٤٤	طاهر بن أحمد بن محمد القزويني (أبو محمد النجاشي):
١٤٤، ١٤٦، ٢٢٩، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥	أبو طاهر القزويني:
١٢٣، ١٧٦، ٣٠٢	الطبراني:
	طيفور بن عيسى البسطامي (أبو يزيد) = البسطامي (أبو يزيد)
باب العين	
٢٦٢	ابن عباس (عبد الله):
	عبد الله بن محمد الشعبي = ابن الخطيب
	عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني (أبو محمد) = الجويني (أبو محمد)
	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (أجلال الدين) السيوطي = السيوطي
١٤٨	عبد القادر الجيلاني:
١٣٤	عبد القادر الدمشقي:
	عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلاني = عبد القادر الجيلاني
٣٣٢	عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلاني:
١٢٩	عبد الكريم الجيلاني:
	عبد الكريم بن هوازن القشيري (أبو القاسم) = القشيري (أبو القاسم)
	عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان (نفي الدين أبو عمرو بن الصلاح) = ابن الصلاح
٦٥، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٧، ٩٩، ١٠٦ - ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧	ابن العربي (عيسى الدين محمد بن علي بن محمد الغفاني، الطائي، أبو بكر):

١٦٠ - ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٤١	
٢٠٩	أحمد بن عبد السلام:
١٥١	أبو الدين ابن جماعة:
١٧٨	عضد الدولة البوبهي:
	علي بن إسماعيل الأشعري (أبو الحسن) - الأشعري
	علي بن عليل (تور الدين) = علي المرصفي
١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٠٢، ١٠٥، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٥، ١٧٦، ٢٩٩، ٣١١، ٣٢٥	علي الحواس البرلسي:
٢٦٤، ٢٦٦	علي بن أبي طالب:
	علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي (أبو الحسن) = الشاذلي (أبو الحسن)
	علي بن عبد الكافي بن علي السبكي (تقي الدين) = السبكي تقي الدين
	علي بن محمد بن وفا القرشي الشاذلي المالكي (أبو الحسن) = علي بن وفا
١٦٧، ١٩٩، ١٠٥، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٦، ١٧١، ١٧٦، ١٨٣	علي المرصفي:

١٨٤، ١٨٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣٣٠	
١١٥، ١٣٥، ١٩٤، ١٩٨، ١٩٩، ٢٨٤، ٢٩٠، ٣٤٢	علي بن وفا:
٢٧٧	عمر بن الخطاب:
٢٧٣	عمر بن عبد العزيز:
١١٨، ٢١٤، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٧	عيسى ابن مريم (عليه السلام):
	باب العين
٧٥، ١٢٥، ٣١٦	الغزالي (الإمام):
	باب القاء
٦٥	ابن الفارض:
٢٦٦	فاطمة بنت الحسين:
٣٣٢	فرعون:
١١٧	ابن فورك:
	باب القاف
	القاسم بن القاسم بن مهدي السباري (أبو العباس السباري) = السباري (أبو العباس)
٦٥	قائلي الهركسي (السلطان):
١١٧	ابن قتيبة:
	القزويني (أبو طاهر) = أبو طاهر القزويني
٢٨١	القشيري (أبو القاسم):
	باب الكاف
٢١٧	الكثافي (أبو عبد الله):
٢٦٢	الكلم:
٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٣	الكمال بن أبي شريف:

كمال الدين بن أبي شريف - الكمال بن أبي شريف	
باب الألام	
ابن لاوي اليهودي:	١٧٥
اللقاني المالكي (ناصر الدين):	٣٣١
باب الميم	
الماتريدي (أبو منصور محمد بن محمد بن محمود):	٩١، ٩٠
محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف - ابن أبي الصيف البيسي	
محمد بن الطبيب الباقلائي (أبو بكر) - الباقلائي (أبو بكر)	
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم = رسول الله صلى الله عليه وسلم	
محمد بن عبد الجبار النفرى - النفرى	
محمد بن علي بن الحسن بن بشر (أبو عبد الله) - الحكيم الترمذي	
محمد بن علي بن عبد الكريم (أبو عبد الله) - (أبو عبد الله)	
محمد بن علي بن محمد الخافعي الطائي، أبو بكر محبي الدين ابن العربي = ابن العربي	
محمد بن فلاوون (السلطان):	١٥١
محمد اللقاني المالكي (أبو عبد الله ناصر الدين) - اللقاني المالكي	
محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي شريف (كمال الدين) = الكمال بن أبي شريف	
محمد بن محمد الطوسي (أبو حامد حجة الإسلام) - الغزالي (الإمام)	
محمد بن محمد بن محمود (أبو منصور الماتريدي) - الماتريدي	
محمد المغربي الشافلي:	٢٠٣، ٢٠٢

٦٧	مدين (الشيخ):
١٩٨	أبو مدين:
٢٥٦	المرسي (أبو العباس):
	المرصفي = علي المرصفي
٢٤٩، ٧١	مسلم بن الحجاج (صاحب الصحيح):
٢٠٩	ابن ميثيق:
٧٠	أبو المظفر السمعاني:
٧٨، ٦٤	المتاوي:
٢٠٣	ابن أبي المنصور (تقي الدين):
	منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني (أبو المظفر) = أبو المظفر السمعاني
٨٩	منكر (من الملائكة):
١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٦، ١٥٥، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥	موسى عليه السلام:
	باب النون
٢٨١، ٢٢٤	النفري (محمد بن عبد الجبار):
٨٩	نكير (من الملائكة):
	باب الواو
٣٢٠	ابن وحشية (أحمد بن علي الكندي):
٢٧٣	وهب بن منبه الصنعاني (أبو عبد الله):
	باب الياء
	أبو يزيد البسطامي = البسطامي (أبو يزيد)

فهرس الأماكن

باب الألف	
١٦٩	أبين:
٣٠١	أربل:
٢٦٢	أرض المقد:
٢٨١	استوا:
١٧٨	إسفرابين:
٢٥٦، ٢٠٩	الإسكندرية:
٧٨	إشبيانية:
١٧٥	أصيهان:
٢٥٦	أنباية:
١٧٥	الأهواز:
باب الباء	
١٣٤	باب الشريعة:
٣٠٠	بسطام:
٢٣٠، ٢٢٤، ١٧٨، ٩٦	البصرة:
٢٦٦	بطن لعمان:
١٧٨، ١٧٥، ١٤٨، ١٠٠، ٧٥	بغداد:
١٣٥	بلخ:
باب التاء	
١٣٥	ترمذ:
١٨٧	تستر:
باب الجيم	
٦٥	الجامع الأزهر:
٧٥	الجامع الأموي:

٢٩٩، ١٢٠	جنة عدن:
١٧٨	جوين:
١٤٨	جيلان:
	باب الحياء
٧٥	الحجاز:
٢٢٦	الحجر الأسود:
١٧٣	الحرم الشريف:
٣٠٠	حلوان:
	باب الحياء
٩١	حبيقة:
٣٠١، ١٧٨، ٩١	حراسان:
	باب الدال
٣٠١، ١٥١، ٧٨	دمشق:
	باب الرءاء
١٧٥	راوند:
١١٧	روضة المقياس (على النيل):
	باب الزاي
١٧٣	زبد:
	باب السين
٣٤٤	سيلك:
٢٦٢	سرنديب:
٩١، ٩٠	سرقند:
٣٠٠	سواد العراق:
	سيحون = نهر سيحون

باب التين	
شاذلة:	٢٠٩
النشام:	٩١، ٧٥
شرخان:	٣٠١
شرقية مصر:	٦٥
باب الصاد	
الصالحية (بدمشق):	٧٨
صنعاء:	٢٧٣
باب الطاء	
الطائف:	٢٦٢
طبرستان:	١٤٨
طنطا:	٦٩
طوس:	٧٥
باب العين	
العراق:	٩١
عرفة:	٢٦١
باب الغين	
عمارة (بالمغرب):	٢٠٩
باب الفاء	
فاس:	٢١٧
باب القاف	
القاهرة:	١١٥، ٦٥
القدس:	٣٠١
القسطنطينية:	١٧٨

١٥١	قلعة الكرك:
٦٧	قطرة حسين بمصر:
	باب الكاف
٢٠١	الكمية:
٣٠٠، ٢٣٠، ٢٢٤	الكوفة:
	باب الميم
٩٠	ماتريد (بسمرقند):
٦٩	مبول:
٣٠١	المدسة الصلاحية (بالقنس):
٢٣٠، ١٦٩	المدنة المنورة:
٧٨	مرسية:
٢٨١	مرو:
٣٤٤، ٩١، ٦٧، ٦٦	مصر:
٩١	المغرب:
٢٦٢، ٢٣٠، ١٧٣	مكة المكرمة:
٣٤٤	المنوفية:
٣٠١	الموصل:
٢٦٨	الميزاب:
	باب النون
٢٢٤	نقر:
١٢١	نهاروند:
٩١	نهر سيحون:
١١٧	نهر النيل:
١٧٨، ٧٥	نيسابور:
	النيل: - نهر النيل

	باب الفاء
٢٦٢	الفناء:
	باب الواو
١٣٣	واسط:
	باب الياء
٢٧٣	اليمن:

فهرس الأشعار

قافية الألف المقصورة

لَكُمْ طَاهِرٌ لَمْ يَنْصَفْ بِطَهَارَةٍ إِذَا جَانِبَ الْبَحْرِ الْبُلْدِي وَاحْتَسَى ٣٠٧

قافية الهزجة

الهزجة المضمومة

لَوْلَا الْكَلَامُ لَكُنَّا الْيَوْمَ فِي حَدَمٍ وَلَمْ تَكُنْ غَمُّ أَحْكَامٍ وَأَنْبَاءُ ٢٢٦

إِنَّ الْكَلَامَ عِبَارَاتٌ وَالْفَلَاظُ وَقَدْ تَرَوُّبَ إِشَارَاتٍ وَإِيمَاءُ ٢٢٦

الهزجة المكسورة

مَا حِيلَةَ الْمَدِّ وَالْإِفْتِدَارِ جَارِيَةٍ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ أَيُّهَا الرَّائِي ١٥٤

أَتَقَاءَ فِي الْيَمِّ تَكُونُوا وَقَالَ لَهُ (يَا لَكَ) (يَا لَكَ) أَنْ تَبْلُغَ بِالْمَاءِ ١٥٩، ١٥٤

قافية التاء

التاء المفتوحة

قَدْ أَتَيْتُ الشَّيْءَ قَوْلُ رَيْي لَوْ لَمْ يَكُنْ بِكَ مَا وَجَدْتَا ٢١٥

لَوْ لَمْ تَكُنْ تَمْ بِمَا حَبَبِي إِذْ قَالَ إِنْ كُنْ لَمْ تَكُنْ سَمِعْتَا ٢١٥

فَالْعَدَمُ الْخَضُّ لَيْسَ لِيهِ ثُبُوتٌ عَيْنٍ بِقَتْلِ صَدَقْتَا ٢١٥

فَأَوَّ رَأَيْتَ الَّذِي رَأَيْتَا عَلِمْتَ مَا مِنْهُ فَذْ خَلَقْتَا ٢١٥

فَأَيُّ شَيْءٍ قَبِلْتَ مِنْهُ أَلْ كَوْنٌ لَوْ كَوْنٌ عَيْنِ أَلْتَا ٢١٥

فَطَاهَرُ الْأَمْرِ كَانَ قَوْلُ وَبِطَلْنِ الْأَمْرِ أَنْتَ كُنْتَا ٢١٥

التاء المكسورة

فِي حَالَةِ الْبَعْدِ وَوَحْيِ كُنْتُ أَرْسَلَهَا تَلِيلُ الْأَرْضِ عَنِّي وَهِيَ نَاتِيَتِي ١٣٣

وَهَذِهِ لَوْبَةُ الْأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ فَاغْدِدْ بِمَيْتِكَ كَيْ تَحْطِيَ بِهَا شَفَتِي ١٣٣

قافية الدال

الدال المضمومة

عَلِمَ الْإِشَارَةُ تَقْرِيبَ وَابْعَادَ وَسِيرَهَا لَيْكَ تَأْوِيْبَ وَإِسَادَ ١٦٣

لَنَبِيهِ عَصْمَةٍ مِنْ قَالَ الْإِلَهِ لَهُ كُنْ فَاسْتَوَى كَاتِلًا وَالْقَوْمَ أَشْهَادُ ١٦٣

الدال المكسورة

وَجِلْسُكَ أَنْ كُلَّ الْأَمْرِ أَمْرِي هُوَ الْمَعْنَى الْمُسَمَّى بِالشَّحَادِ ١٩٨

١٩٨	فلذلك دليل صدقك في الوداد	إذا ما كان قصدك عين قصدي
٣٢٦	إليه فردا على الأفراد	فقم بوصف الإله وانظر
٣٢٦	كُنيتَ فاشكر ضم الأعداي	يا بدر بادر إلى المنادي
٣٢٦	وخلص القول إذ تنادي	وحسن السمع لو تنادي
٣٢٦	ولا تعرج على السواد	قد جاءك النور فاعتقله

قافية الرءاء

الرءاء الساكنة

١١٠	والجبل بالله عين العلم فاعتبر	فالعلم بالله عين الجهل فيه به
١١٠	كذلك الأمر فانظر فيه واتكبر	إن الظهور إذا حاز الحدوث لنا

الرءاء المضمومة

١٣٩	في منزل العين إحساس ولا نظر	علم التهجد علم الغيب ليس له
١٣٩	لها مع السوقة الأسرار والسمر	إن الملوكة وإن حلت مرائبها
١٣٩	في عجب سورا تعلق به صور	إن التنزل يعطيه وإن له

الرءاء المكسورة

١١١	ما فضل الله مخلوقا على البشر	لولا البطون ولولا سر حكمته
١١١	والجهر يظهره لكل ذي بصر	السر ما بعثت فيه حقيقته
١١٠	نقول يا أيها المغلوب عن حصر	وليس في الكون معلوم سواء لما
١٨٥	لها روائع من نون ومن عظم	كذلك تخرج من أصنافها صور
١٨٥	تعبها بها كحياة الأرض بالمطر	الروح للحسم والنيات للعمل
١١٠	من يأخذ العلم عن حس وعن نظر	وكيف يدرك من لا شيء يشبهه
١٨٥	وكل ما تخرج الأشجار من شر	فبصر الزهر والأشجار بارزة

قافية السين

السين المكسورة

١٦١	من عهد والدنا المنعوت بالناسي	حكم التكليف بين الله والناس
-----	-------------------------------	-----------------------------

قافية الصاد

الصاد المكسورة

١١٩	وَلَوْ هَلَكَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ	وليس نال العين في غير مظهر
-----	--	----------------------------

١١٩	وليس ينال العين في غير مظهر	ولو هلك الإنسان من شدة الحرص
١١٩	ولا رب في قولِي الذي قد بته	وما هو بالزور الصمود والحرص
١١٩	ولم يد من شس الموجود ونورها	على عالم الأرواح شيء سوى القرص
١١٨	نجلي وجود الحق في فلك النفس	دليل على ما في المعلوم من النقص

قافية العين

العين المضمومة

١٢٩	وترعه عن حكم الحلول فما له	سوى وإلى توحيده الأمر راجع
١٢٩	قطعت الوري من نفسي ذاك قطعة	ولا أنت مقطوعة ولا أنت قاطعة
١٢٩	قطعت الوري من ذات نفسك قطعة	ولم تلك موصولا ولا فصل قاطعة
١٢٩	ولكنها أحكام ريتك التفتت	الوهية للضد فيها التجامع

العين المكسورة

١٣٥	صبرت عن شاطئ الأطراف والطيع	وقد تجاوزت حد الحفض والرفع
١٣٥	وقد نللت من الأقطار أجمعها	وقد تجاوزت حد الحفض والرفع
١٩٨	وتكبيهم عني وهم في سواها	ولتشتاقهم روحي وهم بين أضلعي
١٩٨	وترصدتهم عني وهم في سواها	ولتشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي
١٩٨	وتكبيهم عني وهم في سواها	ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي
١٩٨	صلكنم عقلي وطريقي ومسمي	وروحي وأحشائي وكلني بأجمع
١٣٥	وقد نللت من الأقطار أجمعها	لما خرقت حجاب الفرق والجمع
١٩٧	ومن عجب أي أحسن إليهم	وأسأل عنهم دائما وهم معي
١٩٨	ومن عجب أي أحسن إليهم	وأسأل شوقا عنهم وهم معي
١٩٨	ومن عجب أي أحسن إليهم	وأسأل عنهم من أرى وهم معي

قافية الفاء

الفاء المفتوحة

١٦٢	لأنها دلت على واحد	للفرق بين العلم والمعرفة
١٦٢	من ارتقى في درج المعرفة	رأى الذي في نفسه من صفه

الفاء المكسورة

٣٤٠	والشان ما بين وصف وموصوف	فالخال ما بين مقبول ومصرف
-----	--------------------------	---------------------------

الحق ما بين مجهول ومعروف ٣٤٠ فالتاس ما بين متروك ومثوق

قافية القاف

القاف المكسورة

إن السماع من الكتاب هو الذي ٢٢٧ ياديه كل معلم ومُدرِّق

واحذر من التقييد فيه فإنه ٢٢٧ قول يند عند كل محقّق

عذها إليك نصيحة من مشفق ٢٢٧ ليس السماع سوى سماع المطلق

قافية الكاف

الكاف المفتوحة

ولو غاص في البحر الأجاج حياته ٣٠٧ ولم يلقَ عن بحر الحقيقة ما زكا

تبصر ترى سر الطهارة واضحا ٣٠٧ يسرا على أمل التيقظ والذكا

قافية اللام

اللام المفتوحة

هو الإله فلا تحصى عبادته ٩٩ هو النيرة فلا تضرب له مثلا

إن تجد عيبا فسد الخلقا ٣٤٥ حل من لا عيب فيه وعلا

لا يعلم الله إلا الله فاتبهوا ٩٩ فليس حاضركم مثل الذي غفلا

المعجز عن درك الإدراك معرفة ٩٩ كنا هو الحكم فيه عند من عقلا

من قال يعلم أن الله عاله ٩٩ ولم يحر كان يرهانا بأن جهلا

اللام المضمومة

كيف لندري من على العرش استوى ٦ لا تقل كيف استوى كيف التروى

هو لا أين ولا كيف له ٦ وتو في كل التواحي لا يزوى

أنت لا تعرف ذلك ولا ٥ ندري من أنت ولا كيف الوصول

قل لمن بهم عني ما أقول ٥ فصل القول فلذا خرج بطول

العرش والله بالرحمن محمول ١٣٦ وحاملوه وهذا القول متقول

جل ذلك وصفات وسما ٦ وتعالى قدره عما نقول

هذا هو العرش إن حقت صورله ١٣٧ والمستوى بآية الرحمن مأمول

محمد ثم رضوان وحازلهم ١٣٧ وأدم وخليل ثم جبريل

١٣٦	تولاه جاء به شرع وتزويلاً	وأي حول لمخلوق ومقدرة
١٣٧	ما ثم غير الذي رتبته تعضيل	جسم وروح والقوات ومربية
١٣٧	سوى ثمانية غير نهاليل	والحقيق بميكال إسرئيل ليس هنا
١٣٧	واليوم أربعة ما فيه تأويل	ولهم ثمانية والله يعلمهم

اللام المكسورة

٢٩٧	دليلها أنها في الال كالأل	من السموات التي يعطيك شاعدها
٢٩٧	من السمو ومن حال إلى حال	لوائح الحق ما تبدو لأسرار
٢٩٧	من غير جارحة بالعلم والحال	وقد تكون بما يبدو لناظره
٨	من قوله خلق الإنسان من عجل	إني جعلت إلى ربي لأرضيه
٨	فلأني منهما والله في وجل	استغفر الله من ظلمي ومن زلتي
٣١٢	يا مبدأ الأمر بل يا علة العقل	ولا تشاء بما ناديت به فرقي
٣١٢	يقرا يقوم به كساتر العقل	لأنه لقب أعطيت معالمة

قائمة الميم

الميم الساكنة

٢١٥، ١٣٠	والذي قيل له لم يك ثم	عني من قاتلي: "كن" لعدم
٢١٥	والذي قيل له لم يك ثم	عني من قاتلي كن لعدم
٢١٦	طورك الزم ما لكم فيه قدم	ولذا حاله العقل نقل
٢١٥	قد بناء العقل بالكشف هدم	كيف للعقل دليل والذي
٢١٥	نك نساك رأى ثم حرم	نحاة النفس في الشرع فلا
٢١٥	بتكن والكون ما لا ينقسم	ثم إن كان فلم قيل له
٢١٦	هو علم فيه قللتعصم	كل علم مشبه الشرع له
٢١٥	فاز بالخير غيب قد عصم	واشتم بالشرع في الكشف فقد
٢١٥	وافركته مثل لحم في وشم	أفعل الفكر ولا تحفل به
٢١٥	ذل بالعقل عليها وحكم	فلقد أبطل كن قدرة من
٢١٦	خط فيه الحق من علم الظلم	مثل ما جهل الخلق الذي

الميم المكسورة

١٧٠	قد قبر الكل بأحكامه	دلائل دلت على صانع
-----	---------------------	--------------------

- ١٧٠ في سبب البدء وأحكامه
وإغاية الصنع وإحكامه
١٧٠ والفرق ما بين رعاة العلى
في تشبهه وبين حكمائه

قافية النون

النون المفتوحة

- ١٩٥ أنا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا
٩٧ نَقُولُهُ وَتَوَلَّاهَا
لَمَّا كُنَّا وَلَا كُنَّا

النون المكسورة

- ٩٨ فَإِنْ ذَكَرْتَ غَنِيًّا لَا انْتِفَارَ بِهِ
فَقَدْ عَرَفْتَ الَّذِي فِي قَوْلِنَا نَعْنِي
٩٨ الْكُلُّ مُنْتَقَرٌ مَا الْكُلُّ مُسْتَقَرٌّ
هَذَا هُوَ الْحَقُّ قَدْ قُلْنَا وَلَا تُكْنِي
٢٤٥ إِذَا مَا رَابَعَةٌ رَفَعْتَ لَهْدٍ
تَلْقَاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

قافية الهاء

الهاء المفتوحة

- ٢٨٦ عَجِبْتُ لَعِينٍ كَيْفَ تَذْرُكُ هَيْبَهَا
وَتَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَنْ قَالَ لَهَا
٢٨٦ وَلَمْ يَكْ مَشْهُودٌ سِوَاهُ وَإِنَّمَا
شَبَّوْهُ وَرُودُ الْغَيْبِ عَلَيْهَا أَجْنَبَا

الهاء المكسورة

- ٢٤٢ علوه عن أدوات أنت
تَلْحَقُ بِالْكَفِّ وَتَشْبِيهِهِ
٢٢٠ مَنَزَهُ الْحَقُّ لَا يَذْرِي بِذَلِكَ وَلَا
مِثْلَهُ الْحَقُّ لَا يَذْرِي وَفَدْرِيهِ
٢٤٢ فِي نَظَرِ الْعَيْدِ إِلَى رَبِّهِ
فِي قُلُسِ الْأَيْدِ وَتَرْبِيهِ
٢٢٠ فَمَنْ يَنْزِعُهُ عَنْهُ يَتَشَبَّهُ
بِهِ فَبِذَا الَّذِي قَدْ قَلَبَهُ فَبِهِ

قافية الياء

الياء الساكنة

- ٢٩١ قَدْ اسْتَوَى النَّهْيُ وَالْحَيُّ
فِي كَوْنِهِمْ مَا عَدَهُمْ شَيْءٌ
٢٩١ رُؤْيَاهُمْ إِلَى مَعْلُومَةٍ
فَنَشْرَهُمْ فِي كَوْنِهَا طَلِيٌّ
٢٩١ مَنِي قَلَا نَوْرٌ وَلَا ظِلْمَةٌ
فَبِهِمْ وَلَا ظِلٌّ وَلَا فَيٌّ

فهرس الأمثال

يدُ لا تقدر على عضها فكلها ١٥٤

•

فهرس الألفاظ الاصطلاحية

باب الألف	
آيات الصفات:	٢٤٩، ٢٤١، ٦٦، ٦٤
الاتحاد:	١٩٩ — ١٩٢
الاستثناء:	٩٢
الاستواء:	١٣٦ — ١٣٨، ١٣٩ — ١٤٧
الأشعرية:	٩٠، ٩١
الإعادة:	٩٢
الإله:	٩٢
الإلهام:	٣٣٠، ٣٣١
الألوهية:	٧٩
الأنس بالله:	١١٤، ١١٥
الأنين:	٢٠٣
الأينية:	١٩٩ — ٢٠١
باب الباء	
البحث:	٨٩
بعد الحق:	٢٢٤، ٢٢٥
باب التاء	
التأويل:	٩٦
التحقيق:	١٣٢
التدبير:	٦٦
التسبيح:	١٨٢، ١٨٣، ١٨٤
التقدير:	٦٦
التقدير والتدبير:	٦٦

١٨٣	التقديس:
١٨٤	التكبير:
١٥٢، ١٥٣، ١٥٤	التكليف:
١٨٣	القرية:
١٣٠، ١٣١، ١٣٢	التوحيد:
٧٠	التوقيف:
	باب الجيم
١٥٤ — ١٦٠	الجزيرة:
٨٤	الجزائرات:
١٣٣ — ١٣٦	الجهة:
	باب الحاء
١١٢	حجاية العلم:
٩٢	حدوث العالم:
٢٣٨ — ٢٤١	الحروف المقطعة:
٩٢	الحشر:
١٨٤	حضرة إطلاق:
١٨٤	حضرة تقييد:
١١٢	الحق:
١٩٢ — ١٩٩	الحلول:
	باب الحاء
١١٢	الحلق:
٣٠٧ — ٣١٨	خلق الأنعام:
٢١٣ — ٢١٦	خلق العالم:

١٠٣	خلق الوجود:
٢٥٧ — ٢٥٢	الخلود في النار:
	باب اللال
١١٣	الذات الأحدية:
١٢٣	الذات التقيدية:
	ذات الحق = الذات المقس
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥	الذات المقس:
٧٥	الثوات:
	باب الرأ
٩٢	الرسالة:
٩٢	رسالة محمد صلى الله عليه وسلم:
٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦	رؤية الحق:
٣٤١ ، ٣٣٧	الروح:
	باب السين
٢٥٠	سادة المنتهى:
٦٩	سر القدر:
	باب الشين
٢٨٢ — ٢٨٨	الشهود:
	باب الصاد
٩٢ ، ٦٦ ، ٦٥	الصقات:
٢١٧ — ٢٢١	صفات الحق:

باب العين	
العدم:	٢٠٩، ١٠٣
العدم الإضافي:	٢١٠، ٢٠٩
العدم المطلق:	٢١٠، ٢٠٩
العرش:	٨٣
العرفان:	١٦١
العلم بالله تعالى:	٩٢
علم الحق:	١٦٥
باب الفاء	
القطرة الأرضية:	٢٧٦
الفوق:	١٣٢
باب القاف	
القدرة:	٧٨
القدرة الإلهية:	٢٦٨ — ٢٦١
قدم العالم:	١٢٨، ١٢٥، ١٠٣
قرب الحق:	٢٢٥، ٢٢٤
القلم الأعلى:	٢٥٣، ٨٣
باب الكاف	
كتابة الحق:	٢٦٠ — ٢٥٨
الكرسي:	٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٨٣
الكسب:	٣١٨، ٣٠٧، ٧٤
الكشف:	٨١
كلام الله تعالى:	٢٢٨ — ٢٣٨

٢٢٧ ، ٢٢٦	كلام الحق:
٨٤	الكليات:
٣٢٠ — ٣١٨	كن:
	باب اللام
٨٣	اللوح:
٢٥٥ ، ٢٥٣	اللوح المحفوظ:
	باب الميم
٩١ ، ٩٠	الماتريديّة:
٩٨	محبة الحق:
٩٨	محبة الخلق:
٢٩١	المرأة الصفائية:
١٠٣	المعدوم:
٢٠٥ ، ٢٠١	المنحة:
١٧١	المفاتيح الأول:
٧٥	المقامات:
١٦١	موقف العرفان:
	باب النون
٢٧٤ — ٢٦٨	النشأة الإنسانية:
٩٢	النشر:
	باب الهاء
١٤٦	الهيولي:
	باب الواو
٧٥	الوجود:

الوحدانية:	١٣٠، ١٣١، ١٣٢
الوحدة المطلقة:	١٢٠، ١٢١، ١٢٢
الوحي:	٨١
باب الياء	
يوم المعاد:	٨٧

فهرس الكتب والمؤلفات

باب الألف	
الإيمان، للسيوطي:	١١٧
إثبات الاستواء، لأبي محمد الجويني:	١٧٨
إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني:	١٧٨
الاتصار لأصحاب الحديث، لأبي المظفر السمعاني:	٧٠
الإنجيل:	٨٦
الأنوار القدسية، لعلي المرصفي:	٦٧
باب الباء	
البحر المورود في المواقيق والعبود، لابن عربي:	٣٣٣
البصيرة، لابن الراوندي:	١٧٥
بغية الوعاة، للسيوطي:	١٣٣
هجة الأسرار في مناقب سيدي عيد القادر:	١٤٨
باب القاء	
تاويلات أهل السنة، للماتريدي:	٩٠
ترجمان الأشواق، لابن العربي:	١٠٩
تفسير التستري:	١٨٧
تفسير الجلالين، للسيوطي:	١١٧
تفسير السمعاني:	٧٠
الثوراة:	٨٦
باب الجيم	
الجامع الصغير، للسيوطي:	١١٧

باب الحياء	
حقيقة اليقين وزلزلة التمكين وعمارة الدين، لعبد الكريم الجيلي:	٣٣٢
باب الدال	
الدامغ للقرآن، لامين الراوندي:	١٧٥
باب الرواء	
الرسالة القشيرية:	٢٨١، ٦٧
باب الزاي	
الزبور:	٨٦
باب السين	
السحر الكبير، لامين وحشية:	٣٢٠
السر والطلسمات، لامين وحشية:	٣٢٠
سراج العنول في الكلام، للقزويني:	١٤٦، ١٤٤
باب الشين	
شرح ترجمان الأشواق:	٢٩٧
شرح الفقه الأكبر، للماتريدي:	٩٠
شرح المشاهدة، لسيدة العجم:	١٩٣، ١٢٤
شرح مشكلات الفتوحات المكية، لعبد الكريم الجيلي:	٣٣٢
شرح المقاصد، للفتنازلي:	٩١
باب العين	
غاية التصريف، للقزويني:	١٤٤
باب القاء	
الفتح الرباني، لعبد القادر الجيلي:	١٤٨

١٠٦، ١١٢، ١١٨، ١٢٦، ١٣٨، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٦ - ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٤١	الفتوحات المكية، لابن العربي:
٨٦	الفرقان:
٣٣٢	فصوص الحكيم، لابن عربي:
٣٢٠	الفلاحة النبطية، لابن وحشية:
	باب القاف
٩٢، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٧٧	القرآن الكريم:
١٤٨	فلاند البلواهر في مناقب الشيخ عبد القادر:
	باب الكاف
٣١٨	الكتاب، لسيويه:
	باب اللام
١١٧	اللائم المصنوعة، للسيوطي:
١٤٤	لب لباي الألباب في مراسم الإعراب، للقزويني:

١١٧	باب النقول، للسيوطي:
١٣٦	لطفائف المنن، للشعراني:
١١١، ١٨٠، ٢٤٧، ٢٨٠، ٢٨٥، ٣٠٦، ٣١١	لواقح الأنوار، لابن العربي:
	باب الميم
٢٢٤	المحاطبات، للنقري:
١١٧	مقامات، للسيوطي:
٩١	الملل والنحل، للشهرستاني:
٧٠	المنهاج لأهل السنة، لأبي المظفر السمعاني:
٢٢٤	المواقف، للنقري:
١٧٣	الميمون، لابن أبي الصيف البصري:
	باب النون
٣٢٠	نزهة الأحداق في ترتيب الأوقاف، لابن وحشية:
١٣٥	نواذر الأصول، للحكيم الترمذي:
	باب الهاء
١١٧	همع الموامع، للسيوطي:
	باب الواو
١٧٨	الوسائل في فروق المسائل، لأبي محمد الجويني:
	باب الياء
٩٦، ١٠٣، ١٢٨، ١٨٢، ٢٥٧، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٣	اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، للشعراني:

مصادر التحقيق ومراجعته

المخطوطة:

- الجليسي، عبد الكريم بن إبراهيم (٨٢٦هـ)، شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم الدنية، مكتبة الأزهر، القاهرة، (التصوف- ٣٣٣٥٨٨).

- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، مكتبة الأزهر، القاهرة، (التصوف- ٣٢٧٧١٠).

- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، المرید الصادق مع مرید الخالق، مكتبة الأزهر، القاهرة، (التصوف، ٣٢٩١٤٧).

- القزويني، محمد بن طاهر (٦٦٦هـ)، سراج العقول، مكتبة المسجد الأقصى، القدس الشريف، (٣٤٠- أصول فقه ٢٣).

- مجهول، نسب عبد الوهاب الشعراني، مكتبة دار إسعاف النشاشيبي، القدس الشريف، (١٨٤/٤٩٤م-ث).

- ابن وفا، علي بن محمد بن وفا (٨٠٧هـ)، ديوانه، مكتبة الأزهر، القاهرة، (الأدب- ٣٣٢٥٧٨).

المطبوعة:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق خليل شحاح، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.

- أنور سعيديف وتوفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية: الكلام والمناظرة والتصوف، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، تحقيق محمد إسماعيل ومسعد السعدني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

- الألباني، محمد ناصر، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٥م.
- الأمدي، سيف الدين علي (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ط٣، تحقيق قاسم الرفاعي، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧م.
- البغدادي، إسماعيل باشا (١٣٣٩هـ)، هدية العارفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (١٣٣٩هـ)، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ابن بليان، علاء الدين علي بن بليان القارسي (٧٣٩هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بليان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م.
- الترمذي، أبو عبد الله محمد الحكيم (—٣هـ)، نواتر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، تحقيق أحمد السابح، والسيد الجميلي، ط١، دار البيان للتراث، القاهرة، ١٩٨٨م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، مراجعة صدقي العطار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
- التستري، سهيل بن عبد الله (٢٨٣هـ)، تفسير التستري، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- توفيق الطويل، الشعراوي: إمام التصوف في عصره، دار إحياء الكتب العربية، (عيسى البابي)، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ)، تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب، بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ، تحقيق عبد العزيز الحليفة، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٧م.
- الشعالبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد النسابوري المعروف بالإمام الثعلبي (٤٢٧هـ)، تفسير الثعلبي، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي،

ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م.

- الجسرحاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ)، دفع شبه التشبه بالكف التنزيه، تحقيق حسن السقا، ط١، دار الإمام النووي، عمان، ١٩٩١م.

- الجبلي، عبد الكريم بن إبراهيم (٨٢٦هـ)، قصيدة النادر العينية، تحقيق يوسف زيدان، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨م.

- حاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

- ابن حجر، أحمد بن علي المسقلاني (٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه عبد الوارث علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن حزمه الحسني، إبراهيم بن محمد، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق الحسين عبد الحميد هاشم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.

- ابن حنبل، الإمام أحمد (٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، دار صادر، بيروت، د.ت.

- الحنيلي، أبو اليمن محير الدين عبد الرحمن بن محمد (٩٢٨هـ)، الأنس الجليل، دار المختص، عمان، ١٩٧٣م.

- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف طويل ومريم طويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق عزة الدعاس وعادل السيد، ط١، دار ابن حزم، ١٩٩٧م.

- الدميضطي، شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (٧٠٥)، المتحرر الرابع في ثواب العمل الصالح، تحقيق فريد الجندي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- ابن السزير، أحمد بن إبراهيم (٧٠٨هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد

والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط٤، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

- السكندري، ابن عطاء الله أحمد بن محمد (٧٠٩هـ)، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس الراسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

- سير السعدي، الحسين بن منصور الخلاج: حياته، شعره، نثره، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦م.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر (٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧م.

- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

- الزعزعي، أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٧م.

- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (١٨٠هـ)، كتاب سيويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

- ابن السيد، عبدالله بن محمد البطلوسي (٥٢١هـ)، الإنصاف في التبيين على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، تحقيق محمد الدايدة، ط١

- ٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، الإنقان في علوم القرآن؛ تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، بإشراف عبد المنعم إبراهيم، ط٢، مكتبة نزار الباز، الرياض، ١٩٩٨م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق حامد الطاهر، ط١، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الأخلاق النبوية، تحقيق منيع عبد الحليم محمود، مكتبة الإيمان، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الأنوار القدسية في معرفة لواعظ الصوفية، تحقيق طه عبد الباقي سرور، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، البحر المورود في المواثيق والعهود، تحقيق محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما عالجوا فيه سلفهم الطاهر، اعتنى به محمد حلي، دار المعرفة، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص، وضع حواشيه عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الدرر واللمع في بيان الصديق في الزهد والورع، تحقيق أحمد المزبدي ومحمد نصار، ط١، دار الكرز، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الطبقات الصغرى، وضع حواشيه محمد عبد الله شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.

- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الطبقات الكبرى (المشهور بلوائح الأنسوار في طبقات الأخيار)، تحقيق عبد الرحمن محمود، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الفتح المبين في جملة من أسرار الدين، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح، دراسة وتحقيق قاسم عباس، دار أزمدة، عمان، ٢٠٠٣م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، ضبط عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، كشف الحجاب وأثران عن وجه أسئلة الجنان، ضبط عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، ضبط محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، مختصر التذكرة، تحقيق عبد الرحمن البر، دار اليقين للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، المنح السنية على الوصية المتبوية، تعليق محمد مصطفى بن أبي العلا، مكتبة الجندى، القاهرة، د.ت.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، منح المنة في التلبس بالسنة، وضع حواشيه عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، وضع حواشيه سالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، الميزان الحظريّة، وضع حواشيه عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ)، البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ)، الملل والنحل، صححه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- طاشكيري زاده، عصام الدين أحمد بن مصطفى (٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٧٧م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الفكر، عمان، ١٩٩٩م.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن حسن (٥٠٠هـ)، البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- طه عبد الباقي سرور، التصوف الإسلامي والإمام الشيرازي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- العباسي، عبد الرحيم بن أحمد (٩٦٣هـ)، معاهد النصيص، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.
- عبد السلام علوش، الجامع في الأحاديث القدسية، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
- عبد الوهاب طويلة، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد (١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥١هـ.
- ابن العربي، محي الدين محمد بن علي (٦٣٨هـ)، ترجمان الأشواق (ديوانه)، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، ١٩٦١م.
- ابن العربي، محي الدين محمد بن علي (٦٣٨هـ)، ذخائر الأعلام في شرح ترجمان الأشواق، مطبوع بهامش ديوان (ترجمان الأشواق)، دار صادر، ودار بيروت،

بيروت، ١٩٦١م.

- ابن العربي، محيي الدين محمد بن علي (٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

- ابن العربي، محيي الدين محمد بن علي (٦٣٨هـ)، فصوص الحكم، اعتنى به عاصم الكيالي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- عصام الدين الصباطي، جامع الأحاديث القدسية، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله (٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار الخير، بيروت، ١٩٩٠م.

- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحلي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

- الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار الخير، ط٤، دمشق، ١٩٩٧م.

- الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، المستصفى في علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٤م.

- الغزي العامري، أحمد بن عبد الكريم (١١٤٣هـ)، الجدل الخبيث في بيان ما ليس بحديث، دار ابن حزم، بيروت، د. ت.

- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

- القاسمي المغربي، أبو علي الحسن بن محمد (١٣٤٧هـ)، طليقات الشاذلية الكبرى، وضع حواشيه مرسي علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

- ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن (٤٠٦هـ)، مشكل الحديث وبيانه، تحقيق موسى علي، مطبعة حسان، القاهرة، (د. ت.).

- القادري، أبو سعد نصر بن يعقوب (٤٣٥هـ)، القادري في التعبير، تحقيق فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م.
- القاشاني، عبد الرزاق بن أحمد (٧٣٠هـ)، لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، ضبطه عاصم الكيالي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- القاضي، عبد الجبار بن أحمد الهمداني (٤١٥هـ)، مشابه القرآن، تحقيق عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٣م.
- القسطلبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق معروف زريق، وعلي عبد الحميد أبو الخير، ط٣، دار الخير، بيروت، ١٩٩٧م.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصرية للكتاب، أشرف على الترجمة محمود فهمي حجازي، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- الكرماني، برهان الدين محمود بن حمزة (٥٠٥هـ)، البرهان في توجيه مشابه القرآن، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- المائريدي، أبو منصور محمد بن محمد (٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة، تحقيق محمد مستفيض الرحمن، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٣م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، ط٣، تحقيق خليل شيخا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- محمد القبانى، جامع الفحات القديمة، (جمعها وحققها محمد القبانى)، ط٢، دار

- الخبر، بيروت، ١٩٩٨م.
- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف (١٠٣٢هـ)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق محمد الجادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط ١، بيروت، د.ت.
- مولود السوسي، معجم الأصوليين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- النابلسي، عبد الغني (١١٤٣هـ)، تعظيم الأنام في تعبير المنام، اعتنت به حنان طيارة، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الشهابي، يوسف بن إسماعيل (١٣٥٠هـ)، جامع كرامات الأولياء، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق (٤٣٨هـ)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- السنوسي، محيي الدين (٦٧٦هـ)، شرح صحيح مسلم، ط ٧، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- افندي، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)، مجمع البحرين في زوائد المعجمين (المعجم الأوسط والصغير)، تحقيق محمد حسن الشافعي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- الميمني، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق محمد عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (٦٢٦هـ)، معجم الأدباء أو (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).
- ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (٥٢٦هـ)، طبقات الخنابلة، وضع حواشيه أسامة بن حسن وحازم بهجت، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

فهرس المحتويات

الإهداء	٣
مبدأ وتأسيس	٥
مقدمة التحقيق	٩
أولاً: ترجمة المؤلف	٩
اسمه وكنيته ونسبه	٩
مولده وطلبه للعلم	١٠
المرحلة الأولى: الناشئ في القرية	١٠
المرحلة الثانية: المتعلم في مصر	١١
المرحلة الثالثة: الداعل في طريق القوم	١٢
شيوخه	١٤
من تأليفه	١٥
النسب عليه	٢٨
وفاته	٣٠
من لطيف كلامه	٣١
ثانياً: الشعرائي في عيون المستشرقين	٣٢
المستشرق "نيكلسون"	٣٢
المستشرق "ماكدونالد"	٣٢
المستشرق "فولررز"	٣٢
المستشرق "بروكلمان"	٣٢
ثالثاً: شكل الكتاب ومضمونه	٣٣
رابعاً: بين الشعرائي والشيخ محيي الدين	٣٦
خامساً: زمن تصنيف الكتاب ونسبته	٣٨
سادساً: المصطلح الصوفي في هذا الكتاب	٣٨

- سابقاً: وصفُ النسخِ المخطوطةِ ٤٣
- ثامناً: سيرُ التحقيق ٤٦
- ثامناً: صورُ من النسخِ المخطوطةِ ٤٨
- الكتابُ محققاً ٦٣
- شروطُ مَنْ يُصدِرُ للجوابِ عن آياتِ الصفاتِ ٦٤
- مفهومُ التقديرِ والتذبيرِ ٦٦
- معنى حديثِ "والشقيّ مَنْ شقيّ في بطنِ أمّه" ٦٨
- المُحاجةُ بين آدمَ وموسى عليهما السّلامُ ٧١
- تفاوتُ الوجودِ في المقاماتِ والذّواتِ ٧٥
- شبهةُ الاعتراضِ على القدرةِ ٧٨
- مقصودُ الكتابِ ٨٢
- العقيدةُ الصّالحةُ الجامعةُ ٨٢
- الجوابُ عن الرّسولِ صلّى الله عليه وسلّم ٨٨
- الأشعريةُ والمائريّةُ ٩٠
- الباعثُ على تصنيفِ كتبِ العقائدِ ٩٢
- القرآنُ دليلُ قطعٍ سَمْعِيٌّ عَقْلِيٌّ ٩٢
- عقيدةُ العوالمِ الفطريّةُ ٩٥
- توهمُ أنّ نفوذَ الأقدارِ متوقّفٌ على وجودِ الخلقِ ٩٧
- توهمُ أنّ محبةَ الحقِّ لشيءٍ كمحبةِ الخلقِ ٩٨
- توهمُ إحاطةِ الخلقِ بالحقِّ تعالى ٩٩
- توهمُ خلقِ الوجودِ مِن عَدَمٍ في علمِ الحقِّ ١٠٣
- توهمُ إضافةِ التّسيانِ وغيره ممّا لا يجوزُ إلى جنابِ الحقِّ ١٠٤
- توهمُ معرفةِ كنهِ الذّاتِ المُقتَسِي ١٠٤
- كلامُ الشّيخِ مُحمّي الدّينِ على ماهيةِ الذّاتِ وكُنْهها ١٠٦

- تَوْهَمُ ارْتِفَاعِ حِجَابِيَةِ الْعِلْمِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ ١١٢
- تَوْهَمُ مِرَاقِبَةِ الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةِ ١١٣
- تَوْهَمُ صَحَّةِ الْأَنْسِ بِالْفَلَاحِ ١١٤
- تَوْهَمُ الْخَلْقِ صُورَةً مَعْقُولَةً لِلْحَقِّ ١١٦
- تَوْهَمُ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ وَأَنْ كُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْبَصَرُ هُوَ اللَّهُ ١٢٠
- تَوْهَمُ أَنَّ ذَاتَ الْحَقِّ مُقَيَّدَةٌ مُشَبَّهَةٌ أَحَدًا مِنْ حَدِيثِ "نَزَلَ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ" ١٢٣
- تَوْهَمُ قَدَمِ الْعَالَمِ ١٢٥
- تَوْهَمُ لِبَاجِدِ الْعَالَمِ مِنْ ذَاتِهِ ١٢٨
- تَوْهَمُ "لَوْلَا التَّوْحِيدُ مَا فَهِمْتُ الْوَحْدَانِيَّةَ" ١٣٠
- تَوْهَمُ جِهَةِ الْفَوْقِ دُونَ التَّخْتِ ١٣٢
- أَقْوَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي دَفْعِ شُبُهَةِ الْجَهَةِ فِي جَنَابِ الْحَقِّ ١٣٣
- مَذْهَبُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ فِي آيَةِ الْإِسْتَوَاءِ ١٣٦
- أَقْوَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي آيَةِ الْإِسْتَوَاءِ وَحَدِيثِ النَّزُولِ ١٣٩
- تَوْهَمُ "لَوْ أَنَّ اللَّهَ فَعَلَ كَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ" ١٤٧
- تَوْهَمُ أَنَّ غَضَبَ الْحَقِّ عَلَى وَزَانِ غَضَبِ الْخَلْقِ ١٥١
- تَوْهَمُ التَّكْلِيفِ بِمَا هُوَ فَوْقَ الطَّاقَةِ ١٥٢
- تَوْهَمُ الْجَبَرِيَّةِ ١٥٤
- مَذْهَبُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﴿ قُلْ لَيْلَى الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ ﴾ ١٦٠
- تَعَلُّقُ عِلْمِ الْحَقِّ بِالْخَلْقِ قَدِيمًا ١٦٥
- تَوْهَمُ أَنَّ ظُلْمَ الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ الْحَقِّ ١٦٧
- تَوْهَمُ اسْتِفَادَةِ الْحَقِّ عِلْمًا مِنَ الْخَلْقِ ١٦٧
- مَذْهَبُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ ﴿ حَقِّيْ نَعْلَمَ ﴾ ١٦٨
- تَوْهَمُ أَنَّ نَزُولَ الْبَلَاءِ عَلَى أَهْلِ عَمَلَةِ الْعَاصِي لَيْسَ بِعَدْلِ ١٧٥

- تَوْهَمُ فِي مَعْنَى "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ" ١٧٧
- تَوْهَمُ أَنَّ التَّسْيِيحَ تَزْيِيدٌ عَنِ التَّقَاتُصِ ١٨٢
- تَوْهَمُ أَنَّ الْحَقَّ يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ مَا لَا يَصِحُّ لَهُ الرَّجُوعُ عَنْهُ ١٨٤
- تَحْصِيصُ قَوْلِ الْحَقِّ "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" ١٨٧
- تَوْهَمُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْحَقَّ غَنَى عَنِ إِيجَادِ الْخَلْقِ لَا وَجُودِهِمْ ١٨٨
- تَوْهَمُ حُلُولِ الْحَقِّ وَاتِّحَادِهِ بِالْخَلْقِ ١٩٢
- مَنْعُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ مَقْهُومَ الْحُلُولِ وَاتِّحَادِهِ ١٩٢
- تَوْهَمُ الْخَلْقِ أَبْنِيَّةً لِلْحَقِّ ١٩٩
- تَوْهَمُ أَنَّ مَعْيَةَ الْحَقِّ مَعْيَةٌ تَحْزِيرُ ٢٠١
- تَوْهَمُ أَنَّ الْحَقَّ يَضْبِطُهُ اصْطِلَاحُ ٢٠٦
- تَوْهَمُ تَقْيِيدِ أَسْمَاءِ الْحَقِّ وَصِفَاتِهِ ٢٠٧
- تَوْهَمُ إِيجَادِ الْعَالَمِ عَنْ عَدَمِ مُتَقَدِّمٍ مُطْلَقًا ٢٠٩
- تَوْهَمُ خَلْقِ الْعَالَمِ عَلَى مِثَالِ سَابِقٍ  ٢١٣
- تَوْهَمُ أَنَّ صِفَاتِ الْحَقِّ غَيْرُهُ ٢١٧
- تَوْهَمُ عَدَمَ إِيلَامِ الْحَقِّ لِلذُّوَابِ وَالْأَطْفَالِ ٢٢١
- كَلَامُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ عَلَى هَذِهِ السَّأَلَةِ ٢٢٢
- تَوْهَمُ أَنَّ قَرَبَ الْحَقِّ أَوْ بَعْدَهُ مَسَافَةٌ ٢٢٤
- تَوْهَمُ أَنَّ كَلَامَ الْحَقِّ يَكُونُ عَنْ صَسْتٍ مُتَقَدِّمٍ ٢٢٦
- كَيْفِيَّةُ كَلَامِ اللَّهِ وَحُدُوثُهُ وَقَدَمُهُ ٢٢٨
- عَقِيدَةُ الشَّيْخِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ فِي كَلَامِ اللَّهِ ٢٣١
- تَوْهَمُ أَنَّ سَاعَ جَبْرِيلَ أَوْ النَّبِيِّ كَلَامُ اللَّهِ كَسَمَاعِ الْخَلْقِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ٢٣٧
- الْقَوْلُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ أَوَائِلَ السُّورِ ٢٣٨
- تَوْهَمُ أَنَّ آيَاتِ الصِّغَرِ وَأَحْيَارَهَا مُكَيِّفَةٌ ٢٤١
- تَأْوِيلُ بَعْضِ آيَاتِ الصِّغَرِ الْوَارِدَةِ فِي حَسْبِ الْحَقِّ ٢٤٤